تردة الفستح الإسبال مى (١)

# قادة فتحالعاق والجزيرة

تأليف اللبواء الركن محموشيت خطاب وزر بلديان الجهورية العراقية وعضو الجمع العلى العراق



# الإهبيذاء

إلى سيد القادات وقائد السادات ، بطل الأبطال ورجب ل الرجال ، الرسول القائد النبي العربي محمد بن عبدالترصلوات التدونسليم عليه أهدى سيرخريجي مدرسته ودعاة عقيدته ، وحماة مبادئه ورا فعي رايانه: قادة الفتح الإسلامي .

محودشيت خطان

مسيطة الرحمن الرحسيم « إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتَعًا مُبِينًا » [ قرآن سرم ]

# مقيدمة

### <sup>(\*)</sup>- \ -

كانت أمنية غالية على القلب والعقل معا ، تراودنى منذ ما يزيد على العشرين عاما خلت ، أن أتفرّ غ للكتابة عن : تاريخ قادة الفتح الإسلامى ، الذين حلوا رايات الإسلام من الصين شرقاً إلى فرنسا غربا ، إلى حدود سيبريا شمالا إلى المخيط الهندى جنوبا 1 .

لقد كنت أشعر شعوراً عميقاً بعظمة هؤلاء الرجال ، وأشعر بالحزن والأسى يحزّان فى نفسى ، حين ألمس أن هؤلاء الرجال – على عظمتهم فى آثارهم وفى تضحياتهم ، لانعرف حتى أسماء أكثرهم ، وما نعرفه عن بعضهم لايتجاوز بعض المعلومات السطحية المشوشة التى يشيع فيها التناقض والاضطراب .

وكنت أقرأ فى بعض الأحيان بعض ماكتبه الأجانب عن قادتهم الفاتحين وغير الفاتحين ، فألمس بوضوح ما أضفوه عليهم من إجلال وتقدير ، وما يذلوه فى سبيل ذلك من وقت وجهد ومال .

وعدت لأقارن بين تكريم الأجانب لقادتهم وبين ما يلاقيه قادتنا من عقوق ، فأثار ذلك فى نفسى ( فكرة ) تأريخ حياة قادتنا الفأنحين — تلك الفكرة التى ما زالت تتغلغل فى نفسى منذ انبثاقها فيها لأول مرة حتى

<sup>(\*)</sup> كتبت هذه المقدمة و نصرت قبل ثورة ١٤ رمضان المبارك .

أصبحتُ أشعر بمرّ الأيام أنها ( رسالة ) علىَّ واجب ومسؤولية حملها وتبليغها للناس.

ولكن عدد قادة الفتح كبير جداً ، وتاريخ حياتهم ينطلّب تفرّغاً كاملًا لهم وحدهم ، فكيف السليل إلى هذا التفرغ ؟

وأخيراً ، تيسّر لى النفرغ المنشود الذي كنت أتمناه على الله ، فعكفت على المصادر القديمة والحديثة : أجمع أخبار قادة الفتح من شنات كتب (السّير) و (المغازي) و (طبقات الرجال) وكتب التاريخ والأدب ، وكنت كما وجدت اسم قائد فانح أبادر إلى تسجيله في سجل خاص وأشير إلى كل مصدر ومرجع يتحدّث عنه ، وفي النهاية تجمعت عندي مادة غزيرة عن بعض القادة وشدرات مقتضبة عن أكثر القادة .

والحق أننى كنت أشعر بفيض غام من الغبطة والسعادة حين كنت أؤرخ حياة قادة الفتح لل غبطة وسعادة لا تقدران بثمن ولا يمكن وصفهما ، خاصة إذا عثرت على معلومات جديدة ، في مصدر من المصادر تاقي ضوءا جديداً على حياة أحد القادة وتعينني على رسم صورة حية دقيقة لحياته قائداً وإنساناً .

لقد مضيت قدماً أستمد العون من الله تعالى وأدعوه أن يأخد بيدى لنحقيق ما أصبو إليه من بعث تاريخ القادة الفاتحين إلى الوجود ، بأسلوب اجتهدت أن يكون قريباً من السكال ، ولكننى كنت أحس أن الصورة التى رسمها لبعض القادة ينقصها شيء غير قليل من الضوء لم أستطع توفيره ، وذلك لاضطراب بعض المعلومات الواردة عنهم أولا ولنقص بعض المعلومات الواردة عنهم ثانيا .

ولست ألوم الجيل الحاضر من أبناء العرب والمسلمين على عقوقهم قادة الفتح، فقد تظافرت جهود الثقافة الاستمارية منذ دخول الاستعار هذه البلاد على إغفال كل ما يثير فى النفوس روح الاعتزاز بالماضى المشرسف الجيد؛ كا أن الشعوبيين منذ سيطر بعض رجالهم على الدولة العباسية فى القرن الثانى للهجرة بذلوا جهوداً عن عمد وسبق إصرار ولا يزال أحفادهم يبذلون جهودهم حتى اليوم، لطمس أسماء القادة الذين دكوا عروش أكاسرتهم وقياصرتهم، ولعل جهود الشعوبيين هذه كانت ولا تزال من أهم أسباب حرمانناكل هذه القرون الطوال، من تأليف كتاب واحد عن طبقات القادة، بينما تيسرت كتب كثيرة عن طبقات الشعراء والأدباء والمحدثين والأطباء...الخ.

إن معرفة الماضى هي وحدها تطوّع لنا تصوير المستقبل وتوجيه جهودنا إلى الغاية الجديرة بتراثنا العظيم ، فالمساضى والحاضر والمستقبل وحدة لاسبيل إلى انفصامها ، ومعرفة الماضى هي وسيلتنا لتشخيص الحاضر ولمعرفة المستقبل.

إن معرفة حقيقة تاريخنا ، ومعرفة سيرة (روح) هذا الناريخوهم قادة الفتح وقادة الفكر ، هي مصل وقائي للعرب والمسلمين تصونهم من الانحراف في مجرى التيارات الفكرية الدخيلة التي لا تنبع من صميم تربة وطننا ولا تمت بصلة إلى تراثنا وعقائدنا .

وقد بذل كثير من مفكرى العزب والمسلمين جهوداً مشكورة لتأليف كثير من المؤلفات عن قادة الفكر ، فهل آن الأوان لهم أن يبذلوا جهوداً مماثلة لتأليف كثير من المؤلفات عن قادة الفتح ؟

إن المراجع القديمة التي تتحدّث عنهم يشويها اضطراب قد يجعل تتبع

الحوادث الواردة فيها عسيراً كل العسر في سيرها التاريخي والجغرافي أيضا، فقد تجد القائد في بعض المراجع يقاتل في العراق وفي أرض الشام مثلافي وقت واحد!

والمراجع الحديثة اقتصرت على أشهر مشاهير القادة فقط ، وقد أعارت اهتماماً كبيراً لمعاركهم التي خاضوها أكثر مما أعارته لحياتهم بشراً وقادة ! فقد تجد سفراً ضخماً عن قائد ما ، يقص عليك تفاصيل حروبه في سائر صفحات الكتاب ، ثم لا تقرأ عنه إنساناً وقائداً إلا بعض النتف الضائعة في خضم تفاصيل حروبه ا

ومع ذلك ، فإن أشهر مشاهير القادة المسلمين الذين تحدّثت عنهم المراجع الحديثة لا يزيدون على ثلاثة بالمائة من عدد سائر القادة الفاتحين .

#### **- 7** -

لقد حاولت أن أسلط النور على حياة القائد إنساناً ، بحيث يستطيع من يقرأ قصة حياته أن برسم له صورة واضحة في ذهنه ، وحاولت أن أقتصر على إيراد أعماله الحربية من معاركه بالقدر الذي أستطيع به إظهار سمات قيادته للعيان ، بحيث يستطيع قارىء قصة حياته أن يتلدّس مزاياه قائداً بما يقرأه من أثره الشخصي في سير المعارك التي خاضها ، وقد يكون إظهار سمات معظم هؤلاء القادة في بحوث خاصة جديداً ، لأن أكثرهم غير معروفين على الرغم من ضخامة فنوحاتهم وأهمية أعمالهم ، ولكنني لا أطمع أبدا أن ينقل هذا الكتاب إلى قارئه صورة واضحة كل الوضوح عن قصة حياة كل القادة الذين تحدّثت عنهم ، وعذري أن المصادر التي اطلعت عليها شحّت كثيراً على معظم القادة فلم تذكرهم إلا نادراً ، وأن هذا المجهود مجهود تأريخ حياة على معظم القادة فلم تذكرهم إلا نادراً ، وأن هذا المجهود مجهود تأريخ حياة

قادة الفتح تنوء به العصبة أولو الثقافة والقوة والعزم ، فكيف أقوى على تحمله وحدى ؟!

ول كن ، حسبى أن أبدأ الطريق وأن أدلّ عليه من يريد سلوكه ، وهدا كل ما أطمع به .

### **- ٣** -

وريما يجد القارىء أن مرايا قيادة أكثرهم متشابهة ، ذلك لأنهم عاشوا في بيئة واحدة ، وتلقّوا تجاربهم العسكرية في معارك متشابهة ، كما أنهم خريجو مدرسة واحدة هي مدرسة الرسول القائد التي هي حصيلة تجارب العرب وتعاليم الإسلام في القتال .

وقد أشرت إلى المصادر التى استقيت منها المعلومات التاريخية انواردة عن القادة ، وهدفى من ذلك أن أعاون كل من يريد الكتابة عنهم فى المستقبل على معرفة بعض المصادر المهمة التى قد تعينهم على إنجاز بحوثهم .

وقد رجمت إلى الكتب الجغرافية القديمة لشرح بعض الأماكن الواردة في صلب الحوادث التاريخية ، لأن هذه الكتب تعطى أقرب صورة وصفية لهذه الأماكن القديمة ، بينما تقتصر المراجع الجغرافية الحديثة على وصفها وصفاً أقرب ما يكون إلى وضعها الراهن في الوقت الحاضر ولا تقرّب وصفها إلى ما كانت عليه فعلاً أيام وقوع الحوادث فيها.

وكان على أن أعتمد أقرب الروايات إلى الواقع والمعقول من الروايات التى ترددها المصادر القديمة ، إذ لا يمكن أن يكون القائد فى الشرق والغرب فى زمن معين ووقت واحد ، فلابد أن يكون إما فى الشرق وإما فى الغرب . ويمكن استنتاج الرواية المعقولة القريبة من الواقع بسهولة تارةً وبصعوبة تارة

أخرى: من سير الحوادث ، ومن تواتر الزوايات ، ومن درجة الثقة بالمصدر الذي يروى الحوادث . على كل اخترت أقرب الروايات المعقولة وثبتها بعد تدقيق و بمحيص و بحرد ، إذ لابد من وضع الأشياء في محلها \_ وكل ما أريد من الذين سيكتبون في المستقبل عن هؤلاء القادة أو من الذين سينقدون هذا الكتاب أن يمحصوا كل المصادر ، ويقلبوا الرأى في كافة الروايات ، ويقارنوا بين أماكن الحوادث والخرائط الجنرافية ، ويدققوا في تعاقب الحوادث وتطوّرها — عند ذاك سيجدون أن اختلاف الروايات في غالب الأحيان لا مبرر له ، وأن الحق واضح ، فلابد من البت في هذه الاختلافات التي لا طائل من ورائها خدمة المحقيقة والتاريخ .

ولم يكن بإمكانى أن أردد في هذا الكتاب جميع الروايات مع تمحيصها و نقدها لاستخلاص الرأى الذي أثبته في قصة حياة أكثر القادة . لأن التطرق إلى كل تلك الروايات مذا الشكل يضاعف حجم الكتاب ويضيع وقتى ووقت القارىء عبثاً بالذلك ضربت صفحاً عن ذكر كافة الروايات ، واكتفيت بإثبات الرواية المعقولة منها ، خاصة إذا تواترت روايتها وكان رواتها ثقاة ، ولكننى اضطررت على الإشارة في الموامش إلى الروايات المعقولة الأخرى — ولو أنني رجمت ما أثبته في المتن على ما أثبته في الهامش ، لتواتر الرواية أو قربها من سير الحوادث ومنطقها في تسلسلها التاريخي من جهة الرواية أخرى .

وكان لابد من خطة واضحة لكتابة قصة حياة قادة الفتح ، وكان أمامى ثلاثة مسالك لابد أن أسلك أحدها: المسلك الأول : أن أتتبع سير الحوادث الزمني ، فأكتب عن القادة حسب أسبقية حدوث فتوحاتهم من الوجهة الزمنية ،

ولعل من محاذيز هذا المسلك هو اختلاف المؤرخين فى زمن حدوث أكثر الفتوحات التي كان القادة روحها .

والمسلك الثانى ، أن أكتب عن القادة حسب تسلسل أواممل حروف أسمائهم أسوة بكنب السير القديمة أوكتب دوائر المعارف الحديثة أوالمعاجم ، ولعل من محاذير هذا المسلك أن أضيع على القارىء فرصة تتبع الحوادث من الناحيتين الزمانية والمكانية على حد سواء .

والمسلك الثالث: أن أكتب عن القادة حسب تسلسل فتوحاتهم في منطقة جغرافية معينة — كقادة فتح العراق والجزيرة مثلا، وقادة فتح أرض الشام . . الخ، وهذا يُعين القارىء على تتبع سير الفتوحات في منطقة معينة ، ولعل من محاذير هذا المسلك أن بعض القادة فتحوا منطقتين جغرافيتين معينتين أو أكثر ، أي أنهم فتحوا بعض أرض العراق وبعض أرض الشام ، وكان لهم جهاد وجهود هنا وهناك .

لقد آثرت المسلك الثالث ، لأن فوائده أكثر من محاذيره ، ولكى لا أعيد ذكر قائد من القادة مرتين في حالة فتحه منطقتين متباعدتين جغرافياً ، أشرت في أول كل كتاب من كتب قادة الفتح إلى أسماء القادة الفاتحين وإلى القائد الذي سبق تاريخه في كتاب سابق من كتب قادة الفتح .

### - { -

وما دام هذا الكتاب عن : قادة فتح العراق والجزيرة ، فلابد من إعطاء فكرة خاطفة عن حالة العراق والجزيرة من النواحي السياسية والاجتماعية والعسكرية قبيل الفتح وفي أثناتة ، فقد يساعد ذلك على إعطاء صورة واضحة عن الظروف الراهنة التي جامها أولئك القادة الفاتحون .

كان العراق قبل الفتح ضمن الإمبراطورية الفارسية ، وكانت أكثر الجزيرة ضمن الإمبراطورية الرومانية ، وكان العرب منتشرين فى أرجاء العراق والجزيرة (٢٠) ، بل كان فى العراق إمارة عربية فى الحيرة (٣٠) موالية للفرس .

وكانت عوامل الفساد والاضطراب قد استفحلت في القرن السادس الميلادي واشتد أثرها في كل من فارس والروم؛ وكان من أثرها في فارس أن اضطرب بلاطها وانتشرت الدسائس في جوها وتنازع الطامعون في عرشها، وانخذ بعضهم الغدر سلاحه لتولى أمورها. بذلك فسد الرأس فامتد الفساد منه إلى مادونه ، فكثرت مداهمها وأحزابها، وتبليلت عقائد الناس فيها ؛ لذلك انحلت العصبية القومية في الفرس وانهارت القوة المعنوية في نفوسهم ، وتدهور مثلهم الأعلى إلى حيث لا يعدو متع الحياة (١).

وكان الفرس ميالين إلى عبادة المظاهر الطبيعية ؛ فالسماء الصافية والضوء والنار والهواء والماء ، جذبت أنظارهم وجعلتهم يعبدونها على أنها كائنات إلهية، حتى سموا الشمس : عين الله ، والضوء : ابن الله ، كما أن الظلمة والجدب ونحوها كائنات إلهية شريرة ملمونة .

عبدوا آلهة الخير وصاّوا لهـا وسبّحوا بحمدها وقدّموا الضحايا لها واستمدّوا العون منها، ورأوا أن آلهة الخير في نزاع دائم مع آلهة الشر،

<sup>(</sup>۱) الطبرى ( ۲/۲۷۰ ) وابن الأثير ( ۱۰۱/۲ ) والطبرى ( ۱٤۱/۳ ) وابن الأثير ( ۲۰۳/۲ ).

<sup>(</sup>۲) الطبري (۳/۲۰۱) وابن الأثير (۲/۰۲) .

<sup>(</sup>٣) الطبرى ( ٨٦/٢ ه – ٧٤٤ ) وابن الأنبر ( ١٤٩/٢ – ١٠٠ ) .

 <sup>(</sup>٤) انظر الصديق أبو بكر - الدكتور هيكل ص ( ٣٨٦ - ٣٨٧) الطبقة الرابعة .

وأعمال الإنسان من صلاة ونحوها تمين هذه الآلهة فى منازلتها آلهة الشر وقد انخذوا النار رمزاً للضوء ؛ وبعبارة أخرى رمزاً لآلهة الخير : يشعلونها فى معابدهم وينفحونها بإمدادهم ، حتى تقوى على آلهة الشر ، وتنتصر علمها .

وجاء (زرادشت) نبى الفرس فدعا إلى تعاليم جديدة أسست على الديانه القديمة بعد إصلاحها . ثم جاء (مانى) وكانت تماليمه مزيجاً من الديانة النصرانية والزردشتية ، وعاش مذهبه إلى القرن السابع الهجرى والثالث عشر الميلادى ، وكان له أتباع كثيرون . ثم جاء (مزدك) حوالى سنة ١٤٨٧م وكان يقول أيضاً بالظلمة والنور وامتاز بتماليمه الاشتراكية فى المال والنساء ، وهكذا كانت الفرس تعيش موزعة بين (رمزية) زرادشت الذى مهد للمجوسية ، و(عدمية) مانى الذى حرّم الزواج استعجالاً للفناء ، و ( وجودية ) مزدك الذى جعل الناس شركة فى الأموال والنساء (۱).

وكان الجيش الفارسي مرتكزاً على الحكم الإقطاعي فكان المرازبة والدهاقين ينولون قيادة الجيش ويتحكمون في الأراضي والعقارات الشاسعة للقيام بإعاشة رجالهم. ولم يكن لجيش فارس هدف يوحِّد صفوفه ويسعى لتحقيقه غير الارتزاق ، كما كانت قيادته وراثية وقادته يعتمدون على حسبهم ونسبهم وحظوتهم لدى الأكاسرة لا على مواهبهم العسكرية وكفاءتهم في القتال ".

لقد كانت علل الفناء قد اصطلحت على بنية الدولة الفارسية قبيل الإسلام وأيام الفتح الإسلامي .

<sup>(</sup>١) انظر فجر ألإسلام - لأحد أمين ص ( ١٢٢) الطبعة الثالثة .

<sup>(</sup>٢) انظر كتاب الرسول القائد ص (١٤) الطبعة الثانية .

أما دولة الرومان الشرقية ، فقد كانت فى حال لا تفضل حال جارتها وعدوتها فى محنة العقيدة ومحنة النزاع على الملك والولاية .

فقد ضرب المثل بالجدل البيزنطى فى التاريخ القديم والحديث من جراء الخلاف على المذاهب الدينية فى الدولة الرومانية الشرقية ، وكان معظم أبناء النساطرة واليعاقبة يخالفون مذهب الدولة الرسمى ويمقتون رجاله ويرمونهم بالهرطقة والوثنية (۱) ، فقد كان الروم حوالى القرن السادس الميلاد فى منهى التضعضع : لتعدد الفرق وتشعب المذاهب — خصوصا فيا يتعلق بالطبيعة والطبيعتين والمشيئتين ، وأكثر اختلافهم على الألفاظ والجوهر واحد .

كان الإمبراطور وأهل دولته يقولون: إن للمسيح طبيعتين ومشيئتين ؟ وأما رعيته في مصر والشام والجزيرة ، فكان أكثرهم يقولون بطبيعة واحدة ومشيئة واحدة وهم البعاقبة . وفي زمن هرقل سعى بطريرك البعاقبة في (منبج) أن يوفق بين الطائفتين ، فاتصل بالامبراطور في ذلك وذهب مذهباً متوسطاً بين القولين ، وهو أنَّ للمسيح طبيعتين ومشيئة واحدة ؛ فوافقه الامبراطور ونشر بهذا المعتقد منشوراً في يقبل به كل رجال الدين ، فشق ذلك على الامبراطور وعمل على الانتقام من الذين لم يقبلوا بمنشوره وفيهم جانب عظيم من الروم ، فكان لهذه الانقسامات تأثير شديد في السياسة لاختلاط السياسة عندهم بالدين ، حتى أدى ذلك أحياناً إلى خروج أمم بأسرها من حوزة الروم إلى الفرس ، كا حصل بالأرمن . إذ سلموا بلادهم إلى الفرس ، وكا حصل بالقبط حين عاونوا عمرو بن العاص على فتح مصر (٢).

<sup>(</sup>١) انظر عبقرية خالد للمتاد ص ( ١٣٤ — ١٣٠ ) طبعة دار الهلال .

<sup>(</sup>٢) انظر ثاريخ التمدن الإسلام — جرجي زيدان (١/١٤ ـــ٢٠) الطبعة الثانية

ومَنْ كَانَ مِنَ الرَّعِيةَ ذَا دَيْنَ غَيْرِ المسيحية ، فهو ساخط ناقم على الروم ، كاليهود والوثنيين ، إذ لم يكونوا موضع ثقة الدولة ، وقد التهموا غير مرة بالنواطؤ على فنح البلاد مع المغيرين عليها من الفرس والبرابرة ، فأنخن الروم فيهم قتلًا وتشريداً ، حتى قيل : إنهم كانوا يفتكون في المذبحة الواحدة بعشرات الألوف من الرجال والنساء!

وابتذل عرش الملك بالقنل والاغتصاب ، فضعف الولاء له فى نفوس العلية وقواد الجيوش . وقد استقر الأمر زمناً للقيصر هر قل الذى حضر عهد النبى صلى الله عليه وسلم ؛ ولكنه شقى بالفتن فى أُخريات عهده ، وركبته الوساوس فى شيخوخته ولا سيا بعد بنائه ببنت أخته ، فاعتقد أنه مغضوب عليه مستحق لعقاب الساء (۱) .

وكان حكام الروم فى آخر أيامهم يعاملون شعويهم معاملة ظالمة ، ويسومونهم أنواع العذاب ، مما أدى إلى تذمّر شعوبهم من جورهم ، ومحاولتهم الخلاص من ربقة حكمهم الظالم المتعسف (٢).

وكان الجيش الروماني مرتكزاً على الحكم الإقطاعي ، وذلك أن كل نبيل يُعدّ قائداً لجماعته ، وكان هؤلاء النبلاء يُمنحون الأراضي والمقارات الشاسعة للقيام بإعاشة أتباعهم . وقد أدى ذلك إلى حدوث حروب داخلية ، خاصة عندما تضعف الحكومة المركزية في القسطنطينية ، فقد كان كل نبيل يطمع في توسيع ملكه وسلطته على حساب غيره من النبلاء ، بل كان بعض النبلاء ينقضون حتى على الحكومة المركزية في بعض الأحيان . إن المسيطر

<sup>(</sup>١) انظر عبقرية خالد للمقاد ص ( ١٣٤ – ١٣٥ ) طبعة دار الهلال .

 <sup>(</sup>۲) انظر تاریخ عمرو بن العاص ص ( ٤٧ ) للدكتور حسن إبراهيم حسن .
 الطبعة الأولى .

على الجيش الروماني حينداك هو الارتزاق، وكثيراً ماكانت أعطيات الجند تتأخر عن مواعيدها لارتباك الحالة المالية للدولة، فينذم الجنود... ولم يكن للجيش مثل أعلى وحد صفوفه ويسعى لتحقيقه (١٠).

لقد كانت عوامل الفناء قد اصطلحت على بناء الإمبراطورية الرومانية قبيل الإسلام وأيام الفتح الإسلامي .

#### - 4 -

ولكن الأسباب التي قضت على الفرس والروم بالهزيمة كائنة ماكانت\_ ليست هي الأسباب التي قضت للعرب بقيام دولة وانتشار عقيدة ؛ لأن استحقاق أناس للزوال ، لا 'ينشئ، لغيرهم حق الظهور والبقاء .

كذلك لم يكن انتصار العرب على الفرس والروم لأنهم عرب وكفى ، فقد كان فى أرض الدولتين عرب كثيرون يدينون لهما بالطاعة وينظرون إليهما نظرة الإكبار والمهابة ، وكان القادرون منهم على القتال أوفر من مقاتلة المسلمين عدداً وأمضى سلاحاً وأقرب إلى ساحات العراق والشام من أولئك النازحين إلها من الجزيرة العربية .

وقد كان هناك عرب كثيرون انهرموا أمام المسلمين وهم كذلك أوفر في العدد والسلاح وأغنى بالخيل والإبل والأموال .

فهى نصرة عقيدة لا مراء! ولكن القول بانتصار العقيدة هنا لا يغنى عن كل قول.

فالواقع أن الذين النصروا بالعقيدة كانوا رجالاً أولى خبرة وقدرة يؤمنون بها ويعرفون كيف يتغلّبون بها على أعدائهم .

<sup>(</sup>١) الرسول القائد أص ( ٤٦ — ٤٤ ) الطبعة الثانية .

إنها عقيدة منشئة يذود عنها حماة قادرون(١).

لقد غرس الإسلام في نفوس العرب حب الضبط والنظام ، وحبّب إليهم الاستشهاد نصراً دونه كل نصر . كما بعث فيهم الاعتزاز بالنفس والشعور بأن عليهم رسالة واجبة الأداء للعالم(٢) .

فما الذى يسر للمسلمين الفتح ونشر سلطانهم فى المشرق والمغرب فى سنين قليلة ؟

الإيمان الذى ملاً قاويهم فى مبدأ سيرهم ونهايته ، وصحبهم من ( بدر ) إلى بلاط الشهداء، وحالفهم مشرقين ومغربين وهازمين ومهزومين ، والثقة بوعد الله فى فتح الأرض ، والسيطرة عليها بالحق والعدل .

يستر لهم الإيمان واليقين كل عسير ، وذلّل كل صعب ، وجمع كلتهم وقلوبهم على الجهاد في سبيل الله والصبر على ما يلقون ، ولقاء الموت راضين مستبشرين.

وكذلك يستر لهم الفتح ، أنهم ساروا إلى الأمم على شريعة جامعة وقانون محكم ، لا يعتدون ولا يبغون ، ولا ينقضون العهد ولا يخفرون الذمة : تتكافأ دماؤهم و يسعى بدمتهم أدناهم .

وأنهم جماعة نظام ، وجند طاعة فى السراء والضراء ، والشدة والرخاء ، والحرب والسلم .

وأنهم لم يسيروا في الأرض ابنغاء الملك والسلطان والجبروت والمال ،

<sup>(</sup>١) عبقرية خالد — للمقاد ص ( ١٧٦ — ١٢٨ ) طبعة دار الهلال .

<sup>(</sup>٢) الصديق أبو بكر — للدكنتور هيكل ص ( ١٨ — ١٩) .

ولكن دعاة دين وشرع قويم وخلق كريم ، ورسل عدل ورحمة وأخوة ومواساة (۱) .

تلك هى المبادىء الروحية والاجتماعية التى يسرت للمسلمين الفتح ، أما الرجال الذين كانوا ذوى خبرة وقدرة يؤمنون بها ويعرفون كيف يتغلبون بها على أعدائهم، فستقرأ عنهم فى الكتاب ما قلّ فى التاريخ نظيره.

### - 7 -

إنَّ معرفة الماضى هي وحدها تطوِّع لنا تصوير المستقبل كما أسلفنا ، فلماضى والحاضر والمستقبل وحدة لاسبيل إلى انفصامها ، ومعرفة الماضى هي وسيلتنا لتشخيص الحاضر ولتنظيم المستقبل .

والحاضر الذي تمخضت عنه الفتوحات الإسلامية يتناول بنوع عام كل المسلمين، وبنوع خاص كل الشعب العربي. فلا عجب وماضي الفتح الإسلامي بربط على الزمان كافة الأمة الإسلامية والشعب العربي أن تكون دراسة قادته وهم روح هذا الفتح — موضع عنايتها جميعا، وأن برى كل عربي وكل مسلم صورته إلى أربعائة وألف سنة خلت ماثلة في هذه الدراسة، وأن يتعرسف من طريقها الأسباب التي أدت إلى انتصار المسلمين وإلى تدهورهم بعد ذلك (٢).

فَإِلَى العرب والمسلمين أَتَقَدُّم بهذه الصفحات من صحائف البطولة ،

 <sup>(</sup>١) انظر مقال : مر الفوز العظيم في الفتوح الإسلامية -- للدكتور عبد الوهاب عزام -- مجلة الأزهر -- الجزء الأول من المجلد الرابع والعشرين الصادر في غرة المحرم سنة ١٣٧٧ .

<sup>(</sup>٢) انظر الصديق أبو بكر – للدكتور هيكل ص (١٠ – ١١).

وما أحوجنا أن تندكر ونقتني آثار رجالها ، ونعمل بهديهم ونتأسى بتضحياتهم ونغرس سيرة حياتهم العطرة في نفوسنا جميعاً حكاماً ومحكومين وقادة وشعوبا .

### ~ V -

وبعد. فهذا هو الكتاب الأول عن: قادة فنح العراق والجزيرة أقدمه للعرب والمسلمين أقوى ما أكون أملًا فى أن يملأ فراغاً وأن يسد حاجة ، وقد اعتزمت بمشيئة الله أن أقدم الكتاب الثانى قريباً عن: فتح أرض الشام ومصر ، ولئن جعل الله فى العمر بقية وأمدنى بعون من عنده ، أخرجت كتباً متتالية عن كل قائد فانح ضم " بلداً إلى الدولة الإسلامية وحمل رايات الإسلام شرقاً وغرباً .

إن قصة حياة هؤلاء الأبطال تبهر العقول والأبصار ، فهل ستصمت الأصوات المنكرة التي عملت جاهدة لتهديم تاريخنا وتراثنا لتستورد تاريخاً وتراثاً من وراء الحدود ، أم على قلوب أقفالها ؟!

أما الذين هداهم الله ، فسيقولون بفخر واعتزاز: أولئك آبائى فجئنى بمثلهم ، وأما الذين في قلوبهم مرض ، من الذين ارتفعت أصواتهم المنكرة المريبة ، يدعون إلى رجال غير رجالنا ، وقادة غير قادتنا ، وأفكار غير أفكارنا ، ومعتقدات غير معتقداتنا ، فيجب أن تُخْرِس بطولاتُ وإيمان هؤلاء القادة ألسنتهم وتسكت أصواتهم إلى الأبد .

والحمد لله الذي يسر لى النفرغ لدراسة تاريخ حياة قادة الفتح الإسلامى ، فله وحده الفضل والمنة ، وصلى الله على الرسول القائد سيد القادة ورائد الفتح الأول ، ورضى الله عن أصحابه : خريجي مدرسته ، ومعتنقي مبادئه ، وحاملي راياته .

# المتادة العامون

# المتنى بن حارثه الت يباني

# القائد الذى جرّاً العرب على مهاجمة الامبراطورية الفارسية ومهد لفتح العراق

 « هذا رجل غير خامل الذكر ، ولا مجهول النسب ،
 ولا ذليل الماد . . هذا المثنى بن حارثة الشيباني ➤ .
 ( قيس بن عاصم المنقرى )

### بنو شبيانه:

كان بنو شيبان من هامات ربيعة (١) فى الجاهلية وهم أبطال معركة (ذى قار) (٢) ؛ وقد امند بهم المجد فى الإسلام . فكان منهم بيوتات سجل لها التاريخ صفحات خالدة .

وتكرَّر أمثال يوم ( ذى قار ) بعد الإسلام بين الفرس وبنى شيبان خاصة وبين الفرس وقبائل بنى بكر عامة ؛ فكان بنو شيبان طلائع الفتح الإسلامى فى العراق ، وكان المثنى بن حارثة الشيبانى الذى كان من أشراف شيبان أول قائد عربى تجرأ على مهاجمة الإمبراطورية الفارسية فى عقر دارها .

بنو شیبان من یکر بن و اثل ، و هؤ لاء من ربیعة ، و المثنى من شیبان بن الهبة .
 انظر العقد الغرید ( ۲۳۰/۲ ) .

<sup>(</sup>٧) ذو قار: ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط، وفي معركة ذي قار انتصف العرب من العجم لأول مرة في التاريخ. راجع النفاصيل في معجم البلدان ( ٨/٨) وانظر الأغاني ( ٣٩٨/٣٠ – ٣٣٦) عن معركة ذي قار. وكذلك انظر العقد الفريد ( ٣٧٤/٣ – ٣٧٩) عن معركة ( ذي قار ) أيضاً .

و فد المثنى بن حارثة بن سلمة بن ضَمْضَم بن سعد بن مرَّة بن ذُهل بن شيبان على النبي صلى الله عليه وأسلم سنة تسع مع وفد قومه(١) ، فأسلم . وهناك رواية توهم قدم إسلامه ، وهي قدوم النبي صلى الله عليه وسلم على جماعة من بني شيبان حين كان يعرض نفسه على القبائل العربية قبل الهجرة إلى المدينة المنورة ، فتلا الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم : « قُلْ تَعَالَوْا أَتُلُ مَاحَرَّمَ رَبُّكُمْ ﴿ عَلَيْكُمْ . . » الآمة . . نم تلا علمهم : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدَلِ وَالْإِحْسَانَ وَ إِينَاءِ ذَى الْقُرْ بَى ﴾ الآية ، فقال المثنى : « قد سمعت مقالنك واستحسنت قولك وأعجبني ما تكلمت به ، ولكن علينا عهد من كسرى : لا نحدث حدثاً ولا نؤوى محدثا ؛ إوامل هذا الأمر الذي تدعونا إليه مما يكرهه الملوك ، فإذا أردت أن ننصر ك ونمنمك مما يلي بلاد العرب ، فعلنا ! » . فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما أسأتم إذ أفصحتم بالضدق! إنه لا يقوم بذين الله إلا من حاطه بجميع أجوانبه » ثم نهض النبي صلى الله عليه وسلم (٢٠٠٠) . وهذا لا يدل على إسلام المثنى منذ ذلك الوقت ، كما توهم بعض من ترجم له (٢٠) ؛ إذ لو كان قديم الإسلام لكان له ذكر في غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم نظراً لشجاعته الفائقة ولمواهبه النادرة في قيادة الرجال.

لقد نال المثنى شرف الصحبة ، ولكنه لم ينل شرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد.

<sup>(</sup>١) أسد الفابة ( ٢٩٩/٤ ) والأصابة ( ٤١/٦ ) والاستيماب ( ١٤٥٦/٤ ) . وقيل سنة عشر ، وانظر خِهرة أاساب العرب ( ٣٠٥ ) حول نسبه .

<sup>(</sup>٢) أسد الغابة (٤/٩/٤).

 <sup>(</sup>٣) الاصابة (٢/٦).

### مهاده :

### ١ — في حروب الردة :

عندما ارتدت أكثر القبائل العربية — ومنهم ربيعة — التي كانت في منطقة (البحرين) (، ثبت المثنى على الإسلام مع من ثبت من قومه ؛ فكتب العلاء بن الحضر مى إلى من أقام على إسلامه من بكر بن وائل \_ ومنهم المثنى (،) أن يعينوه على مكافحة المرتدين حتى يعودوا إلى الإسلام ؛ فكان المثنى على رأس الذين أعانوا العلاء بن الحضر مى في مهمته الشاقة ، إذ ضيق الخناق على المرتدين وأخذ الطريق عليهم ؛ ولم يكتف بذلك ، بل تابع السير شمالاً على شاطىء الخليج العربي ليقاوم دسائس الفرس الذين شجعوا المسلمين في منطقة الخليج العربي على الردة ويقضى على أنصارهم من القبائل ومن الأبناء (،)

# ٢ -- في الفتح:

# (١) التعرض التمهيدى :

تقدم المثنى بقواته شمالا من منطقة البحرين ، فقضى على الفرس وعمالهم من عاونوا المرتدين في البحرين ، حتى وضع يده على ( القطيف )<sup>(3)</sup>

 <sup>(</sup>۱) البحرين : اسم جامع لبلاد على ساحل الحليج العربى بين البصرة شمالا وعمان جنوباً . راجع التفاصيل فى معجم البلدان ( ۲۷/۲ ) وآثار العباد للتزويني ص (۷۷) .
 (۲) الطبرى ( ۲٫۲۲ه ) .

 <sup>(</sup>٣) الأبناء: قوم من العجم سكنوا البسلاد العربية واختلطوا بالعرب المساهرة فتعلموا لفتهم. قال السمعانى: كل من ولد بالين من أبناء الفرس وليس من العرب.
 (٤) القطيف: مدينة في البحرين وهي قصيتها وأعظم مدنها. واجع التفاصيل في معجم البلدان ( ١٣١/٧ ) .

و (هَجَرَ) () وحتى بلغ فى تقدمه مصب دجلة والفرات فى الخليج العربى . وتساءل وتساءل الناس عن هذا القائد الذى يسير من نصر إلى نصر ، وتساءل الصديق أبو بكر عنه قائلا: « من هذا الذى تأتينا وقائعه قبل معرفة نسبه ؟ » (٢) فأجابه قيس بن عاصم المنقرى (٣): « هذا رجل غير خامل الذكر ، ولا مجهول النسب ، ولا ذليل العاد ، هذا المثنى بن حارثة الشيبانى (١) » .

وحضر المثنى بنفسه إلى المدينة ليتصل اتصالاً شخصياً بأبى بكر الصديق وليسأله أن يؤمره على رجاله ليهاجم بهم الفرس فى العراق ، قائلا : « يا خليفة رسول الله ا استعملنى عن قومى ، فإن فيهم إسلاماً ، أقاتل بهم أهل فارس ، وأكفيك أهل ناحيتي من العدو » (٥) فكتب له أبو بكر الصديق بذلك عهدا (٢) ، فهو الذي أطبع أبا بكر والمسلمين فى الفرس وهوتن أمر الفرس عندهر (٧) .

واستمر المثنى على مهاجمة أهل السواد، ثم بعث أخاه مسعودا إلى أبى بكر يسأله المدد، فأمده بخالد بن الوليد المخزومي، على أن يتولى خالد القيادة العليا

<sup>(</sup>١) هجر : مدينة في البحرين ، وقيل : ناحية البحرين كلها هجر ، وأجع التفاصيل في معجم البلدان ( ٤٤٠/٨ ) .

 <sup>(</sup>٤) الأرصابة (١/٦) . . .

<sup>(</sup>٣) قيس بن عاصم المنترى : قدم فى وفد تميم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سنة تسع المهجرة ، فلما رآم الذي صلى الله عليه وسلم ، قال : ﴿ هَذَا سَيْدَ أَهُلُ الوّرِ ﴾ وكان عاقلا خليم همهوراً بالحلم . قيل للأحنف بن قيس : ممن تعلمت الحلم ؟ قال : ﴿ من قيس بن عاصم ! ﴾ راجع التفاصيل فى الاستيماب (٣/٥٩/١) وأسد الفابة (٤/٩/١) والد الفابة (٤/٩/١)

 <sup>(</sup>٤) أسد الغابة ٤/٩ ( ٢ ) والبلافرى ( ص ٢٤٢ ) .

<sup>(</sup>ه) الارسابة ( ١/٦ له ) وأسد الغابة ( ٢٩٩/٤ ) ،

<sup>(</sup>٦) البلاذري ( س ۲٤٢ ) .

<sup>(</sup>٧) أسد الغابة (٤/٣١٩).

فى العراق وأن يكون المثنى بأمرته ؛ فسار خالد من (الىمامة) إلى العراق على رأس عشرة آلاف<sup>(۱)</sup> من الجند، وفى رواية أنه سار من المدينة إلى العراق أن فلما وصل العراق كتب إلى المثنى ليأتيه، وبعث إليه بكتاب أبى بكر الذى يأمره فيه بالسمع والطاعة لخالد، (فانقض إليه جواداً حتى لحق به)<sup>(۱)</sup>، وهكذا تسارع الرجولة إلى الطاعة!

# (ب) مع خالد :

قاتل المثنى تحت لواء خالد بن الوليد فى كل معاركه التى خاضها فى العراق: تارة تحت قيادة خالد المباشرة ، وتارة قائداً مستقلاً ، وكان خالد يقدِّر المثنى غاية التقدير ويعتمد عليه كل الاعتماد .

بعد معركة (الحفير) التي انتصر فيها المسلمون على الفرس، أمر خالد المثنى أن يطارد المنهزمين من الفرس، فطاردهم المثنى مطاردة حاسمة كأنما يريد ألا يتركهم قبل أن يبلغ المدائن (٥)، ولسكنه توقف عن المطاردة عندما جاءته الأنباء بأن جيشاً عظما للفرس يعسكر في (المذار) (٢)، فأيةن المثنى أن انفراد قواته بلقاء هذا الجيش الضخم قد يجر عليه الهزيمة، لذلك اختار مكاناً مناسباً بالقرب من (المذار) وعسكر فيه.

<sup>(</sup>١) الطبرى (٢/٤٥٥).

<sup>(</sup>٢) البلاذري ( س/٢١٢ ) .

<sup>(</sup>٣) الطبرى (٢/٢٥٥).

<sup>(</sup>٤) الحفير : موضع قريب من الحليج العربي على حدود الصحراء قريب من ثفر كاظمة . راجع معجم البلدان ( ٣٠٣/٣ ) وكاظمة : موضع على البحر في طريق البحرين من البصرة بينها وبين البصرة مرحلتان . راجع التفاصيل في معجم البلدان ( ٢٠٨/٧ ) .
(٥) ابن الأثر ( ١٤٨/٢ ) .

<sup>(</sup>٦) المدار : كان المدار بين المواقع الذي انشئت فيه بعد ذلك وأسط والموضع الذي أنشئت فيه بعد البصرة . راجع التفاصيل في معجم البلدان ( ٤٣٣/٧ ) .

وتحشد المسلمون بقيادة خالد في (المذار) ، وبدأ القتال بين الطرفين فانهزم الفرس بسفتهم ، وحال الماء بين المسلمين ومطاردة الفرس (۱).

وبق خالد يستمين بالمنى إذا حضر ويستخلفه إذا غاب، حتى فتح الله على المسلمين الحيرة ، والأببار ، فأرسله خالد لمهاجمة (سوق بغداد) فأغار عليه وهزم المدافعين عنه (٢٠). ولما ورد أمن أبى بكر إلى خالد بالحركة إلى أرض الشام لمقاتلة الروم ، وأن يأخذ نصف الناس ويستخلف المثنى على العراق في نصف الناس ، أحضر خالد أصحاب رسول الله صلى الله عليه الذين كانوا معه واستأثر بهم لنفسه تاركا للمثنى مثل عددهم ممن لم يكن له مع الرسول صلى الله عليه وسلم وسلم وافداً تاركا للمثنى مثل عددهم من أهل القناعة ، ثم قسم سائر الجند وسلم وافداً تاركا للمثنى مثل عددهم من أهل القناعة ، ثم قسم سائر الجند قسمين ، فلما رأى المثنى صنع خالد غضب وقال : « والله لا أقيم إلا على إنفاذ أمن أبى بكر ! وبالله ما أرجو النصر إلا بأصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فلما رأى خالد ذلك ، أرضاه (٢٠).

ودع المثنى خالداً حين سفره من العراق إلى الشام حتى تخوم البادية ، ولما آن لها أن يفترقا ، قال خالد للمثنى : « ارجع رحمك الله إلى سلطانك غير مقصر ولا وان » (٤٠).

## (ح) القائد العام:

كان الموقف العسكرى فى العراق عند مغادرة خالد له دقيقاً للغاية ،

<sup>(</sup>١) ابن الأثير (٢/١٤٨) .

<sup>(</sup>۲) البلاذری ( ص ۲۲۷ ) والطبری ( ۸۶/۲ ) . (۳) این الأثیر ( ۲/۲ه ۱ ) والطبری ( ۲۰۰/۲ ) والیعتوبی ( ۲۱۲/۲ ) .

<sup>(</sup>٤) البلاذري ( س٠٥٠ ) .

فقد كانت قوات المثنى قليلة بالنسبة لقوات الفرس ، وكانت خطوط مواصلاته بعيدة بالنسبة لخطوط مواصلات الفرس ، أما المشاكل الداخلية فى بلاد الفرس فقد أصبحت أقل من السابق بعد اتفاق الفرس على رفع (شَهْر بَرَ از ابن أردشير )(1) إلى العرش ، فلما اطمأن الأمر له ، كان إجلاء المسلمين عن العراق أول ما استقر عليه عزمه !!

ولعل شعور خالد بن الوليد بدقة الموقف في العراق هو الذي دفعه إلى ترحيل النساء والصبيان والضعفاء من الرجال إلى المدينة قبل سفره إلى الشام (٢٠).

وبلغ المثنى أنباء تحشّد القوات الفارسية لمهاجمة قواته ، فسار حتى بلغ أطلال (بابل) (بابع) وانتظر هناك عشرة آلاف مقاتل فارسى يقودهم (هرمز جاذوية) ، وإنه فى انتظاره لقاء العدو ، إذ وصلته رسالة كسرى يقول فيها : « إنى قد بعثت إليكم جنداً من وحش أهل فارس ، وإنماهم رعاة الدجاج والخنازير ولست أقاتلك إلا بهم » فكتب إليه المثنى : « إنما أنت أحد رجلين : إما باغ ، فذلك شر لك وخيرلنا ، وإما كاذب ، فأعظم الكذابين عقوبة وفضيحة عند الله وعند الناس الملوك . وأما الذي يدلنا عليه الرأى ، فإنكم إنما اضطررتم إليهم ، فالحد لله الذي ردّ كيدكم إلى رعاة الدجاج والخنازير (١٠)» .

والنقى الجيشان على أطلال مرتفعات (بابل) وكان يتقدم جيش ( هرمن )

<sup>(</sup>۱) الطبرى (۲/ه۲۰) وابن الأثير (۲/۰۰۱) .

<sup>(</sup>۲) الطبري ( ۲۰۸/۲ ) .

 <sup>(</sup>٣) بابل: مدينة أثرية شمال مدينة الحلة وقريبة منها . وكان يطلق اسم بابل على ناحية بين الحلة والسكوفة . راجع التفاصيل فى معجم البلدان ( ١٨/٢ ) وآثار العباد ( ٣٠٤) .

<sup>(</sup>٤) الطبرى ( ۲۰۲/۲ ) وابن الأثير ( ۲۰۲/۲ ) .

فيل يفرِّق بين الصفوف والكراديس ويوقع الرعب فيهم ، فأيقن المثني أن انتصاره رهن بالقضاء على هذا الفيل، فخرج على رأس جماعة من رجاله، وهاجموا الفيل وأصابوا منه مقتلاً! فانهزم الفرس بعد قتال شديد ، فطاردهم المثنى إلى أبه اب المدائن <sup>(۲)</sup>.

ونزلت أنباء الهزيمة بكسرى نزول الصاعقة ، فيم ، فمات ! وبعد لهو ته عاد الاضطراب إلى بلاط فارس، فأراد المثنى انتهاز هذه الفرصة السائحة، فكتب إلى أبي بكريخبره بانتصاره ، ويستأذنه في الاستعانة بمنظهرت تو بنهم من أهل الردة . . . . . . . . . .

وانتظر ورود النجدات إليه لإكمال فنح العراق ، وماكان أبو بكر ليمده وجيوش المسلمين كلها في الشام ؛ لذلك غادر المثنى العراق إلى المدينة ليخبر أبا بكر خبر المطلمين والفرس ، وليستأذنه في الاستعانة بمن ظهرت توبته وندمه من أهل الردة ؛ فوجد أبا بكر مريضاً على فراش الموت ، ومم ذلك استقبله الخليفه واسمع إليه واقتنع برأيه ، وقال : « على بعمر » وكان قد استخلفه . فلما جاء ، قال له : « اسمع يا عمر ما أقول لك ثم اعمل به . إنى لأرجو أن أموت لمن يومي هذا ،فإِن أنا متّ فلا يمسينحتي تندب الناس مع المثني ، ولا يشغلنكم مصيبة — وإن عظمت عن أمر دينكم ووصية ربكم! وقد رأيتني متوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما صنعت، ولم يصب الخلق يمثله. وبالله لو أنى أنِيْ عن أمر الله وأمر رسوله . . . لخدلنا ، ولعاقبنا ، فاضطرمت المدينة ناراً ، وإن فتح الله على أمراء أهل الشام ، فاردد أصحاب

<sup>(</sup>۱) ابن الأثير (۲۰۱/۲) والطبرى (۲۰۲/۲) . (۲) الطبرى (۲/۱۰۰) .

خالد إلى العراق ، فإنهم أهله وولاة أمره وحده ، وهم أهــل الضراوة والجرأة عليهم »(١).

ووعد عمر أن ينفذ ذلك حرفيا .

# (٤) مع أبي عبيد الثقفي :

لما أصبح عمر من الليلة التي مات فيها أبو بكر ، كان أول ما عمله أن استنفر الناس للانضواء تحت لواء المثنى ؛ ولما بايعه الناس وبايعهم ، استنفرهم ثلاثة أيام متتالية دون مجيب ، ذلك لأن جبهة القتال الفارسية ، كانت من أكره الجبهات إليهم وأثقلها عليهم ، لشدة سلطان الفرس وعزهم وشوكتهم وقهرهم الأمم (٢) فلما كان اليوم الرابع ، عاد فندب الناس إلى العراق ، فكان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود الثقنى ، فولاه عمر منصب القيادة العامة في العراق (٢).

وتكلم المننى يشجّع الناس ويهون عليهم أمر الفرس ، فقال : « يا أيها الناس ! لا يعظُمن عليكم هدا الوجه ، فأنا قد تبحبحنا ( ) ريف فارس وغلبناهم على خير شقى السواد وشاطرناهم ونلنا مهم واجترأ من قبلنا عليهم ، ولها إن شاء الله ما بعدها » ( ) ، فتوالى المنطوعون حتى بلغوا ألف رجل من أهل المدينة ( ) فقط .

<sup>(</sup>١) الطبري ( ٦٠٧/٣ ) وابن الأثير ( ١٦٠/٣ ) .

<sup>(</sup>۲) الطبرى ( ۱۳۱/۲ ) وثاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص (۲۷) .

<sup>(</sup>۳) البلاذری ( س ۲۰۱ ) وابن الأثیر ( ۱۹۶/۲ ) والاصابة ( ۲۹۹/۲ ) والیمتویی ( ۱۲۰/۳ ) .

<sup>(</sup>٤) تبعبح المكان : أي توسطه .

<sup>(</sup>ه) الطبرى ( ۱۳۱/۲ ) وابن الأنير ( ۱۶۹/۲ ) .

<sup>(</sup>۲) البلاذری ( س/۲۰۱ ) .

وأم عر المثنى أن يعود سريعاً إلى العراق وينتظر هناك إلى أن يقدم عليه رجاله ، وأمره ياستنفار من حسن إسلامه من أهل الردة (١) ، فسار المثنى حتى قدم (الحيرة) ؛ ووصل أبو عبيد الثقنى بعده بشهر ؛ فلما وصلها المئنى علم أن الفرس شغلوا عن المسلمين أثناء غيبته باختلافهم على العرش مما أدى إلى نشوب معارك داخلية بين الطامعين بالعرش حتى استقر الملك بيد (بوران) يعاونها وزيرها المحنك ( رستم ) الذي عرف بجرأته وطموحه ، فعمل هذا على إثارة الرأى العام ضد المسلمين ، وأرسل جنداً لمصادمة المثنى ، وأرسل دعاته لإثارة أهل السواد ، فثارت أهل السواد من أعلاه إلى أسفله بالمسلمين ، فنر المثنى أن ينسحب بجيشه من الحيرة حتى لا يؤتى من خلفه ! فانسحب منها ونزل (حَقّان) (٢) ، وأقام فيها حتى قدم عليه أبو عبيد (٢).

لبث أبو عبيد فى (خَفّان) أياماً يستريح هو وأصحابه ، فلما علم أن الفرس نزلوا ( النمارق ) (1) ، سار إليه بقوات المسلمين ، وجمل المثنى على الخيل ، فاقتتل الطرفان هناك قتالا شديدا ، انهزم الفرس على أثره أمام المسلمين ووقع قائدهم ( جابان ) أسيرا (0).

والتقى المسلمون بالفرس في معركة ( السقاطية )(٢٠)، فانتصر المسلمون بعد

 <sup>(</sup>١) ابن الأثير (٢/١٦٦).

 <sup>(</sup>۲) خفان : موضع قرب الكوفة . واجع التفاصيل في معجم البدان
 (۳) .

<sup>(</sup>۴) ابن الأثير ( ۲/۲۲ ) .

 <sup>(1)</sup> النمارق : موضع قرب الكوفة ، راجع التفاصيل في معجم البادان
 (17/۸) .

<sup>(</sup>ه) الطبرى ( ۲/۲۲ ) .

 <sup>(</sup>٦) السقاطية : ناحية قريبة من الموضع الذي أنشئت في بعد مدينة واسط .
 راجع التفاصيل في معجم البلدان ( ٩١/٥ ) .

قتال شديد أيضاً ، فأقام أبو عبيد بناحية (كسكر )<sup>(۱)</sup>، وسرّح المثنى وغيره من القاد ةيغيرون على تلك النواحي ويخضعونها للمسلمين<sup>(۱)</sup>.

والتقى الطرفان فى معركة ( الجالينوس ) ، فانهزم الفرس أيضاً <sup>٣٠</sup>فارتحل أبو عبيد وقدّم المثنى حتى قدم الحيرة <sup>(١)</sup>واستقر بها .

ولكن الفرس حشدوا جيشاً عظيا بقيادة ( بَهْمَن جاذوية ) ، فعبر إليه أبو عبيد بجيشه ، وقبل نشوب القتال بين الطرفين عين أبو عبيد الأمراء الذين يتولون قيادة المسلمين من بعده إذا استشهد، وكان من بين الذين عينهم المثنى ، فلما استشهد أبو عبيد واستشهد الذين تعاقبوا على اللواء حسب وصيته من بعده ، تولى المثنى ، وكانت معنويات الناس حينذاك قد انهارت ، فارتد كثير منهم إلى ( الجسر ) بريدون النجاة بأنفسهم .

لم يكن المثنى يطمع حينذاك بأكثر من حماية انسحاب المسلمين حتى يقلّل من خسائرهم ، وبينماكان يفكر فى خطة حكيمة لسحب المسلمين بأقل ما يمكن من خسائر ، إذ أقدم عبدالله بن مرّ ثُد الثقنى على قطع الجسر هاتفا بأعلى صوته : « أبها الناس ! موتوا على مامات عليه أمراؤكم ، أو نظفر ! . . » فضاعف هذا العمل الارتجالى مشاكل قيادة المثنى فى هذا الموقف العصيب ! .

وخشى المثنى أن تعمُّ الفوضي ويتفاقم الخطر ، فوقف واللواء بيده ينادى:

<sup>(</sup>١) كسكر : منطقة غنية بمنتوجاتها الزراعية والحيوانية ، قصبتها مدينة واسط . راجم النفاصيل في معجم البلدان ( ٢٠١/٧ ) .

<sup>(</sup>۲) الطبرى ( ۳۳۷/۲ ) وابن الأثير ( ۱۳۷/۲ ) ٠

<sup>(</sup>٣) الطيرى ( ٦٣٨/٢ ) وأبن الأثير ( ١٦٨/٢ ) .

<sup>(</sup>٤) الطبرى ( ١٣٩/٢ ) .

«يا أيها الناس! أنا دو نكم ، فاعبروا على هينتكم () ولا تدهشوا فإنا لن نزايل حتى نراكم من ذلك الجانب ، ولا تغرقوا أنفسكم () ، فعبر الناس والمثنى يقاتل دونهم و يحول هو ورجاله بين الفرس وبينهم ، فأصابت المثنى وهو فى موقفه ذاك ضربة رمح لجرحته وأثبتت فيه حلقا من درعه .

و بعد عبور المسلمين ، عبر المثنى آخر من عبر ، وبدلك استطاع المثنى أن يخلّص من الغرق والقتل من بق من جند المسلمين ، إذ عبروا إلى الجانب الآخر والمثنى صامد دو نهم لا يزعزعه شيء .. حتى الجرح البليغ الذي أصابه ١١ وانسحب المثنى بقواته إلى الحيرة، ثم إلى (أُليّس)(٣) جنوباً ، ليفلت من مطاردة الفرس .

# (هر) القائد العام ثانية :

ارفض عن المثنى أهل المدينة حتى لحقوا بالمدينة ، وتركها بعضهم ونزلوا البوادى ، وبق المثنى في قلّة (١٠) ، فأرسل يطلب المدد من عمر ، وبعث إلى من يليه من القبائل العربية ، فتوافوا إليه في جمع عظيم (١٠) . . .

وتتابعت على المثنى الإمدادات من المدينة ، فحشد المثنى جيش المسلمين فى ( البُوَيْبِ )(٢٠) ، وفيها التق المسلمون بحيش الفرس بقيادة ( مهران ) .

<sup>(</sup>١) على هينتكم : مُتمهلون .

<sup>(</sup>۲) الطبري (۲/۲).

<sup>(</sup>٣) أَليَّاس : قرية من قرى الأنبار ، راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣) . (٣٤٨/١)

<sup>+ ( 110/1</sup> 

<sup>(</sup>٤) الطبري ( ۲/۲) ۲۰ ) ٠

<sup>(</sup>ه) ابن الأثير ( ٢/١٦٩ ) والطبرى ( ٦٤٥/٢ ) .

<sup>(</sup>٦) البويب : سهر فى منطقة الكوفة بأخذ من الفرات . راجع معجم السلدال (٣١٠/٢) .

وبعث (مهران ) إلى المثنى يقول : « إما أن تعبروا إلينا ، وإما أن نعبر إليكم » ، فقال المثنى : « اعبروا أنتم ، » فعبر ( مهران ) بجيشه (۱) .

وعبأ المثنى أصحابه ، وكان الوقت رمضان ، فأمرهم بالإفطار ليقووا على عدوهم ، فأفطروا (٢) ، وخرج على فرسه ( الشموس ) ، وكان لا بركبه إلا لقتال ، وطاف را كباً بين الصفوف : يحضهم ويحرضهم ويهزهم بأحسن ما فيهم ، فكان يقف عليهم راية راية ، ويقول : « إنى لأرجو ألا تؤتى العرب من قبلكم . والله ما يسرنى اليوم شيء لنفسى إلا وهو يسرنى لعامتكم » (٢) .

وقال المثنى: « إنى مكبّر ثلاثاً ، فتهيئوا ، نم احملوا مع الرابعة » ، ولكنه ما كاد يكبّر التكبيرة الأولى حتى أعجل الفرس المسلمين وعاجلوهم وشدّوا عليهم ، فاختلّت بعض صفوف المسلمين من بنى (عجل) ، فأرسل المثنى من يقول لهم : « إن الأمير يقرأ عليكم السلام ، ويقول الكم : لا تفضحوا المسلمين اليوم! » ، فاعتدل بنو (عجل) وهاجموا مع المسلمين القوات الفارسية ، واشتبك الطرفان في قتال مرير دام سجالاً بضع ساعات ، ففكر المثنى بأن علمل بنفسه على قائد الفرس فيزيله عن مكانه أو يقتله . . . فحمل على (مهران) علمة صادقة حتى دخل ميمننه . ورأى الفرس ما حدث ، فاندفعوا لحماية قائدهم ، وعندما انكشف الغبار رأى المسلمون تراجع قلب الفرس ، فعملت ميمنة المسلمين وميسرتهم ، فسارع الفرس إلى التراجع نحو النهر خوفاً من التطويق ريدون النجاة بأنفسهم . . . !

<sup>(</sup>١) الطبرى ( ١٤٠/٢ ) .

<sup>(</sup>٢) ابن الأثير (٢/١٦٩)٠

<sup>(</sup>٣) الطبرى ( ٦٤٨/٢ ) وابن ألأثير ( ١٧٠/٢ ) .

وحرّض المذى جنده قائلا: « عادات كم فى أمثالم 1 انصروا الله ينصركم » (١) ثم سابق المذى الفرس المنسحبين إلى الجسر، فسبقهم إليه وقطعه، وبذلك قطع خط رجعتهم الوحيد وكبدهم خسائر تقدر كما قبل بمائة ألف قتيل، ولكن المثنى ترك فى ساحة المعركة أخاه مسعود بن حارثة شميداً، فقال المثنى: « أيها الناس الا يرعكم مصرع أخى ، فإن مصارع خياركم هكذا ... » وترك فى ساحة المعركة كثيرا من الشهداء ... .

وقال المنتى بعد المعركة: «قد قاتلت العرب والعجم في الجاهلية. والله لمائة من العجم في الجاهلية كانوا أشد على من ألف من العرب ، ولمائة اليوم من العرب أشد على من ألف من العجم ، إن الله أذهب بأسهم ووهن كيدهم ، فلا بروعنكم رُهَاء ترونه ولا سَواد ولا قِسى " فُح ولا نبال طوال ، فإنهم إذا أعجوا عنها أو فقدوها كالهائم ، أينما وجهتموها الحجمت ()!

وذكر المثنى قطع الجسر على الفرس ، مما أدى إلى إفناء حيشهم من جهة وازدياد خسائر المسلمين بالأرواح من جهة أخرى ، فقال منكرا صنيع نفسه معترفاً بخطئه : « لقد عجزت عجزة وقى الله شرها بمسابقتى إباهم إلى الجسر حتى أحرجتهم ، فإنى غير عائد ، فلا تعودوا ولا تقندوا بى أبها الناس ، فإنها كانت منى زله : لا ينبغى إحراج أحد إلا من لا يقوى على امتناع (٢) .

وهكذا بكل بساطة يعترف القائد المنتصر بخطئه بعد انتصاره العظيم مباشرة في أول معركة لحاسمه في العراق بين الفرس والمسلمين .

<sup>(</sup>۱) الطبرى (۲/۰ ه ۲) وابن الأثير (۲/۰ ۲)، ويراجع البلاذرى (س٤٥٧) حول كلام المثنى عن مصرع أخيه .

<sup>(</sup>۲) الطبری (۲/۰٫۵۰–۱۵۱) . وفی جهرهٔ انساب العرب (۳۰۵) : أن المثنى قتل ( مهران ) قائد الغرس .

<sup>(</sup>۲) الطبري (۲/۲ه.) .

ووقف المثنى يؤبن الشهداء ومن بينهم أخوه مسعود بن حارثة الشببانى بعد الصلاة عليهم ، فقال : والله إنه ليهوس على وَجُدى أن شهدوا البويب أقدموا وصبروا ولم يجزعوا ولم ينكلوا ، وإن كان فى الشهادة كفارة لتجويز الذنوب » (1) .

وأمر المثنى رجاله بالاندفاع فى مطاردة الفرس ، ففتحوا السواد كله حتى بلغوا (ساباط )<sup>(۲)</sup> ، كما انطلق المثنى بدوره ، ففزا ( الخَفافِس ) و ( الأنبار ) ، و بلغ المسلمون على محور دجلة قرية ( بغداد ) ومدينة ( تكريت )<sup>(۲)</sup>.

وأخذت فارس بعد هزيمتها، تعد جيشاً ضخماً لاستعادة العراق من المسلمين، خاصة بعد اجتماع كلتهم على تولية كسرى (يزدجرد بن شهريار)، فنار أهل السواد بالمسلمين، فلم يجد المثنى بدأً من الانسحاب ثانية إلى نخوم شبه الجزيرة العربية، فنزل (بذى قار) منتظرا الإمدادات التي كان قد طلبها من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (1).

<sup>(</sup>۱) الطبرى ( ۱/۲۰ ۲ – ۲۰۲۲ ) . وعندما صرع مسعود بن حارثة الشيباني أخو المثنى ، تضعضع من معه ، فرأى مسعود ذلك وهو دنف فقال : « يامعشر بكر بن وائل ! ارفووا رايتكم رفعكم الله ، لا بهولنكم مصرعى » الطبرى ( ۲/۰۰۲ ) وابن الأثير ( ۱۷۰/۲ ) . والحنافس : أرض للمرب قرب الأنبار ، انظر التفاصيل في معجم البلدان ( ۱۷۰/۲ ) .

<sup>ُ (</sup>۲) ساباط : مدينة قريبة من المدائن . راجع التفاصيل فى معجم البلدان ( ۴/٠ ) ، وراجع عن مطاردة المسلمين للفرس ماجاء فى الطبرى ( ٦٥٣/٢ ) .

<sup>(</sup>٣) الخنافس: أرض للمرب قرب الأنبار، راجسع التفاصيل في معجم البلدان (٣) الجنافس: أرض للمرب قرب الأنبار، راجسع التفاصيل في معجم البلدان (٤٦٨/٣) ، وكانت بقداد يومذاك قرية و١-كريت مدينة ، يراجع تفاصيل هذه المعارك في الطبرى (٢/٥٥٦ – ١٧١٠) وابن الأثير (٢/١٧١ – ١٧٢) والبلاذرى (ص ٢٥٥٠) .

 <sup>(</sup>٤) ابن الأثير ( ١٧١/٣ ) والطبرى ( ٢٥٩/٣ ) .

٣ – الشهيد

لم يطل انتظار المثنى (بذى قار) طويلا لقدوم سعد بن أبى وقاص الزهرى القائد العام الجديد للعراق ، حتى نغر الجرح الذى كان أصابه فى معركة (الجسر) ، فات شهيداً قبل وصول سعد وجيشه إلى أرض العراق (۱) وذلك فى سنة أربع عشرة للهجرة ، ولكنه ترك وصية عسكرية لسعد تعتبر عصارة تجاربه وخبرته فى حرب الفرس ، يذكر فيها لسعد : «ألا يقاتل عدوه وعدوهم من أهل فارس إذا استجمع أمرهم وماؤهم فى عقر دارهم ، وأن يقاتلهم على حدود أرضهم ، على أدنى حجر من أرض العرب وأدنى مدرة (۱) من أرض العجم ، فإن يظهر الله المسلمين فلهم ما وراءهم ، وإن كانت الآخرى رجعوا إلى فئة يكونون أعلم بسبلهم وأجرأ على أرضهم إن يرد الله الكرة عليهم » فحمل هذه الوصية إلى سعد المُعنى بن حارثة الشيبانى أخو المثنى وسلمى زوج المثنى ، فترحم الوصية إلى سعد على المثنى وجعل المعنى على عمله وأوصى بأهل بينه خيرا (۲).

لقد كان سعد يتمنى أن يعاونه المثنى فى مهمته الصعبة ، ولكن الأقدار حرمته من ذلك وحرمت المثنى من الاشتراك فى ( القادسية ) وعندما حمى الوطيس واستكلب الموت على الأبطال فى تلك المعركة الحاسمة ، هتفت سلمى زوج المثنى — وكان سعد تزوجها بعد المثنى — حين لم نجد المثنى يسوس الأجناد ويقود الجلاد ، قائلة : « وامثناه ! ولا مثنى اليوم للخيل ١١١ (١٠).

 <sup>(</sup>۱) أبن الأثير ( ۲/۳/۲ ) والطبرى ( ۷/۳ ) .

 <sup>(</sup>۲) مدرة: بفتحتك ، واحدة (المدر) ، والعرب تسمى القرية (مدرة).
 راجع مختار الصحاح ( ص ۲۱۹ ) .

<sup>(</sup>٣) الطبرى ( ٢٠/٣ ) وابن الأثير ٢٧٤/٢ ) . .

<sup>(</sup>٤) الطبرى ( ١/٣ أ ) وابن الأثير ( ١٨٣/٢ ) . وق أسد الغابة ( ٢٩٩/٤ ) و جاء قول سلمى ﴿ وامثناء ! ولامثنى المسلمين اليوم ! ! » وقى العارف ( ١٠٠ ) أن سلمى قالت : ﴿ النَّوْمُ أَقْرَالُ ولامثنى لهم » . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٦٨٨ ) .

هذه نماذج من أشعار المثنى التى يتغنى فيها ببعض فتوحاته، وهى تدل على أن المثنى كرّس كل شيء فى حياته — حتى شعره — للجهاد ، فهو بحق فارس الشعراء وشاعر الفرسان .

ولعل الكثير من شعره قد ضاع ، فلم تصل إلينا إلا بعض أشعاره . قال يذكر معركة ( النمارق )(1):

غَلَبنا على (خَفَّانُ) بيداً مُشيحة إلى النخَلاَت السُّمر فوق (النمارق) (٢) وإنا لنرجو أن تجول خيولنا بشاطى الفرات بالسيوف البوارق وقال يذكر يوم (الخنافس) (٢):

صبحنا (بالخنافس) جمع بكر وحيًّا من قضاعة غير ميل بفتيان الوغى من كل حى تبارى فى الحوادث كل جيل نسفنا سوقهم والخيل رُوْدُ من النَّطُواف والشر البخيل (1) ولعلك تلمس معى ، فى هذا الشعر ، آمال القائد المنتصر فى انتصار

جديد، وتلمس فيه صولة الفرسان الشجعان الذين لا مثيل لهم فى كل جيل، حتى أصبحت خيولهم — وقد قطعت مسافات شاسعة وهى تحمل الفاتحين — لا تقوى على السير إلا بصعوبة.

 <sup>(</sup>١) معجم البلدان ( ٣١٦/٨ ) .

 <sup>(</sup>۲) (خفان ) اسم موضع راجع التسلسل (۲۸) ، و ( النمارق ) اسم موضع قرب
 الكوفة من أرض العراق . انظر التفاصيل في معجم البلدان ( ۲۱۹/۸) .

<sup>(</sup>٣) راجع معجم البلدان ( ٤٦٨/٣) .

<sup>(</sup>٤) الحنافس: الم مكان راجع التسلسل (٦١) . غير ميل: أى غير ماثلين عن السروج . رود بوزن عود أى على مهل وتصغيره رويد . أى أن الحيل من التعب الشديد تسير على مهل .

إنها صور شعرية رائعة ، لا يقوى على الإتبان بمثلها إلا شاعر أصيل الشمائل :

كان المثنى شجاعاً المقداماً ، شهماً غيوراً ، وكان مأمون النقيبة حسن الرأى (١) ، وكان راسخ العقيدة ، قوى الإيمان شديد الثقة بنفسه ، بعيد النظر ، يؤثر المصلحة العامة على مصلحته الشخصية ، يعترف بخطئه عند الحاجة بكل صراحة ولا يصر عليه . وكان يشارك أصحابه في السراء والضراء ؛ (أنصفهم من نفسه في القول والفال ، وخلط الناس في المحبوب والمكروه ، فلم يقدر أحد أن يعيب له قولاً ولافعلا )(١).

لقد كان المثنى مثالاً للإنسان الكامل في صفاته الإنسانية ومزاياه .

#### القابُر:

يتضح لنا من درالية أعمال المثنى العسكرية! أنه كان يمتلك موهبة إعطاء القرارات الصحيحة السريعة؛ وكان ذا إرادة قوية ثابتة ، ينحمل المسؤولية الكاملة في أخطر الظروف والأحوال كا فعل في معركة الجسر؛ له نفسية لا تقبدل في حالتي النصر والهزيمة ، يثق بقواته وتثق قواته به ثقة لا حدود لها ويحبهم ويحبونه حباً لا مزيد عليه ، ذا شخصية قوية نافذة ، فهو بحق كا يقول عنه عمر بن الخطاب: « مؤمر نفسه » (١٦) له قابلية بدنية فائقة تعينه على تحمل أعباء القتال ، وله ماض ناصع مجيد .

<sup>(</sup>١) الاصابة (٤/٤٤) واسد العابة (٤٩٢/٤).

<sup>(</sup>۲) ابن الأثير (۲۰/۲۷) .

<sup>(</sup>٣) أسد الغابة ( ٢٩٩/٤ ) .

وكان شجاعاً إلى أقصى حدود الشجاعة ، مقداماً إلى أقصى حدود الإقدام، فكان دائماً أول من بهجم وآخر من ينسحب ، وكان خبيراً بمناطق العراق ، جريئاً على الفرس، سريع الحركة ، واسع الحيلة ، وكان أول من اجترأ على الفرس بعد الإسلام وجرأ المسلمين علمم : فقد (أبلى في حروب العراق بلاء لم يبله أحد)(1).

وعند تطبيق مبادىء الحرب على أعمال المثنى العسكرية ، يتضح لنا أنه طبق أهم تلك المبادىء ، فقد كان يطبق مبدأ ( اختيار المقصد وإدامته ) ، متشبعاً بروح ( التعرّض ) ، يعمل بهمة وبدون كلل لا كال ( تحشيد قواته ) قبل كل معركة بخوضها ، كا يطبق مبدأ ( التعاون ) بين مختلف تشكيلات وصنوف جيشه ويعمل على ( إدامة معنويات ) قطعاته قبل المعركة وفى أثنائها وبعدها .

ولقد كان كثير الحركة أثناء المعركة ، يتجول بنشاط لا يفتر بين أقسام جيشه ويقوم بنفسه نقاط الضعف التي بجدها ويسد الثغرات التي يعثر عليها ، كا يبادر إلى توجيه القوات المناسبة إلى النقاط الضعيفة والثغرات التي يجدها بين صفوف عدوه . . . إنه مثال القائد الذي يؤمِّن ( الاستطلاع الشخصي ) أثناء القتال .

وكان شديد الضبط مطيعا، ينقد أوامن رؤسائه برحابة صدر ، فقد عمل بكل إخلاص بأمرة خالد بن الوليد في عهد أبى بكر الصديق، و بأمرة أبى عبيد الثقني في عهد الفاروق عمر ، كما لم يتذمن من تعيين سعد بن أبى وقاص قائدا

<sup>(</sup>١) الإسابة (٤١/٤) وأسد العابة (٢٩٩/٤) ...

عاما فى العراق ، ولو عاش لعمل بأمرة سعد أيضا غير مكترث أن يكون رئيسا أو مرؤوسا مادام هو لا يعمل لنفسه بل لإعلاء كلة الله :

ما أشبه مزايا قيادة المثنى بمزايا قيادة خالد بن الوليد ، تلك المزايا التي جعلت هذين القائدين العظيمين لا يخسران معركة فى كل حياتهما العسكرية ، بل كان النصر حليفهما فى مختلف المعارك والحروب.

### المئنى في التاريخ :

يذكر التاريخ للمثنى جهاده مع العلاء بن الحضرمى للمرتدبن ، مما أدى إلى إعادة سيطرة المسلمين على منطقة البحرين.

ويذكر له أنه كان أول مسلم هاجم الامبراطورية الفارسية في عقر دارها(۱) ، فحمل عن المسلمين عبئا لم يحمله غيره ، فهو الذي جرأ العرب على محاربة الفرس ، وهو الذي رفع معنويات العرب وحطم معنويات الفرس ، فكانت أعماله العسكرية في العراق فاتحة لفتحه فيا بعد ، وكانت معركة (البويب) تمهيدا لمعركة (القادسية) وإيذانا بانهيار الامبراطورية الفارسية وانتشار الإسلام في ربوع بلادها.

وأخيرا جاد بروحه في سبيل عقيدته ، فمات شهيدا متأثرا بجروحه التي أصيب بها في معركة ( الجسر ) التي لولا قيادة المثنى في أعقابها لكان مصير المقاتلين فها من المسلمين الفناء.

إن المثنى كان نمطا فريدا بين القادة فى كل أدوار التاريخ، فهو بحق مفخرة من أكبر مفاخر العرب والمسلمين فى كل مكان وبكل زمان.

رضى الله عن يطل الأبطال ورجل الرجال ، القائد الإنسان المثنى ابن حارثة الشيباني .

<sup>(</sup>١) جهرة أنساب المرب ( ٣٠٠ ) .

#### غالد**بن الولىي دالمح**زو**م**ى سىمنى الله

« نعم عبد الله . هذا سيف من سيوف الله » ( عجد رسول الله )

### مستهل

لافت سيرة خالد عناية فائقة من المؤرخين ، إلا أننا لازلنا نفتقر إلى الدراسة الفنية لعبقرية خالد العسكرية من ناحية ، ولشخصيته إنساناً من ناحية أخرى .

وقد تقرأ مجلداً ضخماً عن خالد، فنجد أن معظم ما فيه بحث عن معارك خالد بصورة تفصيلية، مع أن هذه المعارك ليست من صنع خالد وحده بل هي من صنع رجاله كلهم، فهم الذين نقدوا خطة خالد وهم الذين تحملوا أعباء القتال، ولو كان خالد وحده في ساحة المعركة لما استطاع أن يفعل شيئا. لذلك ذكرت من هذه المعارك ما يظهر أثر خالد الشخصي فقط في المعركة، لكي استنتج من ذلك مزايا قيادة خالد بشكل واضح ملموس.

وحاولت جاهداً أن أعثر على ما يصّور خالداً الإنسان : سمته وشكله وأخلاقه وتصرفاته وقابلياته . . . الخ ، إذ أن معرفة شخصيته إنساناً لا تقل فائدة عن معرفة شخصيته قائدا ؛ وكنت أطبع فى دراستى لخالد الإنسان أن أقدم وصفاً يعين القارىء على تصوره رجلاً بالذات أو رجلاً يشابهه إلى أقرب الحدود ، ويعين المصور على رسم لوحة فنية إن لم تكن تشابهه فهى قريبة الشبه به .

وحاولت أن أعطى فكرة كاملة للقارىء عن مزايا قيادة خالد ، حتى يعرف كيف ولماذا انتصر ، كما حاولت أن أبسط بشكل يفهمه القارىء المدنى والعسكرى ، لذلك شرحت بعض المصطلحات العسكرية باختصار لتعين المدنيين على تفهم النواحى الفنية من دراسة حياة خالدالعسكرية .

وكانت تصرّفات خالد فى بعض القضايا مثار خلاف فى الرأى بين الصحابة فى حياته وبين الباحثين فى سيرة حياته والمثقفين حتى اليوم، لذلك أبديت الرأى بشكل جازم فى كل تصرفاته التى كانت ولا تزال موضع اختلاف الباحثين والمثقفين.

وقد أعانى على البت فى تلك الاختلافات الخاصة بالناحية المسكرية تيسر الخرائط التى لم تلكن مَيسرة من قبل لمعرفة من أين بدأ خالد فتحه فى العراق ، أمن اتجاه الحيرة أم من اتجاه الأبلة ؟ وبكلام آخر ، هل بدأ فتحه من جنوب العراق من منطقة البصرة أم من وسطه من منطقة الكوفة ؟ إنّ معرفة مكان قوات خالد قبل المسير إلى العراق ودراسة الخريطة لمعرفة أقرب الطرق الممكن سلوكها إلى العراق ، وبحث المحاذير العسكرية لبدء الفتح من وسط العراق ، كل ذلك يجعلنا نقر بشكل جازم أنه بدأ فتحه فى جنوب العراق ، وبذلك نعطى نهاية لاختلاف المؤرخين حول هذا الموضوع . كما أن الخرائط أعانتني على البت فى الطريق الذي سلكه خالد من العراق الى أرض الشام ، إذ هناك روايات متباينة عن الطريق الذي سلكه خالد من العراق للوصول إلى قوات المسلمين فى أرض الشام .

كا وضعت حداً للاختلافات القائمة عن بعض أعماله العسكرية أو التي لها صلة بأعماله العسكرية ، مثل قضية نقله من العراق إلى أرض الشام وأسباب هذا النقل والمصب الذي نقل إليه وعدد قواته التي صاحبته من العراق إلى أرض الشام ، وقضية عزله ولماذا أقدم عمر بن الخطاب على هذا العزل ، وقضية دخول خالد دمشق صلحاً أم قسرا . كما اجتهدت أن أضع حداً للاختلافات في تصرفات خالد في بني جذيمة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي قضية قتله مالك بن نويرة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

وليس من العجيب أن تبقى الاختلاف فى الرأى عن بعض تصرفات خالد وبعض ما يتصل بحياته العسكرية ، لأن الذين كتبوا عنه من القدامى كانوا غير مزودين بثقافة عسكرية أصيلة ، بل إن هذه الثقافة بعيدة عن ثقافتهم العامة كل البعد ، ولكن العجيب أن تبقى الاختلافات فى الرأى فى بعض تصريفات خالد غير العسكرية .

على كل حال ، فقد بذلت أقصى ما أستطيعه من جهد لوضع حد نهائى لهذه الاختلافات ، فإن نجحت فى ذلك فلله الفضل والمنة ، وإلا فإنما الأعمال بالنمات .

إن خالد بن الوليد كان غرّة فى جبين تاريخ الفتح الإسلامى ، ولا يزال الناس عرباً ومسلمين وأجانب يذكرونه ويذكرون عبقريته فى القيادة ، فهو أشهر قائد عربى عند العرب وغير العرب على حد سواء .

وعلى الرغم من أن دراستى لسيرته كانت آخر دراسة لسير قادة فتح العراق ، إلا أنّ سيرته استنفدت وقتاً وجهداً أكثر مما استنفده منى غيره من القادة ، مع أن الكتب التى تبحث فى سيرته أكثر بكثير من الكتب التى تبحث فى سيرته فى سيرة غيره من القادة — إن كان هناك كتب تبحث عن سيرتهم .

لقد وجدت أن خالداً كان مستقلًا فى رأيه فريداً فى تصرّفاته ، وكنت أريد أن أجمع سير قادة فنح العراق كلهم فى كتاب واحد ، ولكننى وجدت أن ما كتبته عن خالد وحده يكفى لإخراج كتاب مستقل عنه ، وكأنه أبى إلا أن يستقل برأيه وأعماله ، وكأن شخصيته الطاغية التى كانت مسيطرة على الناس فى حياتها لا تزال تسيطر عليم بعد وفاتها ، فهى أبداً مستقلة ، وهى أبداً أمة وحدها .

### أسرته

« وَقَالُوا : لَوْلاَ نُرَّالَ هَذَا الْقُرآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْ يَتَيْنِ عَظِيمٍ » ( الغرآن السكريم )

هو أبو سلمان خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشى المخزومي (١) كان أبوه الوليد بن المغيرة سيداً من سادات قريش وجواداً من أجوادها ، وكان يلقّب بالوحيد: أرخّت قريش بوفاته لإعظامها إياه (٢) وهو الذي قال لقريش لما أجمعوا أمرهم في هدم الكعبة وبينائها : «يا معشر قريش لا تُدخلوا في بنائها من كسبم إلّا طيباً: لا يدخل فيه مهر بغي ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس » (٣). ولكنه وقف موقفاً عدائياً من دعو قرسول الله صلى الله عليه وسلم (١) ، فذهب جماعة من المشركين عدائياً من دعو قرسول الله صلى الله عليه وسلم (١) ، فذهب جماعة من المشركين كان الوليد من بينهم ، إلى أبي طالب يسألونه: « إمّا أن تكفّه عنا ، وإمّا أن تحلق بيننا وبينه » (٥) ومرّ النبي صلى الله عليه وسلم يوماً بالوليد وأمية

<sup>(</sup>۱) طبقات ابن سطد ( ۳۹۴/۷ ) والإصابة ( ۹۸/۲ ) وأسد الفابة ( ۹۳/۳ ) . والإستيماب ( ۲۳۸/۲ ) ، وانظر ما جاء عن بنى مخزوم فى العقد الغريد ( ۲/۵۰۲ ) . وانظر جهرة أنساب العرب ( ۱۲۷ ) .

<sup>(</sup>٢) الأغاني الأصماني ( ١٥/١٥ ) .

 <sup>(</sup>٣) سيرة أن هشأم ( ٢١٠/١ ) ، وفي للنظ ﴿ لا تجملوا في نفقة هذا البيت شيئاً أصبتموه غصباً ولا قطم به رحماً ، ولا أم كتم فية ذمة أحد بيسكم وبين أحد من الناس » . وفي رواية أن الذي قال ذلك هو أبو وهب بن عمرو المحزوى .

 <sup>(</sup>a) سیرة این مشام ( ۲۷۷/۱ ) . . .

ابن خلف وأبى جهل بن هشام ، فغمــزوه وهمزوه واستهزؤا به ، فغــاظه ذلك ، فأنزل الله تعالى في ذلك من أمرهم : « وَلَقَدَ اسْتُهْزِئَ بِرُسِلِ مِنْ قَبْلُكَ، هَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهَزْ نُونٍ» (١)، وفي الوليد نزل قوله تعالى : « ذَرْ بِي وَمِنْ خَلَقْتُ وَحِيداً (١١) وَجَمَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً (١٢) وَبِنينَ شُهُوداً (١٣) وَمهَّدتُ لَهُ تَمْهُيداً (١٤) ثُمَّ يَظْمَعُ أَنْ أَزِيدا (١٥) كَلاًّ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِهَا عَلِيدَا(١٦)سَأْرْهِقُهُ صُعُودًا (١٧) إِنَّهَ فَكُرَّ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتُلَ كَيْفَ قَدَّرُ (١٩) ثُمَّ قُتُلَ كَيْفَ قَدّر (٢٠) ثُمُ نَظَرَ (٢١) ثُمُ عَبَسَ وَبَسر (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ واسْتَكْبَرَ (٢٣)فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَ سِحْرٌ يُؤْنُوَ (٢٤). . . الآية » (٢٠. وسبب نزولها ، أن الوليد سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ : «حمّ . تَنْزيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْمَزيزِ الْعَلِيمِ — إلى قوله المصير» (٣) فلما فطن النبي صلى الله عليه وسلم لاستماع الوليد لقراءته، أعاد قراءة الآية ؛ فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه بني مخزوم ، فقال : « والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن ! إنَّ له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر وأسفله لمغدق ، وإنه يعلو وما يُعلى » ثم انضرف إلى منزله ، فقالت قريش: صبأ والله الوليد، والله لنصبأن قريش كلها ، وكان يقــال

 <sup>(</sup>۱) سيرة ابن هشام ( ۲۲۳/۱ ) ، والآية السكريمة في سورة الأنعام (۲: ۱۰)،
 وانظر تفسيرها في تفسير ابن كثير وبهامشه تفسير البغوى ( ۱۹۲/۳ ) ، وفي تفسير السار ( ۲۲۰/۳ ) .
 الكشاف للزمختري ( ٤٤٤/٢ ) ، وفي تفسير المنار ( ۲۲۰/۷ ) .

 <sup>(</sup>۲) راجع تفسیرات آب کثیر و سهامشه نفسیر البغوی ( ۲/۹ به ۱۹۸۰ ) ، و تفسیر السکشاف للز مخشری ( ۲۳۰/۳ – ۲۳۱ ) ، وهذه الآیات السکریمة من سورة المدثر . و بسر : أی کلح و کره .

<sup>(</sup>٣) من سورة غافر ( ١:٤٠ – ٣ ) .

الموليد ربحانة قريش، فقال لهم أبو جهل: «أنا أكفيكموه!» ونجح فعلاً في صدّ الوليد عن الإسلام (١).

وفى الوليد عظيم مكة ، نزل قوله تعالى : « وَقَالُوا لَوْلاَ نُزِّلَ هَذَا الْقُرْ آنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْ يَتَنْنِ عَظِيمٍ » (٢) ، ومن أجله وأجل أمثاله من رجالات قريش نزلت الآية الكريمة : « عبس وتولى » (٣).

وعندما فكر الرسول صلى الله عليه وسلم فى مبادأة الحاج من مختلف القبائل بالدعوة إلى الله ، اجتمع نفر من قريش إلى الوليد يتشاورون: ماذا عسى أن يقولوا فى شأن محمد للعرب القادمين إلى موسم الحج ؟١ حتى لا يختلف بعضهم على بعض ويكذّب بعضهم بعضا ؛ فاقترح بعضهم أن يقولوا ، إنه كاهن ؛ فقال الوليد : «ما هو بكاهن لقد رأينا الكهّان ، فما هو يزّمزَمة الكاهن ولا سجعه » (أ) ؛ واقترح آخرون أن يزعموا أن عمداً مجنون ؛ فقال الوليد : « لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخنقه عمداً مجنون ؛ فقال الوليد : « لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخنقه

<sup>(</sup>۱) انظر تفسير البغوى على هامش تفسير ابن كثير ( ۴،۶۱ – ۵ ) وفيه تفاصيل الحديث الذي دار بين أبي جهل والوليد ، وبين الوليد وقريش .

<sup>(</sup>۲) انظر تفسير ابن كثير وبهامشه تفسير البغوى ( ۳۹ ۰/۷ ) : وهم يعنون الوليد ابن المغيرة من مكة وعروة بن مسعود من الطائف مع أقوال أخرى متشابهة . وانظر تفسير الكشاف الزمخشرى ( ۷۸/۳ ) والآية الكريمة من سيورة الزخرف ( ۳۱ : ۲۳ ) .

<sup>(</sup>٣) انظر تفسير السكشاف الزمخصرى (٣/١٥٣) وقيه : إن ابن أم مكتوم أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش : عتبة بن ربيمة وأخوم شيبة وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة وأمية بن خلف ، يدعوم إلى الإسلام رجاء أن يسلم بإسلامهم غيرم . وانظر سيرة ابن هشام (٣٨٨/٢).

 <sup>(</sup>٤) زمزمة الكاهن : كلام خنى لا يغهم . وسجمه : أن يجعل لكلامه المنثور مايات الشمر .

ولا تخاجه وسوسته »(1) ؛ واقترح غيرهم أن يقولوا : إنه شاعر ؛ فقال الوليد : « ما هو بشاعر . لقد عرفنا الشعر كلّه رجزه وهزجه وقريضه ، ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر ١ » . واقترح بعضهم أن يُهم محمد بالسحر ؛ فقال الوليد : « ما هو بساحر ؛ لقد رأينا السحّار وسحرهم ، فما هو بنفتهم ولا عقدهم »(1) . وبعد حوار طويل ، اقترح الوليد عليهم أن يقولوا للحاج من العرب عن محمد : إن هذا الرجل ساحر البيان ، وإن ما يقوله سحر يفرسق به بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته !! فتفرسقوا عن الوليد ، وجعلوا يجلسون بسئبل (1) الناس حين قدموا الموسم ، لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه (1) ، وبذلك شهرت قريش على الرسول صلى الله عليه وسلم سلاح الدعاية ، وكان الوليد هو الدماغ المفكر الموجه لهذه الدعاية الظالمة .

لقد كانت للوليد مكانة مرموقة بين سادات قريش ، فهو عدلها يكسو الكعبة عاماً وتكسوهاقريش بأجمعهاعاماً آخر (٥) لشرفه ورجاحة عقله واتزانه ؛ ومع ذلك ، كانت تقاليد الجاهلية بكل عيوبها مسيطرة عليه : يأم بأخذ الثار ولو كان أخذه ظلماً ، ويأم بأخذ الربا ولو بعد موته (١) ... إلى غير ذلك

 <sup>(</sup>١) الحنق : الاختناق الذي يصيب المجنون . والتخالج : اختلاج الأعضاء وتحركها ف غير إرادة . والوسوسة : ما يلقيه الشيطان في نفس الإنسان .

 <sup>(</sup>٧) نفتهم وعقده : إشارة إلى ماكان يغمل الساحر ، إذكان يأخذ خيطاً فيعةده ثم
 يتفث عليه . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ومن شر النفائات في العقد ﴾ أراد الساحرات .

<sup>(</sup>٣) السبل : طرق الناس ، وأحدها سبيل .

<sup>(</sup>٤) سِيرة ابن مشام ( ٢٨٣/١٠ - ٢٨٤ ) .

<sup>(</sup>ه) السيرة الحلبية ( ٣٤٧/١ ) وأنساب الأشراف ( ٦٠/١ ) .

<sup>(</sup>٦) انظر وصيته لأولاده في سيرة ابن هشام ( ١٨/٢ – ١٩ ) .

أهل (الطائف) (۱) . وأم خالد اسمها عصاء ، وهي لبابة الصغرى بنت الحارث بن حرب ، وهي أخت أم الفصل بنت الحارث أم بني العباس بن عبد المطلب<sup>(۲)</sup> وأخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(۲)</sup> ، وفي (مُرَة) يجتمع نسب الرسول ونسب بني مخزوم<sup>(۱)</sup>.

من التقاليد البالية ! ولكنّ خالداً أسقط ربا والده في ثقيف لما أسلم.

وخالد من بني مخروم ، وهم بطن من عشرة أبطن (٥) من قريش انتهى إليها الشرف قبل الإسلام ؛ فكان في بني مخزوم القبة وأعنّة الخيل ؛ أما القبة

<sup>(</sup>١) سيرة ابن مشأم ( ٢٣/٢ ) .

<sup>(</sup>۲) طبقات ابن سعد ( ۴۹٤/۷ ) ، وق أسد الفاية ( ۱۰۳/۲ ) : إنها لباية بنت الحارث بن حزن الهلالية . وكذلك في الإصابة ( ۹۸/۲ ) والاستيماب ( ۲۷۷/۲ ) .

<sup>(</sup>٣) الإصابة (٩٨/٢) وأسد الغابة ( ٩٣/٢ ) والاستيعاب ( ٤٧٧/٢ ) وجوامع السيرة لابن حزم ص ٢٩٤ لدلك فإن ميمونة أم المؤمنين مى خالة خالد بن الوليد، وعبد الله بن العباس بن عبد المطلب .

<sup>(</sup>٤) جوامع السيرة لابن حزم ص ٣ ، وذلك لأن :

۱ حسم عمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن
 ( مرة ) بن كعب .

وفى مرة يجتمع نسب الرسول صلى الله عليه وسلم ونسب خالد ونسب أبي بكرا الصديق لأنه: أبو بكر بن عمّان (أبي قحافة) بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن يتم بن مرة بن كعب .

 <sup>(</sup>٥) م : ١ - بنو هاشم . ٢ - بنو نوفل . ٣ - بنو أمية .

عبر الدار • بنو تم . ٦ - بنو أسد .
 ٧ - بنؤ مخزوم . ٨ - بنو عدى . ٩ - بنو جمح . ١

۱۰ — بنو سهم . واجع سيرة ابن هشام ( ١٤٣/١ ــ ١٤٤ ) .

فكانوا يضربونها يجمعون فيها ما يجهّزُون به الجيش ، وأما الأعنة فهي قيادة الفرسان في الحروب<sup>(۱)</sup>.

وتنجلى مكانة بنى مخزوم بين قريش ، أنهم بنوا وحدهم ربع الكعبة الذى بين الركنين الأسودواليماني ، بينما بنت قريش كلّها مابقي من الكعبة (٢٠).

لقد كان خالد شريفاً في الجاهلية ، نشأ في بيت شريف في قبيلة شريفة هي قريش ، في مكان شريف هو مكة المسكرمة .

<sup>(</sup>١) أسد الغابة ( ٩٣/٢ ) والاستيعاب ( ٤٢٧/٢ ) .

<sup>(</sup>٢) سيرة ابن هشام ( ٢١١/١ ) .

#### نى الجاهلية

« وَجَمَلْتُ لَهُ مَالاً تَمَدُّودًا ، وَبَنِينَ شُهُودا » ( قرآن كريم )

#### عمله

تولى خالد عن بنى مخزوم القبة والأعقة ، فنفر ع للأمور العسكرية ، ولم يحترف حرفة تدر عليه أرباحاً مادية ، لأن والده كان من أغنى أغنياء قريش (١) وقد جاء فى القرآن الكريم عن والده : « وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُودا » مبسوطاً كثيراً ، قيل كان له الزرع والضرع والتجارة . وعن ابن عباس فى تفسيرها : هو ما كان له بين مكة والطائف من صنوف الأموال ، وقيل كان له بستان بالطائف لا ينقطع أعاره صيفاً ولا شناء (٢) . وجاء فى القرآن الكريم عن والده أيضاً : « وَبنينَ شُهُودَا » أى لو فورة نعمة أبيهم واستغنائهم عن والده أيضاً : « وَبنينَ شُهُودَا » أى لو فورة نعمة أبيهم واستغنائهم عن التكسب وطلب المعاش بأنفسهم (٢) .

 <sup>(</sup>١) السيرة الحلبية ( ٣٤٧/١) وقد كانت له بساتين كثيرة لا ينقطع عرها طول العام .

 <sup>(</sup>۲) انظر تفسير الكشاف للزمخترى (۳/۳۳) ، وفي تفسير ابن كثير (۴۳/۹۱):
 أى واسعاً كثيراً ، قبل ألف دينار ، وفيل مائة ألف دينار ، وقيسل أرضاً يستغلها .
 وانظر تفسير البغوى بهامش تفسسير ابن كثير ( ۴۳/۹) والآية الكريمة من سورة للدئر ( ۲۲:۷۶) .

<sup>(</sup>٣) انظر تفسير الكشاف للزنخشرى ( ٣٠/٣ ) وفى تفسير ابن كثير ( ٣/٩ ) قال مجاهد : لا يغيبون : أى حضوراً عنده لا يسافرون بالتجارات بل مواليهم وأجراؤهم يتولون ذلك عنهم وم قعود عند أبيهم يتمتع بهم . والآية الكريمة من سورة المدثر ( ٢٤ : ١٣ ) .

لقد كان عمل خالد مقتصراً على واجبه العسكرى: قيادة الرجال فى أيام الحرب ، والتدريب على الفروسية واستعال السلاح فى أيام السلم ، فلا عجب أن يتفوق على أقرانه فى تدريبه وقيادته .

# فى أُحد :

كان خالد يقف موقف المعاداة الإسلام أسوة برجالات قريش ، فكان شديد الحرص على النكاية بالمسلمين في معاركه التي خاضها مع كفّار مكة للقضاء على الدين الجديد .

وبرز اسم خالد لأول مرة قائداً من قادة المشركين فى غزوة (أحد)، فقد جعلته قريش على ميمنتهم فى الخيل، وجعلت على ميسرتهم عكرمة بن أبى جهل(١٠).

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه الغزوة قد خصّص خمسين من الرماة على رأسهم عبدالله بن جبير (٢)، وأمرهم بحماية ظهور المسلمين خوفاً من أن يضربهم المشركون من الخلف، وقال لهم: «قوموا على مصافح هذه فاحموا ظهورنا، فإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا، وإن رأيتمونا قد

 <sup>(</sup>۱) جوامع السيرة لابن حزم ص ( ۱۵۹ ) وسيرة ابن هشام ( ۱۱/۳ ) وسترد ترجمة عكرمة بن أبى جهل مع قادة الفتح الإسلاى .

<sup>(</sup>٢) عبد الله بن جبير الأنصارى: شهد بيعة العقبة مع السبعين من الأنصار ، وشهد بدراً وأحداً ، واستعمله رسول الله صلى عليه وسلم على الرماة لحماية ظهور السلمين ، فلما اختلف الرماة وانسجب أكثرهم من مواضعهم لأخلد الغنائم من معسكر المشركين ، نبت عبد الله في مكانه مع نفر لا يبلغون العشرة وقاوم هجوم خالد بن الوليد حتى فنيت نبله ، شم طاعن بالرمح حتى انسكسر ، ثم كسر جغن سيفه ، فقائل فرسان خالد حتى استشهد بطلا ، واجع طبقات ابن سعد ( ٣/٥٧٥) والإصابة (٤/٥٤) وأسد الفابة (٣/٧٠٠) .

فلا تنصرونا» (۱) ، ولكن هؤلاء الرماة الذين رأوا انتصار المسلمين في الصفحة الأولى من معركة (أحد) ، اختلفوا فيا بينهم ؛ فانطلق أكثرهم ينتهبون معسكر المشركين ، وثبت قائدهم في نفر يسير دون العشرة في مواضعهم . ونظر خالد إلى خلاء الجبل الذي كان فيه الرماة وقلة من فيه من المسلمين . فكر بالخيل وحمل على من بقي من الرماة ، فقتلهم (۲) ، وبذلك ضرب قوات المسلمين من الخلف على حين غرة منهم ، ثم شنّت قريش هجوماً على المسلمين من الأمام ، وبذلك طوّقت قوات المشركين قوات المسلمين من الأمام ، وبذلك طوّقت قوات المشركين قوات المسلمين من جميع الجهات .

والتجأ النبى صلى الله عليه وسلم بأصحابه إلى جبل (أحد) بعد قتال شديد ، ولكنّ خالداً أراد القضاء على المسلمين قضاءاً نهائياً ، فقاد فرسانه إلى الجبل ، غير أن المسلمين استقناوا في قنال فرسان خالد واضطروهم على الانسحاب<sup>(7)</sup>.

إن فصل انتصار المشركين على المسلمين في (أحد) يعود إلى قيادة خالد (، ).

# فى غزوة الخندق :

قصد نفر من يهود قريشاً في مكة ، فدعوهم إلى حرب الرسول صلى الله

 <sup>(</sup>۱) طبقات ابن سعد (۲۰/۲). وفی سیرة ابن هشام (۲۰/۳) أن الرسول سلی الله علیه وسلم قال لتائد الرماة: « انضح – أی ادفعهم عنا – الحیل عنا بالنبل ، لا یا نونا من خلفنا . إن کانت انا أو عنینا ، فانبت مکانك ، لا نؤتین من قبلك » . وانظر فتح الباری بشرح البخاری (۲۲۹/۳ – ۲۷۰).

 <sup>(</sup>۲) طبقات ابن سعد ( ۱/۲ ٤ — ٤٤ ) و ( ۳/۰ ٤٤ ) و اليمةر في ( ۳٦/۲ ) .

<sup>(</sup>٣) سيرة ابن هشام ( ٣/٣٥) .

 <sup>(</sup>٤) راجع تفاصيل دور خالد في ممركة (أحد) في كتابنا (الرسول القائد)
 من ( ١١٥ -- ١١٦) الطبعة الثانية .

عليه وسلم ، ثم قصدوا غطفان وسُلياً وقبائل أخرى ، فاستطاعوا جمع عشرة آلاف مشرك حول المدينة (١).

وقرّر المسلمون البقاء فى المدينة وحفروا خندقاً عميقاً يحيط بشمالها لايتمكن الأحزاب من اجتيازه ، ولكن خالداً كان من بين الذين حاولوا اختراقه ، فكان يصول ويجول بخيله ويناوش المسلمين ويقدّم رماته فيرمون ، ويحاول أن يجد مضيقاً فى الخندق يقحم خيله ، فلما لم يفلح هو وأمثاله ، قالوا : « إنّهذا لمكيدة ماكانت العرب تصنعها » (٢) .

وهاجمت كتيبة من المشركين بقيادة خالد مواضع المسلمين يوماً كاملًا حتى حلول الليل ، فركان هجومهم بدرجة من الشدة بحيث أشغلوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه على صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، ولسكن هجوم خالد هذا لم ينجح (٢).

وكرّ خالد فى خيل من المشركين يطلبون غرّة من المسلمين ، فناوشوهم ساعة ؛ ولكن هجوم خالد الليلى لم ينجح أيضاً (<sup>(3)</sup> وعند ذاك عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قبته ، فأمر بلالًا (<sup>(6)</sup> فأذن وأقام الظهر فصلى ، ثم أقام

 <sup>(</sup>١) طبقات ابن ســـمد ( ٦٦/٢ ) وم أربعــة آلاف من قريش وأحابيشهم ،
 وسبمائة من بني سلم ، وألف من فزارة ، وأربعائة من أشجع ، وأربعائة من بني مرة ،
 وخرج معهم غيرم .

<sup>(</sup>۲) طبقات ابن سعد ( ۲۸/۲ ) .

<sup>(</sup>٣) طبقات ابن سعد ( ٦٨/٣ ) .

<sup>(</sup>٤) طبقات ابن سعد ( ٦٨/٢ ) .

<sup>(</sup>ه) بلال بن رباح الحبثى: مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اشتراه أبو بكر الصديق من الشركين الذين كانوا يعلمبونه على التوحيد ، فكان أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة لتوضع على صدره ، ثم يقول أمية : « لا يزال بلال على ذلك حتى يموت أو يكفر بمحمد » فيقول بلال وهو في ذلك : « أحد ! أحد ! هر به أبو بكر فاشتراه بعبد له أسود وأعتقه ، فلزم النبي صلى الله عليه على النبي صلى الله عليه على النبي صلى الله عليه النبي النبي صلى النبي صلى الله عليه النبي صلى الله عليه النبي صلى الله عليه النبي صلى النبي صلى الله عليه النبي صلى النبي النبي صلى النبي النبي صلى النبي صلى النبي صلى النبي النبي

بعد كل صلاة إقامة إقامة ، وصلى هو وأصحابه ما فاتهم من الصلوات (١٠) .

ولما فشلت محاولات المشركين وكرّوا راجعين ، أقام عمرو بن الغاض وخالد في مائتي فارس ساقة للمشركين مخافة الطلب (٢٠) ، وبذلك استطاع (الأحزاب) أن ينسحبوا من مواضعهم حول الخندق بأمان .

وهكذا أثبت خالد فى هذه المعركة أنه يستأثر بالخطر دائمًا : يهاجم ويديم زخم الهجوم فى المعركة ، ويحمى انسحاب قواته بعدها .

## فى غزوة الحديبية

قاد خالد خيل قريش في غزوة الحديبية ، وتقدّم إلى (كُرَاع الغَميم) الميحول بين المسلمين وبين مكة . ودنا خالد في خيله حتى نظر إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر عباد بن بشر (١) فتقدم بخيله حتى وقف بأزاء خيل خالد (٥) .

<sup>=</sup>عليه وسلم إلى الشام مجاهداً ، فلم يزل بهاحتى توق . راجع طبقات ابن سعد (٢٣٢/٣) و ( ٣٨٠/٧ ) والإصابة ( ١٧٠/١ ) وأسبد الغيابة ( ٢٠٦/١ ) والاستيماب ( ١٧٨/١ ) .

<sup>(</sup>١) طبقات ابن سما ( ٦٩/٢ ) .

<sup>(</sup>٢) طبقات ابن سمه ( ٦٩/٢) والسبرة الحلبية ( ٤٢٢/٢ ) .

 <sup>(</sup>٣) كراع الغيم في موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة ، وهو واد أمام عسفان بثمانية أميال : را لهيم معجم البلدان ( ٢٢٦/٧ ) .

<sup>(</sup>۱) عباد بن بسر الأنصارى: من بنى عبد الأشهل. أسلم بالمدينة على يدى مصحب بن عمير مبكراً، وشهد أحداً والحندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعثه النبي على صدقات بعض القبائل وجعله على مقاسم (حنين) واستعمله على حرسه بتبوك من يوم قدم إلى أن رحل. وشهد يوم البمامة وكان له يومئذ بلاء وغناء ومباشرة للقتال وطلب الشهادة ، حتى استشهد يومئذ سنة اننق عشرة وهو أبن خبس وأربعين سنة . واجع طبقات ابن سسعد (٣/٠٤٤) والإصابة (٢٢/٤) وأسد المابة (٢٢/٤) والاستيعاب (٢٠/٤).

<sup>. (</sup>ه) طبقات ابن سعاً ( ٩٠/٣ ) وسيرة ابن هشام ( ٣٠٦/٣ ) ٠

وصلى الرسول صلى الله عليه وسلم بأصحابه ، فندم خالد على ألا يكون قد هاجمهم وقت صلاتهم واستعد لمباغنتهم متى قاموا لصلاة أُخرى ، ولكنّ الرسول صلى بأصحابه صلاة الخوف (١) ، فكان المسلمون يتناوبون الحراسة والصلاة ، وبذلك فوّت الرسول القائد على خالد فرصته مباغتة المسلمين .

### فى عمرة القضاء :

خرج خالد من مكة (٢) ، كما خرج منها غيره من سادات قريش حين دخلها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى عمرة القضاء ، مما يدل على أنه كان لا يزال مصراً على كرهه للإسلام والمسلمين .

لقد كان الإسلام يزحف بدون خالد ، وسيستمرّ فى زحفه بعد خالد ، والعقيدة تبقى والرجال لايبقون .

 <sup>(</sup>١) طبقات ابن سعد ( ٢/٥ ٩ ) وعيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير
 (١١٤/٢) والسيرة الحلبية ( ١٤/٣ ) .

<sup>(</sup>٢) طبقات ابن سعد ( ٢٩٤/٧ ) والاستيماب ( ١٩٨٤ ) .

#### إسلامه

« ألقت إليكم مكة أفلاذ أكبادها » ( عمد رسول الله )

سأل رسول الله طلى الله عليه وسلم وهو بمكة فى أيام عرة القضاء الوليد ابن الوليد (۱) أخا خالد قائلًا: « أبن خالد ؟ » . 1 فقال النبى: « مامثل خالد من جهل الإسلام ، ولو كان جعل نكايته وجده مع المسلمين على المشركين ، لكان خيراً له ولقد مناه على غيره » (۲) ، فكتب الوليد بذلك إلى خالد ، فكان ذلك سبب هجر ته (۲) .

<sup>(</sup>۱) الوليد بن الوليد بن المفيرة المخزوى : وقع الوليد في أسر المسلمين أنساء ممركة ( بدر ) وكان حينة اك مشركا ، مقدم في فدانه أخواء خالد وهشام ، فتمنع الذي الذي أسره وهو عبد الله بن جعش حتى أفتكاه بأربعة آلاف درم ، وقبل أفتكاه بدرع أبيب وسيفه ، ثم خرجا به حتى بلغا به ( ذا الحليفة ) بين مكة والمدينة ، فأفلت منهما ، فأن النبي صلى الله عليه وسلم وأعلن اسلامه ، فقال له خالد : « هلاكان ذلك قبل أن تفتدى ؟! » فقال : « ماكنت الأسلم حتى أفتدى بمشل ما افتدى به قوى ، قبل أن تفتدى ؟! » فقال : « ماكنت الأسلم حتى أفتدى بمشل ما افتدى به قوى ، شروط هدنة الحديبية حينة اك نافذة المفعول ، حيث لا يقبل المسلمون أحداً من قربش يلتجى و إليم — فيساه بمكن مع نفر من بني مخزوم كانوا أقدم إسلاما منه ، ولكنه أفلت من الوئاق فقدم المدينة ، فأرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة لينقف مسلمين من بني مخزوم من السجن ، فاستطاع الوصول إلى السجينين وفروا جيماً ، فنها دنوا من حرة المدينة ، قطعت إصبح ، فاستطاع الوصول إلى السجينين وفروا جيماً ، فنها دنوا من حرة المدينة ، قطعت إصبح ، فاستطاع الوصول إلى السجينين وفروا جيماً ، فنها دنوا من حرة المدينة ، قطعت إصبح ، فاستطاع الوصول إلى السجينين وفروا جيماً ، فنها دنوا من حرة المدينة ، قطعت إصبح ، فاستطاع الوصول إلى السجينين وفروا جيماً ، فنها دنوا من حرة المدينة ، قطعت إصبح ، فاستطاع الوصول إلى السجينين وفروا جيماً ، فنها

هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لاقيت ومات بعد ذلك بالمدينة . راجع طبقات ابن سمـــد ( ١٣١/٤ ) والإصابة ( ٣،٣/٦ ) والاستيمان ( ٨/٤ ه ه ) .

<sup>(</sup>۲) طبقات ابن سعد ( ۳۹٤/۳ ) .

<sup>(</sup>٣) الإصابة ( ٦/٣٢٣).

ولست أشك فى أن رسالة الوليد هذه إلى أخيه خالد كانت (حافراً) له للهجرة إلى النبى صلى الله عليه وسلم أو سبباً مباشراً لذلك ، أى أنها (زادته رغبة فى الإسلام و نشطته للخروج) (١) ، إذ أنه كان قد فكر فى الإسلام واقتنع بمبادئه قبل هذه الرسالة بوقت طويل أو قصير ، يدلنا على ذلك قول خالد بخاطب عمرو بن العاص حبن رآه فى الطريق إلى المدينة : « والله لقد استقام المنسم (٢) . إن الرجل لنبى . أذهب والله أسلم ، فحتى متى » (٢) ؟ ا

قال خالد: « وطلبت مَن أصاحب ، فلقيت عُمان بن طلحة () فذكرت الذى أريد ، فأسرع الإجابة ، فخرجنا جميعاً ، فلما كنا ( بالهَدّة ) () إذا عمرو بن العاص . قال مرحباً بالقوم ؛ قلنا : وبك . قال : أين مسيركم ؟

<sup>(</sup>۱) طبقات ابن سعد (۲۹۱/۷) .

<sup>(</sup>٧) لقد استقام المنسم: هذا مثسل، معناه: لقد تبين الأمر ووضح ولم يعد فيه شك ولا لبس ، وأصل المنسسم — بفتح الميم وسكون النون وكسر السين — خف البعير . وفي بعض الروايات: لقد استقام الميسم ، والميسم الحديدة التي توسم سها الأبل وغيرها ، أي تعلم .

 <sup>(</sup>٣) أبن الأثير ( ٨٨/٢ ) والطبرى ( ٣١٤/٢ ) قد استقام المدم ، وقى سيرة ابن هشام ( ٣١٩/٣ ) قد استقام المدم ، وقد اثبتنا ذلك ، لأنه أقرب للمعنى .

<sup>(</sup>٤) عثمان بن طلحة بن أبى طلحة القرشى السدرى : قتل أبوه وعمه وأربعة من إخوته كفاراً يوم أحد ، ولكنه عندما استبان له الحق هاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم بصحبة خالد بن الوليد ، فأسلم وأقام بالمدينة وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم فتح مكة ، فدفع إليه وإلى ابن عمه مفتاح الكعبة يوم الفتح ، وقال : « خذوها خالدة تالدة لاينزعها منكم إلا ظالم » . وأقام عثمان بالمدينة ، فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم انتقل إلى مكة فأقام بها حتى مات سنه اثنين وأربعين ، وقيل إنه إستشهد يوم أخبارين . راجع التفاصيل فى الاصابة ( ٢٢٠/٤ ) وأسد الفابة ( ٣٧٢/٣ ) والاستبعاب

 <sup>(</sup>٥) الهدة : موضع بأعلى ( صر الظهران ) على طريق مكة - المدينة . راجع
 معجم البلدان ( ١٩٠٥ ) .

فأخبرناه وأخبرنا أيضاً أنه يريد النبي صلى الله عليه وسلم ، فاصطحبنا جميماً حتى قدمنا المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أول يوم من صفر سنة ثمان (۱) فلما طلعت على رسول الله صلى عليه وسلم ، سلمت عليه بالنبوة ، فرد على السلام بوجه طلق ، فأسلمت وشهدت شهادة الحق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقلت الا يسلمك إلا إلى خير . وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقلت : استغفر لى كل ما أوضَعت فيه من صد عن سبيل الله! فقال : إن الإسلام يجب ماكان قبله . قلت : يا رسول الله على ذلك! قال : اللهم اغفر الخالد بن الوليد كلما أوضع فيه من صد عن سبيك . . . فوالله ما كان رسول صلى الله عليه وسلم يوم أسلمت يعدل في أحداً من أصحابه فها يُجزئه» (۱).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم عندما رأى خالداً وصاحبيه: « ألقت النيكم مكة أفلاذ كبدها » يعنى أنهم وجوه الناس من أهل مكة (٢).

وأقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم خالداً موضع داره (١٠) ، فاستقر إلى جانب النبى صلى الله عليه وسلم فى المدينة المنورة ، وكان موضع ثقته ومن كتّابه .

لقد كان إسلام خالد كسباً عظماً المسلمين.

 <sup>(</sup>۲) طبقات ابن سعد ( ۲۰۲/٤ ) و ( ۳۹٤/۷ ) وفی روایة : فیما کان حزبه ،
 وفی روایة عن عمرو بن العاس : فی أسم حربه .

<sup>(</sup>٣) أسد الفاية (٣٧٢/٣) والاستيعاب ( ١٠٣٤/٣ ) .

<sup>(</sup>٤) طبقات ابن شعد (٢٥٣/٤) ٠

#### جهاده مع الرسول القائر

« نعم عبد الله ! هذا سيف من سيوف الله » عمد رسول الله

في مُؤْتة (١):

بعث النبى صلى الله عليه وسلم الحارث بن عمير الأزدى (٢٠) إلى ملك ( بُصرَى ) (٢٠) ، فقتل فى ( مؤتة ) ولم يُقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره . لذلك ندب الناس . فأسرعوا وعسكروا ( بالجرث ف ) (٤٠) وهم ثلاثة آلاف ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمير الناس زيد بن حارثة (٥٠)

 <sup>(</sup>١) مؤتة : قرية من قرى البلقاء فى حدود الشام . راجع التفاصيل فى معجم البلدان ( ١٠/٨ ) : أن مؤتة بأدنى البلقاء ، وفي طبقات ابن سعد ( ١٧٨/٢ ) : أن مؤتة بأدنى البلقاء ، والبلقاء دون دمشق .

<sup>(</sup>۲) الحارث بن عمير الأزدى : أحد بني لهب ، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه إلى الشام إلى ملك (بُسُصرى) ، وقيل إلى ملك الروم ، فلما نزل ( مؤتة ) عرض له شرحبيل بن عمرو السانى فقتله ، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الحبر ، بعث البعث إلى ( مؤتة ) في ثلاثة آلاف ، فلقيتهم الروم في تحو مائة ألف . واجم الاصابة ( ۲۹۹/۱) والاستيماب ( ۲۹۷/۱) .

 <sup>(</sup>٣) بصرى: مدينة من أعمال دمشق ، وهي قصبة كورة حوران ، مشهورة عند العرب قديماً وحديثاً . راجع التفاصيل في معجم البلدان ( ٢٠٨/٢ ) .

 <sup>(</sup>٤) الجرف : موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام . راجع التغاصيل في معجم البلدان ( ٨٧/٣ ) .

<sup>(</sup>ه) زيد بن حارثة السكلي : هو أبو أسامة بن زيد ، كان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أصابه سباء فى الجاهلية ، فاشتراه حكيم بن حزام لحديجة بنت خويلد ، فوهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم. وحج ناس من (كلب) ،فرأوا زيداً، ==

أسلم مبكراً ، وشهد بدراً ، وزوجه النبي صلى الله عليه وسلم مولاته ( أم أيمن ) فولدت له أسامة ، وكان يقال لزيد : حب رسول الله . وقتل زيد في أرض الشام سنة أنمان من الهجرة وكان أميراً على ثلك الفزوة . راجع طبقات ابن سعد ( ٤٠/٣ ) والاصابة ( ٢٤/٣ ) وأسد الفابة ( ٢٢٤/٣ ) والاستيماب ( ٤٢/٣ ) .

(١) جعفر بن أبي طالب: أبو عبد الله ، أشبه الناس خلقاً وخلقاً برسول الله صلى الله عليه وسلم. كان أكبر من على رضى الله عنهما بعشر سنين ، وكان عقيل أكبر من على رضى الله عنهما بعشر سنين ، وكان عقيل أكبر من جعفر بعشر سنين . كان من المهاجرين الأولين ، هاجر إلى الحبشة وقدم منها على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فتح خيبر ؟ ! ﴾ وكان قدوم جعفر وأصحابه من أرض الحبشة في السنة السابعة من الهجرة ، فاختط له رسول الله صلى الله عليه وسلم داراً إلى جنب المسجد ، ثم غزا غزوة ( مؤنة ) وذلك سنة عمل من الهجرة فاستنهد فيها بعد أن قائل حتى قطمت بداه جيماً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ إِن الله عز وجل أبدله بيديه جناحين يطبر سها في الجنة حيث شاء ﴾ فمن هنا قبل له : جعفر ذو الجناحين ، وقد وجد في جسده تسعون طعنة مابين ضربة بالسيف وطعنة بالرع ، وكانت سنه يوم قتل إحدى وأربعين سنة ، راجع طبقات ابن سعد ( ٤/٤٣) والاسابة ( ٢٤٨/١) وأسد الغابة ( ٢٤٨/١) وأسد الغابة

(٢) عبد الله بن رواحة الأنصارى الحزرجى: أبو عمد ، أحمد النقباء شهد العقبة وبدراً وأحداً والحندق والحديبية والمساهد كلها حتى استشهد في ( مؤتة ) ، وكان أحد الأمراء في غزوة ( مؤتة ) وأحد الشعراء المحسنين الذين كانوا يردون الأذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال أبو الدرداء: « لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اليوم الحار الشديد ، حتى إن الرجل ايضع من شدة الحريد على =

فإِن قتل فليرتضِ المسلمون بينهم رجلا فيجعلوه عليهم »(١).

سار المسمون ، حتى إذا كانوا بتخوم ( البلقاء ) (أ) لقيتهم جموع الروم ، والتقى الطرفان فى (مؤتة ) فقاتل زيد بن حارثة حتى شاط فى رماح الروم ، فأخذ الرابة جمفر بن أبى طالب حتى إذا ألحمه القتال اقتحم عن فرسه فعقرها وقاتل حتى قتل . ثم أخذ الرابة ابن رواحة ، فقاتل حتى قتل (أ) .

فى هذا الموقف العصيب الذى كان المسلمون فيه يواجهون قوات معادية تتفوّق عليهم تفوّقاً ساحقاً بالعَدد والعُدد (١٠ ، أخذ الرابة ثابت بن أقرم (٥٠

 = رأسه ، وماقى القوم صائم إلا رسول الله صلى الله عليهوسلم وعبد الله بن رواحة » .

 وتزلت فيه وفى صاحبيه حسان بن ثابت وكب بن مالك الآية الكريمة : ﴿ إِلَا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً . . . الآية » ، وكان أول خارج إلى الغزو وآخر قافل .

وعندماكان يقاتل في مؤتة كان يقول :

یا نفس این لم تفتلی نمونی هذا حمام الموت قد صلیت وما نمنگیت فقید أعطیت این تفعلی فعلیهما هدیت مراجعه زیراً مرحند آن فتاتا در قتات با این ما تا این مناب ما تان

يعنى صاحبيه زيداً وجعفراً ، فقائل حتى قتل شهيداً رضى الله عنه . راجع طبقات ابن سعد (٣٢٥/٣) والاصابة (٦٦/٤) وأسد الغابة (٣١٥/٣) والاستيماب (٨٩٨/٣) .

- (۱) طبقات ابن سعد ( ۱۲۸/۳ ) والطبرى ( ۳۱۸/۳ ۳۲۳ ) ويدرة ابن هشام ( ۲۳۱ ۴۳۳ ) وجوامم المديرة س ( ۲۲۱ ) .
- (۲) البلقاء : كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادى القرى ، قصبها (عمان)
   وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة ، وبجودة حنطتها يضرب المثل . راجع التفاصيل فى
   معجم البلدان (۲۷۷/۲) .
- (۳) طبقات ابن سمد ( ۱۲۸/۲ ) والطبری ( ۳۱۸/۲ ۳۲۳ ) وسیرة ابن هشام ( ۴۳۳/۳ ۳۲۳ ) وجوامع السیرة س (۲۲۱) .
- (٤). فى الطبرى ( ٣١٩/٣) وابن الأثير ( ٨٩/٣) : أن قوات الروم كانت بقيادة هرقل ، وكانت مؤلفة من مائة ألف من الروم انضمت إليها العرب المستعربة من لحم وجدام وبلقين وبهراء وبلى فى مائة ألف منهم .
- (٥) ثابت بن أقرم الباوى : شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم شهد غزوة ( مؤنة) ، فدفعت إليه الراية بعد قنـــل عبد الله ==

أخو بنى العجلان ، فقال : « يامعشر المسلمين ؟ اصطلحوا على رجل منكم » . قالوا : أنت ! . قال : « ما أنا بفاعل » . فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ؛ فلما أخذ الراية ، دافع القوم وحاشى بهم ، ثم انحاز وانحيز عنهم ، حتى انصرف بالناس (۱).

فكيف استطاع خالد النجاة لهذا الجيش من فناء أكيد ؟؟

لقد قاتل يومه قتالاً شديداً ، فلما أظم الليل غير نظام جيشه ، فجعل مقدمته ساقة وساقته مقدمة ، وكذلك فعل بالميمنة والميسرة (٦) أى أنه سحب جيشه من ساحة المعركة وأبق ساقة تحمى الانتحاب : نشر هذه الساقة لتحتل مساحة شاسعة من الأرض ، وأمرهم أن يُحدثوا أصواتاً مرتفعة بما لديهم من أبواق وطبول وأدوات حربية ، وإثارة الغبار بالخيل تدور بسرعة في دوائر ضيقة . . . كل ذلك جعل الروم لا يشعرون بانسحاب قوات القسم الأكبر من المسلمين ليلًا من جهة ، ويعتقدون أن إمدادات قوية جاءتهم ليلًا ، لهذا لم يُقدم الروم على مطاردة المسلمين ، فسهل ذلك على خالد مهمته في سحب رجاله من ساحة المعركة بأمان ودون أن ينقلب الانسحاب إلى هزيمة ، وجاله من ساحة المعركة بأمان ودون أن ينقلب الانسحاب إلى هزيمة ، كل سهل عليه مهمة سحب الساقة التي سترت انسحاب القسم الأكبر

<sup>=</sup> بن رواحة ، فدفعها إلى خالد بن الوليد ، وقال : «أنت أعلم بالقتال منى» وقد استشهد سنة إحدى عشرة فى حرب أهل الردة ، قتله طليحة بن خويلد الأسدى هو وعكاشة ابن محمن فى يوم واحد واشترك طليحة وأخوه فى قتلهما جيماً . راجع طبقات ابن سمد ( ٤٦٦/٣ ) والاستيماب ( ٤٦٦/٣ ) والاستيماب ( ١٩٩/١ ) .

<sup>(</sup>۱) سيرة ابن هشام ( ۳/۳۵ ) والطبرى ( ۳۲۲/۳ ) وابن الأثير ( ۹۰/۲ ) وجوامع السيرة ص ( ۲۲۲ ) وطبقات ابن سعد ( ۲۰۳۶ ) والاصابة ( ۹۸/۲ ) والأغانى للاجهانى ( ۱۰/۱۶ ) واليمقوبى ( ۲/۹۶ ) .

<sup>(</sup>۲) سيرة ابن هشام (۳/ ٤٤٠) .

من قوات المسلمين . ومع ذلك لم يكن سحب الساقة سهلًا ، لأنها كانت بناس شديد بالعدو من جهة ، ولأنها كانت تشغل منطقة واسعة من الأرض من جهة أخرى ، لذلك قاتلت الساقة وعلى رأسها خالد قتالاً بطولياً لسكى تستطيع التخلص من الاشتباك . قال خالد : « لفد اندقت فى يدى يوم (مؤتة) تسعة أسياف ، فما ثبت فى يدى إلا صفيحة يمانية »(۱) .

ولما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما حدث ، شقّ ذلك عليه ، ونعى زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال: « أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب — وعيناه تذرفان — حتى أخذها سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم »(٢).

وعاد خالد إلى المدينة يقود جَيش المسلمين " ، بعد أن ترك هذا الجيش ثلاثة عشر شهيداً في ساحة القنال " ، وهي خسائر طفيفة جداً بالنسبة إلى الخطر الداهم الذي أحدق بالمسلمين ، مما يعد معجزة عسكرية ومفخرة خالدة لقيادة خالد . ولما دنا الجيش من المدينة تلقّام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ولقيهم الصبيان يشتدون ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « خذوا الصبيان فاحملوهم وأعطوني ابن جعفر » . وجعل الناس يحثون التراب على الجيش ويقولون : « يافرار في سبيل الله » . فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليسوا بالفرار ولكنهم الكرّار إن شاء الله » " .

<sup>(</sup>۱) طبقات ابن سعد ( ۷/ه ۳۹ ) والاصابة ( ۹۹/۲ ) .

<sup>(</sup>۲) فتح الباری بشرح البخاری ( ۷۹/۷ ) و ( ۳۹۱/۷ ) .

<sup>(</sup>٣) سيرة ابن هشام ( ٣/٠٤٠ ) وتاريخ أبي الفدا ( ١٤٢/١ ) . .

 <sup>(</sup>٤) سيرة ابن هشام ( ٤٤٧/٣ ) وجوامع السيرة من ( ٢٢٢ ) وعيون الأثر في
 فنون المغازى والشهائل والسير ( ١٠٦/٣ ) .

<sup>(</sup>٥) الطبري ( ٣٢٣/٢ ) وابن الأثير ( ٩٠/٣ ) .

ومن ذلك اليوم أطلق المسلمون على خالد لقب: سيف الله .

## فى غزوة فتح مكة :

كان خالد فى غزاوة فتح مكة على ميمنة قوات المسلمين ، وكانت الميمنة مؤلفة من : أسلم وغِفار ومُزَّ يْنَة وجهينة (١) ، وكان واجبه دخول مكة من أسفلها من ( الليط ) (٣) ، وهو أول يوم أمر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالداً (٣) .

كانت نوايا الرسول السلمية صريحة جداً ، فقد قال للزبير بن العوام وخالد : « لا تقاتلا إلا من قاتلكا ( ) ، إلا أنَّ بعض رجالات قريش ( ) جمعوا ناساً ( بالخندَمة ) ( ) أسفل مكة ليقاتلوا المسلمين ويصدوهم عن فتح مكة ، فقاتلهم خالد ، وقتل منهم ثمانية وعشرين رجلاً ثم انهزموا (٧) واستشهد

<sup>(</sup>۱) جوامع السيرة من ( ۲۳۱) وكان على الميسرة الزبير بن العوام ، وكان أبو عبيدة بن الجراح على المقدمة . وانظر شرح النووى على مسلم ( ۲۳۱/٤ ) .

(۲) المايط . موضع بأسال مكة . راجع التفاصيل فى معجم البلدان ( ۳٤٦/٧ ) وانظر عن دخول خالد من ( الليط ) ، الطبرى ( ۳۳۲/۲ ) وانن الأثير ( ۲/۲٪ ) وسبرة ابن هشام ( ٤/٢) و وتاريخ أبي الفدا ( ۲٤/۲ ) وطبقات ابن سعد

 <sup>(</sup>٣) الطبرى ( ٢/٢٣) وابن الأثير ( ٢/٤) وسيرة ابن هشام ( ٢٦/٤)
 (٤) الطبرى ( ٢/٢٢) .

<sup>(</sup>ه) ه : عكرمة بن أبى جهل وصفوان بن أمية وسهيل بن عمرو . راجع الدر ( ٩٤/٣ ) .

<sup>(</sup>٦) الحندمة : حبل بأسفل مكة ، راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣٠/٣ ) . (٧) تاريخ أبي الفدا ( ١٤٤/١ ) وطبقات ابن سمد ( ١٣٦/٢ ) والبلادري ص

<sup>(</sup>۱۰ - ۲۰ ۱) أن قتلي المشركين أربعة وعشرون رجلا من قريش وأربعة نفر من هديل ، أما في الطبرى (۲۰ ۱۳ ۱۳) والمبردي من هديل . أما في الطبرى (۳۳۰/۳) فيلم كل أن عدد قتلي المشركين يلغ من التي عشر أو ثلاثة عشر ، وكذلك . أو ثلاثة عشر ، وكذلك . في جوامع السيرة من (۲۲) .

من المسلمين رجلان (') ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَلَمْ أَنْهُ عَنْ المُسلمين رجلان (') . القتال ؟ » . فقيل له : خالد قُو تل فقاتل (') .

لقد جاهد خالد لأول مرة تحت لواء الرسول القائد في غزوة الفتح ، ولا يصحّ له مشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الفتح (٢) .

# هدم العُزِّي :

بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالماً لحمس ليال بقين من رمضان — أى بعد خمسة أيام من فتح مكة — لهدم (العُزَّى) (() في ثلاثين فارساً من أصحابه (()) ، فلما سمع سادنها (()) ، بمسير خالد إليها ، علّق عليها سيفه والنجأ إلى الجبل الذي هي فيه ، وهو يقول :

أيا عُزَّ شُدَّى شدَّة لا شَوَى لها على خالد ، ألق القناع وشمّرى (٧) ويا عُزَّ إن لم تقتلى اليوم خالداً فبوئى باثِم عاجل ، أو تنصّرى (^)

 <sup>(</sup>۱) فتح الباری بشرح البخاری ( ۸/۸ ) وطبقات ابن سعد ( ۱۳۲/۲ )
 وجوامم السیرة ص ( ۲۳۱ ) .

<sup>(</sup>٢) طبقات ابن سعد ( ١٣٦/٢ ) وتاريخ أبي الفدا ( ١٤٤/١ ) ٠

<sup>(</sup>٣) أَسد الغابة ( ٩٤/٢ ) والاستيماب ( ٤٢٨/٢ ) .

<sup>(</sup>٤) المرى : أعظم الأصنام عند قريش وبنى كنانة ، وكان سدنتها وحجابها بنو شيبان من ممليم حلفاء بنى هاشم ، وكانت العرب وقريش تسمى بها : (عبد العزى). والعزى كانت بيتاً يعظمه قريش وكنانة ومضر كلها . راجع سيرة ابن هشام ( ٨٧/١) و ( ٢٤/٤) والطبرى ( ٣٤٠/٢) وابن الأثير ( ٩٧/٢).

<sup>(</sup>ه) طبقات ابن سعد ( ۱٤٥/٢ ) .

<sup>(1)</sup> السادن : خادم بيت العبادة ، جمه : سدنة .

<sup>(</sup>٧) لاشوى : أى لانهتى على شيء .

<sup>(</sup>۸) بوئی: ارجمی .

فلما انتهى إليها خالد هدمها<sup>(١)</sup> وهو يقول :

يا عُزّ كَفَرَانَكُ لا سبحانك إنى رأيتُ الله قد أهانك (٢)

وعاد خالد إلى النَّبي صلى الله عليه وسلم بعد انتهاء واجبه .

إنَّ تولى خالد والجب القائد في غزوة الفتح دليل على ثقة الرسول بكفاءة قيادته ، وتوليه مهمة هدم ( العزى ) دليل على ثقة الرسول برسوخ عقيدته .

# فی بنی جَدَ پمة (۲)

لما رجع خالد من هدم (العُرَّى) ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقيم عكة ، بعثه إلى بنى (جَدِيمة) داعياً إلى الإسلام ولم يبعثه مقاتلاً ، فدعاهم إلى الإسلام ، فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا ، فجعلوا يقولون: صبأنا ، صبأنا ! فجعل خالد يقتل منهم ويأسر ، ودفع إلى كل رجل أسيره ، حتى إذا كان يوم من الأيام ، أمن خالد بأن يقتل كل رجل أسيره ، فلما علم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك قال مرتين: « اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد» (٥٠).

سیرة این هشام ( ۱۶/۲ ) .

<sup>(</sup>٢) أسد الغابة ( فَإ/١٤ ) والاستيمان (٢٨/٢ ) .

<sup>(</sup>۳) بنو جدیمه : خدیمه بن عامر بن عبد مناه بن کنانه ، أی إنهم من کنانه ، و کانو ا بأسفا مکه من نانه ، و کانو ا بأسفا مکه من ناحله ( ۱۹۰۸ ) . راجع فتح الباری بشرح البخاری (۲۰) و وطبقات ابن سعد (۲۷/۲) و (۲۹۱۸) و الطبری (۸/۵) و جوامع السبرة س (۲۰) و طبقات (۱۱/۵) سبرة ابن هشام (۲/۴ه) و فتح الباری بشرح البخاری (۱۲/۸) و طبقات ابن سعد (۲۷/۲).

 <sup>(•)</sup> فتح البارى يشرح البخارى ( ٨/ • ٤ - ٤٦ ) . وصيداً نا صياً نا : يعنون .
 دخلنا دين محمد صلى الله عليه وسلم . يقال : صبأ الرجل إذا خرج من دين إلى دين .
 ومنه ( الصابئون ) الأمهم قد اتخذوا ديناً بين المهودية والنصرائية .

والأنصار وبني سُلم ، فاما انتهى إلى بني جديمة قال : « ما أنتم ؟ » . قالوا : مسلمون ، قد صلَّينا وصدَّقنا بمحمد وبنينا المساجد في ساحاتنا وأذَّنا فيها ! . قال : « فما بال السلاح عليكم ؟ » . فقالوا : إنَّ بيننا وبين قوم من العرب عداوة ، فحفنا أن تكونوا هم ، فأخذنا السلاح! قال : « فضعوا السلاح » ، فلما وضعوم قال لهم : « استأسروا » ، فاستأسر القوم ، فأمن بعضهم فكتّف بعضاً وفرِّقهم في أصحابه ؛ فلما كان في السحر نادي خالد : « من كان معه أسير فَلْيُدَافَه ! » والمدّافة الإجهاز عليه بالسيف . فأما بنو سُلم فقتلوا من كان في أيديهم ، وأما المهاجرون والأنصار ، فأرسلوا أساراهم ، فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ما صنع خالد ، قال : « أَلَّاهِم إنى أَبِراً إليك مما صنع خاله ٥ . وبعث على بن أبي طالب رضي الله عنه ، فودى لهم قتلاهم وما ذهب منهم (١) . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا على ! اخرج إلى هؤلاء القوم ، فانظر في أمرهم واجعل أمر الجاهلية نحت قدميك » ، فحرج على حتى جاءهم ، فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال حتى إنه ليَدِي لهم مِيْلَغَةَ الكلب(٢)، حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وداه، بقيت معه بقيَّة من المال ، فقال لهم حين فرغ منهم : « إنى أعطيكم هذه البقية من هذا المال احتياطاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما لا يعلم وتعلمون » . فلما رجع وأخبر الرسول بما فعل ، قال له : « أصبت وأحسنت» $^{(7)}$  .

ومن الواضح أن الرواية الأولى ، وهي الرواية التي رواها الإمام البخاري

<sup>(</sup>١) طبقات ابن سعد ( ١٤٧/٣ -- ١٤٨ ) وسيرة بن هشام ( ٤/٤ )

<sup>(</sup>٢) مينغة السكب: خشبة تحفر ثم تشخذ ليلغ فيها السكلب.

<sup>(</sup>٣) سيرة ابن هشام (٤/٥٠) والطبرى (٣٤٢/٢ ) وجوامع السيرة ص (٣٣٠) وعبون الأثر (٢٨٦/٢ ).

فى صحيحه هى الصحيحة ؛ لأن صحيح البخارى أوثق المصادر فى روايته ، ولأنها أقرب للعقل والمنطق ، ولأن خالداً لو اقتنع بإسلامهم لما تجرأ مطلقا على قتلهم.

لقد قال بنو جديمة : صبأنا ، صبأنا ! فحمل خالد هذه اللفظة على ظاهرها ، أى أنهم خرجوا من دين إلى دين ، فلم يكتف خالد بذلك حتى يصرحوا بالإسلام (١) ، والدليل على ذلك أنه قال لهم : « ضعوا السلاح فإن الناس قد أسلموا (١) » . وهذا دليل قاطع على أنه لم يقتنع بأن كلة : صبأنا هي يمغي : أسلمنا !

إنَّ خالداً أخطأ متأولاً لا عن قصدولا تعبّد، وليس أدل على أن ما فعله ليس إلا عن اجتهاد وتأويل من أنه ظل متمتعاً بثقة النبي صلى الله عليه وسلم ورضاه ، ولخطأ خالد هذا واداهم الرسول ، والديّة تعطى عن القتل خطأ لا عن القتل عداً ، ولو أنه قتل بعض بني جذيمة لمجرّد التشتى وثارات الجاهلية، لاقتص منه الرسول صلى الله عليه وسلم وقاده حمّاً بلا هوادة ، ولما اكتفى بالتبرؤ من فعله وتعويض خسائر بني جذيمة بما بعثه مع على بن أبي طالب من مال . . . وإبقاء خالد قائداً يتمتّع بكل ثقة الرسول الكريم (٢).

<sup>(</sup>۱) فتح البارى يطرح البخارى ( ٤٦/٨ ) -

<sup>(</sup>۲) سیرة ابن هشام (۴/۲) والطبری (۳۴۱/۲) وابن الأثیر (۹۷/۲) وتاریخ آنی الفدا (۱/۰۶۱)

<sup>(</sup>٣) لا عبرة فيما رواه الطبرى فى ( ٣٣١/٢ ) فيما يشتم منه منه رائحة : أن خالداً قتل بني جذيمة أخذاً لثأره منهم ، حيث كانوا قد قتلوا عوف بن عبد عوف أبا عبدالرحمن . بن عوف والفاكه بن المفرة عمر خالد . إن الطبرى ورُرخ بروى كل الروايات الواردة و وهذه أحداها — المتكالاً للبحث . ولا شك أن العقل والنقل لا يتفان إلى جانب هذه الرواية : فن الناحية العقلية ، أن الني صلى الله عيليه وسلم بعث خالداً داعياً لاغازياً ، فإذا قتل الناس عمداً بدون مبر وقعد خالف أو امر الني الصريحه حول هذه الغزوة — فإذا قتل الناس عمداً بدون مبر وقعد خالف أو امر الني الصريحه حول هذه الغزوة —

# فی يوم خُنَيْن <sup>(۱)</sup> :

كان خالد على مقدمة المسلمين في مائة فرس هي خيل بني سُلم (٢) عند التقدم من مكة إلى الطائف لقتال بني هوازن وثقيف الذين أجمعوا على حرب المسلمين (٢).

وكان مالك بن عوف (٢) قد عبّاً رجاله فى وادى (حنين ) ليلاً وأمرهم أن يحملوا على الله عليه وسلم رجاله وصفهم صفوفاً ووضع الألوية والرايات فى أهلها (٥).

وانحدر المسلمون في عماية الصبح في وادى (حنبن ) على تعبية وهو وادٍّ

تماليمه الصريحة في اجتناب قتل النفس إلا بحقيها ، وأقل عتوبة خالد عند ذاك نزعه
 من القيادة ، وهذا مالم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ، والنبي لا تأخذه في الله لومة
 لائم ، فكيف يسكت عن قتل الأبرياء . إذا لم يقتنع بأن قتلهم كان خطأ ؟!

ومن الناحية النقلية ، فهذه الرواية لم ترد في مصادر سنة النبي صلى الله عليه وسلم والذين ردّدوا هذه الرواية من المؤرخين فقط نقلها بعضهم عن بعض .

(١) حنين : واد قبل الطائف ، بينه وبين مكة ثلاث ليسال . راجع معجم اللبلدان (٣٠٤/٣) .

(۲) طبقات ابن سعد ( ۲/۰۰/۲ ) والسيرة الحلبية ( ۱۹۳/۳ — ۱۹۰ )
 والأغاني ( ۲۰/۱۵ ) .

(٣) طبقات بن سعد( ١٤٩/١ ) والطبري ( ٣٤٤/٢ ) وسيرة بن هشام (٦٨/٣)

(٤) مالك بن عوف النصرى: من هوازن ، كان قائد المشركين يوم حنين ، فنجح في مباغتة قوات المسلمين في وادى حنين وأوقع فيهم خسائر فادحة. وبعد انهزام المشركين لحق بالطائف. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿ لو آثابي مالك مسلماً لرددت إليه أهله وماله ﴾ ، فبلغه ذلك ، فلحق بالمسلمين في ( الجعرانة ) فأسلم ، فأعطاه النبي أهله وماله وأعطاه مائه من الإبل ، كما أعطت سائر المؤلفة قلوبهم وكان معدودا منهم هم حسن إسلامه ، فاستعمله الرسول صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه ومن قبائل حسن إسلامه ، فاستعمله الرسول صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه ومن قبائل قيس عيلان وأمره بمفاورة الهيف ، ففعل وضيّتي عليهم ، وشهد بعد ذلك فتح دمشق وشهد القادسية أيضاً ، واجع التفاصيل في الإصابة ( ٣١/٣) وأسد الفابة ( ٣٨٩/٤) .

(۵) طبقات بن سعد (۲/۰۵۰).

من أودية (نهامة) أجوف حَطُوط (۱) ينحدر أنحداراً (۲) ، فيهاجمهم المشركون من كل جانب ، فانكشفت خيل بني سُليم مولية وتبعهم أهل مكة وتبعهم الناس منهزمين ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم ثبت وثبت معه نفر قليل من أصحابه وأهل بيته (۲) ، فتجمع المسلمون حوله وشنوا هجوماً مقابلاً على المشركين الهزموا على أثره لا يلوى أحد منهم على أحد (۱) ، وكان خالد أحد الذين تجمعوا حول النبي صلى الله عليه وسلم وقاتلوا معه قتالاً شديداً ، فجرح وعاده الرسول (٥) .

إن واجب المقدمة ، هو حماية القسم الأكبر والحصول على المعلومات عن العدو ، حتى لا تباغت قوات القسم الأكبر (٢٠)

إن مقدمة المسلمين بقيادة خالد ، لم تنجز هذا الواجب أبداً يوم حنين ، فهى لم تستطع معرفة مواضع المشركين التي احتلوها فى وادى حنين واندفعت إلى الأمام بسرعة قبل أن تعرف حقيقة موقف العدو فى وادى حنين ، فكان

<sup>(</sup>١) بهامة : ما انخفض من ارض لحجاز ، وأجوف : أي متسم ، وحطوط : أي منحدر .

 <sup>(</sup>۲) سيرة بن هشام (۲۱/٤) والطبرى (۲٤٬۷/۲) -

<sup>(</sup>٣) طبقات بن سعد ( ١/١٥١) ، وأسماء الذين نبترا معه وم قائمة المعرف م : 1 - 1 العباس بن عبد المطب ٢ - على بن أبى طالب ٣ - الغضل بن العباس ابن عبد المطلب ٤ - أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ٥ - وبيعة بن الحارث بن عبد المطلب ٦ - أبو بكر الصديق ٧ - عمر بن الحطاب ٨ - أسامة بن زيد ابن حارثة ٩ - أيمن بن عبيد وهو أيمن بن أما يمن راجع الطبرى ( ٢/٢٤٣) وابن الأنج حارثة ٩ - أيمن بن عبيد وهو أيمن بن أما يمن راجع الطبرى ( ٢٠/٢) وابن الأنج

<sup>(</sup>٤) طبقات بن سعد (۱/۲ ه ۱)والطبری ( ۳٤۸/۲ )وسیرة بن بمشام (۷۰/٤) .

 <sup>(•)</sup> أسد الغابة (٢/٥٩) والاستيعاب (٢٨/٢٤) والأغاني (١٠/١٠):

 <sup>(</sup>٦) القدم الأكبر تعبير عسكرى ، معناه كافة القطعات عدا قطعات الحماية أى عدا المقدمة و المجتبات والمؤخرة ، والقدم الأكبر يعتبر القوة الضاربة الأصلية ، وقطعات الحماية مسئولة عن حماية القدم الأكبر من مباغتة العدو .

اندفاعها هذا على غير هدى وبصيرة. أما قوات القسم الأكبر فاندفعت وراء المقدمة لاعتقادها أن اندفاعها هذا أمين وغير خطر .

إنّ من أهم أسباب هزيمة المسلمين في ابتداء معركة (حنين) هو عدم قيام مقدّمتهم بواجبها، إذ لم تحصل على المعلومات عن مواضع العدو، ولم تمنع مباغتة العدو للقسم الأكبر؛ وبذلك فشلت مقدّمة المسلمين يوم حنين في أداء واجبها فشلًا ذريعاً، على الرغم من أنها كانت بقيادة خالد(١).

## فى غزوة الطائف :

لم تمنع خالد جراحاته من أن يعود لقيادة المقدمة ، إذ لم يزل على مقدمة المسلمين حتى وردوا ( الجعرانة ) (٢) في طريق عودتهم إلى المدينة (٢) .

وفى طريقه إلى ( الطائف ) (\*) قاتل فلول المشركين وكان بين قنلى المشركين امرأة ، فقد مر النبي صلى الله عليه وسلم فى طريقه بامرأة ، مقنولة ، فقال : « من قتلها ؟! » فقالوا : خالد بن الوليد ، فقال لبعض مَن معه : « أدرك خالدًا وقل له : إن رسول الله ينهاك أن تقتل امرأة أو وليداً أو عسيفا » (°) ، ولما حاصر المسلمون الطائف ، كان خالد ينادى : « هل من مبارز ؟ » فلا يجسه أحد (۱) !

<sup>(</sup>١) الرسول القائد -- الطبعة الثانية من ( ٢٥٩ ) . .

 <sup>(</sup>۲) الجعرانة : ماء بين الطائف ومكة ، وإلى مكة أقرب راجع معجم البلدان
 (۲) .

<sup>(</sup>٣) طبقات بن سعد ( ١٥٨/٢ ) .

 <sup>(</sup>٤) الطائف: بلد مشهور بينها وبين مكة إثنا عشر فرسخا من جهة المشرق، وهي ذات مزارع ونخل وأعناب ومياه غزيرة وطيبة الهواء. راجع معجم البلدان ( ١٠/٦).\
 (٥) ابن الأثير ( ١٠/٢ )، والعسيف: هو الاجير.

<sup>(</sup>٦) الميرة الحلية ( ١٦٣/٣) .

ولما وصل المسلمون (الجعرانة) حيث قسّم الرسول الغنائم ، قال رجل من المنافقين : « ما أريد بهذه القسمة وجه الله 1 » فقال عمر « ألا نقتله ؟ » وقال خالد : « ألا أضرب عنقه ؟ » وقال النبي : « لا . لعلّه يصلي » (١) .

# مع بنى المُصْطَلِق<sup>(٢)</sup>:

بعث النبي صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة بن أبي مُعيط (٢) إلى بنى ( المُصْطَلِق ) مصدقاً في أوائل السنة التاسعة للهجرة ، أى بعد إسلامهم بعامين (١٠) ، فلما رأوه أقبلوا نحوه فهابهم ، فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره أنهم قد ارتدوا عن الإسلام ، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم خالداً وأمره أن يتنبت ولا يمجل ، فانطلق خالد حتى أتاهم ليلاً ، وبعث عيونه ، فأخبروه بأن القوم متمسكون بالإسلام وسمعوا أذانهم وصلاتهم ، فلما أصبحوا أتاهم خالد ، فرأى ما يعجبه ، فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر، فنزل قوله تعالى : « يا أيما الذين آمنوا ، إن جاء كم فاسق وأخبره الخبر، فنزل قوله تعالى : « يا أيما الذين آمنوا ، إن جاء كم فاسق الله عليه وسلم

<sup>(</sup>١) السيرة الحلبية ( ١٧١/٣ - ١٧٢ ) ٠

 <sup>(</sup>۲) المصطلق : هو لقب جایمه بن سعد بن عمرو بن ربیعه بن حارثة ، بطن من خزاعة . واجع فتح الباری بشرح البخاری ( ۳۳۳/۲ ) .

<sup>(</sup>٣) الوليد بن عقبة بن أنى معيط الأموى: أخو عثمان بن عفان رضى الله عنه لأمّه ، أسلم يوم فتح مكة . ولاه عثمان الكوفة وعزل عنها سعد بن أبى وقاس ، ولا أخبار في الكوفة فيها نكارة وشناعة . كان من رجال قريش ظرفاً وحلماً وشجاعة وأدباً ، وكان من الشعراء المطبوعين ، سكن المدينة ثم نزل الكوفة ، فلما قتل عثمان نزل البصرة م خرج إلى الرقة ونزلها واعتزل عليا ومعاوية . مات بالرقة وبها قبره — راجع طبقات ابن سعد ( ٢٤/٦) والإصابة ( ٣٢١/٦) والاستيعاب ( ٣/٤ه ١٥ ) .

 <sup>(</sup>٤) السيرة الحلبية ( ٣٦٤/٢ ) -

بَنَبَا ٍ فَتَبَيِّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قُوْمًا بِحِهَالَةٍ ، فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْنُمْ نَادِمِينَ » تزلت في الوليد بن عقبة (١) .

لقد كان موقف خالد فى هذه القضية رائماً حمَّا: أرسل عيونه ليروا عمل القوم فى غفلة منهم ، فلما جاءته عيونه بأخبارهم ، أتاهم هو بنفسه ، فوجد أنّ أخبار الوليد بن عقبة عنهم غير صحيحة ، وبذلك حقن خالد دماء بنى المصطلق ووضعهم فى موضعهم الذى يستحقونه .

# هدم وَد<sup>"(۲)</sup> :

بعث النبى صلى الله عليه وسلم خالداً لهدم (وَدَّ) فى دُومَة (الجندل)<sup>(۱)</sup> وقد بعثه من غزوة (تبوك) ، فحالت بنو عبد ود وغيرهم بينه وبين هدمه ، فقاتلهم خالد. وبعد دحرهم هدمه وكسَّره جذاذا<sup>(٤)</sup>.

## فى دُومة الجندل :

في أثناء مقام النبي صلى الله عليه وسلم في (تبوك ) أرسل خالداً في أربعائة

<sup>(</sup>۱) الأغاني ( ۲۰/۵ – ۳۰۷ ) وتفسير ابن كتير ( ۲۱/۸ – ۱۲ ) وبهامشه تفسير البغوى ( ۲۱/۸ – ۲۲ ) وبهامشه تفسير البغوى ( ۱۰/۸ ) وتفسير الزمخصرى ( ۱۲۱/۳ ) والآية الكريمة من سورة المجرات ( ۲/۶۹ ) انظر الاستيماب (۳۶ ) والاصابة ( ۲۲۱/ ) وأسد الغابة ( ۹۱/۶ ) والمعارف ص ( ۳۱۹ ) وسير بن هشام ( ۹۱/۶ ) سروع )

 <sup>(</sup>۲) ورد : تمثال رجل كبر الجسم ، عبده بنو كاب بن و رد من قضاعة بدومة الجندل . راجع الأصنام لابن الكلي (ه ه - ۹ ه ) وسيرة ابن هشام ( ۸۲/۱ ) وتفسير البن كثير وبهامشه تفسير البغوى ( ۲/۰/۳ ) وتفسير ابن كثير وبهامشه تفسير البغوى ( ۷/۹ ه ۱ ) .

 <sup>(</sup>٣) دومة الجندل: (حصن على سبع مراحل من دمشق) تفع ببن دمشق والمدينة .
 راجع التفاصيل فى معجم البلدان ( ١٠٦/٤ ) .

<sup>(</sup>٤) خالد بن الوليد — أبو زيد شلي (٨٦ — ٨٧ ).

وعشرين فارساً (۱) إلى أكدر بن عبدالملك نم السكونى (۱) صاحب (دُومة الحندل) ، وكان أكدر قد خرج من حصنه فى ليلة مقمرة إلى بقر الوحش يطارده هو وأخوه حسّان ، فهاجمته خيل خالد ، فاستأثر أكيدر وامتنع أخوه وقاتل حتى قتل ، ثم هرب من كان معهما!

وأجار خالد أكيدر من القتل حتى يأتى به رسول صلى الله عليه وسلم ، على أن يفتح له دومة الجندل ، فدخلها المسلمون .

وصالحه خالد على ألني بعير و بمانمائة رأس وأربعائة درع وأربعائة رمح ، ثم خرج خالد باكيدر وأخيه ( مصاد ) الذي كان في الحصن و بما صالحه عليه قافلًا إلى المدينة ، وهناك صالحه النبي صلى الله عليه وسلم على الجزية وحقن دمه ودم أخيه وخلّى سبيلهما ، وكنب له كتاباً فيه أمانهم وما صالحهم عليه وختمه يومئذ بظفره (٢٦).

<sup>(</sup>١) طبقات ابن سملًا ( ١٦٦/٢ ) والسيرة الحلبية ( ٣٨٦/٣ ) .

<sup>(</sup>۲) اكدر بن عبد الملك الكندى: كتب إليه الذي صلى الله عليه وسلم وأدسل مرية مع خالد بن الوليد . ذكر البلاذرى ص ( ۲۷) أنه أسلم ، والصحيح أنه أهدى الرسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ميسلم بل بنى نصرانيا ( ولما صالحه الرسول عاد إلى حصنه وبنى فيه . ثم إن خالدا أسره لما حاصر دومة الجندل أيام أبى بكر الصديق رضى الله عنه فقتله نصرانيا . وذكر البلاذرى في ص ( ۲۷) : ( أنه أسلم ، فلما مات الذي صلى الله عليه وسلم منع الصدقة ونقض العهد وخرج من دومة الجندل فلحق ( الحبرة ) ، بنها جاء في الطبرى ( ۲۸/۷ ) وابن الأثير ( ۲/۲ ه ۱ ) : ( أن خالداً أسره وقتله ) وهذا مازرجه لموافقته لمصادر أهل الحديث ، لذلك فقد قتل نصرانيا ولا يعتبر صحابياً . واجع الإصابة ( ۱۲۹۱ ) وأسد الفاية ( ۱۳/۱ ) وفتوح البلدان ولا يعتبر صحابياً . واجع الإصابة ( ۲۸۷۱ ) وابن الأثير ( ۲/۲ ) ) وفتوح البلدان

 <sup>(</sup>٣) طبقات ابن سعة ( ١٦٦/٢) وحوامع السيرة ص (٣٥٣) وسيرة ابن هشام (٣٨١/٤) وأسد الفابة ( ٩٤/٢) والاستيماب ( ٤٢٨/٢) والطبرى ( ٣٧٢/٢) مم اختلافات في الروايات، وما ذكرته هو نص ماجاء في طبقات ابن سعد .

بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالداً إلى بنى الحارث بن كعب بن مُدَحج ( بنَحُران ) ( ) في أربعائة من المسلمين ، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام ثلاثاً ، فإن استجابوا له قبل منهم وأقام فيهم وعلمهم كتاب الله وسنة نبيّه ومعالم الإسلام ، وإن لم يستجيبوا قاتلهم .

وخرج خالد حتى قدم عليهم ، وبعث الركبان يضربون فى كل وجه ويدعون إلى الإسلام ويقولون: « أيها الناس! اسلموا تسلموا ». فأسلم الناس ودخلوا فيا دُعوا إليه ؛ فأقام فيهم خالد يعلّمهم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيّه ، وكتب بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكتب إليه النبى أن يُقبل إلى المدينة ومعه وفدهم ، فأقبل خالد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه وفد بنى الحارث ، فأسلموا . وسألهم النبى فيما سألهم : « يم كنتم تغلبون من قاتلنا يا رسول الله ، أنا كنا نجتمع ولا نتفرس ، ولا نبدأ أحداً بظلم » . قال : « صدقتم » (٢٠) .

<sup>(</sup>۱) نجران : من مخاليف اليمن من ناحية مكة . راجع معجم البلدان ( ۸ / ۲۰۸ ) وآثار البلاد وأخبار العباد للقزويني ص ( ۱۲٦ ) .

<sup>(</sup>٢) سيرة ابن هشام (٤/ ٢٦٧ – ٢٦٦) والطبرى (٢/ ٣٨٠ – ٣٨٨) واين الأثير (٢/ ٢١٥) ، وهذا نص كتاب خالد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : من خالد بسم الله الرحمن الرحم . لمحمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من خالد ابن الوابيد . السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله و بركانه . فا ني أحد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد . يا رسول الله صلى الله عليك ، فا نك بمثنى إلى بني الحارث ابن كعب وأمرتني إذا أثبتهم ألا أقاتلهم ثلاثة أيام وأن أدعوه إلى الإسلام ، فا ن أسفوا قبلت منهم ، وعلمهم معالم الإسلام ، وكتاب الله وسنة نبيه ، وإن لم يسلموا فائلتهم . وإنى قدمت عليهم ، فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام ، كا أمر في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثت فيهم ركبانا : يا بني الحارث! اسلموا تسلموا ، فأسفوا ولم يقاتلوا ، وأنا متبم بين أظهره ، وآمره بما أمره الله به ، وأنها ه عما نهاه الله عنه ، وأعلم حت

### فى الىمِن :

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالداً إلى النمن يدعوهم إلى الإسلام، فلم يجيبوه، فأرسل على بن أبى طالب، فأسلمت (همدان) كلها فى يوم واحد (١٠).

وفى رواية ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، بعث خالداً إلى اليمين ثم بعث عليه إلى خالد ليقبض الحمس<sup>(۱)</sup>.

وفى رواية ، أن النبى بعث علَيّا فى جند وبعث خالداً فى جند آخر ، وقال : « إن التقيّما فالأمير على بن أ بى طالب » (٢٠) .

والرواية القريبة من العقل ، هي أن الرسول بعث خالداً ثم بعث عليًّا ليقبض الحمّس ، لأنها الرواية التي اعتمدها البخاري في صحيحه ، ولأنها أقرب إلى الواقع والمنطق ، إذ كيف تستعصى همدان على الإسلام سنة أشهر ثم تعلن إسلامها في يوم واحد ؟ ومع ذلك فالرواية الأخيرة منطقية أيضًا ، إذ من

= ممالم الإسلام، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، حتى يسكتب إلى رسول الله والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركانه .

فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بدم الله الرحمن الرحيم

من محمد النبي رسول الله ، إلى خالد بن الوليد . سلام عليك ، فإنى أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو . أما بعد ، فإن كتابك جاء في مع رسلك تخبر أن بني الحارث قد أسفوا قبل أن تقاتنهم ، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الاسلام ، وشهادة أن لا إله إلا الله وحدم لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن قد هدام بهداه ، فبشره وأنذره ، وأقبل وليقبل معك وقده ، والسلام عليك ورحمة الله وبركانه .

<sup>(</sup>۱) الطبرى (۲/ ۳۸۹) وابن الأثير (۲/ ۱۱۵) .

 <sup>(</sup>۲) فتح البارى بشرح البخارى ( ۸ / ۲ ه ) .

<sup>(</sup>٣) سيرة ابن هشام (٤/ ٢١٩) .

الجائز أن يبعث النبى صلى الله عليه وسلم مع كل من على وخالد جنداً للقتال عند الحاجة ، وللمعاونة فى القضايا الإدارية كجمع الصدقات ونشر الدعوة وتعليم الناس القرآن والسنن ... إلخ.

# سيف الله

أنجز خالد فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم أعمالاً باهرة فى القنال والسلم على حد سواء. والذى يمحّص أعماله الجليلة منذ إسلامه حتى النحق الرسول بالرفيق الأعلى — وهى فترة قصيرة من عمر الزمن ، لا بدّ أن يتساءل : كيف استطاع خالد أن يحقّق كل هذه المنجزات خلال هذا الوقت القصير ؟؟

والحق، أنهذا التساؤل وارد، إذ أن فترة إسلامه التي قضاها إلى جانب الرسول لا تنجاوز أربع سنوات، بينها قاتل شمالاً على حدود أرض الشام الحجاز، وقاتل جنوباً في اليمن، وشهد أحد عشر مشهداً، قاتل في ثلاثة منها تحت لواء الرسول القائد، وقائل في ثلاثة منها قائداً مستقلاً، ولم يقاتل في خسة مشاهد منها بل أنجز واجبه سلماً ، فمن أين له الوقت الكافي لتحقيق هذه الأعمال ؟

وللاطلاع على توقيت أعماله — راجع الملحق (أ) وفيه الوقت الذى أنجز فيه أعماله الكبيرة ، التى تدّل على أنه كان موضع ثقة الرسول الكاملة من جهة ، وأنه كانت له قابليات نادرة فى القيادة العسكرية خاصة ، لا يجود بها الزمان إلا نادراً .

لقد كان له أثر أى أثر فى نصرة دين الله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى نشر رايات الإسلام شمالاً وجنوباً ، فلا عجب أن يقول الرسول

القائد عن خالد: « نعم عبد الله وأخو العشيرة وسيف من سيوف الله سلّه الله على السكفار والمنافقين » (١) .

الملحق ( ۱ ) حدول توقيت أعمال خالد بعد إسلامه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ( ۲ ) .

لللحوظات	السنة للبلادية	السنة الهجرية	الشهر الهجرى	الأعسال	التسلسل
بعد خمسة أيام من فتح مكة	. 144 . 144 . 144 . 144 . 144	A A A	صفر جادی الأولی ومضان ومضان شوال	إسلامه غزوة مؤتة فتح مكة هدم العزى فى بنى جذبمة	1 7 7 8 0
فى أوائسل السنة أثناء غزوة نبوك	749 749 740	۸ ۸ ۹	شوال شوال رجب	يوم حني <i>ن</i> غزوة الطائف مع بني للصطلق	\ \ \
	74. 74. 74. 741 741	4 4 4 1	رجب رجب رجب رجب ربيع الآخر رمضات	ق تبوك هدم ود ق دومة الجندل ق تجران ق البمن	1 · · · · · · · · · · · · · · · · · · ·

<sup>(</sup>١) الاستيماب ( ٢ / ٢٩٤) ٠

<sup>(</sup>٢) اعتمدنا في إعداد توقيت هذا الجدول على ما جاء في الطبرى -

#### نى حرب أهل الردة

« لا أشبم سيفا سله الله على الكافرين ∢
 ( الصديق ابو بكر )

الواجب : .

ارتدت العرب إما عامة أو خاصة من كل قبيلة ، وظهر النفاق ، واشرأ بت يهود والنصارى ، و بق المسلمون كالغنم فى الليلة المطيرة لفقد نبيهم وقلهم وكثرة عدوهم (') . فى ذلك الموقف العصيب ، أصراً أبو بكر الصديق على إنفاذ جيش أسامة بن زيد (') ، وكان فى إنفاذه أعظم النفع للمسلمين ، فقد قال العرب المرتدون : لو لم يكن يهم قوة ، لما أرسلوا هذا الجيش ؛ لذلك كفوا عن كثير مما كانوا يريدون أن يفعلوا (') . فلما عاد جيش أسامة من واجبه ، وجه أبو بكر قوات المسلمين لقتال أهل الردة ، الذين لم يرض منهم إلا بالخطة المخزية أو الحرب المجلية (ن) ، وقال أبو بكر قولته المشهورة : « والله لو منعونى عقالاً لجاهدتهم عليه » (°) .

<sup>(</sup>١) الطبرى ( ٢ / ٦٦١ ) وابن الأثير ( ٢ / ١٢٧ ) .

<sup>(</sup>٢) الطبرى ( ٢ / ٤٦٢ ) وابن الأثير ( ٢ / ١٢٧ ) .

<sup>(</sup>٣) أبن الأثير (٢ / ١٢٨ ) .

<sup>(</sup>٤) ابن الأثير ( ٧ / ١٧٨ ) أما الخطة المحزية ، فأن يقروا بأن من قتل منهم فى النار ومن قتل منه وأن الخذوه النار ومن قتل منه ، وأن ما أخذوه منا مردود علينا . وأما الحرب المجلية ، فأن بخرجوامن دياره . وفى البلاذرى ص(١٠٤) ورد : الحرب المجلية والسلم المحزية ، فقالوا : قد عرفنا الحرب المجلية ، فما السلم المحزية ، فقال : أن نتزع منكم الحلقة والسكراع ، ونفنم ما أصبنا منكم ، وتردوا إلينا ما أصبتم منا ، وتدوا قتلانا ويكون قتلاكم فى النار ...

 <sup>(</sup>٠) الطبرى (٢ / ٢٧٤) والبلاذرى (١٠٣) والأمامة والسياسة لابن قتيبة
 (١/ ٢٧) .

وتنفيذاً لخطته في مقاتلة أهل الردة ، عقد أحد عشر لواء لأحد عشر قائداً ، وكان واجب خالد هو قتال طليحة بن خويلد الأسدى ، فإذا فرغ منه قصد مالك بن نوبرة (1).

### مع طليحة :

أمن أبو بكر خالداً أن يبدأ بطيي ، ومنهم يسير إلى ( بُراخة ) ( ) ثم يثلّث ( بالبطاح ) ولا يبرح إذا فرغ من قوم حتى يأذن له ؛ وأظهر أبو بكر أنه خارج إلى ( خيبر ) (٢) بجيش حتى يلاقى خالداً يرهب العدو بذلك (١) ، فقمّد ذلك طيئاً و بطأ عن طليحة بن خويلد الأسدى (٥) .

وكان أبو بكر قد بعث عدى بن حاتم الطأئى إلى طيئى قبل مسير خالد

(٢) نزاخة: ماء الطيء بأرض نجد ، وقيل ماء لبني أسد . راجع معجم البلدان

<sup>(</sup>١) انظر التفاصيل فى الطبرى ( ٢ / ٤٨٠ ) وابن الأثير ( ٢ / ١٣٣ ) .

<sup>· (111/1)</sup> 

 <sup>(</sup>٣) خيبر: ناحية على تمانية برد من المدينة لمن بريد الشام ، يطلق هذا الاسم على الولاية ، وتشتمل هذه الولاية على سبعة حصون ومزارع وشخل كثير ، راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣/٥٥) .

<sup>(</sup>٤) الطبرى ( ٢ / ٤٨٣ ) و ابن الأثير ( ١٣٢/٢ ) وجوامع السيرة ص (٣٣٩) و الاصابة ( ٢ / ٩٩ ) .

<sup>(</sup>ه) طليحة بن خويلد الأسدى: قدم مع وفد أسد بن خريمة على النبي صلى الله عليه وسلم سنة تسع للهجرة ، فأسلم ، فلما رجع ورجعوا تنبأ طليحة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم ضرار بن الأزور الأسدى ليقاتله ، فلما توفي الرسول عظم أمر طليحة وأطاعه الحليفان أسد وغطفان ، وكان بزعم أنه يأتيه جبريل بالوحى ، فأرسل إليه أبو بكر خالد بن الوليد فقائله وقضى على فتنته ، فانهزم طليحة إلى الشام وبقي هناك حتى توفي أبو بكر ، ثم خرج محرماً في خلافة عمر بن الخطاب وأسلم إسلاما صحيحاً ، وجاهد الدرس في الفادسية وغيرها جهاد الأبطال المفاور . لقد كان طليحة من أشجع العرب وكان يعد بألف فارس .

راجع الإصابة ( ٣ / ٢٩١٦ ) وأسد الغابة ( ٣ / ٩٥ ) والاستيماب ( ٢ ٧٧٣ ) .

إليهم ، فدعاهم عدى وخو فهم ، فقالوا له : استقبل خالداً فنهنهه عنا ألاثاً حتى تستخرج من لحق بالبزاخة منا ، فإنا إن خالفنا طليحة وهم فى يده قتلهم أو اربهنهم . فاستقبل عدى خالداً وهو (بالسُنح)() ، وقال له «أمسك عنى ثلاثا يجتمع لك خسمائة مقاتل تضرب بهم عدوك » ففعل خالد . وأرسلت طيئى إلى إخوانهم ، فعادوا من بزاخة كالمدد لهم ، ولولا ذلك لم يُتركوا ؛ وبذلك عادت طيئى إلى الإسلام ().

وتوجّه خالد ومن انضم إليه من طبئى وعددهم ألف را كب تلقاء بزاخة ، وأرسل عكاشة بن محصن (٣) و ثابت بن أقرم طليعة لقواته ، فقنلا أحد أخوة طليحة ، فلما بلغه مصرع أخيه خرج ومعه أخوه سلمة ، فقتلا عكاشة و ثابتا ثم رجعا . ومر خالد في طريقه إلى بزاخة بعكاشة و ثابت قتيلين (١) .

وعبّاً خالد جيشه للقتال ، فقالت له (طبئى) : نحن نكفيك (قيساً) ، فإن بنى أسد حلفاؤنا ! فقال : «قاتلوا أيّ الطائفتين شئتم » . فقال عدى : «لو نزلهذا على الذين هم أسرتى الأدنى فالأدنى لجاهدتهم عليه لا أمتنع عن جهاد بنى أسد لحلفهم » : فقال له خالد : « إن جهاد الفريقين جهاد . لا تخالف رأى

<sup>(</sup>۱) السنح: موضع بنجد قرب جبل طيئ، نزله خالد فى حرب الردة، فجاءه عدى بن حاتم بإسلام طبىء وحسن طاعتهم، راجع معجم البندان ( ٥ / ١٤٩ ) . (٢) الطبرى ( ٢ / ٤٨٣ ) وان الأثير ( ٢ / ١٣٣ ) .

<sup>(</sup>٣) عكاشة بن محصن الأسدى : من فضلاء الصحابة وساداتهم ، هاجر إلى المدينة وشهد بدراً وأبلى فيها بلاء حسنا وانكسر فى يده سيف ، وشهد أحداً والحندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقتله طليحة الأسدى ، وكان عكاشة يوم توفى رسول الله صلى عليه وسلم ابن أربع وأربعين سنة ، وقتل بعد ذلك بسنة ، وكان من أجمل الرجال ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه بعض الصحابة . راجع طبقات ابن سعد (٣/ ٢٢) والإصابة (٤/ ٢٥٦) وأسد الغابة (٤/ ٢)

<sup>(</sup>٤) الطبرى ( ٢ / ٤٨٤ ) وابن الأثير ( ٢ / ١٣٢ ) والبلاذرى من (١٠٥) .

أصحابك وامض بهم إلى القوم الذين هم لقتالهم أنشط ». ثم سار خالد بجيشه ، والتقى بطليحة ورجاله على بزاخة ، فقاتل الطرفان قتالاً شديداً ، ولما رأى أن كفة المسلمين رجحت على كفة أتباعه ،ركب فرسه وحمل امرأته ثم نجابها ، وقال : « يا معشر فزارة ١ من استطاع أن يفعل هكذا وينجو بامرأته ، فليفعل » (١) ، وبذلك قضى خالد على فتنة طليحة وأعاد الإسلام إلى منطقته والمنطقة المجاورة لها.

لقد حطم انتصار خالد معنویات أسد وغطفان وأحلافهما الأقویاء ومعنویات القبائل الآخری التی تعبش فی تلك المنطقة ، فأقبل بنوعام، وسُلم وهوازن وهم یقولون: ندخل فیما خرجنا منه ونؤ من بالله ورسوله و نسلم لحکمه فی أموالنا وأنفسنا<sup>(7)</sup> ، ذلك لأن القبائل البدویة تكون دائماً مع القوی ، فبابعت خالداً ، وكانت بیعته: «علیه عهد الله ومیثاقه لتؤمنن بالله ورسوله ولتقیمن الصلاة ولتؤنن الزكاة ، وتبایعون علی ذلك أبناء کم و نساء کم » ، ولم یقبل من أحد من أسد وغطفان وعام، وطیتی وسلیم إلا أن یأتوه بالذین حرسقوا ومثلوا وعدوا علی الإسلام فی حال ردتهم ، فأتوه بهم ، فقل بهم وحرسقهم ورضخهم بالحجارة ورمی بهم من الجبال ونكسهم فی الآبار (۲) .

فما أسباب انتصار خالد الساحق السريع ؟؟

يمكن إجمال أسباب انتصاره ، بأن المسلمين كانوا يقاتلون مدفوعين بعقيدة راسخة واثقين بنصر الله ، وكان لانضام طيئي أثر في تقوية المسلمين

<sup>(</sup>۱) الطبرى (۲/ ۴۵۰) وابن الأثير (۲/ ۱۳۳) والبلاذرى ص (۱۰۵). (۲) الطبرى (۳/ ٤٨٦) وكان بين أسد وغطفان وطيئى حلف فى الجاهلية راجع الطبرى (۲/ ۲۸۲).

<sup>(</sup>٣) ابن الأثير ( ٢ / ١٣٣ ) .

وإضعاف أعدائهم ، كما كان لنورية أبى بكر تأثير على طيئى فى عدم النماون مع خلفائها وبقائها فى مواضعها الأصلية . وكان قتل الصحابيين الجليلين قد أحفظ قلوب المسلمين وحرسمهم على قتال أعدائهم .

كما أنّ إفساح المجال لطيئى كى تقاتل قيساً كما أرادت شجّها على الاستقلال فى الحرب ، إذا لو أصر خالد على أن يقاتلوا حلفاءهم فى بنى أسد كما أراد عدى بن حاتم ، لقصّرت طيئى فى حربها أى تقصير ا

وربما كان هناك من ينتقد خالداً على إهماله في مطاردة عدوس بعد انتصاره عليه في بزاخة ، ولكن ذلك غير وارد بالنسبة لقتال القبائل في الصحراء ، لأن القبائل تترك حبّها وتلجأ إلى الأحياء القريبة أو البعيدة وتنهزم إلى جهات مختلفة ، مما يجعل مطاردتها أسوة بمطاردة القوات النظامية غير ممكن إلا في حدود معيّنة.

# مع مالك بن نويرة :

حين فرغ خالد من طليحة ومَن معه ، سار يريد مالك بن نويرة (١) في

وکتا کندمانی جدیمی حقبة فلما تفر"قنا کأنی ومالکا وقال برثیه:

تطاول هذا الليل ما كاد ينجلى كليسل تمام ما يريد صراما سأبكى أخى ما دام صوت حمامة تؤرّق فى وادى (البُطاح) حماما وأبعث أنواحاً عليه بشُخرُه وتذرف عيناى الدموع سجاما

من الدهر حتى قبل لن بتصداها

لطول افتراق لم نبت لیسلة مما

وقيل لمتمم : ما بلغ من حزنك على أخيك ؟ فقال . ﴿ أَصَّبَتُ بَعْبَى فَمَا قَطْرَتُ مَنَّهَا قَطْرَتُ مَنَّهَا قَطْرَةً عَلَى أَخْلُقًا ﴾ . راجع الإصابة (٦ / ٣٦) وطرة عشرين سنة ، فلما قتل أخى استهلت فما توقاً ﴾ . راجع الإصابة (٦ / ٣١) وهمجم البلدان (٢ / ٢١٠) .

<sup>(</sup>۱) مالك بن نويرة التميمي : بعث النبي صلى الله عليه وسلم مالك بن نويرة على بعض صدقات بني تميم ، وكان قد أسلم هو وأخوه متمم. قتل خالد بن الوليد مالسكا واختلف فيه : هل قتله حسلماً أو مرئداً . والأكثر على أنه قتله خطأً ، وأما أخوه متمم فلاشك في إسلامه . قال متمم يرثى أخاه :

(البطاح) (٢) ، ولكن الأنصار في قوات خالد تخلفوا عنه ، وقالوا : ما هذا بعهد الخليفة إلينا ! إذ الخليفة عهد إلينا إن نحن فرغنا من البزاخة واستبرأنا بلاد القوم أن نقيم حتى يكتب إلينا ، فقال خالد: « إن يك عهد إليبكم هذا ، فقد عهد إلى أن أمضى ؛ وأنا الأمير وإلى تنتهى الأخبار ! ولو أنه لم يأتنى له كتاب ولا أمر ، ثم رأيت فرصة ، فكنت إن أعلمته فاتتنى ، لم أعلمه حتى أنتهزها . وكذلك لو ابتلينا بأمر ليس منه عهد إلينا فيه ، لم ندع أن نرى أفضل ما بحضرتنا ، ثم نعمل به . وهذا مالك بن نويرة بحيالناً ، وأنا قاصد إليه ومن معى من المهاجرين والتابعين بإحسان ، ولست أكرهكم » . ومضى خالد، فندمت الأنصار وأجمعو اللحاق به (٢) .

وصل خالد (البطاح) فيلم يجد بها أحداً ، لأن مالك بن نويرة فر قهم ونهاهم عن الاجماع ؛ فبث خالد السرايا وأمرهم بداعية الإسلام وأن يأتوه بكل مَن لم يجب داعى الحق ، فإذا امتنع قتلوه ؛ وكان أبو بكر قد أوصاهم: «أن يؤذنوا إذا نزلوا منزلا ، فإن أذن القوم فك قوا عنهم ، وإن لم يؤذنوا ، فاقتلوا وانهبوا ، فإذا أجابوكم إلى داعية الإسلام ، فسائلوهم عن الزكاة ، فإن أقرسوا فاقبلوا منهم وأن أبوا فقاتلوهم » . فجاءته الخيل بمالك بن نويرة في نفر معه من بني ثعلبه بن يربوع ؛ واختلفت السرية فيهم وكان أبو قتاده الحارث بن ربعي الأنصاري " فيمن شهدوا أنهم أقاموا وصاوا ؛ فلما اختلفوا فيهم ، بن ربعي الأنصاري " فيمن شهدوا أنهم أقاموا وصاوا ؛ فلما اختلفوا فيهم ،

<sup>(</sup>١) البطاح: ماء في ديار بني خزيمة . راجع معجم البلدان (٣/ ١١٤) .

<sup>(</sup>۲) الطبرى (۲/۲۰۰ – ۰۰۰) و ابن الأثير (۴/۱۲۲)

<sup>(</sup>٣) أبو قتادة الحارث بن ربعي الأنصاري : هكذا ورد اسمه في الطبري (٣) أبو قتادة الحارث بن ربعي الأنصاري : هكذا ورد اسمه في الطبري (٣/ ٣٠٠ ه) . اختلف في شهوده ( بدراً ) واتفقوا على أنه شهد ( أحداً ) وما بعدها ، وكان يقال له : فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم . شهد مع على بن أبي طالب مشاهده كلها ومات بالكوفة فصلى عنيه على بن أبي طالب وفي رواية أنه مات بالمديئة سنة أربع وخمسين للهجرة وهو ابن سبعين سنة . راجع طبقات ابن سعد (١٠ / ١٠) والإصابة (١٠ / ٢٠) .

أم خالد بهم فحبسوا فى ليلة باردة ، وأم خالد منادياً فنادى : «أدفئوا أسراكم » وهى فى لغة كنانة القتل ، فظن القوم أنه أراد القتل ولم يرد الدفء ، فقتلوهم وقتل ضرار بن الأزور (١) مالك بن نويرة (٢).

وفى رواية ، أنّ خالداً بثّ السرايا فى بنى تميم ، وكان منها سرية علمها ضرار بن الأزور الأسدى ، فلق ضرار مالكاً ، فاقتتلوا ، وأسره وجماعة معه ، فأتى بهم خالداً ، فأمر بهم فضربت أعناقهم ، وتولى ضرار ضرب عنق مالك (٢)

وفى رواية ، أن السرية عندما جاءت بمالك وصحبه ، قال لخالد : « أما علمت أن الصلاة والزكاة آنى بالصلاة دون الزكاة ! ... » فقال خالد : « أما علمت أن الصلاة والزكاة مماً ، لا تقبل الواحدة دون الأخرى ؟ » . فقال مالك : « قد كان صاحبكم يقول ذلك ! » . فقال خالد : « أو ما تراه لك صاحبا ؟ ! والله لقد هممت أن أضرب عنقك » . . . ثم تجادلا في الكلام ، فقال خالد : « إنى قاتلك ! » . فقال مالك : « أو بذلك أمرك صاحبك ؟ » . قال : « وهذه بعد تلك ؟ ! » . فقال مالك : « أو بذلك أمرك صاحبك ؟ » . قال : « وهذه بعد تلك ؟ ! » .

<sup>(</sup>۱) ضرار بن الأزور الأسدى : قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم ، فبعثه إلى بني الصيداء وبني الديل ، وهو الذي قتل مالك بن نويرة بأمر خالدبن الوليد ، استشهد يوم اليمامة ، وقيل مكت في اليمامة بجروحا ثم مان قبل أن برتحل خالد بيوم . وكان قد قاتل يوم اليمامة قتالا شديداً حتى قطعت ساقاه جميعا ، فجعل محبو على ركبتيه ويقاتل و تطؤه الحيل ، حتى غلبه الموت . وقيل إنه قتل يوم أجنادين وقيل إنه توفي بالكوفة في خلافة عمر ، ولسكن الراجح أنه قتل باليمامة . راجم طبقات ابن سعد ( ٦ / ٣٩ ) والإصابة عمر ، ولسكن الراجح أنه قتل باليمامة . راجم طبقات ابن سعد ( ٦ / ٣٩ ) والإصابة ( ٣ / ٣٠ ) وأسد الغابة ( ٣ / ٣٩ ) والاستيماب ( ٢ / ٢٤٩ ) .

<sup>(</sup>۲) الطبرى ( ۲ / ۲۰۰ ) وابن الأثير (۲ / ۱۳۲ — ۱۳۷ ) والأغانى ( ۲ / ۱۳۲ ) . ( ۱۰۳ / ۱٤) .

<sup>(</sup>٣) البلاذري س ( ١٠٧ ).

<sup>(</sup>٤) الطبرى ( ٢ / ٤٠٠ ) وتاريخ ابي الفدا ( ١ / ١٥٧ — ١٥٨) .

ومضى أبو قنادة الأنصارى حتى أنى أبا بكر ، فقص عليه أمر خالد وقتله ما لكاً وزواجه من ليلى زوج مالك ، وأضاف أنه أقسم ألا يقاتل محت لواء خالداً أبداً ، لكن أبا بكر غضب عليه حتى كلة عمر بن الخطاب، فلم برض إلا أن يرجع أبو قتادة إلى خالد ، فرجع إليه حتى قدم معه المدينة (۱).

وكان عمر من بين الذين اقتنموا بوجهة نظر أبي قتادة ، فقال لأبي بكر . 

(إن في سيف خالد رهقاً (٢) فإن يكن هذا حقاً حق عليه أن تقيده » وأكثر عليه في ذلك ، فلم يسلع أبا بكر إزاء نورة عمر إلا أن يستقدم خالداً لبسأله عن حقيقة ما صنع . وأقبل خالد من ساحة الميدان إلى المدينة ومعه أبو قتادة دخل المسجد في عدة الحوب ، وقد غرز في عمامته أسهماً ، فقام إليه عمر ونزع الأسهم من رأسه وحطّمها وهو يقول : «قتلت إمراً مسلماً ثم نزوت على إمراً ته 11 والله لأرجانك بأحجارك ... » وأمسك خالد فلم يعترض ولم يقل شيئاً ، لأنه ظن أن رأى أبي بكر على مثل رأى عمر ؛ حتى دخل على أبي بكر ، فأخبره الخبر اليقين ، وقد م له معاذيره ؛ فعذره أبو بكر وتجاوز عنه . ولما خرج خالد كان عمر لا يزال جالساً في المسجد ، فقال خالد يخاطب عمر : « هلم إلى ابن أم شعلة !! » ، فعرف عمر أن أبا بكر قد رضى عنه ، فلم يكلم خالداً ، ودخل بينه (٢)

لقد كان رأى عمر ، أن يعزل أبو بكر خالداً ، ولكن رأى أبى بكر كان كما قال لعمر «هَبهُ ياعمر تأول فأخطأ ، فارفع لسانك عن خالد» ثم قال

<sup>(</sup>١) الطبرى (٢ / ٢٠٥) ٠

<sup>(</sup>٢) الرهق : السُّه والحقَّة وركوب الثير والظُّلم وغشيان المحارم .

<sup>(</sup>٣) الطبرى ( ٢ / ٣٠٠ – ٤٠٠ ) وابن الأبتر ( ٢ / ١٣٧ ) .

له: « يا عمر ! ما كنت لأشيم (١) سيفاً سلَّه الله على الكافرين » (٢) .

لقد نسجت الروايات لهذا الحادث من بعد ُ صوراً هي أدنى إلى فنون الأدب منها إلى وقائع الناريخ ، ولست أشك في أن الروايات الموثوق بصحتها تبرس إلى حد بعيد قتل مالك ونفر من أصحابه وتبرسي خالداً من دمائهم .

لنتذكر ماضى مالك بن نويرة القريب ، ما ضيه بعد وفاة النبي والميلية ، فقد منع الزكاة بعد وفاة النبي والميلية ، فقد منع الزكاة بعد وفاة النبي أغار على إبل الصدقه ، وفرسق ماكان بيده منها ، وأنشد الشعر الذي يظهر فيه الردة عن الإسلام (أ) ، ووادع سجاح بنت الحارث التي ادتحت النبوسة (أ) ، — كل ذلك يدل على أنه ارتد عن الإسلام .

أما حاضره الذي يبدأ من تهديد قوات خالد له ، فلم يكن مشجّماً أيضاً ، فقد فرسق مالك قومه ونهاهم عن الاجتماع (٢) ، ولم يتركهم على وضعهم الطبيعي الذي كانوا يعيشونه يوم كانوا مسلمين ؛ فلّما جاءت الخيل بمالك في نفر معه من قومه سواء كان ذلك لقتال أو بدونه ، اختلفت السرية فيهم ، وكان أبو قتادة ممن شهدوا أنهم أذنوا وأقاموا وصلّوا ، واختلافهم هذا دليل على أن مالكاً لم يكن صريحاً في إعلان إسلامه وأنه أظهر الإسلام — إن كان

<sup>(</sup>١) أشيم : أغمده والشيم يستعبل في السلِّ والأغماد .

<sup>(</sup>٢) الطَّبَرَى ( ٢ / ٣٠ ه ) وابن الأثير ( ٢ / ١٣٧ ) وتاريخ أبي الفدا ( ١٨٨/١) والأُغاني ( ١ / ١٦٠ ) .

<sup>(</sup>٣) الطبرى ( ٢/ ه ٤٩ ) و ابن الاثير ( ١٣٠/٣ ) و تاريخ أبي الفدا ( ١/ ٢٥١).

<sup>(</sup>٤) قال مالك كما جاء في الاغاني ( ١٤ / ١٥٣ ) .

فقلت خذوا أموالكم غير خائف ولا فاظر مما يجيء به الفد فإن قام بالامر المخوّف قائم منعنا وقلنا : الدين دين عمد

<sup>(</sup>۵) الطبرى ( ۲ / ٤٩٦ ) وابن الائمير ( ۲ / ۱۳۵ ) والاغانى ( ۱۲/ ۱٤۸ ) .

<sup>(</sup>٦) الطبرى ( ٢ / ٢٠٠ ) و ابن الاثير ( ٢ / ١٣٥ ) .

أظهره — عندما تهدّده الخطر وأحدق به ، إذ لم يختلف أحد فى إسلام أخيه متمم بن نويرة (۱) ، كما أن خالداً قبل توبة وكيع بن مالك (۱) الذى ارعوى عن غيّه وندم وتحيّر فى أمره وغرف قبح ما أتى ، فرجع رجوعاً حسناً ولم يتجبّر وأخرج الصدقات واستقبل بها خالداً (۱) ؛ مع أن موقف وكيع يشابه موقف مالك بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، إذا جتمع وكيع ومالك وسجاح فوادع بعضهم بعضاً واجتمعوا على قتال الناس الذين ثبتوا على الإسلام (۱) وهذا دليل على توبة وكيع وإصرار مالك على ضلاله .

إن ماضى مالك القريب وحاضره يلقيان شكوكاً كثيرة على صحة إسلامه، وقد كان خالد من بين الذين اقتنموا بأن مالكاً بقى مرتداً عن الإسلام، لذلك أقدم على قتله. أما زواجه من أم تميم زوج مالك فقد جرى بعد إكالها عديما (°)؛ ولست أشك أن أبا بكر لو اقتنع بأن خالداً قتل مسلماً عبداً ونزا

<sup>(</sup>۱) متمم بن نويرة التميمي : أسلم هو وأخوه مالك في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فارتد أخوه بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ، واختلف كثير من الصحابة وغيره فيه . هل قتل مرتداً أم مسلما . أما متمم فلم يختلف في إسلامه . كان شاعراً بحسناً لم يقل أحد مثل شعره في المراثي . راجع الإصابة ( ٢ / ٤٠ ) وأسد الغابة ( ٤ / ٢٩٨) والاغاني ( ١٤ / ١٤٧) .

<sup>(</sup>٣) وكيم بن مالك النميمي : استعمله النبي صلى الله عليه وسلمهو ومالك ابن نويرة على صدقات بني حنظة وبني يربوع ، وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهماكذلك ، ثم ارته عن الاسلام ووافق سجاح بنت الحارث التي ادّعت النبوة ، ولكنه عندعا علم بتدوم خالد على رأس جيش من المسلمين استقبله بصدقات قومه واعتذر إليه وأسلم وحسن إسلامه ، راجع الاصابة (٢ / ٣٢٠) .

 <sup>(</sup>٣) الطبرى (٢ / ٢٠٥) وائن الاثير (٢ / ١٣٦) .

<sup>(</sup>٤) الطبرى (٢ / ٤٩٦ — ٤٩٧ ) وابن الاثير (٢ / ١٣٠ ) .

<sup>(</sup>ه) الطبري ( ۲/۲۰ ) وتاريخ أبي الفدا ( ۱ / ۱۵۸ ) والاغاني ( ۱۶ / ۱۵۰).

على امرأته ، لأقام عليه الحد الشرعى (١) ، ولما ودى مالكاً من بيت المال دفعاً للشبهات على اعتبار أن خالداً : ( تأوّل فأخطأ ) كما قال أبو بكر عن خالد لعمر بن الخطاب .

لقد قال منم: « إذ أخاه لم يستشهد » (٢) ، فقد سمع عمر بعض شعر منم في رئاء أخيه مالك ، فقال: « هذا والله التأبين ،ولوددت أبى أحسن الشعر فأرثى أخى زيداً بمثل ما رثبت به أخاك » ، فقال منهم: « لو أن أخى مات على ما مات عليه أخوك ، ما رثبته »، وكان زيد بن الخطاب قد قتل شهيداً بالبمامة ، فقال عمر: « ما عرَّانى أحد عن أخى بمثل ما عرَّانى به منهم (٢) ا » .

ترى ا هل كان لشعر متمم فى رثاء مالك — ذلك الشعر المهموس الذى لا نزال حتى اليوم نحس بحرقته وتأثيره على النفوس والعقول معاً — هل كان لهذا الشعر أثر عاطنى على الناس استدر شفقتهم على مالك ، فأخذوا يختلقون له المعاذير ليظهروه بمظهر المقتول ظلماً وعدواناً ؟ وهل أفاد الشعوبيون من هذا الشعر العاطنى بالذات ليلهبوا شعور الناس على خالد باعتباره أحد قادة العرب ورجالات الإسلام الذين صدّعوا أركان الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية ؟ لعل شعر متمم وحقد الشعوبيين هما اللذان أثارا الشكوك حول تصرّف خالد من جهة وألهب شعور الناس حول مقتل مالك من جهة أخرى ، ولكن هيات أن تصمد نوازع الهوى أمام حقائق الناريخ ا

 <sup>(</sup>۱) التشريع الجنائى الاسلاى - عبد القادر عودة ( ۲/ ۷۲۰ - ۷۲۰) وعقوبة الردة مى الفتل .

<sup>(</sup>٢) الاغاني (١٤ / ١٥٤).

<sup>(</sup>٣) الأغاني ( ١٤ / ١٥٧) والاستيعاب ( ٢ / ٣٥٥ ) وطبقات ابن سمــــد ( ٣ / ٣٧٨ ) .

وفد بنو حنيفة على النبى صلى الله عليه وسلم ، وفهم مسيلة بن حبيب الكذاب ، فلما أرادوا الرجوع ، أمر لهم الرسول صلى الله عليه وسلم بجوائزهم ، فقالوا : يا رسول الله ! إنّا قد خلّفنا صاحباً منا فى رحالنا يُبْصِرُها لنا ، وفى ركابنا يحفظها علينا ! فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما أمر به لأصحابه ، وقال : « ليس بشره مكاناً ، لحفظه ركابكم ورحالكم » . فقيل ذلك لمسيلمة ، فقال : « عرف أنّ الأمر إلى من بعده ! » وادّعى مسيلمة النبوة ، فافتتن الناس به (۱).

سار خالد من (البطاح) للقضاء على مسيلمة فى (انيمامة) (") ، بعد أن فشل عكرمة بن أبى جهل وشر حبيل بن حسنة بالتعاقب فى القضاء عليه ("). وفى طريقه اتّفق مع بعض القبائل ليقوموا يحماية قواته من الخلف ، كما أمده أبو بكر بسليط بن قيس الأنصارى (") ليكون ردءاً له من أن يأتيه أحد من خلفه ، فلما دنا سليط من خالد وجد خيول الأعراب التى اتمّق معها خالد قد تركت مواضعها هاربة ، فأخذ سليط على عاتقه حماية مؤخرة قوات خالد (") حتى يحول بين العدو وبين تطويق جيش خالد من الخلف ، وحتى يؤمّن خطوط انسحاب خالد إلى قواعده عند الحاجة .

<sup>(</sup>۱) طبقات ابن سعد (۲ / ۳۱۱ – ۳۱۷ ) :

 <sup>(</sup>٣) الىمامة : منقول من إسم طائر يقال له اليمام ، واحدثه يمامة ، بين الممامة والبحرين عشرة أيام ، وهي ممدودة من تجد . راجع التفاصيل في ممجم البلدان ( ٨ / ٩٥) .

 <sup>(</sup>٣) الطبرى (٢/٤٠٠ - ٥٠٠٥) و إن الأثير (٢/١٣٧ - ١٣٨).

<sup>(</sup>٤) سليط بن قيس الأنصارى الحزرجى : من بن النجار ، شهد ( يدرآ ) وما بعدها من المشاهد ، وقتل يوم الجسر في العراق مع أبي عبيد مسعود النتني . راجع طبقات ابن سعد ( ١٢/٣ ه ) والاصابة ( ٣ / ٣٢٣ ) وأسد الغابة ( ٢ / ٣٤٥ ) والاستيماب

<sup>(</sup>م) الطبري ( ٢ / ٥٠٥ ) وابن الاثير ( ٢ / ١٣٨ ) -

وفى مسيرالاقتراب كان خالد بنفسه على المقدمة ومعه شرحبيل بن حسنة ، وعلى المجنبتين زيد بن الخطاب (۱) وأبو حذيفة (۲) ، فلما كان على بعد ليلة فى معسكر مسيلمة ، هجم على مفرزة من بنى حنيفة بإمرة مجاعة ابن مرارة الحننى (۲) قوتها بين ثلاثين أو أربعين فارساً ، فأسرهم وقتل

وقتل زيد باليمامة شهيداً سنة اثنتي عشرة الهجرة فحزن عليه عمر حزناً شديداً. قال عمر : « ما هبّت الصبا إلا وأنا أجد منها ريح زيد » . ولما نعى زيد إلى عمر ، قال : « رحم الله أخى ! سبقنى إلى الحسنيين : أسلم قبلى » واستشهد قبلى » . واجع التفاصيل في طبقات ابن سعد ( ٣ / ٣٧٦) والإصابة ( ٣ / ٢٧ ) وأسد الغابة ( ٣ / ٢٧٨) والاستيماب ( ٢ / ٥٠٠) .

(٢) أبو حليفة بن عتبة بن ربيعة القرشى . كان من فضلاء الصحابة ومن المهاجرين الأولين ، جمع الله له الشرف والفضل : صلى القبلتين ، وهاجر الهجرتين جيماً . وكان إسلامه قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الأرقم للدعاء فيها إلى الإسلام ، وهاجر إلى الحبشة ، ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عمكة فأقام بها حتى هاجر إلى الحبيئة . شهد (بدراً) ودعا أباه عتبة بن ربيعة إلى البراز ، وشهد (أحداً) و (الحديبية ) والمشاهد كلها ، وقتل يوم اليماهة شهيداً ، وهو ابن ثلاث أو أربع وخمسين سنة ، وكان رضى الله عنه رجلا طوالا حسن الوجه أحول أثمل (الاثمل هو الذي له سن زائدة) . راجع التغاصيل في طبقات ابن سعد (٣/ ٨٤)

(٣) مجاعة بن مرارة الحننى : وقد هو وأبوه على النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان من رؤساء بني حنيفة . أسره خالد واستحياه ، إذ جاد أصحابه بأنديهم دونه وقالوا لحالد : إن كنت تربد بأهل البجامة غيداً خيراً أو شراً ، فاستبق هذا ولا تقتله ، فيسسه خالد عنده كالرهينة . ولما قهر خالد مسيلمة ، صالح مجاعة خالداً عن قومه بني حنيفة في الحصون على المال وربع السبي ، فلما فتحت الحصون لم يجد خالد فيما غير النساء والصبيان ، فقال خالد لمجاعة : « ويحك خدعتني » فقال مجاعة : « إنهم قوى ولم أستطع إلا ما صنعت » . راجع التفاصيل في الطرى ( ٢ / ٨ ٥٠ - ١٧٥ ) وابن الاثير ( ٢ / ١٣٧ - ١٤٠ ) وأسد الغابة ( ٤ / ٣٠٠ ) .

<sup>(</sup>۱) زيد بن الحطاب القرشى الفهرى : أخو عمر بن الحطاب لأبيد ، يكنى أبا عبد الرحمن وكان أسن من عمر ومن المهاجرين الأولين وأسلم قبل عمر وشهد (بدراً وأحداً والحندق ) وما بعدها من المشاهد ، وشهد بيعة الرضوان بالحديبية . قال عمر لزيد يوم أحد: «خذ درعى » . فقال زيد: « إنى أريد من الشهادة ما تريد » ، فتركاها جميعاً .

أصحاب مجاعة واستحياه رهينة لديه لشرفه في بني حنيفة (١).

والتقى الطرفان (بعقرباء) (٢) ، وكانت راية المهاجرين مع سالم مولى أبي حذيفة (٢) ، وكانت راية الأنصار مع ثابت بن شحاس (٤) ، وكانت العرب على راينها واشتد القتال بشكل لم يسبق له مثيل عند المسلمين ، فانهزم المسلمون حتى دخل بنو حنيفة فسطاط خالد (٥) ، ولكن المسلمين استقتاوا في كفاحهم ، فكانت الحرب يومئذ سجالاً: تكون مرة على المسلمين ومرة على المشركين، فقال خالد: « أيها الناس: امتازوا لنعلم بلاء كل حي ، ولنعلم من أين نوتني» فقال خالد: « أيها الناس: امتازوا لنعلم بلاء كل حي ، ولنعلم من أين نوتني» فوقف بنوكل أب على راينهم ، ولكن مسيلمة ثبت ، فعرف خالد أن الحرب فوقف بنوكل أب على راينهم ، ولكن مسيلمة ثبت ، فعرف خالد أن الحرب لا تركد إلا بقتل مسيلمة "

<sup>(</sup>١) الطبرى (٣ / ٨٠٥) وابن الأثير (٢ /١٠٩ ) .

<sup>(</sup>٢) عقرباء : منزل من أرض اليمامة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٦ / ١٩٤)

<sup>(</sup>٣) سالم مولى أبى حذيفة : فارسى من أهل اصطخر ، كان من فضلاء الصحابة ، وكان يوم المهاجرين بقباء فيهم عمر بن الحطاب قبل أن يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة . هاجر مع عمر بن الحطاب و تقر من الصحابة إلى المدينة ، وكان يؤمهم إذا سافر ممهم ، لا أنه كان أكثره قرآنا ، وكان عمر يفرط في الثناء عليه . شهد (بدراً) وقتل شهيداً يوم البمامة سنة النتي عشرة الهجرة . راجع التفاسيل في طبقات ابن سعد (٣/٨٥) والارسابة (٣/ ٣) م ٢٤٠) والارسابة (٣/ ٣) ه ) .

<sup>(1)</sup> ثابت بن شماس الحزرجي الأنصارى: كان خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم، كاكان حسان بن ثابت شاعره. شهد (أحداً) وما بعدها من المشاهد، وقتل يوم اليمامة شهيداً. قال أنس بن مالك: ﴿ لما انكشف الناس يوم اليمامة ، قلت لثابت : ألا نرى يا عم! ووجدته قد حسر عن فحذيه وهو يتحتّط ، فقال : ما هكذا كنا نقاتل معرسول الله صلى الله عليه وسلم ، بئس ماعوّدتم أقرانكم ، وبئس ما عوّدتسكم أنفسكم . اللهم إلى أبرأ إليك مما يصنع هؤلاء ، ثم قاتل حتى قتل رضى الله عنه ﴾ . راجع الاصابة أبرأ إليك مما يوأسد الغابة (١/ ٢٠٣) والاستيماب (١/ ٢٠٠٠) .

<sup>(</sup>م) الطبرى ( ۲ / ۲ م ه ) وابن الاثبر ( ۲ / ۱۳۹ ) .

<sup>(</sup>٦) الطبرى (٢ / ١٣٥ ) وابن الاثير ( ٢ / ١٣٩ ) .

حتى كان بحيال مسيلمة يطلب الفرصة ويرقب مسيلمة (۱) ، فلما دنا منه ودعاه وعرض عليه أشياء مما يشتهى ، وجد فرصته مناسبة فهاجمه هجوماً شديداً ، فأدبر مسيلمة وأدبر رجاله معه ، فصاح خالد فى الناس ، فركبوا المشركين وكاتوا بناس شديد معهم ، حتى اضطروهم على الفرار (۲) . والتجأ بنو حنيفة إلى حديقة الموت ، فدخلوها وأغلقوا عليهم ، فصرخ البراء بن مالك (۲) : «احلونى على الجدار حتى تطرحونى عليه » . فلما وضعوه على الحائط . اقتحم عليهم فقاتلهم على الباب حتى فنحه للمسلمين ، فدخلوه واقتنلوا قنالاً مريراً عليهم فقاتلهم على الباب حتى فنحه للمسلمين ، فدخلوه واقتنلوا قنالاً مريراً داخل الحديقة لم يروا مثله ، فأبادوا مَنْ بالحديقة من المشركين ، وكان من بين داخل الحديقة لم يروا مثله ، فأبادوا مَنْ بالحديقة من المشركين ، وكان من بين القتلى مسيلمة الكذاب (۱) .

<sup>(</sup>١) الطبرى (٢ / ١٢٥).

<sup>(</sup>۲) الطبرى (۲ / ۱۱۵ ) وابن الاثير (۲ / ۱۳۹ ).

<sup>(</sup>٣) البراء بن مالك الانصارى: أخو أنس بن مالك ، شهد أحدا و الحندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان شجاعاً مقداماً ، ولشجاعته كان عمر يكتب لقادة جيوشه : « لا تستعملوا البراء على جيش من جيوش المسلمين ، فإنه مهلكة من المهالك يقدم بهم » . ولما كان يوم اليمامة واشتد قتال بنى حنيفة على الحديقة النى فيها مسيلمة ، قال البراء : « يا معشر المسلمين التونى عليهم » فاحتمله المسلمون حتى إذا أشرف على الجدار اقتحم ، فقاتلهم على باب الحديقة حتى فتحه للمسلمين ، ولكنه جرح يومئة بضماً وثمانين جراحه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أرب أشعث أغبر لا يؤبه له ، لو أقسم على الله عز وجل لا بره ، منهم البراء بن مالك » ، فلما كان يوم ( تستر ) من بلاد الفرس ، الله عز وجل لا بره ، منهم البراء بن مالك » ، فلما كان يوم ( تستر ) من بلاد الفرس ، المنتف الناس ، فقال له المسلمون : يا براء ! أقسم على ربك ! فقال : « أقسم عليك يارب لما منحتنا أكنافهم وألحقتني بنبيك »، فيل وحل الناس معه ، فقتل البراء شهيداً. وكان رضى الله عنه حسن الصوت يحدو بالنبي صلى الله عليه وسلم في أسفاره ، فسكان هو حادى الرجال ، وقد قتل على ( تستر ) مائة رجل مبارزة سوى من شرك في قتله . راجع حادى الرجال ، وقد قتل على ( تستر ) مائة رجل مبارزة سوى من شرك في قتله . راجع طبقات ابن سعد ( ٧ / ١ ) و والاصابة ( ١ / ١٤٧ ) وأسد الغابة ( ١ / ١٧٢ )

<sup>(</sup>٤) الطبرى ( ١٤/٢ه ) وابن الأثير ( ١٣٩/٣ ) وأسد الغابة ( ١٧٧/١ ) والاستيماب ( ١٥٤/١ ) وجوامع السيرة ص ( ٣٤١ ) .

وبث خالد بعد المعركة مباشرة خيوله تطارد فلول المشركين و تلتقط مَن ليس في الحصون، ثم نادي بالرحيل لينزل على الحصون (١)، فقال له مجاعة! « إنه والله ما جاءك إلا سرعان الخيل ، وإنَّ الحصون لمملوءة رجالاً ، فهلَّ إلى الصلح على ما ورائي» ، فصالحه خالد على كل شيء دون النفوس ، ثم قال مجاعة : «أنطلق إليهم وننظر في هذا الأمر، ، ثم أرجع إليك» ، فدخل مجاعة الحصون وليس فيها إلا النساء والصبيان ومشيخة فانية ورجال ضعفي ، فألبسهم الحديد ، وأمن النساء أن ينشرن شعورهن ويشرفن على الحصون ، ثم رجع إلى خالد فقال : « قد أبوا أن يجيزوا ما صنعت » ؛ فرأى خالد الحصون مملوءة ، وقد نهكت المسلمين الحربُ وطال اللقاء وأحبوا أن يرجعوا على الظفر ، ولم يدروا ماذا ليحدث لوكان فيها رجال وقنال ، لذلك صالح خالد مجاعة على الفضة والذهب والسلاح ونصف السبي ، وقيل ربعه ، فلما فتحت الحصون لم يكن فيها إلا النساء والصبيان والضعفاء ، فقال خالد لمجاعة : « ويحك خدعتني ! » ، فقال : « هم قومي ولم أستطع إلا ما صنعت » . ثم وصل بعد إبرام الصلح كتاب أبي بكر إلى خالد: « أن يَقتل كل محتلم » ، واكن خالداً وفي لهم ولم يغدر (٢) .

لقد كان عدد قوات المسلمين حوالى ثلاثة عشر ألف مقاتل ، وكان عدد رجال مسيلمة حوالى أربعين ألف مقاتل أو أكثر أن أى أن المشركين كانوا متفوقين تفوقا عدديا ساحقا على المسلمين ، ومع ذلك فقد استشهد من

<sup>(</sup>١) الطبري (٢/١٥).

<sup>(</sup>۲) الطبرى (۲/۲۱ه — ۱۸ه) وابن الأثير (۲/۱۳۹ — ۱۴۰) -

 <sup>(</sup>٣) جاء فى كتاب فضائل الفرآن لا نى كثير س (١٢) ملحق بالجزء التاسع من تنسير ابن كثير ما يلى : « التف حول مسيلة من المرتدين قريب من مائة ألف ، فجهّ ن الصديق أبو بكر لقتاله خالد بن الوليد فى قريب من ثلاثة عشر ألفاً » .

المسلمين ثلاثمائة وستون من المهاجرين والأنصار من سكان المدينة وحدها، وثلاثمائة من المهاجرين من غير أهل المدينة ، وثلاثمائة من التابعين<sup>(۱)</sup> ، مع شهداء آخرين ، فكان جملة من قتل من المسلمين ألف ومائتي شهيد<sup>(۲)</sup> ، منهم خسمائة من القراء<sup>(۳)</sup> ، ولهذا أشار عمر بن الخطاب على أبى بكر أن يجمع القرآن لئلا يذهب منه بسبب موت من يحفظه (<sup>1)</sup> .

أما بنو حنيفة ، فقد قتل منهم فى معركة الميامة أربعة عشر ألفا وقتل منهم فى الطلب سبعة آلاف (٥) ، أى أن نسبة شهداء المسلمين إلى قتلى المشركين تعادل سنة بالمائة (٢٠٪) فقط ، وهذا يُعدّ من أروع الانتصارات .

فا أسباب انتصار خالد فى هذه المعركة الحاسمة ، التى تُعدّ من أقسى وأعنف معارك حروب أهل الردّة ؟

إن مجمل الأسباب هي: أمر خالد الذي أصدره لرجاله بأن يمتازوا ، ووقوف خالد بين الصفوف يطلب المبارزة مما رفع معنويات رجاله ودفعهم للاقتداء بإقدامه، وتَحَيِّن خالد للفرصة السائحة للقضاء على مسيلمة ، واستقتال أهل النجدة والعقيدة الراسخة من المهاجرين والأنصار خاصة القراء الذين قتل منهم خسائة شهيد.

لقد أبلي خالد في قتال أهل الردة بلاء عظيما(١).

<sup>(</sup>١) الطبرى ( ٢/٦٦٠ ) وأبن الأثير ( ١٤٠/٢ ) .

<sup>(</sup>۲) الطبري ( ۲/۲ه ) .

<sup>(</sup>٣) الطبرى ( ١٦/٢ه ) وابن الأثير ( ١٤٠/٣ ) .

 <sup>(</sup>٤) فضائل القرآن لابن كنير - ص (١٢) - ملحق بالجزء التاسم في تفسير
 ان كثير .

<sup>(</sup>٠) الطبرى ( ٢/٦١ ه ) وابن الأثير ( ١٤٠/٢ ) .

<sup>(</sup>٦) الاصابة ( ٩٨/٢ ) وأسد الغابة ( ٢/٥٨ ) .

#### هازم الغيس بي العراق

﴿ عُبُرت النِّساء أن يلدن مثل خالد ﴾
 ( الصديق أبو بكر )

#### إلى العراق:

أرسل أبو بكر إلى خالد وهو باليمامة ، يأمره بالمسير إلى العراق ، وقيل بل قدم المدينة من اليمامة ، فسيّره أبو بكر إلى العراق (') . وهناك من يؤكد أن خالداً قدم المدينة من اليمامة ، ثم خرج منها إلى العراق ('') ؛ وهذا مانرجحه ، لأنّ تكليف خالد بمهمة شاقة كفتح العراق ، لابد وأن يحتاج إلى الاتصال الشخصى بينه وبين أبى بكر بالمدينة للمذاكرة حول هذه المهمة وتأمين كل متطلباتها العسكرية والإدارية .

سار خالد إلى العراق فى ألنى رجل ، وانضمّت إليه تمانية آلاف من ربيعة ومضر تحمَّدت فى مناطقها والنحقت به فى طريقه إلى العراق ، كا انضم إليه تمانية آلاف كانوا مع المثنى بن حارثة الشيبانى والقادة الآخربن فى العراق ، فكان مجموع جيش خالد الذى لتى به العدو فى أول معركة عانية عشر ألفا(٢).

<sup>(</sup>۱) الطبرى ( ۱/۲ه ه ) و ابن الأثير ( ۲/ب۱۶ ) والبلاذرى ص ( ۲٤۲ ) .

 <sup>(</sup>٢) البلاذري س ( ٢٤٣ ) والحراج س ( ١٦٩ ) .

 <sup>(</sup>٣) الطبرى ( ٢/٤٠٥ ) وإن الأثير ( ٢/٤٤ ) .

سلك خالد طريق (فيد) (() و (الثعلبية) (٦) حتى نزل (ببانقيا) (٦) و (بارُوشما) (٤) وغيرها من المدن والقرى في منطقة الحيرة (٥) ؛ وقيل: لما قدم خالد بن الوليد من (اليمامة) دخل على أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ، وخرج فأقام أياماً ، ثم قال له أبو بكر: «نهياً حتى تخرج إلى العراق » ، فوجهه أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه إلى العراق ، فخرج في ألفين ومعه من الاتباع مثلهم ، فرت بفايد (هي فيد ، وقد وردت هنا: في ألفين ومعه من الاتباع مثلهم ، فرت بفايد (هي فيد ، وقد وردت هنا: في ألفين ومعه خسائة من طبئي ومعهم مثلهم فانتهى إلى (شراف) ومعه خسة آلاف أو أقل أو أكثر ، فتعجب أهل شراف من خالد ومن عمه ووغولهم في أرض العجم ، فانتهوا إلى المغيثة (هي ما بين القادسية والعذيب) فإذا طلائع خيل العجم ، فنظروا إليهم ورجعوا ، فانتهوا إلى حصنهم ودخلوه ، فأقبل خالد ومن معه إلى الحصن فاصرهم وفتح الحصن وقتل من فيه من فأقبل خالد ومن معه إلى الحصن فأحره ما فيه من السلاح والمناع والدواب وهدم الحصن .

ثم انتهى إلى (العذيب) وفيه حصن فيه مسلحة لكسرى فواقعهم

<sup>(</sup>١) فيد : بليدة في نصف طريق مكة من الكوفة . راجع التفاصيل في معجم البلدان ( ٤٠٨/٦ ) .

 <sup>(</sup>٣) الثعلبية : من منازل طرق مكذ في الكوفة ، أسفل منها ماء راجع التفاصيل
 في معجم البلدان ( ١٤/٣ ) .

<sup>(</sup>٣) بانتيا : ناحية من نواحي الكوفة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣) . ( ١٥٠/٢ ) .

 <sup>(</sup>٤) باروسما : ناحیتان من سواد بغداد . راجع التفاصل فی معجم البلدان
 ( ٣٤/٢ ) .

<sup>(</sup>٠) الطبــرى ( ٢ / ٥٠١ ) وابن الأثير ( ٢ / ١٤٧ ) وفي الحــراج ص ( ١٦٩ — ١٦٠ ) .

خالد فقتلهم وأخذ ما كان فى الحصن من مناع وسلاح ودواب وهدم الحصن وضرب أعناق الرجال وسبى النساء والذرارى وعزل الحسن . . . فلما رأى ذلك أهل القادسية طلبوا الصلح وأعطوه الجزية .

ومضى خالد من القادسية حتى نزل النجف وبه حصن حصين لكسرى فيه رجال من أهل فارس مقاتلة ، فحاصرهم وافتتح الحصن . . . ثم بعث طليعة إلى أهل ( ألليس ) وفيها حصن فيه رجال ومسلحة لكسرى فحاصرهم وفتح الحصن . . . ثم مضى إلى الحيرة . . . إلخ . .

أقول: وهذه الرواية تؤيد دخول خالد من انجاه الحيرة أيضاً ، وقد رجحنا دخول خالد من جنوب العراق .

أمره أبو بكر أن يبدأ ( بالأبلة )(١) أى من منطقة البصرة حالياً(٢) ، ونرجح أنه بدأ من منطقة البصرة ، لأن قوات المثنى بن حارثه كانت تقاتل فى تلك المنطقة ، وهى القوة الرئيسية التى تقاتل فى العراق ، ولأن قوات خالد الأصلية فى اليامة وهى أقرب إلى منطقه البصرة ، ولأن أبا بكر أمر خالدا أن يبدأ بالأبلة وأمر عياض بن غنم أن يبدأ ( بالمُصَبِّخ ) أى أن خالداً بهاجم العراق من جنوبه وأن عياضاً بهاجمه من شماله (٢) ، وهذا قرار صحيح من الناحية العسكرية : لتفريق قوات العدو من جهة ولنضليل الفرس عن أنجاه التعرض الرئيس لقوات المسلمين فى جهة أخرى .

 <sup>(</sup>١) الأبلة: مدينة كانت مرفأ السفن القادمة من الصين . واجع الطبرى (٣-٣٠) وهي واقعة جنوب البصرة القديمة بمسافة خمسة عشر ميلا وجنوب مدينة الحصب بنحو مبلين . واجم التفاصيل في معجم البلدان (٨٩/١) .

<sup>(</sup>۲) الطبرى (۲/۶۰۰) وابن الأثير (۲/س۱۱). وأنظر طبقات ابن سعد (۲/۷۲) والاستيماب (۲/۰۷۱)

<sup>(</sup>۴) الطبرى (۲/۲۰۰).

كما أنه لا يمكن البدء من (الحيرة) وترك قوات معادية فى الجنوب، وذلك لاحتمال تطويق قوات المسلمين وتهديد سلامة تقدّمها إلى أهدافها بعد الحيرة باتجاه الشرق أو الشمال أو الجنوب.

# فى منطقة البصرة :

لما قدم خالد ( الأبكة ) فرسق جنده ثلاث فرق ولم يحملهم على طريق واحدة ، وكان على مقدمته المثنى بن حارثه الشيبانى ، و بعده عدى بن حاتم الطأمى، و جاء خالد بعدها وواعدهم (الحفير)(1) وهو من أقوى مناطق الفرس وأشدها شوكة ، وكان صاحبه (هرمز) من أبرز قادة الفرس يحارب العرب براً وبحراً (٢).

وتعجّل هرمز إلى ( الكواظم ) (٢) بقواته الخفيفة ، فسمع أن المسلمين تواعدوا ( الحفير ) فسبقهم إليه ونزل به واتخذ تشكيلات القتال ، واقترن رجاله بالسلاسل لئلا يفرسوا ، فلما علم خالد بأخبار الفرس مال بالناس إلى (كاظمة ) فسبقه (هرمز ) إلها . وجاء خالد ونزل على غير ماء ، وقال لأصحابه : « ليصيرن الماء لأصبر الفريقين وأكرم الجندين » (١٠).

و بعد اصطدام الطرفين ، خرج ( هرمز) فدعا خالداً للمبارزة مبيتاً الخيالة ، ونزل خالد ، ولكن حامية ( هرمز )

<sup>(</sup>١) الحفير : أول منزل من البصرة لمن يريد مكة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣٠٣/٣) .

<sup>(</sup>۲) الطبرى ( ۲/۲/۲ • • • • • ) وابن الأثير ( ۲/۲) .

 <sup>(</sup>٣) الكواظم: وهي كارظمة ، جو على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة ،
 بينها وبين البصرة مرحلتان . راجع التفاصيل في معجم البلدان ( ٢٠٨/٧ ) .

<sup>(</sup>٤) الطبرى ( ٢/٥٥٥ ) وابن الأثير ( ١٤٨/٢ ) .

حملت غدراً على خالد، فما شغله ذلك عن قتل (هرمز)، فأنهزم أهل فارس، و فطاردهم المسلمون إلى الليل<sup>(۱)</sup>

# في المذار (٢):

كتب (هرمز) إلى كسرى (أردشير) بخبر خالد، فأمده (بقارن) غرج من (المدائن) (المحتى النهى إلى (المدار)، وفيها بلغه مقتل (هرمز) واندحار جيشه، فضم (قارون) فلول جيش (هرمز) إلى قواته وعسكر (بالمدار) واتخذ تشكيلات القتال؛ فلما نزل خالد (المدار) التقى الطرفان هناك ، فاقتتلوا على حنق وحفيظة ، وخرج (قارن) يدعو للبراز ، فبرز له خالد وأبيض الركبان مَعقل بن الأعشى بن النبآش (المنه مقتل وقتله ، وقتلوا من الفرس مقتلة عظيمة (الله من المراز عن بثلاثين ألفاً سوى من غرق ، ولولا المياه التى منعت المسلمين من طلبهم لما أفلت من الموت منهم أحد (الهوت منه ما لهوت منه ما لهوت منهم أحد (الهوت منهم أحد (الهوت منه ما لهوت منه و الهوت و ا

<sup>(</sup>١) الطبرى ( ٦/٢ه ه ) وابن الأثير ( ١٤٨/٢ )

 <sup>(</sup>۲) المذار : في منطقة ( ميسان ) بين واسط والبصرة ، وهي قصية ( ميسان )
 بينها وبين البصرة مقدار أربعة أيام . راجع التفاصيل في معجم البلدان ( ٤٣٣/٧)

 <sup>(</sup>٣) المدائر : عاصمة كسرى تقع على تهر دجلة في موضع (سلمان باك) حالياً ،
 واسمها القديم (توسفون) وعرسوه على (الطيسفون) . راجع معجم البلدان ( ١٣/٧ ٤) .

<sup>(</sup>٤) معقل بن الأعشى بن النباش ؛ كان يعرف بأبيض الركبان ، وكان ذكياً مدركاً وله مثاهد مشهورة في قتال الفرس ، وكان مع خالد بن الوليد من سنة اثنتي عشرة ومابعدها . راجم الاصابة ( ١٧٩/٦ ) .

<sup>(</sup>ه) الطبري ( ٧/٢ه ه ) وابن الأثير ( ١٤٨/٢ ) .

 <sup>(</sup>٦) الطبرى ( ٢/٨٥٥ ) وأبن الأثير ( ١٤٨/٢ ) .

وصلت أنباء اندحار الفرس في (المذار) إلى (أردشير) فبعث (الأندرزغر) وكان فارسياً من مولدى السواد، وأرسل (بَهْمَنِ جَاذَوَيهُ) في أثره على رأس جيش فارسى، فسار (الاندرزغر) حتى أتى (كَسْكُر) (المورها إلى (الولجة)، وخرج (بهمن جاذويه) في أثره وأخذ غير طريقه، في سلك وسط السواد، وقد حشر بعض العرب الساكنين ما بين الحيرة وكسكر؛ فلما أكمل الفرس تحشّد قواتهم في (الولجة) أجمع قائدهم السير إلى خالد، ولكن خالداً سار من المذار إلى الولجة وخلف سويد بن مقرن المزني (اولجة) أمره بازوم (الحفير)، وتقدّم إلى مَن خلف في أسفل دجلة، المزير وقلة الغفلة وترك الغرور جانباً.

وصلت قوات خالد (الولجة) فنشب القتال واقتتلوا قتالاً شديداً حتى ظن الطرفان أنَّ الصبر قد أفرغ ، وكان خالد قد وضع لهم كميناً في ناحيتين ، فاستبطأ خالد كمينه ، ولكن الكمين حرج من وجهين ، وبذلك أصبح الفرس مطوّقين من كافة الجهات: قوات خالد من الأمام والكمين من الخلف ، مما أدى إلى انهيار مقاومة الفرس ، فهرب قائدهم ومات عطشا(1).

<sup>(</sup>١) الولجة : موضع تما يلى البر بأرض كسكر . واجع التناصيل في معجم البلدات . (٣٣/٨ ) .

 <sup>(</sup>۲) كسكر : كورة واسعة قصبتها مدينة واسط ، وهي بين البصرة والكوفة .
 راجع التفاصيل في معجم البلدان ( ۲۰۲/۷ ) .

<sup>(</sup>٣) سترد ترجمته مع قادة الفتح الإسلاى ، إذ هو أحد القادة الفاتحين .

<sup>(</sup>٤) الطبرى ( ٣/٨٥ ٥ - ٥٥٥) وابن الأثير ( ١٤٨/٢) ، وقد قام خالد في الناس خطيباً وقال : ﴿ أَلَا رُونَ إِلَى الطمام كَرفَعَ ( رفَعَ : الأَرْضَ السَكَثَيرة التراب ) التراب ، وبالله لو لم يلز منا الجهاد في الله والدعاء إلى الله تعز وجل ، ولم يكن إلا المماش ، لسكان الرأى أن نقارع على هذا الريف ، حتى نكون أولى به ، و ولى الجوع والاقلال من تولاه ممن أثاقل عما أنتم عليه ﴾ . ثم بذل الأمان الفلاحين وسبى ذرارى المقاتلة و من أعانهم. راجع الطبرى ( ٢/٢ ٥ ٥ ه ) وابن الأثير ( ١٤٨/٢ )

# في أُلَّيْس (١):

أصاب خالد يوم (الولجة) من نصارى بكر بن وائل الذين أعانوا أهل فارس، فغضب لهم نصارى قومهم واجتمعوا إلى ( أُليّس ) . وبلغ ذلك (أردشير)، فكتب إلى (بهمن جاذويه) «أن سرحتى تقدم (أليّس) بحيشك إلى من اجتمع بها من فارس ونصارى العرب». فقدم (بهمن جاذويه) أمامه (جابان) ؛ فلما نزل (أنيّس) اجتمعت إليه المسالخ التي كانت بإزاء العرب، انضم إليه النصارى من بكر الذين كانبوا الأعام.

وصلت قوات خالد، فوجدت القوات الفارسية تتناول طعامها، فهاكادت تحط قواته أثقالها حتى عاجل الفرس بالقتال. وبرز خالد أمام الصف وهو ينادى قادة العرب النصارى للبراز، وماكاد يخرج إليه أحدهم إلا وقتله بسرعة خاطفة، فترك الأعاجم طعامهم وصبروا للمسلمين على أمل ورود المدد إليهم ورأى خالد صبرهم وقوة تجلّدهم، فتوجة إلى ربه يستنصره ويقول: «اللهم إنّ لك على إن منحنا أكتافهم، ألا أستبقى منهم أحداً قدرنا عليه، حتى أجرى نهرهم بدمائهم ١».

وضيق خالد الخناق على الفرس حتى انهزموا ، فأمر خالد مناديه فنادى في الناس: «الأسر االأسر . . . لاتقتلوا إلا من امتنع » فأقبلت الحيول بهم أفواجاً مستأسرين يساقون سوق النعم ، فوكل بهم رجالا يضربون أعناقهم في النهر ، واستمر هؤلاء يوماً وليلة دون أن يجرى النهر دماً ، فقال له بعض أصحابه : « لو أنك قتلت أهل الأرض لم تجر دماؤهم ! . إن الدماء لاتزيد

(٢) السالح : جمع مسلحة ، والمسلحة : القوم ذو سلاح ، وقد تطلق على الثفر .

<sup>(</sup>١) أليس : موضع في أول أرضى العراق من ناحية البادية ، وهي قرية من قرى الأنبار . راجع التفاصيل في معجم البلدان ( ٣٢٨/١ ) .

على أن تترقرق منذ نهيت عن السيلان ونهيت الأرض عن نشف الدماء ، فأرسل علمها الماء تبرّ بيمينك » ، وقد كان صدّ الماء عن النهر ، فأعاده ، فجرى دماً عبيطاً (١) ، فسمى : نهر الدم (٢) .

ولم يترك خالد فرصة لنحشد العدو، بل أتى (أَمَغِيَشَيَا) ما أَمَا فأصاب المسلمون فيها ما لم يُصيبوا مثله ، لأن أهلها أعجابهم المسلمون أن ينقلوا أموالهم وأثاثهم وكراعهم وغير ذلك ، فلما بلغ أبا بكر أخبار انتصارات خالد ، قال : « عجزت النساء أن يلدن مثل خالد ؟ » (1)

## فى الحيرة<sup>(ه)</sup> :

قدّر صاحب (الحيرة) أن خالداً لن يتركه وأنه سيركب إليه النهر ، فقدّم ابنه وأمره أن يسدّ قناطر الفرات يعوّق بذلك سير السفن ، ثم خرج فى أثره وعسكر خارج الحيرة .

<sup>(</sup>١) عبيطاً : طرياً .

<sup>(</sup>۲) لما هزم الفرس وأجلوا عن عسكرم ورجع المسلمون من طلبهم ، وقف خالد على الطعام الذي كان الفرس ، فقال لجيشه : « قد نفلتكوه ، فهو لكم » فقعد عليه المسلمون المشائهم بالليل ، وجعل كمن لم يعرف الرقاق يتول : ما هذه الرقاق البيض ؟! وجعل كمن عرفها يقول ، لهم مازحاً : هل سمتم برقيق العيش ؟ فيقولون : نعم ! فيقولون هذا هو ! . راجم الطبرى ( ١٤٩/٣ ) .

 <sup>(</sup>٣) أمنيشيا . كانت مصراً كالحيرة ،وكانت ( أليس ) من مسالحها . الطبرى .
 ( ٦٣/٣ ه ) . وهي موضع كان بالعراق ، أس خالد بهدمها ، وكانت مصراً كالحيرة . راجع التفاصيل في معجم البلدان ( ٣٣٦/١ ) .

 <sup>(</sup>٤) إن الأثير ( ١٤٩/٢ ) . وفي الطبرى ( ٦٣/٢ ) جاء نص هذه السبارة
 كما يلي : قال أبو بكر رحمه الله حين بلغه انتصار خالد : « يامعتبر قريش ! عدا أسدكم
 على الأسد فقلبه على خراذيله . وأعجزت النساء أن مينشئوا مثل خالد ! » .

<sup>(</sup>٥) الحيرة : مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة ، على موضع يقال له النجف راجع التفاصيل في معجم البلدان ( ٣٨٦/٣ ) .

وحمل خالد رجاله فى السفن وسار شمالا باتجاه الحيرة ، فلم يفجأ المسلمين إلا السفن جوانح ، فقال الفلاحون : إنّ الفرس قد فجرسوا الأنهار فسلك الماء غير طريقه ! . فتعجل خالد فى جريدة من الخيل نحو ابن صاحب الحيرة ، فباغت خيله على فم (العتيق) (1) وهم آمنون من الغارة فى تلك الساعة ، فاقتتلوا بموضع (المقر ) حتى هزمهم بعد أن قتل ابن صاحب الحيرة ، وأعاد الماء يجرى فى النهر ، فعادت سفن المسلمين إلى المسير .

وقصد خالد الحرة ، فوجد أهلها متحصنين داخلها ، وقد فر صاحبها بعد ما علم بموت (أردشير) وقتل ابنه ، فعسكر خالد بين (الغربين) (الأوليس وأجال خيله في عرصاتهم (الأبيض وأجال خيله في عرصاتهم (القربين) ووكل لكل قصر قائداً يحاصر من فيه ويقاتلهم ، وعهد إلى أولئك القادة : أن يدعوهم ، فإن لم يقبلوا أتجلوهم يوماً ثم يناجزونهم .

وبعد قتال افتتح المسلمون الدور والدّيرات وأكثروا القتل ، فنادى القسيسون والرهبان : يا أهل القصور : القسيسون والرهبان : يا أهل القصور : يامعشر العرب ! قد قبلنا واحدة من ثلاث ، فكفوّا عناحتى تبلغونا خالداً ؛ فكفوّا عنهم وأرسلوهم إلى خالد.

وخلا خالد بأهل كل حصن على حدة ولامهم (°) ، وقال : « اختاروا

<sup>(</sup>١) العتيق : يقصد به مصب الفرات الأصلى في بعض الفروع ، والموضع قريب من مدينة الكوفة .

 <sup>(</sup>۲) المتر : ( فم العتيق ) ، موضع قرب فرات بادقلي من ناحية البرمن جهة الحيرة .
 (۳) الغربيان : إبناءان كالصومة بن بظاهر السكوفة قرب قبر على بن أبى طالب رضى

<sup>(</sup>٣) الغربيان : يكاءان كالصوممين بصاهر المسلود عرب رو ي ال ال الله عنه . راجع التفاصل في معجم البلدان ( ٢٨١/٦ ) .

<sup>(</sup>٤) عرصات جَمَّع عَرَصة وهي كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء .

<sup>(</sup>ه) قال خالد في لومه لهم: « ويحكم ، ما أنتم ؟! أعرب فيا تنتمون من العرب؟!

أو عجم ؟ فما تنقمون العدُّل والأرنصاف؟ ﴿ » راجع الطبرى ( ٢/٥٣٠ ) .

واحدة من ثلاث: أن تدخلوا فى ديننا فلكم ما لنا وعليكم ماعلينا ، والجزية ، أو المنابذة (١) والمناجزة » فقالوا له : بل نعطيك الجزية 1 فقال خالد : «تبالكم ا وبحكم ! إن الكفر فلاة (٢) مضلة فأحمق العرب من سلكها ، فلقيه دليلان ، أحدها عربى فتركه واستدل (٢) الأعجمي 1 » .

وعقد خالد معاهدة صلح (<sup>1)</sup> بينه وبين أهل الحيرة ، وبذلك فتحت الحيرة أبوابها للمسلمين <sup>(ه)</sup>.

ولما استقرّ خالد في الحيرة ، صالحه صاحب ( قُسّ الناطف )(١)

<sup>(</sup>١) للنابذة : تحـيّر كل من الفريقين للحرب .

<sup>(</sup>٢) الغلاة : الصحراء .

<sup>(</sup>٣) استدل : طلب منه أن يدل.

<sup>(</sup>٤) نس الماهدة: بسم الله الرحن الرحم ، هذا ما عاهد عليه خالد بن الوايد عدياً وعمراً بن عدى ، وعمرو بن عبد المسيح ، وألياس بن قبيصة ، وجبرى بن أكال ، وم نقباء أهل الحيرة وأمروم به . عاهدم على مائة ألف و تسعين ألف درم ، تُقبل في كل سنة جزاء عن أبديهم في الدنيا ، رهبانهم وقسيسهم ، إلا من كان منهم على غير ذى بد ، حبيساً عن الدنيا ، تاركا لها ؛ وعلى المتعة ، فأن لم يمنعهم فلا شيء عليهم حتى يمنعهم ؛ وإن غدروا بغعل أو قول ، فالذمة منهم بريئة ، واحج العاضي أبي يوسف سريئة ، واحج العلمي ( ٢٧/٣ ) ، وأنظر كتاب الحيرة الذي أعلن فيه التأمين الاجتماعي ضد من ( ١٧١ ) نص كتاب خلد إلى أهل الحيرة الذي أعلن فيه التأمين الاجتماعي ضد الشيخوخة والمرض والفتر : « وجعلت لهم أبما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الأفات أو كان غنياً فافتةر وصار أهل دينه بتصدقون عليه ، طرحت جزيته وعيل من الأفات أو كان غنياً فافتةر وصار أهل دينه بتصدقون عليه ، طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين وعباله ما أقاموا بدار الإسلام » .

<sup>(</sup>ه) الطبرى ( ۲/۳۲ه – ۲۷ه ) وابن الأثير ( ۱٤٩/۲ – ۱۰۰ ) والبلاذرى ص ( ۲٤۵ ) .

 <sup>(</sup>٦) قس الناطف : موضع قريب من الكوفة على شاطىء الفرات المصرق . راجع التفاصيل فى معجم البلدان ( ٨٨/٧ ) .

ودهاقین<sup>(۱)</sup> البلاد علی قری السواد إلی ( هُرُمُزُ حِرِّد )<sup>(۱)</sup> ، وجعل خالد الحیرة مقراً لقیادته <sup>(۱)</sup> .

في الأنبار (\*):

سار خالد فى تعبية إلى (الأنبار) وعلى مقدمته الأقرع بن حابس فلها بلغها طاف بها ، فرأى أهلها قد تحصّنوا وخندقوا عليها وأشرفوا من حصونهم ، فأنشب خالد القتال وكان قليل الصبر عنه . وتقدّم إلى رمانه ، فأوصاهم قائلا: « إنى أرى أقواماً لا علم لهم بالحرب، فارموا عيونهم ولا توخّوا غيرها » فرموهم ففقتوا ألف عين يومئذ ، فسميت تلك الوقعة باسم : وقعة خات العيون !

ولما رأى صاحب الأنبار - وهو فارسى - ذلك ، راسل خالداً في الصلح على أمر لم يرضه خالد ، فرد رسله ونحر من الإبل كل ضعيف وألقاه في خندقهم ، ثم اقتحم الخندق ! فأرسل قائد الأنبار الفارسي إلى خالد وبذل

<sup>(</sup>۱) دهاقين : جمع دهممان - بكسر الدال وضمها - وهو زعيم فلاحي العجم المسال المسا

 <sup>(</sup>۲) هرمز جرد : ناحیة کانت بأطراف العراق . راجع معجم البلدان ( ۱۰۱۸ ) ...
 (۳) راجع الطبري ( ۱۰۱/۲ » - ۸۵ » ) وان الأثیر ( ۱۰۱/۲ – ۱۰۲ ) ...

<sup>(</sup>٤) الأنبار : مدينة على الفرات في غربي بقداد ، بينها عشر فراسخ . راجع التفاصيل في معجم البلدان ( ١ / ٣٤٠) وهي في منطقة مدينة الفلوجة حالياً .

<sup>(</sup>ه) الأقرع بن حابس النميمي كان حكيماً في الجاهلية ، ثم قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في أشراف بني تميم بعد فتح مكة ، وكان قد شهد معه فتح مكة وحنيناً والطائف ، فلما قدم وفد بني تميم كان معهم . وكان من رجالات العرب الذبن يتألفهم الرسول صلى الله عليه وسلم وكان شريفاً في الجاهلية والإسلام ، شهد مع خالد الممامة وحرب العراق وفتح الأنبار ومات شهيداً في أرض خراسان في زمن عثمان بن عفان ، وقيل قتل باليرموك . راجع طبقات ابن سعد ( ٣٧/٧ ) والاصابة ( ١٠٨٨ ) وأسد الغانة قتل باليرموك . راجع طبقات ابن سعد ( ٣٧/٧ ) والاصابة ( ١٠٨٨ ) وأسد الغانة

ما أراده ، فقبل منه غلى أن يحلّبه ويلحقه بمأمن فى جريدة (١) خيل ليس معهم من المتاع والأموال شيء.

و بعد أن استقر خالد فى الأنبار ، صالح مَن حولها ، فاطمأن له الأمر فى تلك المناطق (٢٠) .

# فى عين التمر<sup>(٣)</sup>:

كان على (عين النمر) يومند (مهران بن بهدام جوبين) الفارسي في جمع عظيم من العجم والعرب، وكان على العرب عقة بن أبي عقة في جمع عظيم من العرب، وحين سمموا بمسير خالد إليهم، قال عقة لمهران: « إنّ العرب أعلم بقتال العرب، فدعنا وخالداً ». قال: «صدقت، لعمري أنتم أعلم بقتال العرب، وإنكم لمثلنا في قتال العجم»، فحدعه وورّطه واتّتى به وقال: «دونكوهم، وإن احتجم إلينا أعتّاكم !».

وكانت قوات عقّة فى العراء ، وكانت قوات مهران فى ( الحصن ) (1) حين قدم خَالد على تعبية ، فقال لمجنبتيه : « اكفونى ما عنده فإنى حامل عليه » ، ووكل بنفسه حوامى ، ثم حمل على عقّة وهو يعدّل صفوفه ، فاحتضنه وأخذه أسيراً ، فانهزم جنده وطاردهم المسلمون وأمعنوا فى أسرهم .

ولما جاء الخبر إلى (مهران) هرب في جنده وترك الحصن. وانتهت

<sup>(</sup>١) جريدة : خيل لارجالة فيها .

 <sup>(</sup>۲) الطبرى ( ۴/۲۰۰ – ۲۱۰ ) وان الأثير ( ۲/۲۰۱ ) .

 <sup>(</sup>٣) عين التمر ( بلدة قريبة من الأنبار ، غربي الكوفة بقرسها موضع يقال له
 ( شفائاً ) . راجم معجم البلدان ( ٢/٣٠٢ ) .

 <sup>(</sup>٤) الحسن : لا تزال أطلال هذا الحسن باقية حتى اليوم ، ويسمى قصر الأخيضر ، أطلق عليه هذا الاسم بعد الإسلام ، بينماكان بناء الحسن نفسه قبل الإسلام .

فلول عقة إلى الحصن فاقتحموه واعتصموا به . ونزل خالد على الحصن وحاصره ، وكانوا يتوقعون أن يكون خالد كغيره ممن كان يغير عليهم من العرب لا يلبث أن يتركهم متى ظفر بالغنائم والأموال ، فلما رأوه غير تاركهم طلبوا الأمان ، فأبى إلا أن ينزلوا على حكمه ، فأجابوه إلى ما طلب وفتحوا له باب الحصن ، فاعتقلهم وقتلهم جميعاً (١٠) .

### فى دُوْمَة الجندل (٢):

كان خالد قد أرسل الوليد بن عقبة بفتح عين التمر وبالأخماس إلى أبي بكر الصديق ، فوجهه أبو بكر مدداً لعياض بن غنم (٢) ، فقدم عليه وهو محاصر ( دُوْمَة الجندل) وأهلها محاصروه وقد أخذوا عليه الطريق ، فقال الوليد لعياض : « الرأى في بمض الحالات خير من كثيف الجند! ابعث إلى خالد فاستمده » ، ففعل عياض .

وقدم رسول عياض على خالد بعد وقعة عين التمر مستغيثاً ، فعجّل خالد إلى عياض بكتابه : « من خالد ، إلى عياض · إياك أريد »

« لَبَّتْ قَلْيلاً تَأْتَكُ الحَلاثِبِ يَحْمَلُن آسَاداً عَلَيْهَا القَاشَبِ « لَبَّتْ قَلْيلاً تَأْتُب » كَتَاتُب تَتْبِعْها كَتَاتُب »

وخرج خالد على تعبية يسرع السير جهده ، فلما بلغ أهل دُومة مسير خالد إليهم بُهتوا ، ثم اختلف زعماؤهم فيما يصنعون ، وكان عليهم رئيسان: أكيدر بن عبد الملك والجودى بن ربيعة ، فقال أكيدر : « أنا أعلم الناس

<sup>(</sup>١) الطبرى ( ٢/٢٥ -- ٧٨٥ ) وابن الأثير ( ١٠١/٢ ) .

<sup>(</sup>٢) دومه الجندل : راجع التسلسل ( ١٢٧ ) .

<sup>(</sup>٣) عياض بن غنم : سترد ترجمته مع قادة الفتيح الإسلامي .

بخالد 1 لا أحد أيمن طائراً منه ، ولا يرى قوم وجه خالد قلّوا أو كثروا إلا انهزموا عنه ، فأطيعونى وصالحوا القوم » . . . فأبوا !

ولما نزل خالد دومة ، جعلها بينه وبين عسكر عياض ، فخرجت إليه بعض قوات الحصن ، فهزمهم خالد وأخذ الجودى أخذا .

وانهزم المشركون إلى الحصن ، فلما امتلاً أغلق مَن فيه أبوابه دون أصحابهم وتركوهم عرضة للمسلمين يقتلونهم ويأسرون منهم مَن يشاءون .

وأطاف خالد بباب الحصن فأمر به فاقتلع . واقتحم المسلمون على من فيه ، فقتلوا كافة المقاتلة إلا أسارى بنى كلب ، فإن عاصم بن عمر والتميمى والأقرع بن حابس التميمى وبنى تميم ، قالوا : قد أثناهم ! فأطلقهم خالد وقال : « مالى ولكم 1 أتحفظون أمر الجاهلية وتضيّعون أمر الإسلام ؟ ! » .

وأقام خالد بدومة الجندل وردّ الأقرع بن حابس إلى الأنبار (۱) ، فكانت إقامته مدعاة لطمع الأعاجم وظهم به الظنون ، وكذلك ظنها عرب الجزيرة (۲) فرصة سائحة ، فكاتبوا الأعاجم ليكونوا معهم على خالد غضباً لعقّة بن أبى عقّة الذي لم ينسوا مصرعه بعد ، فبعث خالد القعقاع بن عمرو التميمي إلى الخصيد) (۲) ، فقضى على قوات الفرس وحلفائهم فيها ، وبعث أبا ليلى

<sup>(</sup>۱) الطبرى ( ۲/۸۷ -- ۸۰ ) وابن الاثنير ( ۲/۲۰۱ ) .

 <sup>(</sup>۲) الجزيرة: وهى التى بين دجلة والفرات مجاوزة أرض الشام ، وتشمل على ديار مضر وديار بكر . سميت الجزيرة لا نها بين دجلة والفرات . راجع التفاصيل في معجم البلدان ( ۹٦/۳ ) .

 <sup>(</sup>٣) الحصيد : موضع في أطراف المراق من جهة الجزيرة . راجع التفاصيل في معجم البلدان ( ٣/ ٢٨٨ ) .

ابن فدكى<sup>(۱)</sup> إلى ( الخنـافس )<sup>(۲)</sup> ، فهربت من هناك قوات الفرس وحلفاؤهم<sup>(۲)</sup>.

# في المُصَيِّخ (1)

لما انتهى الخبر إلى خالد بمصاب أهل (الحصيد) كتب إلى قادته وواعدهم ليلة وساعة بجتمعون فيها إلى (المُصَيِّخ) ، فتوافوا إليها في موعدهم وبيّنوا عدوّهم من ثلاثة اتجاهات وهم نائمون ، مما أدى إلى قتل أكترهم وفرار أقلّهم (٥٠).

# في الثنَّى والرُّمُلِيل :

علم خالد بتحشَّد بعض بني تغلب في ( الثِّنِّي )(١) و ( الزُّمَيِّل )(٢)

(۱) أبو ليلي ن مكى : قال :

وقالوا ما تريد فقلت أرمى جمهوعاً بالخيها الحيه والم فدونكو الحيول فألجوها إلى قوم بأسفل ذي أنول فلما أن أحسوا ما تولوا ولم يغررهم صَبِّح الفيول وفينا بالخنافس باقيات لمهبوذان في جتح الأمسيل راجم معجم البلدان (٤٦٨/٣).

(۲) ألخنافس: أرض للمرب في طرف العراق قرب الأثنيار . واجع التفاصل
 في معجم البلدان ( ٤٦٨/٣ ) .

(٣) الطبرى ( ٣/٧٨ ه ) وابن الاثمير ( ٣/٧ه ١ ) .

(٤) المصبح: ورد إسها فى الطبرى (٢/٥٥) وابن الاثنير (١٠٢/٢) . ( المُنصَبح) بينا وردت فى معجم البلدان ( المصبخ) وهى بين حوران والقلت . راجم معجم البلدان ( ٧٩/٨) .

(ه) الطبرى (٢٪٠٨ه – ٨٠٠).

(٦) الثنى: موضع بالجزيرة قرب الرصافة. راجع معجم البلدان ( ٢٦/٣ ) وهذه الرصافة هى رصافة هشام التى بناها غربى الرقة . راجع معجم البلدان ( ٤/٥٠٢ ) .
 (٧) الزميل : موضع في ديار بكر وهي عند (البشر ) بالجزيرة شرق الرصافة . راجع .

معجم البلدان (٤٠٥/٤) .

استعداداً لقتال المسلمين غضباً لعقة بن أبى عقة ، لذلك أم خالد القعقاع وأبا ليلى أن يرتحلا أمامه وواعدهم ليلة ليغيروا على بنى تغلب من ثلاثة اتجاهات كما فعل فى معركة ( المصيخ ) ؛ ثم خرج فبدأ (بالثنى) واجتمع بأصحابه فبيتوا بنى تغلب ، فلم يفلت منهم مخبر .

### فى الفراض(٢):

سار خالد من (الرضاب) إلى (الفراض) ، وهي تخوم الشام والعراق والجزيرة ، وأفطر بها رمضان لاتصال الغزوات ، فلما اجتمع المسلمون بالفراض حشد الروم قواتهم واستعانوا بمن يليهم من مسالح الفرس فأعانوهم ، واجتمع معهم تغلب وإياد والتمر وساروا جميعاً إلى خالد ؛ فلما بلغوا الفرات ، قانوا له : إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم ! . فقال خالد : « اعبروا أسفل منا » تنح عن طريقنا حتى نعبر ، فقال : « لا أفعل ! ولكن اعبروا أسفل منا » فعبروا أسفل من خالد وعظم في أعينهم .

وقالت الروم: امتازوا حتى نعرف اليوم مَن يثبت ممن يولى : ففعلوا .

43

 <sup>(</sup>۱) الرضاب: موضع الرصافة قبل بناء هشام إياها . راجع التفاصيل في معجم البلدان (۲۰۹/۶) وهذه الرصافة هي التي تدعى (رصافة الشام) وهي غربي الرقة بناها هشام.راجع النفاصيل في معجم البلدان (۲/۵/۶) و (۲۰۹/۶)

<sup>(</sup>۲) الطبرى ( ۲/۲ه ) وابن الأثير ( ۱۵۳/۲ ) ٠

 <sup>(</sup>٣) الفراض: موضع على تخوم الشام والعراق والجزيرة في شرقى الفرات . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣٥٠/٦) .

ونشب القتال بشدة وعنف ، فانهزم الروم ومَن معهم ، فأم خالد ألا يرفهوا عنهم ، فقتل منهم في المعركة والطلب حوالي مائة ألف . وأقام خالد بالغراض عشرة أيام ، نم أذن بالرجوع إلى الحيرة (١) ، وأظهر أنه في الساقة ، ولكنه ترك العراق سراً إلى الحجاز ليؤدى فريضة الحج ، فأتى مكة وحج ورجع ، فما توافى جنده بالخبر حتى وافاهم مع صاحب الساقة ، ولم يعلم بحجه غير مَن أعلمهم هو به ، ولم يعلم أبو بكر به إلا بعد رجوعه ، فعتب عليه وأمره ألا يعود لمثلها أبدا (١) .

 <sup>(</sup>١) الطبرى ( ٢/٢ ٥ - ٥٨٣ ) وابن الأنير ( ٢/٣٥١ ) .

<sup>(</sup>۲) الطبرى ( ۲/۴۸ س ۸۰۰ ) وابن الائير ( ۲/۳۵۲ ) .

#### هازم الروم بئ أيضالشأم

و والله لأنسيكن الروم وساوس الشيطان بخاله بن الوليد »
 ( أبو بكر الصديق )

### إلى أرمض الشام :

### ١ – أسباب نقسله :

كتب أبو بكر إلى خالد: «سرحتى تأتى جموع المسلمين باليرموك، فإنهم قد شَجوا وأشجوا (') ، وإياك أن تعود لمثل ما فعلت (') ، فإنه لم يشج الجموع من الناس بعون الله شجاك ، ولم ينزع الشجا من الناس نزعك . فليهنك أبا سليان النية والحظوة ، فأتمم يتمم الله لك ، ولا يدخلنك عجب فتخسر وتُخذل ، وإياك أن تدل بعمل ، فإن الله عز وجل له المن وهو ولى الجزاء (')».

ومن الواضح ، أن أبا بكر الصديق ، أراد: أن المسلمين ضاقوا بعدوّهم وضيّقوا عليه ، حتى كان بعضهم لبعض كالشجافى الحلق ، وأن خالداً هو القائد المناسب للقضاء على وساوس الروم وحشودهم .

وهناك مَن يرى أنّ صرف خالد من العراق إلى الشَّام كان عقوبة له على تركه جيشه وذهابه إلى الحج بدون علم وموافقة أبى بكر<sup>(١)</sup> ؛ وأرى أن

<sup>(</sup>١) الشجا هنا : العصس .

<sup>(</sup>٢) بريد : لا تمود لمخالفة الا وامركالدهاب إلى الحج بدون علم الحليفة وموافقته .

<sup>(</sup>٣) الطبرى (٢/٨٤٠) .

<sup>(</sup>٤) الطبرى ( ۲/۴٪ ۵ ) وابن الاثنير ( ۱۰۳/۳ ) .

نقله كان اعتماداً على قيادته الحكيمة المتفوقة ، بعد أن حشّد الروم قوات كبيرة لصد المسلمين عن فتح أرض الشام ، وبعد أن مجز قادة جيوش المسلمين في أرض الشام عن معالجة الموقف ، يؤيّد ذلك ، أنه لما نزل المسلمون اليرموك استمّدوا أبا بكر ، فقال : « خالد لها » فبعث إليه بالمراق ، وعزم عليه واستحثّه في السير (۱) ، وقال أبو بكر : « والله لأنسيّن الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد » (۱) .

لقد أصبح الروم خطراً داهماً على المسلمين فى أرض الشام، فهابهم المسلمون، و فزعوا جميعاً بالرسل والكتب يستمدون أبا بكر<sup>(٢)</sup>، فمن غير خالد يستطيع بيسر وكفاءة معالجة مثل هذا الموقف العصيب ؟

#### ۷ — منصبه

هناك من يرى أن صرف خالد من العراق إلى الشام كان مدداً لجيوش المسلمين وقائداً على أهل العراق فقط ، وأنه عرض على القادة بعد وصوله أن يقود كل واحد منهم يوماً واحداً : « فلنتعاور الإمارة ، فليكن عليها بعضنا اليوم والآخر غداً والآخر بعد غد حتى يتأمّم كلّم (1) » . وهناك من يرى أن أبا بكر أرسله قائداً عاماً على جيوش المسلمين في أرض الشام: « إنى قد وليتك على جيوش المسلمين وأمرتك بقتال الروم (٥) » .

<sup>(</sup>١) الطبري ( ٢/٠/٩٥ ) .

<sup>(</sup>۲) الطيري (۲/۲) .

 <sup>(</sup>٣) الطبري ( ٢/٠/٢٥ - ١٩٥ ) .

<sup>(</sup>٤) الطبري(٣/٣)ه ) وابن الاثنير ( ٨/٢ ه ١ ) وطبقات ابن سعد (٣٩٧/٧ ) . . .

<sup>(</sup>ه) انظر نص كتاب أبي بكر إلى خالد في فتوح الشام الواقدي ( ١٤/١ ) وانظر

الاتَّخاني ( ٢٦/١٤ ) ، وفي البلاذري ص ( ١١٧ ) أن أبا يكر جعله أمير الا مراء: في الشاء.

لقد كانت خطة أبى بكر فى توليته القادة ، أن يبعث قائداً على رأس جيش إلى منطقة معينة ، كا فعل عند إرسال القادة لفتح أرض الشام بالذات (١) ، وهذا إجراء منطق وضرورى من الناحية العسكرية حتى يكون كل قائد حراً فى معالجة موقفه الراهن مستقلاً فى تصريف أموره ضمن واجبه ، ولـكن خطة أبى بكر أيضاً أن يوحد القيادة عندما يجتمع جيشان أوأ كثر فى منطقة واحدة كا فعل فى حروب الردة مثلاً (٢) ، وهذا إجراء منطق وضرورى للغاية من الناحية العسكرية أيضاً ، حتى يسيطر قائد واحد على توجيه جيوشه إلى أهدافها دون معارضة أو تردد أحد مهما تكن أسباب المعارضة والتردد ، لذلك أرجح أن أبا بكر بعث خالداً إلى أرض الشام بعد اجتماع جيوش المسلمين فى اليرموك قائداً عاماً لا قائداً على أهل العراق فقط .

والحق، أن العقل لايكاد يستسيغ، كيف نجتمع جيوش المسلمين ولاتوحّد قيادتها، وكيف يمكن أن يتعاور القيادة بضعة قادة فيما بينهم، فيقود جيوش المسلمين واحد منهم هذا اليوم ثم يقودها غيره غدا! 1

إن خالداً نقل من منصب القائد العام فى العراق إلى منصب القائد العام فى أرض الشام .

#### ٣ – في الطريق :

كان موقف المسلمين حرجاً فى أرض الشام ، وكان عامل الوقت بجانب الروم أفادوا منه فى زيادة تحشد قواتهم وإكال تزويدها بالمعدات ، لذلك كانت

<sup>(</sup>۱) الطبرى ( ۲/۵۸۵ ) وابن الاثنير ( ۱۰۶/۲ ) وفتوح الشام للواقب دي ( ۱۶/۱ ) والبلاذرى .

<sup>(</sup>۲) الطبرى ( ۲۹/۲ه ) وابن الاثنير ( ۱٤٣/۲ ) .

أوام أبي بكر التي أصدرها لخالد تنص بصراحة على سرعة التحاقه بجيوش المسلمين في البرموك لله ملك أقصر طريق أمين من ناحية عدم وجود مقاومة معادية كبيرة فيه ، ذلك هو طريق: الحبرة للها من بني كلب ، وادى سرحان ، حتى إذا بلغ (قراقر) (۱) أغار على أهلها من بني كلب ، وهناك استشار أصحابه قائلا: «كيف لى بطريق أخرج فيه من وراء جموع الروم ، فإ في إن استقبلها حسبتني من غياث المسلمين!؟ » ، فأجابوه: لا نعرف إلا طريقاً لا يحمل الجيوش ، إنما يأخذه الفذ الراكب ، فأباك أن تغرر بالمسلمين » ، فمزم عليه فلم يجبه إلى ذلك غير رافع بن عميرة الطائي (۲) على تهيب شديد ، فقام خالد في أصحابه وقال: « لا يختلفن هديكم ولا يضعفن تهيب شديد ، واعلموا أن المعونة تأتى على قدر النية ، والأجر على قدر الحاسبة ، وأن المسلم لا ينبغي له أن يكترث بشيء يقع فيه مع معونة الله له » ، فكان رد أصحابه عليه: « أنت رجل قد جمع الله لك الخير ، فشأنك » (۲)

<sup>(</sup>١) قراقر : ماء أبني كلب . راجع ان الأثير ( ١٥٦/٣ ) . .

<sup>(</sup>۲) رافع بن عميرة الطائى: يكنى أبا الحسن ، له صحبة وصحب أبا بكر الصديق ، وكان دليل خالد بن الوليد لما سار من العراق إلى الشام ، فسلك به البر وقطع هذه المسافة بخمسة أيام ، فلما كان اليوم الخامس نادى خالد دليله: ﴿ ويحك بارافع ، ما عندك ؟! ﴾ وكان رافع ارمد ، فأدار رأسه يمنة ويسرة ، ثم قال: ﴿ أبها الناس! انظروا علمين كُنهما ثديان ﴾ فلما أبوهما وقف رافع علمهما وقال : ﴿ انظروا ، هل ترون شجيرة من عوسيج كقعدة الرجل ؟ ﴾ . قالوا: ما تراها! فأمره بالتفتيس علمها ، فلما وجدوها كبيروا وكبير رافع ، ثم قال : ﴿ احفروا في أصلها ﴾ فحكفروا فتبع الماء من عين ، فشرب الناس حتى رووا ، فقال رافع : والله ما وردت هذا الماء قط إلا مرة واحدة مع أبى وأنا غلام ﴾ . توفى رحمه الله سنة ثلاث وعشرين هيرية . راجع أسد الغابة (٢/٥٥١) والاستيعاب (٢/٢٤) والطبرى (٢٠٣/٢ — ٢٠٤٢) وابن الاشمير (٢/٥٥١) وفتوح الشام للواقدى (٢٤/١) .

<sup>(</sup>۳) الطبرى ( ۲/۳/۲ ) وابن الاثير ( ۱۰۹/۲ ) .

وقال خالد لدليله رافع: «انطلق بالناس »، فقال رافع: إنك ان تطيق ذلك بالخيل والأنفال، والله إنّ الراكب المفرد يخشى فيها على نفسه. إنها لحمس ليال لا يصاب فيها ماء »، فأمر، خالد أصحابه أن يستكثروا من الماء وأمر، صاحب كل خيل أن يعد لها الماء بقدر ما يسقيها، وجمع عدداً من الإبل السمان ظمأها حتى إذا أجهدها عطشاً أوردها الماء عللاً بعد نهل ()، فلما امتلأت صرة آذانها وشد مشافرها لئلا تجتر ().

وانطلق خالد بالجيش: ينزلون كل يوم ، فيأكل الرجال ويشربون مما معهم من الماء ، ثم يشقون بطون عشرة من الإبل ويخرجون الماء منها ويسقونه الخيل ، حتى أدركوا الرى بعد خمسة أيام فدخل خالد (سوى )<sup>(7)</sup> قبيل الصبح ، فأغار على أهلها من بهراء فأذعنوا ، إذ لم يكونوا يتوقعون ظهور جيش المسلمين من هذا الاتجاه في هذا الوقت (<sup>(3)</sup>، كما سلم أهل

<sup>(</sup>١) العال : الشربة الثانية . والنهل الشربة الأولى .

<sup>(</sup>۲) الطبرى ( ۲۰۳/۲ ) وابن الا<sup>ا</sup>ثير ( ۲/۲۰۱ ) وفتوح الشام للواقدى ( ۱۵۶/۲ ) .

<sup>(</sup>۳) سوی : ماء لبنی سراء .

<sup>(</sup>٤) الطبرى (٢٠٤/٣) وابن الأثير (٢/٥) وفي الخراج ص (١٧٤ – ١٧٥) وكان خالد أراد أن يتخد الحيرة داراً يقيم سا ، فأتاه كتاب أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ، يأمره بالمسير إلى الشام مدداً لا بي عبيدة والمسلمين . . . فسكتب إليه أبو بكر ) « أن الحق بأبي عبيدة — حين أتاه كتاب أبي عبيدة يستمده — » فتوجّه خالد من الحيرة مع الأدلاء منها ومن عين التمر حتى قطع المفاوز ، فلما قطمها وقع في بلاد بني تفلب ، ومضى أدلاء منها حتى أني التُنتيب والكوائل (النقيب بينتبوك وممان على طريق الحاج . والكوائل موضع في أطراف الشام) فلتي جما كثيراً لم ير مئه إلا في أهل المجامة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى قتل خالد عدة بيده وأغار على ماحولها من القرى فأخذ أموالهم وحاصره ؛ فلما اشتد الحصار علمهم طلبوا الصلح على مثل ماصالح عليه أهل عانات .

ئم مفى حنى أنى ( قرقيسياء ) ( وهى بلد في ملتق غابور الفرات بنهر الفرات )=

خافار على ما حولها فالحله الا موال وسي النساء . . . وحاصر م أياماً ، ثم إنهم بعنواً
 يطلبون الصلح فأجامهم إلى ذلك وأعطام ما أعطى أهل عانات . . . انتهى باختصار . . .

أقول: والظاهر أن أبا يوسف برى أن خالداً سلك إلى أرض الشام طريق الفرات الاعلى وهي الطريق التقليدية الى سلكها الفاتحون منذ أقدم العصور . وقد أخذ جذا الرأى كاتيانى ومن شايع من المستشرقين ، ثم ردد هذا الرأى بعض المؤرخين المحدثين من الدب .

ولست بصدد تفنيد هذا الرأى فهذا المكان ، لأن مكان هذا الرد هو في كتابى : ( الفتح الإسلامي ) ، والكنني أذكر هنا رأيي باختصار شديد وهو يتلخس :

ا سان مهمة خالفه هي : أن يسارع إلى أرض الشام مدداً للمسلمين الذين تكاثر عليهم الروم هناك . فن المفروض أن يسلك خالد لأنجاز مهمته هذه بالذات أقصر الطرق وأكثرها أمناً . وهذه الطريق ليست قصيرة باعتباراً نه سار من الحبرة حتى أو غل في الصحراء جنوباً م سار شمالاً حتى وصل قرقيسياء ، كما أن هذه الطريق ليستأمينه لوجود قوات مهادية لا بد من القضاء عليها للمرور من هذه الطريق كل ذلك يمرقل وصول المدد إلى هدفه بسرعة . كما أن الاحتفاظ بقوة المدد سليمة للافادة منه في الوقت والمكان الحاصين ضروى للغاية ، وهذا يحتم على الغائد أن يتجنب القتال في طريقه إلى هدفه سو وهذا مالا يقدر عليه عند سلوكه هذه الطريق .

٢ — إن الفتال — أى قتال — يكون غالباً غير معروف النتائج ، فقد يكون النصر إلى جانب خالد وقد لا يكون ، لذلك لا بدله أن يتجنب الفتال حتى تبق قوانه سليمة ، وحتى لا يبعث جهوده ووقته عبئاً في عمل غير مضمون النثيجة ، وسلوكه هذه الطريق ، يحتم عليه خوض معارك لامبرر لها في مثل ظروف خالد تلك .

٣ - إن هذه الطريق - طريق الغرات ، آمن طريق يؤدى إلى أرس الشائم
 ق أوقات السلم نظراً لتيسر الماء فها ولانها مطروقة معروفة لا يضل سالسكها .
 آما في الحرب فلا قيمة لهذه المزايا ، إذ أن أمان الطريق هو في خلوها من العدو لافي تيسر الماء والكلا فها .

كان با مكان خالد أن يسلك هذه الطريق في غير أيام السلم، وذلك عند خوض.
 ممارك التطهير أو استثمار الفوز التي تـكون معه الممارك الفاصلة . أما أن يسلكها قبل أن يخوض المسلمون معركة فاصلة فأمر بعيد للفاية من الناحية المسكرية.

ه - إذا اقتنع كأنيان وغيره من الغربيين أن خالداً فضل هذه الطريق على طريق الصحراء ، فلا مبرر أن يشايعهم بعض العرب في هذا الاعتقاد وم يعلمون جيداً ، أن العرب يقطعون الصحراء بيسر وسهولة قد لا يتصورها الغربيون .

لذلك أرى أن غالداً من يسلك هذه الطريق وهو فى ظروفة التى تقفى عليه أن يسرع بقواته للالتحاق بقوات المسلمين فى أرض الشام فى أقرب وقت ممكن ومن أقصر طريق ممكنة . (ندم،) (۱) بعد مقاومة لا تذكر ؛ ثم سلك طريق (حُوّارين) (۲) حتى إذا أنى (قصم) (۳) صالح أهالها من قضاعة ومنها انحدر إلى (أذْرِعات) (۵) وأغار على غسّان بمرج راهط (۵) ، ثم سار حتى نزل على قناة (بُصرى) (۲) بثم سار إلى اليرموك ، حيث تحشّدت جيوش المسلمين هناك (۷).

فالطریق الذی قطعه خالد إذاً هو : الحیرة — دومة الجندل — وادی سرحان – قراقر — سوی — تدمر — حوارین — قصم — أذرعات — بصری — الیرموك .

### ٤ – عدد قواته:

فما عدد قوات العراق التي سار على رأسها خالد إلى أرض الشام ؟ كان أمر أبى بكر أن يستصحب خالد معه نصف الناس في العراق

<sup>(</sup>۱) تدس : مدينة قديمة مشهورة فى بريّـة الشام بينها و بين حلب خمسة أيام . راجع التغاصيل فى معجم البلدان ( ٣٦٩/٢ ) .

<sup>(</sup>٢) حوارين : من قرى حلب : راجع التفاصيل في معجم البلدان ( ٣٥٧/٣ ) .

<sup>(</sup>٣) قصم : موضع بالبادية قرب الشام .

<sup>(</sup>٤) أذرُعات : بَلْد بأطراف الشام يجاور أرض البلقاء . راجع معجم البلدان ( ١٦٢/١ ) .

<sup>ُ (</sup>٥) مرج راهط : موضع في الغوطة من دمشق في شرقيه . راجع معجم البلدان (٢١٧/٤) .

 <sup>(</sup>۲) بصرى: مدينة في أرض الشام ، وهي كورة حرران ، مشهورة عندالمرب قديماً وحديثاً . راجع معجم البلدان ( ۲۰۸/۲ ) .

<sup>(</sup>۷) الطبرى ( ۲۰۶/۲ — ۲۰۰ ) وابن الأثير ( ۱۰٦/۲ ) والبلاذرى ص ( ۱۰۱ ) ، وهناك رواية ثانية عن الطريق التي سلكها خالد هي : الحيرة — حدوداه — المصيخ — الحصيد — سوى — ... ألخ ، راجع ابن الأثير ( ۲/۲ ) والظاهر أن أصحاب هذه الرواية قد خلطوا بين تفويز خالد وبين معاركة التطهرية التي أجراها على الضفة الغربية من الفرات ضد قبيلة تغلب ، لذلك أنبتنا الأول وعليها إجماع المؤرخين تقريباً .

ويستخلف على النصف الباقى المثنى بن حارثة الشيبانى ، فسار من العراق بناعائة جندى وقيل فى ستائة وقيل فى خسائة (١)، وهذا غير معقول ، لأن قوات العراق لم تكن فى وقت من الأوقات ضعف هذا العدد . وذكر بعضهم أنه سار فى تسعة آلاف (١) وقيل فى عشرة آلاف (١)، وترجّح أن قوة خالدكانت بين تسعة آلاف وعشرة آلاف ، يؤيد ذلك أن خالداً قدم العراق ومعه عشرة آلاف مقاتل وكان مع المثنى وأصحابه نمانية آلاف مقاتل ، فلقى (هرمز) فى أول معركة خاضها وهى معركة ( ذات السلاسل ) فى ثمانية عشر ألفاً (ما أن أهل العراق عندما عادوا من الشام إلى العراق كانت مقدمتهم فقط ألف رجل (١)، فلابد أن يكون عدد رجال القسم الأكبر أضعاف ذلك (١).

في اليرموك(٧):

اجتمع المسلمون (باليرموك) وعليهم أبو عبيدة بن الجراح وشُراحبيل

 <sup>(</sup>١) ابن الأثير ( ١٠٦/ ١٠) ...

<sup>(</sup>٢) الطبرى ( ٢/١٩ه ) وابن الأثير ( ٢/٢ه١ ) .

<sup>(</sup>٣) الطبرى ( ٢/٣٥ ) وابن الأثير ( ٢/٣٥ ) ، وفي فتوح الشام للواقدى ( ١٠٥/١ ) أنهم كانوا أربعة آلاف .

<sup>(</sup>٤) الطبرى ( ٢/٤٥٥ ) وابن الأثير ( ١٤٧/٢ ) .

<sup>(</sup>ه) الطبرى (٣/٣ه) وابن الأثير ( ١٨٣/٣ ) ، والقوة التي عادت ستة آلاف . والظاهر أنها تركت خسائر في أرض الشام وبتي بعض الرجال هناك .

 <sup>(</sup>٦) انظر الطيرى ( ١٩٣/٢ه ) وفيه يعدد بعض كراديس أهل العراق في معركة الفادسية ، وكل كردوس منها بقوة ألف رجل .

<sup>(</sup>٧) البرموك : وأدر بناحية الشام في طرف الغور يصب في نهر الأردن ، راجع التفاصيل في معجم البلدان ( ٥٠٤/٨ ) .

بن حسنة وعكرمة بن أبى جهل ويزيد بن أبى سفيان وعمرو بن العاص<sup>(۱)</sup>؛ فلما طلع عليهم خالد ، فرح المسلمون<sup>(۲)</sup>وارتفعت معنوياتهم .

وبدأ خالد يعد جيشه للقتال ، غرج في تعبية لم تعبها العرب من قبل (٢) ، إذ نظم جيشه في ستة وثلاثين كردوساً (١) إلى الأربعين ، وقال : إن عدو كقد كثر وطنى ، وليس من التعبية تعبية أكثر في رأى العين من الكراديس » ثم جعل القلب كراديس ، وأقام فيه أبا عبيدة بن الجراح ، وجعل الميمنة كراديس وجعل عليها عمرو بن العاص وفيها شرحبيل بن حسنة ، وجعل الميسرة كراديس وعلمها يزيد بن أبي سفيان (٥). وكان القاضي أبو الدرداء (٢)

<sup>(</sup>۱) الطبرى ( ۱۰/۲ ه ) وهؤلاء كلهم من قادة الفتح ، وسترد تراجهم مع قادة الفتح الإسلامي .

<sup>(</sup>۲) الطبرى ( ۲/۲ه ) .

<sup>(</sup>٣) الطبرى ( ٢/٣٩ه ) وابن الأثير ( ٨/٢) .

<sup>(</sup>٤) كراديس: مفردها كردوس، وهوكتلة من الجنود يتألف من ألف مقائل، وينقسم الكردوس إلى أجزاء عشرية: العريف يقود عشرة رجال، وآسر الأعشار يقود مائة رجل، ولسكل كردوس معربة عن كلة كردوس معربة عن كلة (كورتيس) الومانية. واجع كتاب (الجندية في الدولة العباسية للمرحوم الرئيس الوكن نعان ثابت في س (٤٥٢) وكان عدد المسلمين في البرموك ستة وثلائين ألفاكا جاء في الطبرى (١/٢٥) وهذا يؤيد أن الكردوس يتألف من ألف وجل، الأن خالدا قسم المسلمين إلى ستة وثلاثين كردوسا إلى أربعين كردوساً).

<sup>(</sup>۰) الطيرى ( ۲/۲۳ ه ) وابن الأثير ( ۱۰۸/۲ ) .

<sup>(</sup>٦) أبو الدرداء الأنصارى ( هو عويمر بن عامر من الحزرج ، تأخر إسلامه فليلاً وكان آخر أهل داره إسلاماً ، وحسن إسلامه ، وكان فقها عالماً حكيماً ، شهد ما بعد ( أحد ) وجعله عمر ابن الحطاب على ما بعد ( أحد ) وجعله عمر ابن الحطاب على قضاء الشام ومات بدمشق قبل عنمان بن عفان بسنتين . راجع طبقات ابن سمد قضاء الشام ومات بدمشق قبل عنمان بن عفان بسنتين . راجع طبقات ابن سمد ( ٣٩١/٧ ) والإصابة ( ٤٦/٥ ) وأسد الغابة ( ٤٩/٥ ) والاستيماب ( ٣٩١/٧ ) .

وكان القاص أبو سفيان بن حرب (')، وكان على الأقباض عبد الله بن مسعود ('')، وكان القارى المقداد بن الأسود الكندى ('') ، إذ كان من السنة التي سنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد (بدر) أن يقرأ سورة الجهاد عند اللقاء، وهي سورة الأنفال (١٠).

(١) أبو سفيان بن حرب الأموى القرشى . والد معاوية ويزيد وعتبة ، ولد قبل عام الغيل بعشر سنين ، وكان من أشراف قريش وعقلاتها وقادتها وإليه راية قريش وكان من أفضلها رأيا في الجاهلية . أسلم يوم الغتح وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حبيناً ، وقد حسن إسلامه على أصح وأوثق الروايات و بشهادة سعيد بن المسينب العالم الزاهد ، فقد قال عن أبي سفيان : « فقدت الأصوات يوم البرموك إلا رجل واحد يتول : يا نصر الله اقترب ، والمسلمون يقتناون م والروم . فذهبت أنظر ، فإذا هو أبو سفيان تحت راية ابنه يزيد » . فقلت عينه يوم الطائف وفقئت عينه الأخرى يوم البرموك ومات في خلافة عثمان سنة ثلاث وثلاثين ودفن بالبقيع ، وهو ابن تمان وثمانين سنة ، وقبل ابن بضع و تسعين . وكان قصيراً مميناً ذا هامة عظيمة . راجع الاصابة ( ٢٢٧/٣)

(٣) عبد الله بن مسعود الهدلى . من حلفاء بنى زهرة ، أسلم وهو غلام وأخذ من النبى صلى الله عليه وسلم مباشرة سبعين سورة من القرآن السكريم ، وكان إسلامه قبل دخول النبى صلى الله عليه وسلم دار الأرقم . هاجر إلى الحبشة الهجرتين ، وقبل الهجرة النانية فقط ، ثم هاجر إلى المدينة وشهد ( بدراً ) والمشاهد كابها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أعلم الصحابة بالقرآل . أرسله عمر مع عمار بن ياسر إلى السكوفة : أرسل عماراً اميراً وعبد الله معلماً ووزيراً ، وبقي على بيت المال في عهد عثمان حتى عزله ، أرسل عماراً اميراً وعبد الله معلماً ووزيراً ، وبقي على بيت المال في عهد عثمان حتى عزله ، وتوفى بالمدينة سنة ودفن بالبقيع . راجم طبقات ابن سعد ( ٣/ ١٠٥ ) و ( ١٣/٦ ) والدسابة ( ١٢٩/٤ ) وأسد الغابة ( ٢٥/٥٠) و الاستياب ( ٢٥/٠٠) .

(٣) المقداد بن الأسود الكندى: هو المقداد بن عمرو ، صحابى جليل كان قديم الإسلام، من الفضلاء النجباء الكبار الحيار من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

وكان موضع ثقة الرسول صلى الله عليه وسلم وتقديره ، وقد شهد فتح مصر ومات وهو ابن سبعين ودفن المدينة . راجع طبقات ابن سعد ( ١٦١/٣ ) والاصابة ( ١٣٣/٦ ) وأسد الغابة ( ٤٠٩/٤ ) والاستيماب ( ١٤٨٠/٤ ) .

(٤) الطبرى ( ۲/۳/۳ه - ٤٠٠ ) وابن الأثير ( ۱۰۸/۳ ) ، وفى الطبرى تفاصيل
 قادة السكراديس أيضاً .

وقال رجل لخالد: «ما أكثر الروم وأقلّ المسلمين!» ، فقال خالد: «ما أقلّ الروم وأكثر الجنود بالنصر وتقلّ بالخذلان لا بعدد الرجال!! والله لوددت أنّ الأشقر براء من توجّيه (') ، وإنهم أضعفوا ضعفهم (') ».

وأم خالد مجنبتي القلب - وكان فيهما عكرمة بن أبي جهل والقعقاع ابن عمرو أن ينشبا القتال ، والتحم الطرفان ، وإنهم على ذلك ، إذ قدم صاحب البريد من المدينة ، فأخذته الخيول وسألوه الخبر ، فلم يخبرهم عن شيء ذي بال وأخبرهم عن قرب وصول الإمدادات إليهم ، وكان قد جاء بموت أبي بكر وتأمير أبي عبيدة وعزل خالد " ، فأبلغوه خالداً ، فأخبره خبر أبي بكر وأسره إليه ، وأخبره بالذي أخبر به الجند ، فقال له : « أحسنت ١ » . وأخذ وأسره إليه ، وأخبره بالذي أخبر به الجند ، فقال له : « أحسنت ١ » . وأخذ كتاب عزله وتأمير أبي عبيدة وجعله في كنانته ، إذ خاف إن هو أظهره (١) أن يؤثر إظهاره على معنويات الجند تأثيراً سيئا وهم في أحرج مواقف القتال .

وخرج أحد أبطال الروم <sup>(ه)</sup> ونادى ، ليخرج إلى خالد ، فأقام خالد

 <sup>(</sup>۱) الأشقر: اسم فرس خالد . الوجى : أن يشتكى الفرس من باطن حافره .
 بريد بذلك ، أنهم لو زادوا إلى ضعفهم لما اكترثت بهم اكتراثى بشكوئ الأشقر
 من حافره ! .

<sup>(</sup>۲) الطبرى ( ۹٤/۲ ) و ابن الاثير ( ۸/۲ ) .

 <sup>(</sup>٣) عزل خالد وتأمير أبى عبيدة مكانه ، دليل قاطع على أن خالداً كان قائداً عاماً ،
 وإلا فلا معنى لعزله وتأمير أبى عبيدة الذي كان قائداً بالفعل على قسم من جيش للسلمين
 لا فائدا عاماً . راجع الطبرى ( ٣/٥٥٥ ) .

 <sup>(</sup>٤) الطبرى ( ۲/ ۹۰ ۹ ) و ابن الأثير ( ۲/ ۸۵ ) .

<sup>(</sup>٥) اابطل الرومى هو جرجة كما يسميه العسرب ، وجورج كما هو اسمه .

أبا عبيدة مكانه وخرج لمنازلة الرومى ، فاستطاع خالد أن يقهر خصمه هذا للسانه لا يسنانه (۱)

وحملت الروم فأزالوا المسلمين عن مواقفهم ، فقاتل خالد قتالا شديداً ، ونهد للروم بالقلب حتى كان بين خيلهم ورجلهم ، وأفسح المجال لخيل الروم ، فخرجت تشتد بهم في الصحراء وتركوا مشاتهم يقاومون وحدهم زخم هجوم المسلمين ، مما سهل على المسلمين القضاء عليهم (٢) ، فهرم الله الروم مع الليل (٢) فأصبح خالد من تلك الليلة وهو في رواق (تدارق) قائد الروم (٤) .

وانتهت معركة اليرموك الحاسمة التي فتحت أبواب أرض الشام للمسلمين ، فانتصر رهبان الليل فرسان النهار (٥) على الروم وطاردوهم حتى أبواب (دمشق) ، ثم عادوا من المطاردة فأصبح أبو عبيدة قائدهم العام ، حيث بتى في موضعه لا يبرح حتى يأتيه رأى عمر وأمره ، فلما أتاه هذا الأمر رحل بالمسلمين حتى نزلوا على (دمشق)(٢) .

#### فی دمشق :

كان خالد على المقدمة حين تقدّمت جيوش المسلمين إلى ( دمشق )(٧) ،

 <sup>(</sup>۱) انظر مناقشة لجورجة لحالد وإسلامه ، في الطبرى (۲/۹۹۰) وابن الاثنير
 (۱۵۸/۳) ومناقشهما ندل على تضع خالد بالدين الحنيف وقوة منطقه وحجته .

<sup>(</sup>۱) الطبري (۲/۲۱ه) وآبن الأثير م ۸/۸ه.

<sup>(</sup>۲) الطبري (۲/۲۹۰) .

<sup>(</sup>٤) الطبرى (٢/٧٥) -

<sup>(</sup>ه) في الطبرى ( ٦١٠/٣ ) ، أن قائد الروم بعث رجلاً عربياً من قضاعة فقال : « أدخل في هؤلاء القوم فأقم فيهم يوماً وليلة ثم اثنني بخبره » . فدخل في الناس ثم أناه ، فقال له : ما وراءك ؟ . . . فقال : « بالليل رهبان وبالنهار فرسان ، ولو سرق ابن ملكهم قطعوا بده ، ولو زني رجم ، لإقامة الحد فيهم ! » . فقال الفائد الزومى : « لأن كنت صدقتني لبطن الأرض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها » .

<sup>(</sup>٦) الطبرى (٢/٩٩٥) -

<sup>(</sup>۲) الطبرى (۲/۲۲٪ )

وفى حصارها ، نزل أبو عبيدة من على ناحية وخالد على ناحية من جهة الباب الشرق (۱) ، وعمرو بن العاص من ناحية ، فحاصروا أهل دمشق نحواً من سبعين ليلة حصاراً شديداً بالزحوف والترامى والمجانيق ، وهم معتصمون بالمدينة ينتظرون إمدادات ( هرقل ) الذى كان منهم قريباً وقد استمدوه ، ولكن المسلمين صدوا إمداداته ، فأيقن أهل دمشق أنّ الإمدادات لن تصل إليهم (۲).

كان خالد لا ينام ولا ينيم ولا يبيت إلا على تعبية ولا يخنى عليه من أمر عدوه شيء : عيونه ذكية ، وهو مَعْنِي بمن يليهم (٢) ، فبلغه أنه ولد لبطريقهم (١) مولود وأنه صنع طعاماً ودعى القوم يأكلون ويشربون وهم غافلون عن مواقعهم . وكان خالد قد اتخذ أوهاقاً وأحبالاً كهيئة السلالم ، فلما أمسى ذلك اليوم انتهز هذه الفرصة ، ونهض فيمن معه من جنده الذي قدم بهم من العراق ، وتقد مهم هو والقعقاع بن عمرو التميمي ومذعور بن عدى (٥) وأمثاله ، وقالوا : إذا سمعتم تكبيرنا على السور فارقوا إلينا واقصدوا الباب . فلما وصل هو وأصحابه إلى السور ألقوا الحبال فعلق بالشرف منها حبلان ، فلما وصل هو وأصحابه إلى السور ألقوا الحبال فعلق بالشرف منها حبلان ، فصمد فيهما القعقاع ومذعور وأثبتا الحبال بالشرف ، وكان ذلك المكان

<sup>(</sup>۱) البلاذري (۱۲۲).

<sup>(</sup>۲) الطبرى ( ۲/۲۲ ) وابن الأثير (۱۹٤/۹ ) .

<sup>(</sup>٣) الطبري ( ٦٢٦/٢ ) .

<sup>(</sup>٤) فى البلاذرى ( ١٢٨ ) : أن أستف دمشق كان صديقاً لحاله ، وفى ليلة من الليالى ، أناه بعض أصحاب هذا الأسقف ، فأعلمه أنها ليلة عيد لا هل المدينة وأنهم فى شغل ، وأن الباب الشرق قد ردم بالحجارة وتشرك ، وأشار إليه أن يلتمس سدّ. أ. . . ألخ .

<sup>(</sup>ه) مذعور بن عدى العجلى · صحابي جليل ، وذد على النبي صلى الله عليه وسلم شهد البرموك ، وقائل البرموك ، وقائل كردوس فى البرموك ، وقائل تحت لواء خالد قائداً لاكربعة آلاف من بكر بن وائل . واجع التفاصيل فى الاصابة ( ٧٠/٦) .

أحصن موضع بدمشق وأكثره ماء ، فصعد المسلمون ، ثم انحدر خالد وأصحابه إلى داخل المدينة تاركا على السور من يحميه من المسلمين وأمرهم بالتكبير ، فكبروا ، فأتاهم المسلمون إلى الباب وإلى الحبال . وانتهى خالد إلى من يليه فقتلهم ، وقصد الباب فقتل البوابين . وثار أهل المدينة وفزع الناس ، فأخذوا مواقفهم وهم لا يدرون عن الموقف الراهن شيئاً . فلما رأى الروم دخول المسلمين دمشق قصدوا أبا عبيدة وبذلوا له الصلح ، فقبل منهم ، فقتحوا له الباب وقالوا له : ادخل وامنعنا من أهل ذلك الجانب ، فدخل أهل كل باب بصلح مما يليهم ، ودخل خالد عنوة ، فالتق خالد بالقواد الآخرين في وسط المدينة : هذا قتالا وانتهابا ، وهذا صلحاً وتسكينا ، فأجروا ناحية خالد مجرى الصلح أيضاً (١).

# فی فِحْل<sup>(۲)</sup> :

سار أبو عبيدة إلى ( فيخل ) وعلى مقدمته خالد وعلى الناس شرحبيل ابن حسنة ، وكان أهل ( فحل ) قد قصدوا ( بيسان ) (٣) و فجروا مياه المنطقة فأصبحت مغمورة بالمياه موحلة ؛ وبعد حصار دام طويلا هجموا على المسلمين

<sup>(</sup>۱) الطبرى ( ۲۲ - ۲۲۷ ) وابن الأثير ( ۲۲/۲ – ۱٦٥ ) وطبقات ابن سعد ( ۴۹۷/۷ ) أما البلاذرى ص (۱۲۹ ) فيذكر : أن أسقف دمشق لما رأى أبا عبيدة قد قارب دخول المدينة ، بدر إلى خالد فصالحه وفتح له الباب الشرق ، فدخل ممه . فقال بعض المسلمين : « والله ما خالد بأمير ، فكيف يجوز صلمه ؟ » . فقال أبو عبيدة : « إنه يجر على المسلمين أدنام » وأجاز صلحه وأمضاه .

وأكثر الروايات على ما ذكر ناه فى المتن أعلاه ، لذلك رجعتاه خاصة وأنه أقرب لطبيعة القائدين : طبيعة خالد الحربية وطبيعة أبى عبيدة السامية ، لذلك ترجح دخول خالد دمشق من الباب الشرق قدراً ، ودخول أبى عبيدة من باب الجابية سلماً .

<sup>(</sup>٢) فحل : إمم مولَّهُم بالشِّام في ناحية الأردن راجع معجم البلدان ( ٣٤٠/٦ ) .

 <sup>(</sup>٣) بيسان : مدينة بالأردن بالغور الشامى . راجع معجم البلدان ( ٣٣١/٢ ) .
 وهى من غور فلسطت غزى الأردن ضمن الأرض المحتلة من أرض فلسطت .

فاقتتلوا أشد قتال ليلتهم ويومهم إلى الليل، فلما جن الليل انهزموا وظلوا الطريق وأسلمتهم هزيمتهم إلى الوحل، فلم يفلت منهم إلا الشريد(١).

# فى مرج الروم:

سار أبو عبيدة وخالد من ( فحل ) قاصدين ( حمص ) فأرسل ( هرقل ) إلى المسلمين جيشاً بقيادة ( توذر ) البطريق ، وأردفه بجيش آخر عليه (شنس ) الرومى مدداً له وردءاً لأهل ( حمص ).

كان خالد بإزاء (توذر) الذي تحرّك بجيشه نحو دمشق للقضاء على حامينها من المسلمين ، ولكن خالداً اقتنى أثره ، فلما نشبت المعركة بين جيش (توذر) من جهة وبين جيش يزيد بن أبى سفيان من جهة أخرى ، كان خالد قد لحق جيش الروم وطلع علمهم من خلفهم ، فكانوا يقاتلون في معركة يائسة : من أمامهم يزيد ومن خلفهم خالد . لذلك لم ينج منهم إلا القليل (٢).

# فی ( حِمْسِ )<sup>(۳)</sup>:

قصد أبو عبيدة (حِمْس ) وأرسل خالداً إلى ( البِقَاع )(٤)، فسار إليها

<sup>(</sup>۱) الطبري ( ۱۲۸/۲ - ۱۳۰ ) وابن الأثير ( ۱۶۵/۲ ) .

<sup>(</sup>۲) الطبرى ( ۹٫۲۳ ) وابن الاثمير ( ۱۸۹/۲ -- ۱۹۰ ) .

<sup>(</sup>٣) همس: بلدمشهور قديم كبير مسور ،وهى بين دمشق وحلب فى نصف الطريق . راجع التفاصيل فى معجم البلدان ( ٣٣٩/٣ ) . وهى مدينة فى مستو خصبة جداً ، من أصح بلدان الشام تربة ، فى أهلها جمال مفرط راجع المسالك والمالك للاصطخرى ص ( ٤٦ ) .

<sup>(</sup>٤) البقاع : جمع بقعه ، موضع يقال له : بقاع حلب قريب من دمشق ، وهو أرض واسعة بين بعلبك وحمس ودمشق ، فيها قرى كشيرة ومياه غزيرة . راجع معجم البلدان ( ٢٠٠/٢ ) .

خالد وافتتحها. وسار أبو عبيدة حتى نزل (حمص) وجاء بعده خالد فنزل عليها . وحاصرها الملهون وشددوا عليها الحصار ، فلما ذهب الشتاء ، طلب أهل (حمص) الصلح ، فصالحهم المسلمون (۱).

في قِنسرين (٢):

أرسل أبو عبيدة خالداً إلى (قينسرين) فلما نزل (الحاضر)<sup>(7)</sup> النقى بجيش رومى عليه (ميناس) وهو أعظم قادتهم بعد (هرقل)، فقاتلهم خالد قتالاً شديداً وقتل (ميناس) بعد أن دافع عنه الروم دفاعاً مستميناً. أما أهل ( الحاضر ) فأرسلوا إلى خالد: إنهم عرب وإنهم حشروا كرهاً ولم يكن من رأيهم حربه ، فقبل منهم وتركهم.

فلما بلغ عمر بن الخطاب أعمال خالد في الشام، قال: « أمر خالد نفسه! يرحم الله أبا بكر، هو كان أعلم بالرجال مني »(٤).

وسار خالد من (الحاضر) حتى نزل على (قلسرين) فتحصّن أهلها منه ، فقال لهم: « لو كنتم فى السحاب لحلنا الله إليكم أو لأنزلكم إلينا » فنظروا فى أمرهم وذكروا ما لقى أهل (حمص) وغيرها من البلدان ، فطلبوا الصلح على مثل (صلح حمص)ولكن خالداً أبى إلا على خراب المدينة ، فكان له ما أراد (٥٠).

<sup>(</sup>۱) الطيرى ( ۳/ ۹۹ — ۹۸ ) وابن الاثمير ( ۱۹۰/ — ۱۹۱ ) والبلاذري ص ( ۱۳۲ ) .

 <sup>(</sup>۲) قنيرين : بلد في أرض الشام جنوب حلب ، راجع معجم البلدان ( ۱۹۸/۷ ) .
 وهي مدينة تنسب السكورة إليها ، وهي من أصدر المدن بها ، راجع المسالك والمالك .

 <sup>(</sup>٣) الحاضر : خلاف البادى ، وهو بقرب حلب ، رجع معجم البلدان ( ١٩٩/٣ ) .
 (٤) الطبرى ( ٩٨/٣ ) و ابن الأنير ( ١٩١/٢ ) .

 <sup>(</sup>a) الطيرى ( ٣/٨٥ ) وأبن الأثير ( ١٩١/٢ ) .

وكان (هرقل) قد غادر (حمص) إلى (الرهاء)<sup>(۱)</sup>، فلما أباد خالد الروم (بالحاضر) وأخرب (قنسرين) يئس هرقل من بقاء الشام تحت حكمه، فودّع سورية بقوله: «عليك السلام يا سورية سلاماً لا اجتماع بعده ولا يعود إليك رومى إلا خائفا(۲)».

# في مَر ْعَش (٢):

بعد فتح (قنسرين)وجّه أبو عبيدة وهو ( بَمْنبج) (' الحالداً إلى (مَرْعش) فنتحها وأجلى أهلها قاوموه فقهرهم بالقتال كا أنه فتح حصن الحدَث (°).

<sup>(</sup>١) الرَّهاء : مدينة بالجزيرة بين المحصل والشام . راجع معجم البلدان (٣٤٠/٤) .

<sup>(</sup>٢) أبن الأثير ( ١٩١/٣ ) .

 <sup>(</sup>٣) مرعش : مدينة في النغور بين الشام و بلاد الروم لها سوران وخندق وفي وسطها
 حصن عليه سور . راجع معجم البلدان ( ٢٠/٨ ) .

<sup>(</sup>٤) منبج: بلد قديم كبيرة واسعة ، ذات خيرات كشيرة وأرزاق واسعة في فضاء من الأرض ،كان عليها سور مبنى بالحجارة محسكم ، بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ وبينها وبين كلب عشرة فراسخ . راجع معجم البلدان ( ١٦٩/٨ ) .

 <sup>(•)</sup> الحدث : قلعة حصينة بين ملطية وسُمَيْسَاط ومَسرعين ، من الثنور يقال لها : الحمراء ، وقلعتها على جبل يقال له الاحيدب . راجع معجم البلدان ( ٣٣١/٣)
 وانظر عن فتح مرعش وحصن الحدث تاريخ أبى الغدا ( ١٦٠/١) .

### عزله

أمر خالد نفسه! برحم الله أبا بكر ، هو كان أعلم
 بالرجال منى »

﴿ الفاروق عمر ﴾

كان خالد قائداً عاماً بالشام فى خلافة أبى بكركما أسلفنا ، فلما تولى الخلافة عمر بن الخطاب ، عزل خالداً عماكان عليه وولى أبا عبيدة بن الجراح (أمكانه فقد كتب عمر إلى أبى عبيدة بعقده وولايته على الشام مكان خالد ، وصيرخالداً موضع أبى عبيدة (٢) أي أن خالداً أصبح قائداً مرؤوساً فى أرض الشام للقائد العام أبى عبيدة بن الجراح ، استمر خالد على قيادة الرجال بإمرة أبى عبيدة ، وكان له بلاء وغناء وإقدام حتى توفى (٢). فما سبب إقدام عمر على عزل خالد من منصب القائد العام وهو فى أوج انتصاراته ومجده ؟ ؟

هناك من يزعم ، أن هناك عداوة شخصية بين عمر وخالد ، سببها تصارعهما وهما غلامان ، فكسر خالد ساق عمر ، وأن هذه المداوة بينهما بقيت في حنايا عمر حتى تولى الخلافة ، فعزل خالداً (١) استجابة لذلك ١!

<sup>(</sup>١) طبقات ابن سبعد ( ٣٩٧/٨ ) .

 <sup>(</sup>٢) البعقوبي ( ١١٧/٢ ) ، أي أن خالداً لم يصبح حندياً بسيطاً بعد عزله كما هو
 الشائع ، و إلا فكيف فتح ما فتح بعد عزله من القيادة العامة ؟! .

<sup>(</sup>٣) طبقات ابن سُعد ( ٣٩٧/٨ ) واليعقوبي ( ١١٨/٣ ) . فىالإستيماب ( ٧٩٤/٢ ) أن عمر ولاه دمشق .

<sup>(</sup>٤) ابن عماكر ص ( ٧١٠ ) والسيرة الحلبية ( ٣٧٦/٣ ) .

وهناك من يزعم ، أن سبب عزل خالد ، هو قتله مالك بن نويرة وتزوجه بامرأنه (۱) ، لأن عراكان مقتنماً كل الاقتناع بتقصير خالد في هذه القضية بالذات (۲) ، لذلك ألح على أبي بكر بعد علمه بهذا الحادث أن يعزل خالداً (۱) ولكن أبا بكر لم يقتنع بتقصير خالد ولا بصحة رأى عمر في حينه (۱) ، فلما توفي أبو بكر ، قال عمر : ما صدقت الله إن كنت أشرت على أبي بكر بأمر ، فلم أنفذه (۱) ، فعزله غير مكترث بماضيه المشرتف في خدمة الإسلام ولا في صلة القربي بينه وبين خالد (۱) ، إذ كان عمر إذا اقتنع بأمر أمضاه .

وقد يكون هذا السبب سبباً وجهاً عند عمر لعزل خالد ، ولكنه لم يكن السبب الأول والأخير لعزله ، بل لم يكن السبب المهم الذي قرّر مصير خالد .

لقد كان أبو بكر فى حكمه يعطى حر"ية كاملة لعاله وقادة جيوشه ، وكان لا يخفى عليه شيء من عمله (١) ، لذلك كان با مكان خالد وأمثاله من الذين يتحملون المسؤولية كاملة ويقر رون قرارات حاسمة ويبتون بأهم الأمور وأخطرها على مسؤولياتهم ويتمتعون بمزية الإبداع الذاتى – أن يعملوا بسهولة مع أبى بكر الذي يفسح لهم المجال واسعاً للعمل ، ولكتهم لا يستطيعون العمل مع عمر الذي يريد أن يعلموه بكل شيء قبل الإقدام على إعطاء قرار ما حاصة فى قضايا القتال والمال – ولا يبتون فى الأمور قبل أخذ رأيه .

<sup>(</sup>١) الطيرى (٢/٢٠٥) .

<sup>(</sup>۲) الطبري (۲/۱۰) وأسد الغابة (۲/۱۰) .

<sup>(</sup>٣) الطبرى ( ٢/٤٠٠ ) و تاريخ أبي الفدا ( ١٠٨/١ ) .

<sup>(</sup>٤) الطبرى ( ٢/٢ ٠٠ ) و تاريخ أبي الغدا ( ١٨٥١ ) و ابن الأثير ( ١٣٧/٢ )

<sup>(</sup>ه) الإصابة ( ٢/١٠٠ ) .

 <sup>(</sup>٦) خالد كان ابن خال عمر . راجع اليعقوبي ( ١١٧/٢ ) لأن أم عمر هي : حنتمة بنت هاشم بن المفيرة .

<sup>(</sup>٧) ابن الأثير ( ٢٠٧/٢ ) .

لقد انتظر أبو عبيدة فى موضع اليرموك بعد انتهاء المعركة لا يبرحه حتى يأتيه أم عر<sup>(1)</sup> ، وانتظر سعد بن أبى وقاص فى موضع القادسية بعد انتهاء المعركة لا يبرحه شهرين حتى يأتيه أمر عمر<sup>(1)</sup> ، ولو كان خالد هو القائد العام فى هاتين المعركتين الحاسمتين ، لاستثمر الفوز فوراً دون انتظار الأمر ، ولفعل كما فعل بعد انتهائه من طليحة ومن معه ، فسار إلى مالك ابن نويرة على مسؤوليته الشخصية<sup>(1)</sup> ، مما أدى إلى اعتراض الأنصار على مسيره<sup>(1)</sup> . ولكنه مضى قدماً إلى مالك بن نويرة غير مكترث باعتراض المعترضين !

والظاهر أن نشأة خالد ونسبه الرفيع مع قابلياته العسكرية ، كونت عنده استقلالا في الرأى ، والحق أن طبيعة الحركات العسكرية حينداك : بعد المسافة بين العاصمة وساحة القتال — وعدم تيسر وسائط مو اصلات سريعة وتبدل مواقف المعركة بسرعة ، تجعل من الضرورى أن يكون القائد مستقلا في رأيه له الحرية الكاملة للبت في الأمور العسكرية دون مراجعة أحد ، وإلا ضاعت عليه فرص كثيرة من دون مبرر .

قال عمر لأبى بكر: « اكتب إلى خالد لا يعطى شيئاً إلا بأمرك » ، فكتب إليه بذلك ، فأجابه خالد: « إما أن تدعنى وعملى ، وإلا فشأنك وعملك » ، فأشار عليه عمر بعزله ، فقال أبو بكر: « فمن يجزى عنى جزاء

<sup>(</sup>١) الطبرى (٢/٩٩٥).

<sup>(</sup>٢) ابن الأثير ( ٢/١٦/٢ ) .

<sup>(</sup>٣) الطبرى ( ٢٠١/٣ ) وابن الأثير ( ١٣٦/٢ ) ٠

<sup>(</sup>٤) الطبرى ( ١/٣٠ ) وابن الأثبر ( ١٣٦/٢ ) .

خالد (۱) » ، إذ كان خالد إذا صار إليه المال قسمه في أهل الغنائم ولم يرفع إلى أبي بكر حسابًا (۲) .

لقد سمع عمر راجزاً يذكر خالداً بعد موته ، فقال : « رحم الله خالداً » ، فقالوا له : لماذا عزلته ؟ ؟ فقال : « إنى ما عنبت على خالد إلا فى تقدّمه وما كان يصنع فى المال(٣) » .

لقد كانت فتوحات خالد مل السمع والبصر ، لذلك افتان الناس به وأصبحوا يثقون به ثقة لا حدود لها ويفرحون بالقتال تحت رايته (على عمر أن يوكل الناس إليه ، فعزله ليملموا أن الله ينصر دينه بخالد وبغيره ، وكتب إلى الأمصار: « إنى لم أعزل خالداً عن سخط ولا عن خيانة ، ولكن الناس للخموه وفتنوا به ، فحقت أن يوكلوا إليه ، فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع ، وأن لا يكونوا بعرض فتنة (٥) » .

لقد كان عمر يدعو خالداً إلى أن يعمل - وذلك بعد عزله - فيأبى إلا أن يخلّبه يفعل ما شاء ، فيأبى عمر ذلك (٦) ، وكيف يرضى خالد أن يعمل بإمرة عمر المباشرة ، إذا كان يعرف سلفاً أنه سيكون مقيّداً فى تصرّفاته ، وأنه سيحاسب حساباً عسيراً عن كل عمل يعمله بدون أمن عمر وموافقته ،

<sup>(</sup>١) الإصابة (٢/٩٩).

<sup>(</sup>٢) الإصابة (٢/٩٩).

 <sup>(</sup>٣) الإصابة ( ١٠٠/٢ ) ، ويقصد عمر : ( إلا في تقدمه ) أي : مبالغة خالد
 ف تحمل المسؤليه دون الإلتفاف إلى مرجعه الأعلى .

<sup>(</sup>٤) الطبرى ( ٩١/٢ • ) .

 <sup>(</sup>ه) ابن الأثير ( ۲۰۷/۲ – ۲۰۸ ) وفي الاستيماب ( ۲۹٤/۲ ) : قال عمر :
 « والله لأنزعن خالداً حتى يعلم أن الله ينصر دينه » .

<sup>(</sup>١) الإصابة (٢/١٠٠).

وخالد لا يستطيع ألا أن يقرّر ويبتّ بالأمور دون انتظار رأى أحد ؛ ومادام خالد يعمل للمصلحة العامة لا لمصلحته الشخصية أو لمصلحة شخص آخر ، وما دام يجاهد من أجل الإسلام لا من أجل عمر ، فلا فرق عنده بناتاً أن يجاهد ويعمل رئيساً أو مرؤوسا .

ولكن عزل خالد ترك أثراً سيئاً في نفوس الناس ، فقد خطب عمر مرة واعتذر عن عزل خالد ، فقال أحد بني المغيرة (۱) : « عزلت عاملا استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم » وقال على وضعت لواء رفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم » فقال عرر : « إنك قريب القرابة ، حديث السن ، مغضباً لابن عك (۱) ومع ذلك لم يترك عوله في نفسه هو أثراً سيئاً في علاقته الشخصية بعمر ، لأنهما كانا يعملان المصلحة العامة لا لنفسيهما ولو أن أساليبهما في العمل مختلفة ، لذلك أوصى خالد لعمر عندما حضر ته الوفاة (۱) وحزن عمر لموت خلد وقال عندما حضر ته الوفاة (۱) وحزن عمر لموت خلد أما أبو عبيدة فلم يخبر خالداً بعزله إكراماً له وإجلالاً (۱) — استناداً إلى رواية : أن أبا عبيدة علم بعزل خالد قبل أن يعلم خالد بذلك — ؛ ولما علم خالد بعزله واستعال أي عبيدة مكانه قال للناس عن أي عبيدة : « بعث خالد بعزله واستعال أي عبيدة مكانه قال للناس عن أي عبيدة : « بعث

عليكم أمين هذه الأمة » ، وقال أبو عبيدة للناس عن خالد : « سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : خالد سيف من سيوف الله ؛ نعمُ

فتى العشيرة »<sup>(٦)</sup>

 <sup>(</sup>۱) هو أبو عمر بن حفس بن المعيرة . راجع الإصابة ( ۹۸/۲ ) .
 (۲) الأصابة ( ۹۸/۲ ) .

<sup>(</sup>٣) الإصابة ( ٢/ ١٠٠ ) وطبقات ابن سعد ( ٣٩٨/٧ ) .

<sup>(</sup>٤) الامامة والسيَّاسَة لابن فتية ( ٢٤/١ ) .

<sup>(</sup>ه) ابن الأثير ( لله/٧٠٧ ) .

<sup>(</sup>٣) الإصابة ( ٣/٩٩ ) وأسد الغابة ( ٣/٥٨ ) والاستيماب ( ٧٩٤/٠ ) .

تلك دروس قيمة من السلف الصالح: قائد كان له في حرب الروم والفرس أثر شديد (۱) ، يعزله الخليفة ، فلا يحقد أحدها على الآخر حقداً مستديماً ، ولا يحقد هذا القائد على خلفه ، ولا يحقد خلفه عليه ، بل لا بزداد خلفه إلا تقديراً وإعزازاً لسلفه المعزول ، ثم يتقارض كل هؤلاء الثناء العاطر بحق : يثنى أحدها على أخويه بما يستحقه ، ويبدى إعجابه بهما ، وكأن شيئاً من أمور الدنيا لم يحدث بينهم 1!

تلك هي بعض آثار العقيدة الإسلامية التي وجدت أرضاً خصبة في نفوس العرب، فتغلغلت في أعماقهم، وآتت أُكلها ضعفين.

<sup>(</sup>١) الإصابه ( ٩٨/٢ ) وأسد الغابة ( ٧/٥٠ ) .

### الإيشيان

کنت أرى لك عثلا رجوت ألا مسلماك
 إلا إلى خبر » .

( محد رسول الله )

كان خالد أحد أشراف قريش فى الجاهلية () وأحد أشراف المسلمين بعد إسلامه ، وكان راجح العقل () ذكياً ألمعياً منزناً . أسلم قبل فتح مكة () وحسن إسلامه وأصبح موضع ثقة الرسول صلى الله عليه وسلم أيكلفه عا يكلف به المؤمنين الصادقين كهدم آلهة المشركين () ويبعثه داعياً إلى الله () وقد قال عنه : « نعم أخو العشيرة خالد بن الوليد ، سيف من سيوف الله » ().

وكان خطيباً مفوهاً فصيحاً (<sup>(۱)</sup>)، وكان كاتباً قارئاً (<sup>(۹)</sup>وشاعراً بليغاً. قال في هدم العزي (<sup>(۱)</sup>:

<sup>(</sup>١) الإصابة ( ٩٨/٢ ) وأسد الغابة ( ٩٣/٢ ) والاستيماب ( ٤٣٧/٢ ) .

<sup>(</sup>۲) طبقات ابن سعد ( ۳۹۰/۷ ) .

<sup>(</sup>٣) طبقات ابن سعد ( ٣٩٤/٧ ) والإصابة ( ٩٨/٢ ) .

<sup>(</sup>٤) طبقات ابن سعد ( ٧/٥ ٢٩ )٠

<sup>(</sup>ه) أسد الغابة ( ۲/۲) و الاستيماب ( ٤٢٨/٢ ) .

<sup>(</sup>٦) فتح الباري بشرح البخارى ( ٤٥/٨ ) وطبقات ابن سعد ( ١٤٧/٢ ) .

<sup>(</sup>٧) الأصابة ( ٩٩/٢ ) وأسد الغابة ( ٩٤/٢ ) .

<sup>(</sup>۸) انظر مثلاً خطابه الذي ألقاه على رجاله من أهل المراق عندما اخترق بهم الصحراء في الطبري ( ۲/۲ ه ۱ )

<sup>(</sup>٩) السيرة الحلية (٣٦٤/٣) .

<sup>(</sup>١٠) أسد الغابة ( ٩٤/٣ ) والاستيماب ( ٢٨/٣ ) وعن معرفته القراءة والكتابة .

يا عز كفرانك لاسبحانك إنى رأيت الله قد أهانك وقال يصف اندحار أهل (الرضاب)(١)

طلب بالرضاب بنى زهير وبالأكناف أكناف الجبال فلم تزل الرضاب لهم مقاماً ولم يؤنسهم عند الرمال فإن تثقف أسننا زهيراً ليكف شريدهم أخرى الليالى وقال يصف معركة مرج الروم (٢٠):

نحن قتلنا تؤذرا وشوذرا وقبله ما قد قتلنا حيدرا نحن أزرنا الغيضة الأكيدرا

هذه النماذج القليلة من شعره ، تدلّ على تمتّعه بقابلية شعرية ، سخّرها هى الأخرى لإشباع هوايته المفضّلة لأعماله الحربية ١٠٠٠ تلك الهواية التي كرّس لها خالد كل حياته ، فكادت تشغله عن كل شيء غيرها .

وكان مضيافاً كريماً جداً ، فقد قصده الأشعث بن قيس<sup>(٣)</sup>، فأجازه بعشرة آلاف ، فسمع بذلك عمر ، فكتب إلى أبي عبيدة بن الجراح:

<sup>(</sup>١) راجع معجم البلدان (٩/٤) .

<sup>(</sup>٢) الطبرى ( ٩٦/٣ ) .

<sup>(</sup>٣) الأشعث بن قيس الكندى : وقد على النبي صلى الله عليه وسلم سنة عشر من الهجرة فى وقد كندة ، وكانوا ستين راكباً ، فأسلم . وبعد إسلامه خطب فروة أخت أبي بكر الصديق ، فأجيب إلى ذلك . وعاد إلى البمن ، وارتد عن الإسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، فسير أبو بكر الجنود إلى البمن ، فأخلوا الأشعث أسيراً وأحضر ببن يدى أبي بكرفتال له : « استبتنى لحربك وزوجنى بأختك » فأطله أبو بكر وزوجه بأخته وهى أم على بن الائشمث. شهد البرموك فنفئت عينه ، ثم سار إلى العراق ، فشهد النادسية والمدائن وجلولاء ونهاوند وسكن الكوفه . استماله عثمان بن عفان على قشهد النادسية والمدائن وجلولاء ونهاوند وسكن الكوفه . استماله عثمان بن عفان على المسكن بدومة الجندل وثوق سنة اثنتين وأربعين بالكوفة وله من العمر ثلاث المستون سنة . راجع طبقات ابن سعد (٢٧/٦) والإصابة (١٠/٥) وأسد الفابة ( ٩٧/١ ) والاستيعاب ( ١٣٧/١ ) .

« أن يقيم خالداً ويعقله بعامته وينزع عنه قلنسوته ، حتى يعلمكم من أين أجاز الأشعث . أمن ماله من أم مال أصابها ، فإِن زعم أنه فرَّقه من إصابة أصابها ، فقد أقرَّ بخيانته ، وإن زعم أنه من ماله ، فقد أسرف ، وإعزله على كل حال واضم إليك عمله »، فكتب أبو عبيدة إلى خالد ، فقدم عليه ثم جمع الناس وجلس لهم على المنبر ، فقام صاحب البريد فسأل خالداً : من أين أجاز الأشعث ؟ فلم يجبه وأبو عبيدة ساكت لا يقول شيئًا ! فقام بلال بن رباح الحبشي مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال « إن أمير المؤمنين أمر فيك بكذا وكذا » ونزع عامته ، فلم يمنعه خاله سمعاً وطاعة ، ووضع قلنسوته ، ثمم أقامه فعقله بعامته ، وقال « من أين أجزت الأشعث ؟ · من مالك أجزت أم من إصابة أصبتها ؟ » فقال: « بل من مالى ! » ، فأطلقه وأعاد قلنسوته ثم عمَّه بيده وقال : « نسمع ونطيع لولاتنا ، ونفخَّم ونخدم موالينا » ثم كتب لمحر إلى خالد بالإقبال إليه ، فقال له عمر : « من أين لك هذا الثراء ؟! » فقال خالد : « من الأنفال والسهمان ، ما زاد على ستين أَلْفاً فلك (١٠) فلما مات خالد قال عمر : « يرحم الله أبا سلمان ! لقد كنا نظن به أموراً ما كانت ا » إذ لم يترك إلا فرسه وسلاحه وغلامه (<sup>۲)</sup>وقد حبس فرسه وسلاحه في سبلِل الله(<sup>٢)</sup> ، وكان باستطاعته أن يجمع الأموال الطائلة من فتوحاته الكثيرة والكنه أنفقها كلها فمات فقيراً .

وكان عزيز النفس يغصب لكرامته ، فيه حدّة (٤)، وكانت قسوته على

 <sup>(</sup>١) ابن الأثير (٢٠٧/١) .

<sup>(</sup>٢) طبقات ابن سعد ( ٣٩٨/٧ ) .

<sup>(</sup>٣) الإصابة ( ٧/١٠٠ ) .

<sup>(</sup>٤) أسد الغابة ( ٩٤/٣ ) والاستيعاب (٣٠/٣ ) .

الذين يستحقونها من المقاتلين فقط<sup>(۱)</sup>، أما غير المقاتلين فلاخوف عليهممنه (<sup>۲)</sup> روى عن النبي صلى الله عليه وسلم نمانية عشر حديثاً (<sup>۲)</sup>، وكان من أصحاب الفتيا من صحابة رسول الله عليه وسلم (<sup>1)</sup>،مع أن الجهاد أشغله عن تعلم كثير من القرآن (<sup>0)</sup> والتفقه في الدين.

لقد كان خالد طويلا ضخماً بعيد ما بين المنكبين واسع الهيكل عريض اللحية في وجهه أثر جدري<sup>(١)</sup>، وكان أشبه الناس خلقاً بعمر<sup>(٧)</sup>، وكان مرواجاً (١٩٩ م عص سنة إحدى وعشرين للهجرة<sup>(١)</sup> ( ١٤١ م وقبره بها<sup>(١)</sup> وكان له بضع وأربعون سنة ، فمولده حول خمس وعشرين قبل

<sup>- (</sup>١) الطبرى ( ٢/١٦ه ) وابن الأثير ( ١٤٩/٢ ) .

<sup>(</sup>٢) الطبرى ( ٢٧/٢ه ) والحراج لائبى يوسف ص ( ١٧١ ) فقد ضمن للضعفاء وغير المقاتلين-قوقاً لا مثيل لها حتى فى العصر الحديث ، عصر حقوق الإنسان كا يطلقون عليه كذباً .

 <sup>(</sup>٣) انظر أسماء الصحابة الرواة وما الكل واحد من العدد ــ ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ــ ص ( ٢٨٣ ) من نفس المصدر أنه روى خسة أحاديث ، وأنظر ما رواه الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه في مسنده ( ٨٨/٤ ).

 <sup>(</sup>٤) أصحاب الفتيا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بعدم على مراتبهم
 فكترة الفتيا — ملحق بجوامع السيرة ص ( ٣٣١ ) .

<sup>(</sup>ه) الإصابة ( ۲/۲ ) .

<sup>(</sup>٦) فتوح الشام للواقدى (١/٥١) .

<sup>(</sup>٧) الأغاني ( ١٥/٢٦ ) .

 <sup>(</sup>٨) الطبرى ( ٢/٢ م ) و ( ٢ / ١٩ ٥ ) و ابن الاثير ( ٢ / ١٣٧ ) .

<sup>(</sup>٩) طبقات ابن سعد ( ٣٩٧/٧ ) والإصابة ( ٢٠٠/٢ ) وأسدالغابة ( ٢/٢٠ ) و والاستيماب ( ٤٣٠/٢ ) وتاريخ أبي الفدا ( ١٦٤/١ ) .

<sup>(</sup>١٠) رحلة ابن جبير ص ( ٢٠٩ ) ومعجم البلدان (٣٤٠/٣ ) وفيه أيضأرواية أن خالداً مات بالمدينة .

الهجرة ( ١٩٥٥ م ) أو اثنى عشرة قبل البعثة ( ) وأوصى إلى عمر بن الخطاب ( ) وقال عند موته : « ما كان فى الأرض من ليلة أحب إلى من ليلة شديدة الجليد ، فى سرية من المهاجرين أصبّح بهم العدو ، فعليكم بالجهاد ( ) » ، ثم قال: « شهدت مائة زحف أو زهاءها ، وما فى جسدى موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية ، ثم ها أناذا أموت على فراشى كا بموت العير ، فلا نامت أعين الجبناء ( ) » .

(قد ترك موت خالد أثراً عيقاً في النفوس من الحزن والأسي، فاجتمعت نسوة من نساء بني المغيرة في داريبكين خالداً ؛ فقال عر: « وما عليهن أن يبكين أباسليمان ما لم يكن نقع أو لقلقة (٥) ». وقيل لم تبق امرأة من بني المغيرة إلا وضعت لمنها أن على قبره . وقال فيه عمر عندما بلغه موته : « قد ثلم في الإسلام ثلمة لا ترتق » وقال أيضاً فيه : « كان والله سداداً لنحور العدو ، ميمون النقيبة (٧) ». ولم أحس عمر بالموت قال: « لو أدركت خالد بن الوليد لوليته ، فإذا قدمت على ربى فسألنى : مَنْ وليت على أُمة محمد ؟ قلت : إي ربى ، سمعت عبدك ونبيك يقول : خالد سيف من سيوف الله ، سله الله على المشركين (٨) » .

<sup>(</sup>۱) ذكر ذلك القسطلاني – نقلاً عن مقال بعنوان (خالد بن الوليد) للمرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام – مجلة الرسالة العدد (٤٢) السنة الثانية س (٦٧١) الصادر في ٩ محر مالحر ام ( ٣٠٩٣ هـ) الصادر في ٩ محر مالحر ام ( ٣٠٩٣ هـ) الصادر في ٩ محر مالحر ام ( ٣٠٩٣ هـ) الصادر في ٩ محر مالحر ام ( ٣٠٩٣ هـ) المصادف ٣٣ نيسان (١٩٣٤ م.)

 <sup>(</sup>۲) طبقات ابن سعد ( ۳۹۷/۷ ) و الإصابة ( ۲۰۰/۲ ) وأسد الغابة ( ۹٦/۲ )
 (٦) الإصابة ( ۹۹/۲ ) .

<sup>(</sup>٤) أسد الفابة ( ٧/ه.٩ ) والاستيماب ( ٤٣٠/٢ ) .

<sup>(</sup>ه) النقم : رفع الصوت ، وقيل : أراد شق الجيوب . والافلقة : الجلبة ، كأنه حكانة الأصوات إذا كثرت ، والاقلق : اللسال .

<sup>(</sup>٦) وضعت لمتها : أى حقت رأسها . انظر أسدالغابة ( ٢٦/٢) والاستيماب ( ٢٣٠/٢ ) والإصابة ( ٢٠/٢) والأغاني ( ٢٦/١٥ ) .

<sup>(</sup>٧) ابن عساكر ص (٧١٤) .

<sup>(</sup>٨) الاإمامة والسياسة إلان قتيبة ( ٢٤/١ ) .

## العيب الد

« ما ليلة يُهدى إلى فيها عروس أنا لها محب ، أو أبدّ فيها بغلام ، أحب إلى من ليلة شديدة الجليد ، في سرية من المهاجرين ، أصبّح بهم العدو ؛ فعليكم بالجهاد » « خالد بن الوليد »

# أثرقبادته

#### نى الجاهلية :

انتصر المسلمون على المشركين فى الصفحة الأولى من معركة (أحد) ، ولكن قيادة خالد لفرسان المشركين وانتباهه الشديد إلى حركات المسلمين ، جمله يشعر بانسحاب رماة المسلمين من مواضعهم ؛ فانهز هذه الفرصة السائحة ، والنف بخيالته وضرب صفوف المسلمين من الخلف فى وقت لا يتوقعونه كانت صفوفهم فيه مبعثرة لجمع الغنائم ؛ فأدى ذلك إلى هزيمة المسلمين وانتصار المشركين بفضل قيادة خالد .

وفى غزوة (الخندق) ، أدام خالد زخم الهجوم على المسلمين حتى حلول الظلام، وكان هجومه هذا بدرجة من الشدّة والخطورة بحيث أشغل النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء 1

وفى غزوة (الحديبية) أراد خالد أن ينشب القتال ، وأراد أيضاً أن يباغت المسلمين أثناء صلامهم ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم فوت عليه هذه الفرصة ، وذلك بالانحراف عن الطريق المؤدية إلى الاصطدام بخيالة خالد، و بتشديد الحراسة وإقامة صلاة الخوف .

لقد ظهرت بوادر قيادة خالد الفدة فى تلك المعارك على الرغم من شبابه المبكر – إذ كان عمره فى غزوة (أحد) حوالى ثمان وعشرين سنة، وكان عمره فى غزوة (الخندق) حوالى ثلاثين سنة، وكان عمره فى غزوة (الحديبية) إحدى وثلاثين سنة (الحديبية) إحدى وثلاثين سنة (المحديبية)

<sup>(</sup>١) ولد خالد قبل الهجرة بخمس وعشرين سنة ، وقد وقمت غزوة (أحد) فى السنة 🕳

وانتباهه الشديد لحركات عدوه وسكناته ، وذلك لمعرفة نقاط ضعفه وانتهاز الفرصة للقضاء عليه ، وبادرة تشبّعه بروح (التعرس) ومحاولة إدامة زخم الهجوم بشدة وعنف واستمرار ، وبادرة تشبّعه بروح (المباغنة) لضرب عدوه في وقت ومن مكان لا يتوقعهما ، وبمعنى آخر ، ظهرت في قيادة خالد بادرتان مهمتان : بادرة تشبّعه بروح (المباغنة) ، وبادرة تشبّعه بروح (التعرس) وها مبدآن من أهم مبادىء الحرب .

فلماذا — إذاً 🕂 لم تؤثر قيادة خالد تأثيراً حاسماً على المسلمين ؟ ؟ !

لقد اصطدمت قيادة خالد الفدّة وهو يقود رجالاً تنقصهم العقيدة الراسخة والضبط المنين ، بقيادة الرسول القائد وهو يقود رجالاً تغمر قلوبهم عقيدة راسخة ويشيع في نفوسهم ضبط منين ؛ أي أن خالداً بقيادته الممتازة وبجنود غير ممتازين اصطدم بقيادة ممتازة هي قيادة النبي صلى الله عليه وسلم وبجنود ممتازين هم المسلمون ، لذلك أثرت قيادة خالد تأثيراً تعبوياً فقط على المسلمين، بينما كان المتوقع لمثل قيادته النادرة أن تؤثر تأثيراً سوقياً عليهم ، فأيقن بفطرته العسكرية وبعقليته الراجحة ، بأن مكانه قائداً لامعاً ليس هنا بين صفوف المشركين ، بل هناك بين صفوف المسلمين ، فكان ذلك من أسباب إسلامه .

لقــد فــكّر خالد وأدار فى ذهنه ، ولساءل : من أين لمحمد ذلك النصر المبين ؟

من أين له تلك المهابة التي تردّ عنه الأعين والأيدى من قريب ؟

من أين له ذلك العون الذي يدركه ، وقد أحاطت به الهزيمة من كل فج ،

الثالثة الهجرة ، وغزوة (الحندق) في السنة الحامسة الهجرة وغزوة ( الحديبية ) في السنة الساهة الماهرة .
 السادسة الهجرة . راجع المنحق ( جـ ) من كتاب الرسول القائد .

فإذا هو ناصل منها ، وإذا هو الطارد الظافر وقد خيّل إليهم أنه الطريد المخذول؟ ومن أين للمسلمين ذلك الأدب وذلك الخشوع ؟ ومن أين للنبى بينهم ذلك السلطان الصادع والصوت المسموع ؟

لقد كان إسلام خالد ضرباً من التسليم (١) ، إذ وجد بالإضافة إلى كل ذلك – أن قتال المشركين المسلمين ليس مصاولة بين رجال ورجال ، بل مبارزة بين إرادة البشر وإرادة الله !

#### مع الني :

وجد خالد بعد إسلامه مكانه الصحيح بين جنود المسلمين ، إذ كان لقاؤه بهم لقاء القائد الممتاز بالجنود الممتازين .

ولكن كفاءة خالد العسكرية وحدها لم تكن كافية لتوليه منصب القيادة بعد إسلامه مباشرة على رجال عقائديين من الطراز الأول ، كما أن الرسول القائد كان لا يولى القيادة إلا لمن تتوفّر فيه كفاءة القيادة وكفاءة العقيدة أيضاً ؛ وقد كانت مزايا قيادة خالد معروفة ، ولكنّه تأخّر في إسلامه عن السابقين الأولين من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ا بتدأ خالد بجهاده بين صفوف المسلمين جندياً بسيطاً في معركة (مؤتة). ولكن ، ماكادت رحى هذه المعركة تدور على المسلمين ويستشهد قادتهم الثلاثة بالتعاقب ، إلا وأمر المسلمون عليهم خالداً ليقودهم إلى شاطىء السلامة في معركة انسحابية تعانى زخم قوات تتفوق تفوقاً ساحقاً على قوات المسلمين القد ذهب خالد إلى معركة (مؤتة) جندياً بسيطاً ، ولكنه عاد منها قائداً

<sup>(</sup>١) عبقرية خالد ـــ للمقاد ـــ ص ( ٤٨ ) طبعة دار الهلال .

منتخباً أمّره رجاله وأمرته كفاءته ، ومن يومها أصبح قائداً من قادة المسلمين ، قدّمته كفاءته الممتازة ورسوخ عقيدته أيضاً على السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار.

وكان أحد أربعة قادة كانوا على رأس قوات المسلمين فى غزوة فتح مكة ، ولكنه كان القائد الوحيد الذى لاق مقاومة من قريش عند دخوله مكة المكرّمة ، وسرعان ما قضى على تلك المقاومة والجأ دعاتها إلى الفرار .

وكما قاتل خالد تحت نواء الرسول القائد فى يوم فتح مكة ، قاتل تحت لوائه أيضاً يوم حنين قائداً لمقدَّمة المسلمين ، تلك المقدّمة التي لم تقم بواجبها يومذاك ، وكاد إهمالها أن يؤدى إلى اندحار المسلمين .

لقد تولى خالد القيادة فى أعقاب ( مؤتة ) تلك المعركة التى كان لقيادته أثر عظيم فى إنقاذ جيش المسلمين من الفناء ، فقاتل خالد بعد ( مؤتة ) قائداً مرؤوساً تارة وقائداً مستقلا تارة ، وداعياً إلى الله تارة أخرى .

وعلى الرغم من نجاحه فى قيادته وفى دءوته للإسلام ، مما كان له نتأنج باهرة ملموسة فى توطيد أركان الدعوة الإسلامية وفى إعلاء كلة الله ، وعلى الرغم من بروز سمات مزايا قيادته الأصلية فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، إلا أن قيادته فى تلك الفترة لم تخل من هنات ، كان سببها تسرع خالد فى قراراته وفى تنفيذها ، ذلك التسرع الذى كاد يؤدى إلى نتأنج خطرة للغاية لولا حكمة وسداد قيادة الرسول القائد ، فقد كاد يؤدى اندفاع مقدمة المسلمين يوم (حنين) إلى وقوع المسلمين فى تهلكه لولا ثبات الرسول طى الله عليه وسلم ومحاولته المستحيل فى سبيل صد تيار فرار المسلمين وفى سبيل محاولته إعادة تجميع قواتهم وإعادة الهجوم المقابل على المشركين بعد

كل ذلك!! كما تسرّع خالد فى قتله بعض بنى جذيمة ، فودى النبى صلى الله عليه وسلم لهم الدماء وعوضهم عما أصيب لهم من الأموال — تداركاً لخطأ خالد فى تسرعه هذا!

لقد نجح خالد فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم قائداً وداعياً ، ولكن نجاحه هذا كانت تشوبه بعض الشوائب من جراء اندفاعه الشديد تلافاها الرسول صلى الله عليه وسلم بشجاعته وحكمته ، تلك الشجاعة والحكمة التى بدّلت الاندحاريوم (حنين) إلى نصر ، وغيّرت من احمال تفرّق الصفوف والقلوب فى بنى جذيمة خاصة إلى جمع الصفوف والقلوب فى المسلمين عامة!

#### نى حروب الروة :

وقفت المدينة المنوسرة ومكة المكرسمة وجيرتهما وحدها فى وجه البادية العربية بأسرها، ومن وراء البادية دولتان كبيرتان هما الامبراطورية الفارسية والامبراطورية الرومية تناصران البادية للقضاء على الدين الجديد.

لقد قام خالد وحده بأوفر قسط من حروب الردة ، فله فى قتالهم الأثر العظيم (1) ، فقد قمع أخطر الفتن فى الجزيرة العربية من أقصاها إلى أقصاها : قمع فتنة بنى أسد وحلفائهم ، وخطرها أنها كانت أقرب الفتن إلى المدينة ومكة . وقمع فتنة بنى حنيفة ، وخطرها أنها كانت فتنة القبيلة الأقوى والعديد الأكثر بين العرب قاطبة ، فكان نصيب خالد من وقاية الإسلام فى أرضه أوفى نصيب .

وعلى الرغم من نجاحه الباهر فى حروب أهل الردّة ، إلا أن قيادته فى

أسد الغايه ( ۱۶/۲ ) .

تلك الفترة ايضاً ، كانت لا تزال تعانى من تسرّعه الشديد فى الأمور ؛ ولعل من نتأنج هذا التسرّع إقدامه على قتل مالك بن نويرة وأصحابه ، مما جعل أبا بكر يتلافى ذلك ، فودى مالكاً من بيت المال ! ولعل من نتأنج هذا التسرّع أيضاً إقدامه على الزواج من زوج مالك بعد معركة (البطاح) مباشرة ، ومن بنت مجاعة بعد معركة (المجامة) مباشرة أيضاً ، مما جعل أبا بكر يعنفه تعنيفاً شديداً (۱) ، لأن العرب كانت تكره الزواج فى ميادين القتال (۲) ، ولكن ما قيمة كل ذلك ، إذا قيس بما أسداه خالد فى حروب الردة من خدمات للإسلام والمسلمين ؟ ؟

#### في العراق :

أقام خالد فى العراق سنة وشهرين فقط من المحرم سنة اثنتى عشرة إلى صفر ، قاتل خلالها القوات الفارسية وحلفاءها خمس عشرة معركة ، لم ينهزم ولم يخطىء ولم يفشل قط فى واحدة منها ، وذلك لأنه كان ينجز كافة استحضارات القتال قبل المعركة ولا يسير بجيشه إلا على تعبية كاملة ليقاتل عدوة حيث لقيه فى شجاعة ويقظة وخبرة وسرعة واستعداد .

لقد خرج خالد وعياض بن غنم لفتح العراق من اتجاهين مختلفين ؟ فسار خالد من نصر إلى نصر ، ولبث عياض يدور فى حلقة مفرغة عند أول موضع معادى لاقى فيه مقاومة معادية — حتى أدركه خالد بالمعونة ، فقضى

<sup>(</sup>۱) فى الطبرى ( ۲/۹/۰ ): أن خالداً قال لمجاعة: ﴿ رُوَّجَى ابنتك ﴾ ، فقال له مجاعة: ﴿ رُوَّجَى ابنتك ﴾ ، فقال له مجاعة: ﴿ مهلا ! إنك قاطع ظهرى وظهرك ممى عند صاحبك ﴾ فقال خالد: ﴿ أَمِهَا الرَجِل رُوِّجَى ! ﴾ فتورخه ، فبلغ ذلك أبا بكر فكتب إليه كتاباً يقطر الدم: ﴿ لَمَهُمَى مَا اللهُ عَالَى اللهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُكُ عَلَيْهُ عَلَيْكُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ

<sup>(</sup>۲) الطبرى ( ۲/۴ ۰ ه ) وابن الأثير ( ۱۳۷/۲ ) .

على مقاومة العدو بسرعة خاطفة ، وفتح دومة الجندل ؛ وهذا دليل على أثر خالد الشخصي في فتح العراق .

وعلى الرغم من انحسار مد الفتح الإسلامى بعد خالد عن أكثر أرض العراق ، إذ انسحب المثنى بن حارثة الشيبانى تحت ضغط ضخامة تحشد القوات الفارسية إلى ( ذى قار )('')، تاركاً ما فتحه المسلمون من أرض العراق "بالا أن نتائج فتوح خالد والمثنى فى العراق بقيت ظاهرة للعيان.

من تلك النتائج، رفع معنويات الجيش الإسلامى وثقته بأن فى مقدوره التغلب على جيوش الفرس، وكانوا من قبل يعتقدون أن مجرد التفكير فى مثل ذلك من المستحيلات.

وإذا كانت معنويات العرب المسلمين قد ارتفعت ، فإن معنويات عدوهم في العراق قد هوت إلى الحضيض ، وبذلك أصبحت الأمة العربية مهابة الجانب من الفرس وحلفائهم ، فقد كان الفرس في السابق يعتقدون أن العرب لا يحسنون غير حرب الفارات وحرب العصابات ، تحت عوامل اقتصادية بحتة ، وأنهم سرعان ما يعودون إلى باديتهم بعد الحصول على شيء من الغنائم والأسلاب ، واكن الفرس بعد معارك المثنى وخالد تيقنوا أن العرب جاءوا فاتحين لا غزاة ، وأنهم أصبحوا دولة عظمى في مصاف الدول العظمى في تلك الأيام .

هذه النتائج المعنوية ، تتفوسق بكمثير على النتائج المادية . أما نتائج فتوح خالد المادية ، فهي حصول المسلمين على خبرة عملية في التدريب على قتال

 <sup>(</sup>۱) ذوقار : ماء أبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط وفيه كانت الوقعة المشهورة بين بكر بن وائل والفرس - راجع التفاصيل فى معجم البلدان (۸/۷) .
 (۲) الطبرى (۲/۹۰) .

القوات النظامية بأساليب متطورة وعدم بقائهم على أساليهم البدوية القديمة في القتال ، كما كان للغنائم الكثيرة التي غنمها الجيش الإسلامي أثر في دفع مستوى المعيشة داخل الجزيرة العربية ويسر المال لتدعيم الجيوش الإسلامية الفاتحة بالرجال والسلاح والعتاد .

إنّ معارك خالد والمثنى فى العراق، فتحت قلوب أهله على مصراعها للفتح الإسلامى، بينما فتحت معركة (القادسية) الحاسمة أبواب العراق وقلوب أهله للفاتحين .

لقد كانت قيادة خالد في هذه الفترة قيادة عبقرية حقاً ، وما أصدق عرو بن العاص عندما وصفها قائلاً عن خالد: «له أناة القطاة ووثوب الأسد من قبل ، فجمع في أيام فتح العراق أناة القطاة ووثوب الأسد ، وبذلك جمع مز يتنبن من أبرز مزايا القيادة العبقرية ،

### فى أرضى الشام :

إذا كانت معارك خالد فى العراق ، قد فتحت قلوب أهله فقط ؛ فقد فتحت معارك خالد فى أرض الشام وعلى رأسها معركة ( البرموك ) الحاسمة ، قلوب أهل الشام وأبواب أرض الشام للمسلمين الفايحين .

ولعل أثر خالد الشخصى فى أرض الشام أكثر وضوحاً من أثره فى العراق، إذاً نه وصل الشامفي أعقاب نكسة جيش خالد بن سعيد (٢٠)، ومضايقة

<sup>(</sup>١) اليعتويي (٢/١٠٨) .

<sup>(</sup>۲) خالد بن سعید بن العاص بن أمیة الفرشی الأموی : أسلم قدیماً ، یقال إنه أسلم بعد أبی بكر ، فعلم أبوه بإسلامه فأرسل فی ظبه ، فلما أنوا به سبه أباه و بكته وضربه بعصا فی یده حتی كبرها علی رأسه وطرده من بیته و منمه الفوت و منع إخوته من كلامه ، فانصرف خالد إلى رسول الله صلی الله علیه و سلم ، فنكان یلزمه و یعیش =

المسلمين في اليرموك بمدد الروم الزاخر (۱)، فلما وصل خالد فرح المسلمون بمقدمه (۲)، وتغلبوا على قوات الروم المتفوقة على قوانهم تقوقاً ساحقاً بالعدّد والعُدّد.

إن نتأج فتوح خالد فى أرض الشام لا نزال باقية حتى اليوم ؛ وبالإضافة إلى ذلك ، فقد ترك خالد آثاراً مشابهة لما تركه فى العراق : رَفْعُ معنويات العرب المسلمين وسحق معنويات الروم ، وتدريب جيوش المسلمين على فنون القتال ضد جيوش نظامية كثيفة ، ورفع المستوى المعاشى للعرب داخل الجزيرة العربية من جراء الغنائم التى حصلوا عليها ، وتلك آثار كافية لتخليد عدد كبير من القادة ، فكيف وهى من صنع رجل واحد هو خالد بن الوليد ؟ لقد بلغت قيادة خالد فى أرض الشام حد الروعه والذروة ، فكان خالد

لقد بلغت فيادة حالد في ارض الشام حد الروعة والدروة ، فكان خالد هناك بحق : قائد القادة ومطمح الأنظار ومعقد الآمال سواء كان قائداً عاماً أو قائداً مرءوساً أو جندياً بسيطاً أو قابعاً في داره بين عشيرته وأهله .

ذلك هو مقــام الذروة الذي بلغه خالد بجدَّه وجهاده. . . المقام الذي

<sup>=</sup> معه ، هاجر إلى الحبشة الهجرة النانية ، وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم يخير معجمفر ابن أبي طالب ، وشهد مع النبي عمرة القضاء وفتح مكة وحنيناً والطائف وتبوك ، وبعثه النبي صلى الله عليه وسلم عاملاً على صدقات البن وقبل على صدقات مذحج وصنماء . وتأخر خالد عن بيعة أبي بكر وقال لبني هاشم : « إنسكم لطوال الشجر طيبو الثمر ، ونحن تبسع لسكم » . فلما بابع بنو هاشم أبا بكر بابعه خالد أيضاً . استعمله أبو بكر على حيث من جيوش المسلمين حين بعثهم إلى أرض الشام فقتل بمرج الصفر في خلافة أبي بكر ، وقبل بل كان قتله في واقعة ( إجنادين ) بالشام قبل وفاة أبي بكر بأربع وعشرين ليلة . واحيم (طبقات ابن سعد ( ١٩٤/ ٩ ) والإصابة ( ١٩١/ ٩ ) وأسد الفابة ( ١٩٢/ ٩ ) واللاستيعاب ( ١٩٤/ ٩ ) وانظر قصة اندحار حيشه أمام الروم في الطبرى ( ١٩٥/ ٩ ) وابن الأثير ( ١٩٥/ ١ ) .

<sup>(</sup>١) الطبرى (٢/٢٥٥) .

<sup>(</sup>٢) الطبرى ( ١٩١/٢ه ) .

أصبح فيه فوق المناصب والرتب وفوق الأهواء والنزعات . . . لقد أصبح أمة في رجل ، لأنه أصلح بحمل مجد أمة وبطولة جيل !

لقد أصبح لا يمثل نفسه فحسب ، بل يمثل مجداً وفكرة : مجمه عبقرية العرب فى القيادة ، وفكرة الفتح الإسلامى ، وما أعظم وأروع عبقرية القيادة العربية فى الحروب ، وما أشرف وأنصع فكرة الفتح الإسلامى فى التاريخ!!.

## مزاياه المسكرية

#### عسكدي ممتاز :

كان خالد يهوى مهنة الجندية ويفضّلها على كل مهنة أخرى ، وكان عسكرياً بالفطرة من أخمص قدمه إلى قمّة رأسه ، وما أصدقه حين وصف هواه بالجندية بقوله : « ما ليلة يُهدى إلى فيها عروس أنا لها محب ، أو أبشر فيها بغلام ، أحب إلى من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين أصبّح بهم العدو ، فعليكم بالجهاد (۱)».

لقد نصّ خالد بكامته هذه على : سرية من المهاجرين ، ذلك لأنهم كانوا أقدم المسلمين إسلاما فهم أرسخ المسلمين عقيدة وأشدهم ضبطا وطاعة ، لذلك آثرهم خالد بالذكر على غيرهم ، فهو يصف بقولته هذه هواه العميق بالجندية من ناحية ، ورغبته الملحّة في قيادة جنود عمّائديين من ناحية أخرى ، إذ أن القيادة الممتازة بدون جنود بممتازين مضيعة للجهود في أكثر الأحيان .

لقد كان خالد عسكريًا ممنازًا بكل معنى الكلمة ، وهب للعسكرية :

<sup>(</sup>١) الإصابة ( ٩٩/٢ )

كل حياته وأعز ما يملك من روح ومال وجهد ووقت، لذلك أصبح جندياً ممنازاً وقائداً ممنازاً في وقت واحد ، فحقق بطبعه الموهوب الذي فطره الله عليه ، وبعلمه المكتسب وخبرته الطويلة في حياته ، معجزات عسكرية ، كانت ولا تزال وستبقى في أوج الأمثلة الرائعة الخالدة لما يمكن أن يحققه أعاظم قادة الناريخ في كل زمان ومكان .

وقد يكرس العسكرى كل حياته لخدمة واجبه العسكرى بكل أمانة وإخلاص فيحصل على معلومات ثمينة وخبرة طويلة ، ولكنه لن يكون عسكرياً ممتازاً إلا إذا خلق بطبيعته يهوى الأعمال العسكرية ويندمج بمنطلباتها كلياً بشوق و لهفة .

لقد جمع خالد الطبع الموهوب والعلم المكتسب ، فجمع بذلك كل عوامل تكوين العسكرى الممتاز، فما هي مزاياه جندياً ممتازاً و قائداً ممتازاً ؟؟

#### مندی ممتاز :

#### ١ – مزايا الجندى الممتاز:

تتلخّص مزايا الجندي الممتاز بما يلي (١):

عقیدة راسخة — ضبط منین — عقلیة متزنة — شجاعة شخصیة — تدریب جیّد — قابلیة بدنیة — معنویات عالیة .

فهل يتحلى خالد بهذه المزايا المعنوية والمادية للجندى الممتاز ؟ ؟

<sup>(</sup>١) راجع المجلد الرابع — التعبية : فوج للشاة في للمركة س ( ٢١ ) بمطبقة الجيش العراق سنة ه ١٩٥٥ — وهو كتاب رسمي خاص بالجيش .

### (١) عقيدة راسخة

وجدخالد قومه يعبدون الأوثان في الجاهلية فاقتدى بآثارهم في عبادتها ، فلما بعث الله رسوله هادياً ومبشراً ونذيراً ، قاتله خالد دفاعاً عن قومه قريش وعن عقائدها ، ولكنه أعلن إسلامه بعد أن ظهر له الحق واضحاً جلياً ، فكان إسلامه ضرباً من النسليم : تسليم القائد في معركة نفسية بدأت منذ غزوة الحديبية ، يوم أراد أن يغير على المسلمين ، وقد وصف خالد ذلك ، فقال : «همنا أن نغير عليه ، ثم لم يعزم لنا ، وكان فيه خيرة — يقصد الرسول صلى الله عليه وسلم — فاطلع على ما في أنفسنا من الهجوم به ، فصلى بأصحابه صلاة الخوف ، فوقع في ذلك منى موقعاً ، وقلت : الرجل ممنوع " (١) ، وانتهت هذه المعركة النفسية بتسليمه نهائياً يوم أعلن إسلامه .

وبعثه الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك غازيا وهاديا ؛ وعلى الرغم من أهمية توليه قيادة الملمين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في إثبات رسوخ عقيدته ، إلا أن إثبات ذلك يبدو أكثر وضوحاً في توليه هدم (العرى) و (ود) وإرساله داعياً إلى بعض قبائل اليمن ؛ إذ لا يمكن أن يقوم بمثل هذه الواجبات غير ذوى المقائد الراسخة .

عند فتح (الحيرة) وجد خالد عند أحد قادتها، وهو عمرو بن عبد المسيح سماً ناقعاً، فلما سأله خالد عنه، أجابه عمرو: « خشيت أن تكونوا على غير ما رأيت ، وقد أتيت على أجلى ، والموت أحب إلى من مكروه أُدخاه على

<sup>(</sup>١) السيرة الحلبية (أ١٤/٣) .

قومى وأهل قريتى » . فقال خاله : « إنها لن نموت نفس حتى تأتى على أجلها » ثم قال : « بسم الله خير الأسماء ، رب الأرض ورب السماء الذى ليس يضر مع اسمه داء ، الرحمن الرحم » ثم ابتلع السم ، فقال عمرو : « والله يا معشر العرب التملكن ما أردتم ما دام منكم أحد أيها القرن (١) » .

ولم قال بنو تميم وعلى رأسهم عاصم بن عمرو التميمى والأقرع بن حابس التميمى بعد انتصار خالد فى دومة الجندل ـ عن أسارى بنى كلب: «قد أمّناهم» قال لهم خالد: « مالى ولكم ! أتحفظون أمن الجاهلية وتضيّعون أمن الإسلام! (٢٠) » فهو لا يكترث بحليف أو قريب أو نسيب إلى جانب سلامة وأمن تعاليم الدين الحنيف.

ولما تردّد رجاله خوفاً من عبور الصحراء من طريق صعب غير مطروق، قال لهم: « إن المسلم لا ينبغى له أن يكترث بشىء يقع فيه مع معونة الله له (٢٠) فهو يثق بالله ثقة لا حدود لها ويؤمن به إيماناً راسخاً.

وكانت ثقنه بنصر الله ثقة لا حدود لها أيضاً ، وهو الذي قال لأهل (قنسرين) : « إنكم لوكنتم في السحاب لحلن الله إليكم أو لانزلكم الله إلينا<sup>(1)</sup>».

وفى يوم اليرموك فقد خالد قلنسوته ، فقال : « اطلبوها » فلم يجدوها ، فلم يزل حتى وجدوها ، فإذا هى خلقة ، فسئل عن ذلك، فقال: « اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلق رأسه ، فابتدر الناس شعره ، فسبقتهم إلى ناصيته

<sup>(</sup>١) الطبري ( ١٩٧/٢ ) .

<sup>(</sup>۲) الطبرى ( ۲/۲۷ه ) وابن الأثير ( ۱۰۲/۲ ) .

<sup>(</sup>٣) الطبرى ( ٦٠٣/٢ ) وابن الأثير ( ٦/٢ ) .

<sup>(</sup>٤) الطبري ( ٩٨/٣ ) .

فجعلتها فى هذه القلنسوة ، فلم أشهد قتالاً وهى معى إلا تبيّن لى النصر » وقال فى آخره : « فما وُجّهت فى وجه إلا فتح لى (١) » .

ذلك مبلغ عقيدته بالله وبرسوله ، تلك العقيدة الراسخة التي دفعته أن يطلب الموت في مظانه فلم يقدر له (٢٠) ، وبذل ماله في سبيل الله ، فمات فقيراً معدماً وحبس فرسه وسلاحه في سبيل الله (٣٠).

لقد جاهد خالد بنفسه وماله في سبيل الله

## (ب) ضبط متين

كان خالد يتمتع بضبط مثالى متين لا يزال مضرب الأمثال حتى اليوم، فقد رأيت كيف نزع بالله الحبشى عمامة خالد فلم يمنعه سمعاً وطاعة ، ثم أقامه وعقله بعمامته أن حل خلك جرى وخالد فى أوج مجده وانتصاراته ! ثم رأيت كيف عزله عمر بن الخطاب دون أن يترك عزله فى نفسه أثراً سيئاً ، بل استمر فى الجهاد — لا فرق عنده أن يكون قائداً عاماً أو قائداً مرؤوساً أو رجلاً من المسلمين .

ولما قاسمه أبو عليدة بن الجراح بأمن عمر بن الخطاب أمواله ، قال خالد : « ما أنا بالذي يعصى أمير المؤمنين » (٥). . . 1 وهذا ضبط مثالي يندر وجوده حتى في نفوس رجال أعرق الجيوش في العالم قديماً وحديثاً .

أما إقدام خالد على مخالفة أوامر الخليفة في بعض الأحيان ، فذلك

<sup>(</sup>١) الإصابة (٢٪(٢٠) . .

<sup>(</sup>٢) الأصابة (٢/١٠٠).

<sup>(</sup>٣) أسد الغابة ( ﴿ ٣/ ٩٩ ) والإصابة ( ٢٠٠/ ) .

<sup>(</sup>٤) ابن الاعمير ( ٢٠٧/٢ ) .

<sup>(</sup>ه) الطبرى ( ٢/ ١٢٥) .

لا يعنى الإخلال بالضبط بل يعنى تحمّل المسؤولية الكاملة ضمن نطاق إمكان مخالفة الأوامر فى بعض الظروف عندما لا يكون المرجع الذى أصدر الأمر حاضراً.

إن الإخلال بالضبط سبّة على الجندى، وتحمّل المسؤولية مفخرة له ؛ ولا تزال تعاليم الجيوش حتى اليوم تنصّ بصراحة على إمكان مخالفة الأوامر مع تحمّل نتائج تلك المخالفة في حالة وجود الآمر الذي أصدر الآمر بعيداً، بحيث لا يمكن مشاورته لتبديل أوامره وعند الاقتناع من أنه لو كان حاضراً لخالفها هو بنفسه رضوخاً للموقف الراهن الذي لم يطلّع على تفاصيله، وقد أوضح ذلك خالد للأنصار عند معارضتهم لمسيره إلى مالك بن نويرة بعد فراغه في أمر طليحة فقال لهم: «أنا الأمير وإلى تنتهى الأخبار! ولو أنه لم يأتني له كتاب ولا أمر، ثم رأيت فرصة، فكنت إن أعلمته فاتتنى، لم أعلمه حتى أنتهزها. وكذلك لو ابتلينا بأمر ليس منه عهد إلينا فيه، لم ندع أن نرى أفضل ما بحضرتنا، ثم نعمل به . . . (1)».

إن ما ذكره خالد بصدد مخالفة الأوامر، عند الضرورة ، يطابق أحدث تماليم الجيوش الحديثة حول ذلك .

### (ح) عقلية متزنة :

كان خالد معروفاً بين قريش بعقليته المتزنة ، لذلك صارت إليه الأعنة والقبّة من بين كل رجال بنى مخزوم فى الجاهلية على الرغم من شبابه المبكر حين تولى هذين المنصبين الخطيرين .

 كنت أرى لك عقلاً رجوت ألا يسلمك إلا إلى خير (١) » ، وقال عنه : « ما مثل خالد من جهال الإسلام (٢) » ، وحسبه شهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم برجاحة عقله .

والذى يدرس رسائله إلى قادة الفرس والروم، ومناقشاته المنطقية لهم، وأوامره التى أصدرها لرجاله، وأعماله الحربية والسلمية وتصرفاته، يلمس بوضوح عقلية خالد المبدعة الحلاقة، ويكنى أن نمرف إنجازاته الحالدة لنطمئن إلى أن مثلها أو قسماً قليلاً منها، لا يمكن تحقيقه إلا بنفكير متزن جبار.

#### (٤) شجاعة شخصية:

لعل الحديث عن شجاعة خالد يعتبر حديثاً معاداً لا لزوم له ، ويكنى أن نتذكر أنه كان دائماً في الأمام أثناءالقتال قريباً من مواطن الخطر: في مسير الاقتراب كثيراً ما يقود المقدّمة ، وفي الهجوم يبادر إلى المبارزة وإلى مهاجمة قائد العدو والقضاء عليه ، وفي الانسحاب يقود المؤخرة ثم يبتى مع الساقة ، ثم لا ينسحب إلا بعد انسحاب رجال الساقة وبعد أن يتأكد أن جيشه كلة أصبح بأمان .

وكمثال فقط، فإنه بارز يوم ( الولجة ) رجلاً من أهل فارس يعدل ألف رجل فقتله ! فلما فرغ منه اتكاً عليه ودعا بغدائه (٣).

إن آثار شجاعة خالد الشخصية ، ملموسة بوضوح في كل معاركه التي

<sup>(</sup>١) طبقات ابن لمسعد ( ٢٥٢/٤ ) و ( ٣٩٤/٧ ) .

<sup>(</sup>٢) طبقات ابن لسمد ( ٣٩٤/٧ ) .

<sup>(</sup>۳) الطيرى ( ۲/۰۲ه ) .

خاضها، وملموسة أيضاً في بدنه الذي ليس فيه موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية (١).

لقد كان خالد مثالاً شخصياً رائماً فى الشجاعة والإقدام لرجاله فى كل معاركه، لذلك كان رجاله الذين يقاتلون تحت رايته يحتذون حذوه، فيصنع ويصنعون فى ميدان القنال خوارق معجزات الشجاعة والإقدام.

## (ه) تدریب جیّد:

أتاح لخالد ثراء والده العريض و نشأته فى بيت له القبّة والأعنّة ، أن يتفرّغ منذ نعومة أظفاره للتدريب على مختلف الأسلحة وعلى الفروسية ؛ لا لكى يجيد استعالها فحسب ، بل لكى يبزّ أقرانه فى تدريبه علمهما .

ولم تكن الشجاعة وحدها - خاصة فى قنال المبارزة - كافية لقهر الخصم ، بل إنّ الشجاعة الشخصية والتدريب الجيد على استعال السيف والرمح والرمى بالنبال والمهارة فى امتطاء الخيل ، هما العنصر ان الأساسيان للنصر .

إنّ المهارة فى استخدام الأسلحة هى نتيجة حتمية للتدريب الجيد عليها، وهذا يجعلك تقتل عدوّك قبل أن يقتلك ، وكانت هذه القاعدة صحيحة فى الحرب القديمة ولا تزال صحيحة حتى اليوم.

لقد كان خالد قائد فرسان قريش فى الجاهلية ، ومعنى ذلك أنه كان من أبرز فرسانها شجاعة وتدريباً ، لأن الوراثة وحدها على اعتبار أنه مخزومى غير كافية لتولى هذا المنصب الخطير ، خاصة وأن بنى مخزوم كثيرون ، مع أن فرسان قريش كانوا فى طليعة فرسان العرب فى الجاهلية وفى صدر الإسلام

<sup>(</sup>١) أسد الغابة ( ٢٠/٢ ) .

أيضاً ؛ وكان تدريب خالد على استعال السيف والرمح ورمى النبال مضرب الأمثال بين العرب الأمثال بين العرب كلهم بعد الإسلام .

ولكن التدريب على الأسلحة وعلى الفروسية ، لا تكفى للجندى الممتاز ، بل يحتاج إلى التدريب على تحمل أقسى الظروف المعاشية ، فيأكل عند الحاجة أخشن الطعام ويلبس أخشن اللباس ، ويصوم عن الطعام عند عدم تيسره ، ويصبر على الجوع والعطش ، ويكتفى بالمتيسر من الطعام والشراب . كا يحتاج إلى التدريب على تحمّل أقسى الظروف الجوية ، فينام في العراء يفترش الثرى صابراً على البرد والجليد والمطر شتاء وعلى الحر الشديد صيفاً . . . إلى غير ذلك من صنوف التدريب العنيف !

لقد كان خالد غنياً - بل من الأغنياء المعدودين في قريش ، وكان بإمكانه أن يعيش مترفاً في بحبوحة من العيش الرغيد ، ولكن روحه العسكرية أبت عليه إلا أن يتناول كل طعام يقدم إليه حتى في أوقات السلم وفي المدينة المنورة بين أهله وماله ، فقد ذكر خالد : أنه دخل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت ميمونة أم المؤمنين (۱) ، فأتى يضب محنوذ ، فأهوى إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يأكل منه ، فقالوا : يا رسول الله ، هوضب ! فرفع رسول الله عليه وسلم يريد أن يأكل منه ، فقلت : أحرام هو ؟ قال : لا ، ولكنه فرفع رسول الله عليه وسلم يده ، فقلت : أحرام هو ؟ قال : لا ، ولكنه

<sup>(</sup>١) ميمونة بنت الحارث الهلالية : زوج النبي صلى الله عليه وسلم وخالة خالد ابن الوليد ، لا نها أخت لبابة الصغرى بنت الحارث أم خالد . فها نزل قوله تعالى : «وامرأة مؤمنة إن وهبت نفها النبي » واجع التفاصيل في طبقات ابن سعد (١٣٧/٨) والإصابة (١٩١/٨) والاستيماب (١٩٤١/٤).

لم يكن بأرض قومى ، فأجدنى أعافه 1 قال خالد : فاحترزته فأكلته ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر (١٠)».

وقد اجتاز الصحراء بين العراق وأرض الشام من أصعب مسالسكها وأشدها خطراً ، متحملاً الجهد والعطش ، وتحمّل التقلبات الجوية فى الصحراء وفى العراق والشام فى مختلف ظروف السنة وفى مختلف ظروف القتال...كل ذلك يدلّ على أنه كان مدرباً تدريباً ممتازاً لبس على استعال السلاح وركوب الخيل ، بل على شظف العيش وقسوة الجو فى مختلف الظروف والأحوال .

### (و) قابليته البدنية:

ترتكز القابلية البدنية على عوامل أساسية كثيرة ، أهمها: طبيعة بنية المرء: هل ولد قوى البنية أم ضعيفها ، وعلى تدريبه الرياضي ، وعلى عدم إصابته بأمراض مقعدة في حياته ، وعلى عمره شابًا أم كهلاً أم شيخا.

لقد ولد خالد منكامل الخلقة قوياً ، فقد عرفنا من أوصافه البدنية ، أنَّه كان طويلا ضخماً بعيد مابين المنكبين واسع الهيكل، وكل هذه الأوصاف تدلّ على متانة بنية بدنه .

وقد عرفنا أيضاً ، أنّه كان متفرغاً للتدريب ، مما يقوى قابليته البدنية على تحمّل المشاق العسكرية ، كما أننا لا نعرف أنه أصيب بأمراض تقعده عن العمل أو تضعف قابليته البدنية ، وكان في ريعان شبابه حين تولى قيادة فرسان المشركين في الجاهلية ، وفي شبابه حين تولى قيادة المسلمين في أيام النبي صلى الله عليه وسلم وعهد أبي بكر وعمر بن الخطاب ، ولما مات

 <sup>(</sup>١) أسد الغابة ( ١/٥ ٩ ) .

كان في أوج قوته ، إذ كان له من العمر بضع وأربعون سنة كما أسلفنا .

كل ذلك يدل بوضوح على تمتع خالد بقسط وافر من القابلية البدنية فى كل حياته العسكرية ، مما جعله قوياً جداً بحيث يحتضن خصمه عند البراز فيقضى عليه (۱) ، ويغلب من بخرج لمبارزته من الأبطال (۲) ، ويتحمل المشاق العسكرية بسمولة ويسر ، وكمثال على تحمله المشاق العسكرية ، قطعه الظريق من (الفراض) إلى مكة المكرمة للحج : (فسار طريقاً من طرق أهل الجزيرة ، لم يُر طريق أعجب منه ولا أشد على صعوبته منه ، فكانت غيبته عن الجند يسيرة ، هما توافى إلى الحيرة آخر هم ، حتى وافاهم مع صاحب الساقة) (۱).

طريق صعبة فى الصحراء، قطعها بسرعة خاطفة . . . ذلك دليل قاطع على قابلينه البدنية الفائقة التي أعانته على تحمّل المشاق العسكرية .

### (ز) معنويات عالية:

كان خالد كتلة ضخمة من المعنويات العالية ، لا يحلّ فى مكان إلا رفع عنويات رجاله وحطّم معنويات خصومه .

ولا يتمنع المرء بالعنويات العالية جزافاً ، بل هناك عوامل كثيرة لتمتعه بها ، من هذه العوامل : العقيدة الراسخة ، والضبط المتين، والشجاعة الشخصية، والقابلية المدنية والتدريب الجيد ، والماضي المجيد .

<sup>(</sup>۱) الطبری ( ۲/۷۰ ) واین الا<sup>ع</sup>ثیر ( ۱۰۱/۲ ) والطبری ( ۲/۲ ه ه ) وابن الاثیر ( ۱٤۸/۲ ) .

<sup>(</sup>۲) الطبرى ( ۲/۲۰ ) وابن الاثمير ( ۱٤٩/۲ ) .

<sup>(</sup>۴) الطبرى ( ۲/۲هه ) .

وقد رأيت أن خالداً يتمتّع بكل هذه المقوّمات ، أما ماضيه المجيد فحدّث عن البحر ولا حرج!

فليس غريباً \_ إذاً \_ أن يكون خالد كنلة ضخمة من المعنويات العالية كا أسلفنا ، ولكن الغريب ألا يكون كذلك .

أطلق الرسول القائد على خالد لقب: سيف الله ، ولما أنهارت معنويات المسلمين بعد هريمة عكرمة بن أبى جهل وشرحبيل بن حسنة فى البيامة ، بعث أبو بكر خالداً إلىها ، فانتصر .

وفى العراق كتب خالد إلى هرمز قائد الفرس قبل أن يخوض المعركة الأولى: « أما بعد : فاسلم تسلم ، أو اعتقد لنفسك وقومك الذمة وأقرر بالجزية ، وإلا فلا تلومن إلا نفسك ، فقد جئتك بقوم يحبّون الموت كما تحبّون الحياة (١)».

وكتب خالد إلى عياض بن غنم بعد أن مكث طويلاً فى دومة الجندل دون جدوى: « إيالت أريد (٢٠) » ، فلما بلغ أهل دومة الجندل دنو خالد اختلفوا فقال أكدر بن عبد الملك أبرز رؤساء دومة: « أنا أعلم الناس بخالد الأأحد أيمن طائراً منه ولا أحد فى حرب ، ولا يرى وجه خالد قوم أبداً قلّوا أو كثروا إلا انهزموا عنه ، فأطيعونى وصالحوا القوم (٢٠) » .

ولما تردّى موقف المسلمين فى الشام ، هنف أبو بكر من أعماق قلبه: «خالد لها<sup>(١)</sup>» ، فأنسى الروم بخالد وساوس الشيطان<sup>(١)</sup>، ففرح المسلمون يقدومه (١) واطمأنوا .

<sup>(</sup>١) الطبري ( ٢/٤٥٥ ) . ( ٢) الطبري ( ٢/٨٧٥ ) .

<sup>(</sup>٣) الطبرى ( ٢/٨٧٠) .
(٤) الطبرى ( ٢/٨٠٠) .

<sup>(</sup>ه) الطبري ( ۲۰۲/۲ ) . (٦) الطبري ( ۲۰۲/۲ ) .

وفى ابتداء معركة اليرموك ، خرج (جرجة ) أحد قادة الروم ، ونادى :
« ليخرج خالد » ، فخرج إليه خالد ، فسأله جرجة : « هل أنزل الله على نبيكم سيفاً من الساء ، فأعطاكه ، فلا تسلّه على قوم إلا هزمتهم (١)» .

وفى اليرموك بالذات هنف أحد المسلمين: « ما أكثر الروم وأقل المسلمين!! » ، فأجابه خالد فوراً: « ما أقلّ الروم وأكثر المسلمين! أيما تكثر الجنود بالنصر وتقلّ بالخذلان (٢٠) » .

لقد كان خالد يعتمد على إثارة نوازع الإيمان فى نفوس رجاله ، فيتمّهد جيشه بالعظات وبقراءة سورة الجهاد قبل القتال وفى أثنائه وبعده ، ويميّن مسؤولاً عن قراءة سورة الجهاد عند اللقاء ، كما فعل فى ( اليرموك ) مثلاً ... وكان من جملة الأسباب التي برترمها عمر عزل خالد: أن الناس قدفتنوا به (٤٠).

إن خالد بن الوليد، مثل رائع للمعنويات العالية: ينصر بها السلمين ويخدل بها أعداءه . . فقد اجتازت شهرته الحدود ، وأصبح معروفاً عنه أنه لا يغلب أبداً ، وبذلك انتصر على أعدائه بالرعب من مسيرة شهر ، بل من مسيرة أشهر في تلك الأيام .

#### قائد ممثاز:

(1) مزايا القائدُ الممتازُ (٥):

تتلخُّص مزايا ألقائد الممتاز بما يلي:

<sup>(</sup>۱) الطبرى (۲/۱۹۰) .

<sup>(</sup>۲) الطبري (۲/۲۹ ه) -

<sup>(</sup>٣) الطبرى ( ٢/٤٠٥ ) وابن الأثير ( ١٥٨/٢ ) .

<sup>(</sup>٤) ابن الأثير (٢٠٧/٢) .

<sup>(</sup>ه) مقتبسة من الكتب المسكرية الرسمية ومن محاضرات كلية الأوكان ومدرسة الأقدمان في الكاترا.

عقیدة راسخة ـ ضبط متین ـ عقلیة متزنة ـ شجاعة شخصیة ـ تدریب جیّد ـ قابلیة بدنیة ـ معنویات عالیة .

وبالإضافة إلى هذه المزايا التي سبق ذكرها في مزايا الجندي الممتاز، لابد أن تتوفر في القائد الممتاز المزايا الأخرى التالية:

إعطاء القرارات السريعة الصحيحة - الإرادة القوية الثابتة - تحمّل المسؤولية بلا تردّد - نفسية لا تتبدّل فى حالتى النصر والاندحار - سبق النظر - معرفة نفسيات مرؤسيه وقابلياتهم - ثقة قطعاته به وثقته بقطعاته - الحبّة المتبادلة بينه وبين قواته - شخصية قوية نافذة - ماض ناصع مجيد - معرفة بمبادىء الحرب .

فهل يتحلَّى خالد بمزايا القائد الممتاز بالإضافة إلى مزايا الجندي الممتاز ؟

## ٢ — تفصيل المزايا:

## (۱) قرار سريع صحيح:

لابد لقائد من إعطاء قرارات سريعة صحيحة فى آن واحد ، يعالج بها المواقف الطارئة المتبدلة بسرعة فى الحرب؛ إذ أن القرارات البطيئة قدلاتكون ذات فائدة ، لأن وقتها يكون قد فات ؛ كما أن القرارات الخاطئة تضرت ولاتفيد ، أى أنها تكون فى جانب مصلحة العدو .

إن القرارات السريعة الصحيحة تستند على عاملين مهمين : القابلية العقلية للقائد ، والحصول على المعلومات عن العدو وعن أرض المعركة .

لقد مرّ بنا ذكر مزية خالد العقلية ، فعرفنا أنه يتمتع بعقلية متزنة خلاقة ، أما الحصول على المعلومات ، فقد كان خالد حريصا غاية الحرص على استطلاع حالة العدو المادية والمعنوية ، فكان لا تخفى عليه خافية من حركاته وسكناته ، لأنه كان دائماً بهاس شديد بالعدو لوجوده دائماً أمام رجاله ، ولأنه كان ( لا ينام ولا ينيم ولا يبيت إلاً على تعبية ولا بخفى عليه من أمن عدوّه شيء (١).

لقد كان محصل على المعلومات عن عدوة بدوريات القتال ودوريات الاستطلاع وبالعيون وباستنطاق الأسرى وبالاستطلاع الشخصى، وباستشارة ذوى الرأى والخبرة من رجاله ورجال عدوه الذين يقدون فى قبضته، وكانت كل معاركه مثالاً محتذى به فى الحصول على المعلومات، وحسبنا أن نتذكر، كيف عرف أن المدافعين عن أسوار دمشق قد تركوا مواضعهم، فانهز هذه الفرصة السانحة وقرس مهاجمتهم فوراً، ففتح هذه المدينة بعد حصار طويل.

لقد كان خالد منتها كل الانتباه لكل حركة من حركات عدوه ، ولم يتهاون لحظة واحدة عن جميع المعلومات ؛ كما أنه كان غير متردد، يتحمّل المسئولية ولا يننظر وصول الأوامر إليه مما يؤدى إلى ضياع الوقت عبثاً ؛ فلا عجب إذا كانت قراراته صحيحة سريعة جازمة حاسمة ، وكانت نتائجها باهرة جداً .

## (ب) إرادة قوية ثابتة :

كان لخالد إرادة فولاذية لا تزعزعها الخطوب والأحداث.

لقد كان إقدامه على محاربة جيوش الامبراطورية الفارسية بحد ذاته مجازفة خارقة ندل على إرادته القوية الثابتة ، وحسبنا أن نتذكر أنَّ عدد رجاله في أول معركة خاضها صد الفرس وهي معركة ( ذات السلاسل) في منطقة

 <sup>(</sup>١) الطبرى ( ١٦٤/٢ ) وابن الأثمير ( ١٦٤/٢ ) .

البصرة بمانية عشر ألفاً فقط(١)، يقاتلون أضعاف أضعافهم من الفرس.

وفى اليرموك كان عدد قوات المسلمين سنة وأربعين ألفاً (٢)، بينا كان الروم فى مائتينوأربعين ألف مقاتل (٢).

لقد كان التقوق العددى وفى التسليح وفى تيسر القضايا الإدارية دائماً إلى جانب الفرس فى العراق وإلى جانب الروم فى أرض الشام ، وكان هذا التفوق تفو قاً ساحقاً فى كل معركة خاضها خالد ، ومع ذلك انتصر خالد ، وكان لإرادته القوية الثابتة أثر بالغ فى انتصاراته الباهرة .

لقد كان يفكر ويقدر الموقف ويقر خطة مناسبة ، ثم ينفّذ خطته بعد أن يقتنع بصحتها دون أن يلتفت إلى الوراء .

## (ح) تحمّل المسؤولية :

من أبرز مزايا خالد ، أنه كان يتحمّل المسؤولية إلى أبعد الحدود ، فإذا اقتنع بشيء أصدر قراره الحاسم للبت في الأمر دون انتظار وصول الأوامر والتوجيهات والوصايا من مرجعه الأعلى .

لقد كان خالد قائداً ( مبتدعاً ) : يرى الموقف بعينه ، ويفكّر فيه بعقله ، ولا يدّخر وسعا فى تكوين قرار يناسب ذلك الموقف ويتفّق والمصلحة العامة . . . وحينذاك يقدم على تنفيذ قراره بعزم وإصرار .

والقيائد المبندع ينجح نجاحا يناسب كفاءته إذاكان مرجعه الأعلى

 <sup>(</sup>١) الطبرى ( ٢/٤٥٥ ) وابن الأثير ( ١٤٧/٢ ) .

<sup>(</sup>۲) الطبرى ۲/۲ه ) وابن الأثير ( ۲/۲ه ۱ ) وهذا المدد هو أعلى تقدير لمدد قوات المسلمين .

<sup>(+)</sup> ابن الأثير ( ١٠٧/٢ ) .

لا يميل إلى السيطرة المركزية بل يعطى كامل الحرية لمرؤوسيه ، كما نجح خالد في عمله مع أبى بكر الصديق مثلا ؛ ولكن القائد المبتدع لا يستطيع العمل بتاتاً إذا كان مرجعه الأعلى مركزى السيطرة مثل عمر بن الخطاب ؛ ولعل أسباب تقدّم خالد عند أبى بكر هي نفس أسباب عزله عند عمر .

من أمثلة تحمّله المسئولية ، سيره حين فرغ من بنى أسد إلى مالك ابن نويرة فى ( البُطاح ) ، فتبسّك الأنصار بحرفية أوامر الخليفة ، ولكن خالداً أصّر على المسير (١).

وفى أعقاب يوم (اليمامة) بعد إبرام الصلح بين خالد وبنى حنيفة ، ورد كتاب أبى بكر إلى خالد أن يقتل كل محتلم ، ولكن خالداً وفى بعهده ولم يغدر (٢) ، متحملاً بذلك المسؤولية على عاتقه واثقاً أن أبا بكر الصديق كان يعمل نفس عمله لو كان فى نفس موقفه .

ولعلّه أغرق كثيراً في تحمّل المسؤولية عندما ترك جيشه في العراق بعد انتصاره على الروم وحلفائهم في معركة (الفراض)، ليؤدى فريضة الحج دون أن يأخذ موافقة أبي بكر ،الذلك عاتبه أبو بكر على هذه المخالفة الصريحة (٢) ولكنّ عذر خالد، هو أنه ذهب للحج سراً، وأظهر أنه مع ساقة جيشه في طريقها من (الفراض) إلى (الحيرة) وفعلا وصل خالد (الحيرة) بعد عودته من الحج مع صاحب الساقة (٢)، ولم يتأخر لحظة واحدة عن موعد وصول الساقة إلى (الحيرة)، لذلك لم يترك غيابه عن جيشه أثراً سيئاً على الموقف العسكري.

<sup>(</sup>۱) الطيرى ( ۲/۲ م ) وا بن الأثير ( ۱۳۹/۲ ) ٠

<sup>(</sup>۲) الطيرى ( ۲/۱۸ ه ) وابن الأثير ( ۱٤٠/۲ ) .

 <sup>(</sup>٣) الطبري (٢/٤/٥) وابن الأثير (٢/٣٥١).

<sup>(</sup>٤) الطبرى (٣/٣٨٠) وهو أعتيادا كما هو دأبه يسيردائما مم الساقة عند العودة وفي المقدمة عند التقدم .

ولم يكن خالد يتحمل المسؤولية كاملة في أمور القتال فحسب ، بل كان ينحملها في أمور المال أيضاً ، فلما كتب إليه أبو بكر بذلك ، أجابه خالد : « إما أن تدعني وعملي ، وإلا فشأنك وعملك » (۱). ولما تولى عمر ، كتب إلى خالد : « ألا تعطى شاة ولا بعيراً إلا بأمرى » فكتب إليه خالد ما كتب إلى أبي بكر ، فقال عمر : « ماصدقت الله إن كنت أشرت على أبي بكر بأمر، فلم أنفذه » فعزله ؟ ثم كان يدعوه إلى العمل فيأبي إلا أن يخليه يفعل ما يشاء (۱) ، فيأبي عمر .

إن تحمّل خالد المسؤولية الكاملة حال بينه وبين الاشتغال بإمرة عمر المباشرة ، ولكنه اشتغل بإمرة أبي عبيدة بن الجراح الذي كان كأبي بكر يعطى لمرقوسيه الحرية الكاملة ، وبذلك فضّل خالد أن يعمل قائداً مرقوساً وله ملء الحرية في تحمّل مسئوليته كاملة ، على أن يعمل قائداً عاماً ولا حرّية له في تحمّل المسؤولية 11

## (٤) نفسيّة لا تتبدل:

كثير من الذين يظهرون بمظهر العزم والقوة فى أوقات الرخاء والدعة ، ينهارون انهياراً عجيباً فى أوقات الشدة والعسر ؛ فهم جبابرة عتاة عند النصر ضعفاء مساكين عند الاندحار ؛ فهؤلاء يمتلكون نفسيات تتبدّل بين الانهيار فى حاله الهزيمة والطغيان فى حالة الفوز .

إن نفسية خالد لا تتبدّل في حالتي الاندحار والنصر ، إذ كان مسيطراً

<sup>(</sup>١) الإصابة ( ١٩/٢ ) .

<sup>(</sup>٢) الإصابة ( ٢/٠٠٠ ) .

على أعصابه سيطرة تامة في أشد المواقف حرجاً من جهة وفي أكثر الأوقات تفاؤلاً من جهة أخرى .

لم يكن سهلاً موقف خالد عند اندحار مقدّمة المسلمين التي كان يقودها يوم (حنين )(١)، والكنه ضبط أعصابه ، فعاد وعاد رجاله إلى القتال بعد صمود النبي صلى الله عليه وسلم يواجه تيار المشركين الجارف ، فكان النصر النهائى للمسلمين .

ولم يكن سهلاً موقفه في أعقاب معركة ( مؤتة) (٢) بعد مقتل قادة المسلمين واستشهاد كثير من رجاله ، ولكنه قاد المسلمين إلى ساحة النجاة ليعود بهم ثانية إلى ساحات النضر في اليرموك.

لقد سيطر على أعصابه حين استقدمه أبو بكر إلى المدينة المنورة ليحاسبه عن قضية مقتل مالك بن نوبرة وحين استفرَّه عمر بن الخطاب بكايات قاسية عند دخوله المسجد الواجهته أبي بكر ، أمسك خالد ولم يعترض ؛ فلما تجاوز عنه أبو بكر آن له أن يردّ على عمر ؛ ولكن عمر في هذه المرة أمسك ولم يقل شيئا(٢).

وقد سيطر على أعصابه حين قدم صاحب البريد ليخبره بموت أبى بكر وعزله عن القيادة العامة وتولية أبي عبيدة ابن الجراح مكانه ، وكان ذلك في أحرج أوقات معرِّكة ( البرموك ) الحاسمة (١٠)، إذ قاد المعركة حتى نهايتها الموفقة وكأنّ شيئًا لم يحدث!

<sup>(</sup>١) طبقات ابن سعد (٢/٠٥٠) والأغاني (١٥/١٥).

<sup>(</sup>٢) سيرة ابن هاشم ( ٣٠/٣٤ ) وجوامع السميرة ص ( ٢٢٢ ) وطبقات ابن سعد ( ۲۵۳/٤ ) .

<sup>(</sup>٣) الطيرى ( ٢/٤٠٥ ) وابن الأثير ( ١٣٧/٢ ) .

<sup>(</sup>١) الطيري ( ٢/ ١٩٥ ) .

لم تتبدّل نفسيته في حالة الاندحار ، ولم تتبدّل نفسيته في حالة النصر ، وبقيت نفسيته لا تتبدّل بعد عزله ، إذ كان يعتبر نفسه دائماً أصغر من جندي وأكبر من قائد ، فهي هي نفسه لا تتبدّل في السراء ولا في الضراء ولا تبدلها المناصب والرتب ، لأنها أقوى من الأحداث وأرفع من الرتب .

### (ھ) سبق النظر :

كان خالد يفكر في الاحتمالات القريبة والبعيدة التي يمكن أن ينفدها العدو ، ويدخل في حسابه أسوأ الاحتمالات التي يمكن أن يصادفها قبل القتال وفي أثنائه وبعده ، ويعد سلفاً الخطط المناسبة لكل ما يتوقعه من أعمال عدوه ، حتى يمكن وضع تلك الخطط – عند الحاجة – في موضع التنفيذ دون ترسدد ولا ارتباك .

كان خالد لا يسير إلا فى تعبية ولا يبيت إلا على تعبية ، لأنه يدخل فى حسابه دائماً احتمال مصادمة العدو لقواته ، وعند ذاك تكون قطعاته على استعداد لخوض المعركة ، من غير أن تخشى مباغتة العدو لها ومن غير أن تضيّع الوقت سدى .

وصلت قوات خالد (أُليّس) ، فوجدت القوات الفارسية تتناول طعامها ، فعاجلت الفرس بالقنال وانتصرت عليهم ، وكان الفضل فى انتصار المسلمين سبق نظر خالد فى مسيره دائمًا على تعبية ، فهو دائمًا حاضر للقتال .

<sup>(</sup>١) الطبرى ( ٢/٢ه ) وان-الأثير ( ١٥٣/٢ ) .

وقدّر ما يحتمل أن يؤدى إليه عبوره من محاذير ، ولم يفسح الجال « للعاطفة » أن تتدخّل فى القضايا العسكرية الذى يؤدى الأهمال فى تقدير نتأتجها إلى الاندحار وإلى إزهاق الأرواح دون جدوى .

لقد كان خالد يتملّع بمزية سبق النظر بشكل مدهش حقاً ، وما أصدق عمرو الله ابن العاص حين وصفه بقوله: « له أناة القطاة ووثوب الأسد » (١٠) .

#### (و) معرفة النفسليات والقابليات:

كان خالد يعرف نفسيات رجاله وقابلياتهم، لأنه كان يقضى بينهم أكثر أوقاته ويعيش معهم أكثر مما يعيش مع عائلته ، ولأنه جرسهم فى المعارك وعرف كل فرد منهم على حقيقته بالأعمال لا بالأقوال.

لقد كان يتمنى أن يقاتل مع سرية من المهاجرين (٢٠) ، لأنه يعرف أنهم يقاتلون حريصين على الشهادة حرص غيرهم على الحياة ؛ وكان يريد أن يستأثر بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم على المثنى بن حارثة الشيبانى حين جاءه كتاب أبى بكر بالخووج من العراق إلى أرض الشام لولا إصرار المثنى على إنفاذ أمر أبى بكر بقسمة قوات المسلمين بالتساوى بينهما (٢٠) ، ذلك لأن خالداً عرف بتجربته أن الصحابة كانوا يقاتلون عن عقيدة وإيمان راسخين ، وأن أمثالهم من العقائديين في الحروب هم السند القوى الأمين لكل قائد حريص على إحراز النصر المبنى.

وفى معركة اليرموك ، اختار خالد مائة من أبطال المسلمين (\*) ، ليكونوا

<sup>(</sup>١) اليعقوبي ( ٢/١٩ ) 😳

<sup>(</sup>٢) الإصابة ( ٢/٢٩ ) .

<sup>(</sup>٣) الطبرى ( ٣/ أه ٢٠ ) .

<sup>(</sup>٤) فتوح الشام للو اقدى (١٢٠/١).

الفدائيين أو القوة الضاربة الأولى التي تصادم الروم ، ولم يكن اختيارهم إلا عن معرفة تامة بنفسياتهم وقابلياتهم .

وفى معركة فتح ( دمشق ) اختار خالد جماعة من المغاوير من بين رجاله ، وألق على عواتقهم مهمة تسلّق سور المدينة والقضاء على حراس أبوابها وفتح تلك الأبواب للمسلمين (١) ، ولم يكن من السهل تكليف أى رجل بمثل هذا الواجب البطولى .

لقد كان خالد يعرف نفسيات رجاله وقابلياتهم عن خبرة عملية طويلة ، كاكان رجاله يعرفون نفسيته وقابلياته عرب خبرة مماثلة أيضاً ، إذ ليس كالشدائد محك لاختبار الرجال .

### (ز) الثقة المتبادلة:

كان خالد موضع ثقة النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وأبى عبيدة ابن الجراح ، وهؤلاء هم الذين عمل خالد بإمرتهم بعد إسلامه . ولعل هناك من يظن أن خالداً لم يكن موضع ثقة عمر ، ولكن الحقيقة هى أن عمر كان لا يشك أبداً فى كفاءة قيادة خالد ، ولكنه عزله لمبالغة الناس بالثقة به ، ومبالغة خالد بالثقة بنفسه ، وحسبنا أن نتذكر قولة عمر فى خالد حين بلغه أعمال خالد فى ( قنسرين ) : « أمّرَ خالد نفسه ، يرحم الله أبا بكر ، هو كان أعلم بالرجال منى » (٢٠) .

وكان خالد من جانبه يبادل مرجعه الأعلى ثقة بثقة ، فقد كان يثق بالرسول صلى الله عليه وسلم رسولاً وقائداً ثقة لا مزيد عليها ، وكان يثق بأبى بكر

<sup>(</sup>۱) الطبرى ( ۲۲۷/۲ ) وابن الأثير ( ۲/۰۱۲ ) .

<sup>(</sup>۲) الطبرى ( ۱۹۱/۳ وابن الأثير ( ۱۹۱/۳ ) .

الصديق ويثق بعمر . أقال خالد لأبي الدرداء عن عمر : « والله يا أبا الدرداء ، لئن مات عمر لترن أموراً تنكرها » (١) ، ولما حضرت خالد الوفاة جعل وصيته ، وتركته وإنفاذ عهده إلى عمر (٢) ، وكان خالد يقول عن أبي عبيدة : بعث عليكم أمين هذه الأمة (٢) .

وكان خالد يثق بنفسه ويثق برجاله ثقة لا حدود لها ، وقد بلغ من ثقته بنفسه وبرجاله أنه نزل على غير ماء فى معركة (كاظمة) ثم أمر مناديه فنادى: « جالدوهم على الماء ، فلعمرى ليصيرن الماء لأصبر الفريقين وأكرم الجندين » (1) .

لقد اصطلح الناس عليه في أعقاب معركة (مؤتة) (٥) وكان بينهم بعض كبار المهاجرين والأنصار؛ ولما عزم على التفويز برجاله عبر الصحراء، قالوا له: « أنت رجل قد جع الله لك الخير، فشأنك »(١).

وليس من السهل أن ينق الرجال بقائده ، وليس من السهل أن يستحوذ القائد على ثقه رجاله به . فالرجال يريدون من قائدهم : أن يدافع عنهم ويحمهم من الأخطار ، وألا يستأثر بالراحة والدعة والمال دونهم ، وألا يوقعهم فى المهالك دون مبرر ، وأن يتحمل المسؤولية كاملة ولا يتملّص منها ويلقيها على عواتق الآخرين ، وأن يكون شجاعاً مقداماً يبزهم شجاعة وإقداماً فى الحرب ، رؤوفاً رحماً يغمرهم بشفقته و حنانه فى السلم .

<sup>(</sup>۱) ابن عباكر ص ( ۷۱۲ ) .

 <sup>(</sup>٢) طبقات ابن سعد ( ٣٩٧/٧) والإصابة ( ٢٠٠/٢) وأسد الغابة (٢/٢١) .
 (٣) الإصابة ( ١٩/٢) .

 <sup>(</sup>٥) سيرة ابن هشام ( ٣/٥٣٤ ) واليعقوبي ( ٤٩/٢ ) .

<sup>(</sup>٦) الطبرى ( ۲/۳ ) واين الأثير ( ۱۰٦/۲ ) .

لقد وجد رجال خالد فی قائدهم کل هذه المزایا وأکثر ، فلا عجب أن یولوه ثقنهم حتی بخاف عمر أن یفتتن به الناس<sup>(۱)</sup>، وأن یفرحوا بالقتال تحت راینه (۲).

وليس من السهل أن يثق القائد برجاله ، فالقائد يريد من رجاله أن يطيعوه وينفّذوا أوامره برحابة صدر ، وأن يجتازوا العقبات والأخطار بلا تردّد ولا خوف ، وأن يبدلوا كل جهودهم لنحقيق النصر ، وأن يُقدموا بشجاعة وتضحية وعزم لنيل الظفر .

لقد وجد خالد فی رجاله کل هذه المزایا وأکثر ، فلا عجب أن يبادلهم ثقة بثقة ، فيصفهم فی کتابه إلى ( هرمن ) قائد کسری بقوله « ... فقد جنتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة (۲۰)» .

لقد كان خالد يبادل مرجمه الأعلى ثقة بثقة : يثقون به ويثق بهم ، كما كان يثق بنفسه ويثق برجاله ويثق رجاله به .

لقد كان موضع ثقة الجميع ، لأنه كان أهلا للثقة .

## (ح) المحبّة المتبادلة :

هناك فرق ظاهر بين الثقة والمحبة ، فقد تثق بكفاءة إنسان وقابليته على إنجاز واجب ما، ولكنك لاتحبّه .

وقد تحب إنساناً ما ولكنك لاتثق بكفاءته أو لاتثق به من كافة النواحي. فإذا اجتمعت الثقة والمحبة في إنسان ، فكان موضع ثقة الناس ومحبّبهم

<sup>(</sup>١) ابن الأثر (٢٠٧/٢).

<sup>(</sup>٢) الطبرى (٢/١٩٥) .

<sup>(</sup>٣) الطبرى (٢/٤٥٥) .

فإن نجاح هذا الإنسان في الأعمال العامة ومنها الأعمال العسكرية مضمون إلى حد بعيد .

لقد كانت المحبّة متبادلة بين خالد ورجاله ، وقدظهرت هذه المحبة في معارك خالد . ويكفى أن نتذكر كيف بادر القعقاع بن عمرو التميمي وجماعته إلى إنقاذ خالد من غدر ( هرمن ) وجماعته في معركة ( ذات السلاسل)(1) ، وكيف كان أصحاب خالد يسارعون إلى تنفيذ أوامره بكل حرص وإقدام .

كاظهر حب الناس لخالد وتقديرهم له بعد موته حيث لم يبق له سلطة ولا نفوذ ليخشاه الناس ويرجوه ؛ فرثاه عمر بقوله : « قد ثلم فى الإسلام ثلمة لا ترتق (٢٠)» ، كارثاه كثير من الصحابة وكثير من الشعراء .

أما حبّ خالد لرجاله ، فيكنى أن نذكر أنه كان يستأثر دونهم بالمخاطر، ويؤثرهم بالخاطر، ويؤثرهم بالخير والأمان ، ويحب لهم ما يحبّه لنفسه ؛ ولكن حبّه لهم كان حب القائد لرجاله فحسب : إذ لا نعرف أنه بكى لمصرع شهيد ولا التاع لمقتل مجاهد، لأن البكاء واللوعة لا يجديان شيئاً!

لقد كان حبّه لرجاله يزداد كما ازداد إقدامهم وبلاؤهم ، فالشجاع المقدام، هو الذي يحظى بحب خالد ورعايته ولوكان أبعد الأبعدين عنه قرابة وانسبا ، والجبان الرعديد لا مكان له في قلب خالد ، ولوكان أقرب الآقربين إليه قرابة ونسباً ، لذلك اختص خالد ببعض الرجال صاحبوه في حروب أهل الردة ورافقوه إلى العراق ، وقاتلوا معه في الشام ، فلما عادوا إلى العراق ، نسو االفخر إلا فخرهم بأيامهم مع خالد .

<sup>(</sup>١) الطبري ( ٢/٥٥٥ ) . .

<sup>(</sup>٢) ابن عساكر أس ( ٧١٤ ) .

 <sup>(</sup>٣) الطبرى ( ٢/٨٤٥ ) حول غمر أهل الاثام من أهل الكوفة بأيامهم مع خالد.
 وعدم ذكر غيرها من الأثام احتقاراً لها واستصفاراً لشأمها .

لقد كان خالد يحرص كل الحرص على بقائهم إلى جانبه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، وأكثر هؤلاء أصبحوا معارفه وأحبابه في ساحات القتال ، فكانت محبتهم المتبادلة محبة رفقاء السلاح في الضراء لا محبة رفقاء اللهو في السراء.

#### (ط) الشخصية القوية النافذة:

لم تمكن شخصية خالد قوية نافذة فحسب ، بل كانت شخصية مستحوذة كاسحة أيضاً .

لقد ذهب خالد من المدينة إلى (مؤتة) جندياً بسيطاً ، ولكنه عاد إلى المدينة قائداً منتخباً ، وليس من شك أن قوة شخصية خالد كانت من عوامل تسليمه مقاليد قيادة جيش المسلمين في (مؤتة).

ولما كتب عمر إلى أبى عبيدة يأمره أن يقيم خالداً ويعقله بعامته ويعزله عن عمله ، لم يستطع أبو عبيدة أن ينفذ أمر عمر فى خالد بنفسه ، فجلس على المنبر ساكتاً لا يقول شيئاً ، مع أن أبا عبيدة يومهاكان قائداً عاماً فى الشام وكان خالد وغير خالد فى أرض الشام بإمرته ، وماكان إقدام بلال بن رباح مؤذن رسول الله صلى الله عليه على تنفيذ أمم الخليفة دون غيره ، إلا لأنه كان موضع ثقة الناس واحترامهم وإجلالهم لموضعه من النبى صلى الله عليه وسلم ولماضيه الحيد فى خدمة الإسلام .

وبقى خالد متحيّراً بعد هذا الحادث ، لا يدرى أمعزول هو أم غير معزول ، ولا يُعلمه أبو عبيدة بعزله تكرمة وتفخمة (١) ، فكتب إليه عمر

<sup>(</sup>۱) ابن الأثير ( ۲۰۷/۲ ) وفى البلاذرى ص ( ۱۲۲ ) : ﴿ أَنْ وَلَايَةَ أَبِي عَبِيدَةَ الشَّامَ أَنْتُهُ وَالنَّاسِ مُحَاصِرُونَ دَمَشَقَ ، فَكَتَّمُهَا خَالِداً أَيَاماً لا أَنْ خَالِداً كانَ أَمير النَّاسِ فى الحرب . . . »

<sup>(</sup>٢) ابن الأثير ( ٢٠٧/٢ ) .

بالإقبال إليه ، فلما قدم على عمر شكاه وقال له : « قد شكو تك إلى المسلمين فبالله إلك في أمرى المبير مجمل » فقال له عمر : « يا خالد ! والله إنك على الكريم ، وإنك إلى الحبيب » .

فأى شخصية نافاة قوية ، تلك التي يقدّرها أبو عبيدة بن الجراح كل هذا النقدر ويحترمها كل هذا الاحترام .

وأية شخصية مستحوذة كاسحة تلك التي يقول صاحبها لمثل عمر القوى المهاب : « قد شكوتك إلى المسلمين . . ! ! » فلا يجد عمر الذي لم يترك له الحق صديقاً ، كما يقول هو عن نفسه ، أمامه إلا أن يسترضيه بأسلوب هيتن لين رقيق .

تلك هي شخصية سيف الله خالد بن الوليد .

### (ى) الماضى المجيد:

عرفنا نسب خالف، وعرفنا أنه من أشرف بطون قريش وابن عظيم مكة المكرّمة ، وأمه أخت ميمونة أم المؤمنين ، فماضيه من هده الناحية مشرّف جداً .

وقد ترعرع في بيت كربم ، له تقاليده السكريمة في تربية أولاده على الصدق والاستقامة والرجولة ، فنشأ بعيداً عن الفحشاء والمنكر والبغي ، متفرغاً لإشباع هوايته المفضلة في التدريب العسكري وممارسة قيادة الفرسان ، فتولى الاعنة والقبة وهو لا يزال في عنفوان شبابه متقدماً على الكثيرين من بني مخزوم: من إخوته وبني عمومته ، وكثير منهم أكبر سناً من خالد سيرته وسمعته بين الناس بالإضافة إلى كفاءته العسكرية .

ولو لم يكن ماضيه قبل الإسلام مشرفاً ، لما خصّه النبي بالسؤال عنه حين كان النبي صلى الله عليه وسلم بمكة أيام عمرة القضاء ، فقال : « أين خالد ؟ . . مامثل خالد من جهل الإسلام . . . إلخ<sup>(۱)</sup> » ، فلما أسلم أصبحت مكانته مرموقة بين المسلمين وعند الرسول صلوات الله وتسليمه عليه : « ماكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أسلمت يعدل بي أحداً من أصحابه فبا يجزئه (<sup>۲)</sup> » كا ذكر خالد عن نفسه ، وكما نلمسه فعلاً في التاريخ .

ذلك يدل بوضوح على أن ماضيه كان ناصماً مجيداً فى أيامه الأولى قبل الإسلام وفى أيامه الأولى بعد الإسلام .

وابتدأ خالد يضيف إلى هذا الماضى النظيف لبنة بعد لبنة من انتصاراته العسكرية ، حتى أصبح ماضيه يعلو ولا يزال يعلوكل يوم ، حتى بلغ درجة من الرفعة والسمو يضطر معها الذى يريد أن يرى قمتها — إذا كان حديد البصر — أن يضع يديه على غطاء رأسه من شدة على قمة ذلك البناء .

يكنى أن نذكر بعض ماضيه العسكرى فقط ، فقد شهد فى الجاهلية ثلاث معارك ضد المسلمين ، وشهد فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم اثنتى عشرة معركة ، وشهد فى حروب أهل الردة ثلات معارك هى أهم وأخطر وأكبر معارك أهل الردة ، وقاتل الفرس وحلفاءهم فى خمس عشرة معركة ، وخاض فى طريقه من العراق إلى أرض الشام غمار أربع معارك ، وقاد سبع معارك فى أرض الشام ، فكان عدد ماشهده من معارك فى حياته العسكرية أربعة فى أرض الشام ، فكان عدد ماشهده من معارك فى حياته العسكرية أربعة وأربعين مشهداً ، كانت نتأمجها باهرة جداً فى تاريخ الإسلام وفى تاريخ العرب المسلمين .

<sup>(</sup>۱) طبقات ابن سعد ( ۳۹٤/۷ ) .

<sup>(</sup>۲) طبقات ابن سعد ( ۲۵۲/٤ ) و ( ۳۹٤/۷ ) .

فأى قائد قديم أو حديث شهد هذا العدد الضخم من المعارك ، في فترة قصيرة جداً من عمر الزمن وعمر الرجال ، دون أن يُهزم له لواء أو تنكص له راية ؟ وأى قائد قديم أو حديث بقيت آئار فتوحاته من المين جنوباً إلى أرض العراق والشام شمالا كل هذه القرون الطوال ؟

ذلك هو ماضى خالد، يزداد كل يوم علواً : لقد جمع المجد من أطرافه : مجد المنبت الطيب ، ومجد النشأة الكريمة ، ومجد الناريخ ، فلا مجب أن يكون من أكبر مفاخر أصحاب الآيام ، أن يكنفوا بقولهم : قاتلنا تحت لواء خالد ؛ ليعرف الناس أنهم أبلوا في خدمة الإسلام وفي خدمة الاسلامي أعظم البلاء .

## (ك) معرفة وتظُّبيق مبادىء الحرب<sup>(١)</sup>:

أولا: اختيار المقصد وإدامته<sup>(٢)</sup>:

كان خالد يختار مقصده بعد تفكير عميق ، ويعمل جاهداً في سبيل تنفيذه ، ولا يفكر أبداً في التحوال عنه قبل الحصول عليه .

<sup>(</sup>۱) مبادىء الحراب: هى الجوهر الذى ينشىء فى القائد (السجية) الصحيحة فى تصرُّفاته فى الحرب ، وهى العثصر الذى يشكو "ن منه مسلك القائد فى أعماله بصورة طبيعية وغير مشكليَّة .

وكان خالد يعرف هذه المبادىء بالفطرة السليمة التي تدلُّ على استعداده الفطري المتاز للقيادة . وقد طبّق خالد هذه المبادىء في معاركه كلها ، مما كان له أثر حاسم في انتصاراته .

<sup>(</sup>٢) اختيار المقصل وإدامته : في كل حركة حربية من اللازم اختيار المقصد وتعريفه الوضوح . إنَّ المقصد النهائي هو تحطيم إرادة العدو على النتال ، ويجب أن توجّه كل صفحة من الحرب وكل صفحة منفردة نحو هذا المقصد الاتّعلى ، ولكن لسكل من هذه الصفحات مقصد محدود ليجب أن يعرف بوضوح .

كان مقصده فى غزوة (أحد) تحطيم رماة المسلمين الذين يحمون ظهور المسلمين ، ليستطيع بعد تحطيمهم ضرب مؤخرة المسلمين وتطويقهم وإفناء قواتهم من بعد ذلك . لذلك راقب بيقظة بالغة حركات وسكنات هؤلاء الرماة ، فلما انسحب بعضهم خلافاً لأوامر الرسول صلى الله عليه وسلم فى ضرورة ثباتهم فى مواضعهم حتى انتهاء المعركة ، انتهز خالد هذه الفرصة السابحة ، فحقق مقصده فى القضاء على الرماة وضرب المسلمين من الخلف ، مما هدد المسلمين فى (أحد) بالفناء لولا عبقرية قيادة الرسول القائد .

وكان مقصده فى كل معاركه أن يقضى على قائد عدّوه ، حتى يبقى رجاله كالقطيع بدون راع ، فيفروّن أو يستسلمون . لقد استطاع خالد فعلاً في أكثر معاركه أن يقضى على قائد القوات المعادية له : إما بالمبارزة أو بإدامة زخم الهجوم على مقرّه حتى يقتل أو يضطر إلى الفرار .

وفى معركة اليرموك الحاسمة ، كان مقصد خالد ، أن يحرم مشاة الروم من إسناد فرسانهم ، لذلك هجم بالقلب متوخياً فصل خيل الروم عن مشاتهم ، أفسح المجال لخيل الروم للخروج من مكاتبها الذى تقاتل فيه بعد التصييق بشدة عليها ، فخرجت تلك الخيل تشند فى الصحراء . فى ذلك الوقت بقى المشاة وحدهم فسهل على خالد القصاء عليهم .

تلك أمثلة قليلة عن اختيار المقصد وإدامته ، ولعل مقصد خالد فى كل معركة خاضها يظهر بوضوح للعيان ، الذلك كان النصر حليف خالد فى كل حروبه . ثانياً النعر"ض (١٠) :

كانت معارك خالد كلَّها تعرَّضية ، إذ لم يتَّخذ في كل حياته العسكرية خطَّة

<sup>(</sup>١) التعرض : هو الهجوم على العدو لسحقه ولا يتم الحصول على النصر إلا بالتمر"ض وحده .

دفاعية واحدة ولم يخض معركة دفاعية واحدة ، فكان بحق قائداً تعرّضياً مشبعاً بروح التعرّض .

ومن النادر جداً أن نجد في كل أدوار التاريخ قائداً لم تصطره الظروف في وقت من الأوقات أن يمارس خطة دفاعية ثم يستأنف التعرّض من بعدها . أما خالد ف كان دائماً في تعرض مستمر ، وكان لعبقريته في القيادة أثر حاسم على اتخاذه هذا الموقف دائماً ، ولست أشك أن غير خالد ما كان ليقدم على التعرّض في مثل تفوق العدو بالعدد والعُدد تفوقاً ساحقاً على قوات خالد . إذ كان لابد له أن يتخذ موقف المدافع في كثير من تلك المعارك انتظاراً للإمدادات ، ولكن خالداً لم يفكر أبداً ، حتى مجرد التفكير ، في اتخاذ موقف المدافع .

لقد كان لنعر ض خالد أثر في القضاء المبرم على فتنة بني حنيفة في الممامة ، بعد أن فشل قائدان من قبله في القضاء عليها ، بل بعد أن نكبت بنو حنيفة هذين القائدين (١) ، وبذلك ارتفعت معنوياتها فزادت قوتها قوة .

وكان لنعرض خالد أثر فى إنهاء فتح دومة الجندل بعــد أن استعصت على عياض بن غنم ، فأشحى أهلها عياضاً وشجوا يه (٢)مدة طويلة كانت كافية ليفتح خالد خلالها من جنوب البصرة إلى شمال الفلوجة من أرض العراق .

وكان لتعرض خالد أثر في انتصار المسلمين على الروم في ( اليرموك ) ، بعد أن كان المسلمون متضايقين هناك<sup>(٣)</sup> .

<sup>(</sup>١) الطبري (٢/٥٠٥).

<sup>(</sup>۲) الطبري (۲/۸۷۵).

<sup>(</sup>٣) الطبرى ( ٩٦ م ) وانظر الطبرى (٩/٣ م ) وابن الآثير (٩/٥ م ٢) فعندما كمحشد الروم لاستمادة ( حمس ) من أيدى السلمين أقبل غالد من قسرين إلى أبى عبيدة ، فاستشاره أبو عبيدة فأشار بالتعرض وأشار غيره بالتعمين ومكاتبة عمر ، فأطاعهم وعصى خالد . ثم أشار عليه ثانية بالخروج إلى الروم ، فلما فعل أبو عبيدة فتح الله عليه .

وكان لنعرض خالد أثر فى فتح الشام ، إذ لولا يقظة خالد وتحفرّه لقاومت تلك المدينة المحاصرة أمداً طويلا .

لقد كان خالد بحمل طاقة تعرضية لا تنضب ، وكان مجر د وجوده في جيش من جيوش المسلمين بجعل ذلك الجيش متحفزاً أبداً للتعرض ، ولم يكن خالد بحرص كل الحرص على النقدم والمبيت في تعبية كاملة — على الرغم من صعوبة حركة القطعات وهي متخذة تشكيلات القتال — إلا ليكون حاضراً باستعرار للنعرض بعدوة في كل وقت وبكل مكان .

## ثالثاً: المباغتة (١):

كان خالد مشبعاً بروح المباغنة كماكان مشبعاً بروح التعرض ، وليس في التاريخ قائد برز بين القادة في إنجازاته العسكرية وفي انتصاراته إلا وهو مشبع بروح المباغنة وبروح التعرض ، لأن هذين المبدأين هما أهم مبادئ الحرب كلها وهما أهم أسباب الانتصار في الحروب .

 <sup>(</sup>١) المباغثة : المباغثة أقوى العوامل وأبعدها أثراً في الحرب ، وتأثيرها الممتوى عظيم جداً ، وتأثيرها من الناحية النفسية يكمن فيا تحدثه من شلل متوقع في تفكير التائد الحدثم .

وفيها بلي بعض الوسائل التي عمكن الحصول بها على المباغتة :

بكتمان الاستعدادات للخطط الحربية وبكتمان جسامة القوات الاحتياطية .

۲ — بالتنتل السريع للقطعات من نقطة إلى أخرى ، تمهيداً لا نزال الضرية على موضع لا يتوقعه العدو .

٣ — باستخدام الاأرض الشديدة أو بعبور الموانع للتي تعتبرُ غير قابلة للعبور 🏅 🔇

٤ — باستخدام أسلحة جديدة غير متوقعة أو أساليب نمبوية جديدة . ﴿ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّه

فما هي المباغنة الم

المباغنة هي إحداث موقف لا يكون العدو مستعداً له ، والكمان من أهم الوسائل التي تؤدي للمباغنة .

والسرعة في التنقل لإنزال ضربة لا يتوقعها العدو: في زمان لا يتوقعه أو في مكان لا يتوقعه أو في مكان لا يتوقعه المحدام الأرض الصعبة وعبور الأراضي الصعبة واستخدام أسلحة جديدة غير متوقعة أو أساليب تعبوية جديدة غير متوقعة كلها وسائل تؤدى للمباغتة أيضاً.

لقد طبّق خالد في حروبه كل هذه الوسائل فباغت عدوه في كل معركة خاضها تقريباً بوسيلة أو أكثر من هذه الوسائل، فكان ذلك من أهم أسباب انتصاراته، حتى ليمكن اعتبار معاركه نماذج رائعة لنطبيق وسائل المباغتة.

لقد كتم استعداداته للهجوم على رماة المسلمين فى (مؤتة)، فلما حانت له له الفرصة المناسبة الهتبلها بسرعة خاطفة، فضرب الرماة وضرب المسلمين من الخلف، وبذلك جعل النضر ينتقل من صفوف المسلمين إلى صفوف المشركين.

وفى غزوة (مؤتة) كتم استعداداته للانسحاب ، وأظهر ساقة المسلمين بمظهر القوة الجسيمة وذلك بنشرها فى ساحة كبيرة من الأرض وبما أحدثته من جلبة وأصوات ! فلما أنجز انسحاب القسم الأكبر من قوات المسلمين وأصبحت فى مأمن من مطاردة الروم لها ، سحب الساقة بسرعة خاطفة أيضاً إلى منطقة أمينة ، وبذلك خلّص المسلمين من خطر الفناء .

ولما تحرّك نحو (طليحة) أظهر أنه اتّجه إلى منطقة (طبيء) لا إلى (بزاخة) منطقة (طليحة)، وبذلك جعل (طبيء) تنفصل عن (أسد) قوم (طليحة) وتسرع إلى منطقتها، وبهذا ضعف (طليحة) وسهل على خالد القضاء علمه.

تلك أمثلة قليلة عن كتمان خالد لاستعداداته العسكرية ونواياه .

أما سرعة تنقل قطعاته من نقطة إلى أخرى ومن مكان إلى آخر ، تمهيداً لإنزال الضربة على موضع لا يتوقعه العدو ، فقد كانت كل تنقلات خالد فى كل معاركه تتسم بالسرعة الفائقة . فقد أقام خالد فى العراق — مثلاً — سنة وشهرين فقط ، فتح خلالها من جنوب البصرة إلى ( الفراض ) على تخوم الشام والعراق وأنقذ خلالها عياضاً فى (دومة الجندل ) ، ولا يمكن أن يتم كل ذلك فى مثل هذا الوقت القصير تجاه مقاومة جيوش نظامية لامبراطورية عريقة فى المجد كالامبراطورية الفارسية ، إلا بسرعة التنقل من مكان إلى مكان .

وهنا لا بد أن نذكر كيف قطع الصحراء من (قراقر) إلى (سوى) في خس ليال ، مما جعل حاميات المدن والمواقع التي صادفته في طريقه بين العراق وأرض الشام تستسلم لقواته بعد قتال طفيف أو بدون قتال ، لأنها لم تكن تتوقع أبدا أن تلاقي قوة جسيمة من المسلمين تظهر عليهم من هذا الاتجاه في هذا الوقت بالذات.

وعبور خالد للصحراء من الطريق الخطر الذي اختاره مباغتة فذة في التاريخ العسكري لا أعرف لها مثيلا ؛ ولست أعتقد أن عبور (هانيبال) للالب () وعبور (نابليون) للألب أيضاً ، ولا تفويز نابليون من محراء سيناء أو قطع الجيش البريطاني لهذه الصحراء في الحرب العالمية الأولى ، يمكن أن تعتبر شيئاً إلى جانب مغامرة خالد ، لأن عبور الجبال أسهل بكثير من عبور الصحراء لتيسر الماء في الجبال وعدم تيسره في الصحراء ، ولأن صحراء سيناء فيها كثير من الآبار والأماكن المأهولة وعدم تيسر ذلك في الصحراء التي قطعها خالد ، فكان نجاح خالد في عبور الصحراء مباغتة كاملة للروم لم يكونوا يتوقعونها بتاتا .

<sup>(</sup>١) انظر التفاصيل فى كتاب : هتيمل لجورج مصروعة ( ٢٩٠/١ — ٣٠١ ) .

أما استخدام خالد أساليب تعبوية جديدة ، فقد اشتهر خالد بأن فكرته التعبوية منطورة باستمرار ، فهو لا يكاد يقاتل بأساوب تعبوى واحد في معركتين بل هو يبدّل أساليبه التعبوية في معاركه ، فيحيّر عدوّه ولا يدع له مجالاً لمعرفة ما يطبقه في المعارك من أساليب .

قاتل المسلمين في معركة (أحد) بأسلوب السكر والفر ()، وقاتل يوم (الخندق) بأسلوب الصفوف ()، وقاتل أهل الردة بأسلوب (النظام الخاسي الخاسي) ()، وقاتل الفرس بأساليب متعددة: بأسلوب النظام الخاسي تارة وبأسلوب وضع السكائن بالإضافة إلى النظام الخاسي، وبأسلوب التقدم بأرتال متعددة تجتمع في مكان معين وفي وقت معين لضرب العدو من جميع الجهائ وبأسلوب التقدم برتل واحد . . . الح . وقاتل في (اليرموك) بأسلوب السكراديس () بتعبية لم تعهدها العرب من قبل () وهكذا فله كل يوم في كل السكراديس () بتعبية لم تعهدها العرب من قبل () وهكذا فله كل يوم في كل

<sup>(</sup>١) أسلوب السكر والفر: هو أن يهجم المقاتلون يكل قوسهم على العدو ، فإن صحد لهم العدو أو أحسالوا بالضعف نسكصوا ثم أعادوا تنظيمهم وكرّوا، وهكذا يكرّون ويقرّون حتى يكتب لهم النصر أو الفشل ، راجع الرسول القائد ص(٨١) الطبعة الثانية .

<sup>(</sup>٢) القتال بأسلوب الصفوف : يكون بترتيب المقاتلين صفين أو أكثر على حسب عددم ، وتكون الصفوف الأمامية من المسلحين بارماح لعبد هجات الفرسان ، وتسكون الصفوف المتعاقبة الأخرى من المسلحين طانبال لتسديدها على المهاجمين من الأعداء . واحم الرسول الفائد ص ( ٨١ ) الطبعة الثانية .

<sup>(</sup>٣) النظام الخماسي : ترتيب القوات لتكون محية من الجهاث الا ربعة ، وذلك بترتيب : ميمنة وميسرة ومقدمة وسافة ، ثم جعل القلب في الوسط ، راجع كتاب الجندية في الدولة المباسية للمرحوم الرئيس الركن نعان ثابت ص ( ٢٣٨ ) .

 <sup>(</sup>٠) الطبرى ( ٢/٣/٢ه ) وابن الأثير ( ١٥٨/٢ ) .

معركة أسلوب جديد ... وهو أول من قاتل بأسلوب الكراديس في الإسلام ('' والحق أن خالداً كان ماهراً جداً في تعبية الجيوش وتأمين حمايتها وزجّها في المعركة واستخدام أجزائها المختلفة بتعاون وثيق في المحل اللازم في الوقت اللازم، وبذلك انتصر بفئته القليلة على الفئة الكثيرة بإذن الله.

لقد استخدم خالد كافة أساليب القتال التي يمكن الحصول بها على المباغنة، وبالإضافة إلى ذلك ، فقد كان منيقظاً منتبها إلى حركات العدو ونو اياه حريصاً غاية الحرص على سلامة رجاله ، لذلك استطاع أن يباغت عدوه دائماً ولم يستطع عدوه أن يباغته أبداً .

## . رابعاً : محشيد القوة (٢)

كان حالد ُيعير مبدأ ( تحشيد القوة ) اهتمامه الكبير ، لأنه كان يعلم أنّ عدد القوة وعُدَدها له أثر كبير في إحراز النصر .

لقد عمل جاهداً على فصل (طبيء) عن (أسد) قبل مهاجمته (طليحة) وعمل على ضم هذه القبيلة إلى قواته ، فكان لها أثر ملموس فى قتال (قيس) حلفاء (طليحة) (").

وقد ضم إليه رجال شرحبيل بن حسنة والمدد الذى قدم من المدينة قبل أن يقاتل مسيامة الكذاب فى ( البمامة ) وبذلك أكل تحشيد قوته قبل البدء بالقتال (١٠).

<sup>(</sup>١) ذكر ابن خلدون فى مقدمته ص ( ٢٧٣ ) أن أول من أبطل الصف وصار إلى التعبية كراديس هومروان بن الحسكم . وهذا خطأ والصحيح هو ماذكرناه أعلاه .

 <sup>(</sup>٢) تحشيد القوة : هو حشد أعظم قوة أدبية وبدنية ومادية واستخدامها في الزمان والمكان الجازمين .

<sup>(</sup>٣) الطبرى ( ٢/٥٨٤ ) وابن الاثير ( ١٣٣/٢ ) .

<sup>(</sup>٤) الطبرى ( ٢/٢ ٠٠٥ - ٥٠٥ ) .

وضم إليه رجال المثنى بن حارثة الشيبانى ورفقائه من القادة فى العراق، قبل أن ينشب الحرب صد الفرس فى أرض الرافدين (١).

وكان يحرص كل الحرص أن يجمع أرتاله فى مكان معين فى وقت معين ق قبل أن يقوم بالهجوم على العدو ، كما جرى ذلك فى معركة ( ذات السلاسل) و( المصيخ) و ( الثنى ) و ( الزميل) .

ولم يبدأ بقتال الرَّوم في ( اليرموك ) إلا بعد أن أكمل تحشيد قوات: المسلمين هناك .

ولكنه كان لا بهم بكثرة العدو اهتمامه بوجود عدد من المؤمنين الصادقين ابن صفوف رجاله ، أى أنه كان بهتم ( بالنوع ) أكثر من اهتمامه ( بالكية )، لذلك حرص أن يستصحب معه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من رجاله في العراق إلى الشام (٢) ، وكان يتمنى أن يقاتل مع المهاجرين ويفضلهم على غيرهم من الناس (٣).

إن خالداً طبق مبدأ (التحشد) فى كل معاركه، ولم يدخر وسعاً لتحشيد أكبر قوة مادية ومعلوية فى كل معركة خاضها.

خامـاً : الاقتصاد بالمجهود(\*)

راعي خالد مبدأ ( الاقتصاد بالمجهود ) في كل معاركه ، فكانت قواته

<sup>(</sup>١) الطبرى ( ٢/١غ ه ه ) وابن الأثير ( ١٤٧/٢ )٠

<sup>(</sup>٢) الطبرى ( ٢/ أ ١٠ ) ٠

<sup>(</sup>٣) الأصابة ( ٢/٩٩ ).

<sup>(</sup>ء) الاقتصاد بالمجهود: هو استخدام أصغر قو"ة للا من أو لتحويل انتباه العدو إلى على آخر أو صد" قوة معادية أكبر منها ، مع بلوغ الغاية المتوخاة.

إن الاقتصاد بالحجود يدلُّ على الاستخدام المتوازن للقوة والتصرُّف الحكيم بجميع المواد لغرض الحصول على التحشُّد المؤثر ق الزمان والمكان الحاسمين .

أقل بكثير من قوات أعدائه ، وكان يعوض عن قلّة رجاله بأساليبه التعبوية الفذّة و بفنّه العسكري المناز .

كان دائماً فى الأمام قريباً من مواطن الخطر ، وذلك حتى يرى بعينيه حقية الموقف ويعمل فوراً على معالجته ، دون أن يكبد قواته خسائر لا مبرر لها .

وكان يستأثر بالخطر دون رجاله ، فيتربص بقائد جيش العدو ليقضى عليه ؛ أما إذا أقدم ذلك القائد على الظهور في ميدان البراز ، فحالد حاضر لمبارزته وإنهاء الحساب معه .

لقد كانت شخصية خالد وقيادته العبقرية وشجاعته الشخصية ؛ هي العوامل الحاسمة للاقتصاد بالمجهود ، وعدم تكبيد المسلمين خسائر بالأرواح ، وإكال مايعانيه المسلمون من نقص في العدد والمعدات .

لقد كان خالد قوة هائلة تعوَّض عن كل نقص وتحمى من كل خطر .

# سادساً : الأمن<sup>(١)</sup> :

طبق خالد مبدأ ( الأمن ) بشكل رائع يدعو إلى الإعجاب الشديد .

كان خالد لا يتحرك إلا على تعبية ، ومعنى ذلك أنه يخرج مقدمة ومجنبتين ومؤخرة لقوته ، لتكون محية من جميع الجهات .

وكان لايبيت إلا على تعبية ، ومعنى ذلك أنه يؤمن حماية قواته من جميع الجهات أيضاً ، ويكثر من الحراسات .

<sup>(</sup>١) الامن : هو توفير الحماية للقوّة ولمواصلاتها لوقايتها من المباغتة ، ومنع العدو من الحصول على المعلومات .

وكان لا ينام ولا ينيم ، أى أنه كان يفتش بنفسه على قطعات الحماية وعلى الحراس حتى يتأكد من قيامهم بواجبانهم بشكل ممتاز

وكان لا يخفى عليه شيء من أمر عدوه ، ومعنى ذلك أنه كان يكثر من إرسال العيون والأرصاد ويقوم هو بنفسه بالاستطلاع الشخصى - كل ذلك ليحصل على المعلومات التفصيلية عن عدوه و يحرمه من الحصول على المعلومات عن قطعاته .

وطبق مبدأ (الكتمان) في كل حركاته ، فحرم العدو من معرفة نواياه قبل وقت مناسب ليتخذ لإحباطها التدابير المناسبة .

تلك هي تدابير خالد الوقائية لسلامة رجاله وأمنهم، لذلك لم ينجح أعداؤه ف محاولاتهم لمباغتة قواته، ونجح هو كثيراً في مباغتة أعدائه

إن تدابير خالد الأمنية من أروع أمثلة التاريخ العسكرى للسهر على أمن وسلامة رجاله من مكائد الأعداء .

سابعاً : المرونة<sup>(١)</sup> :

كانت لقوات خالد قابلية فائقة على التنقل من مكان إلى آخر بكفاءة

<sup>(</sup>۱) المرونة: إن المبدأ الذي كان يسمى قبل الحرب العالمية الثانية عبدأ (قابلية الحركة) ، أصبح يسمى الآن مبدأ (المرونة) ، ذلك لأن (قابلية الحركة) ندل على الحركة المادية ، وهي صنعة نسبية لا يعبر عنها تعبيراً صحيحاً إلا بالمقارنة مع قابلية حركة العدو .

إن ( المرونة ) تمنى أكثر من ذلك . إنها لا تنضمن قوة الحركة فحسب ، بل قوة العمل السريع . كذلك على الغائد أن يكون مرن الفكر ، وعليه أن يطبق تلك المرونة عند وضع الخطط لحملته ، وأن تكون خططه بشكل بمكنه من أن يعدل سريعاً حركات قواته حين تضطره الظروف غير المتوقعة .

وسرعة ، يكنى أن نذكر أنها نجحت فى اختراق الصحراء من أصعب طرقها بأسرع وقت وبدون خسائر غير اعتيادية .

لقد امتاز خالد بمقدرته الفذة على غرس روح قابليــة الحركة فى رجاله وجملهم يسلون بسرعة خارقة فى مختلف الظروف والأحوال — ذلك لأن خالداً كان يمتلك ذكاء لمــاحاً: يفكر بسرعة ، ويقرر بسرعة ، وينفذ بسرعة .

وكان قائداً مرناً فى خططه ، فهو لاينفك يعدّلها بسرعة ودقة كلما ألجأته أحوال الموقف المتطور الذى لا يستقر على حال .

لم يكن يدور بخلد قائد المشركين فى (أحد) أن با مكانه ضرب المسلمين من الخلف، ولكن خالداً انتهز فرصة انسحاب رماة المسلمين، فضرب قوات المسلمين من الخلف وطوقهم بفرسانه دون أن ينتظر أوامر القائد العام.

وكانت خطته أن يقضى على فتنة (طليحة) بأسرع وقت ممكن ، ولكنه توقّف عن الحركة ثلاثة أيام لكى تستطيع (طبيء) أن تسحب رجالها من إسناد (طليحة)(١).

ولما عبّاً خالد جيشه للقتال ، قالت (طيء): نحن نكفيك (قبساً) فإنّ بنى (أسد) حلفاؤنا 1 — . فقال خالد: « قاتلوا أى الطائفتين شئتم » فاعترض عدى بن حاتم على قومه (طبيء) قائلا: « نو نزل هذا على الذين هم أسرتى الأدنى فالأدنى لجاهدتهم عليه . والله لا أمتنع عن جهاد بنى (أسد) لحلفهم . فقال له خالد: « إن جهاد الفريقين جهاد . لاتخالف رأى أصحابك وأمض بهم إلى القوم الذين هم لقتالهم أنشعل » (77) ، فاذا كان بحدث نو أصر

<sup>(</sup>١) الطبرى ( ٢/٣٨ ) وابن الأثير ( ١٣٢/٢ ) -

<sup>(</sup>٢) الطبرى ( ٢/١٨٢ ) وابن الأثير ( ١٣٣/٢ ) -

خالد على رفض رغبة (طبيء) وإنفاذ رغبة عدى بن حاتم بحجة أن أسداً مرتدون لا فرق بينهم وبين قيس ، وأن عدم مقاتلتهم على اعتبارهم حلفائهم أمر من أمور الجاهلية يبرأ منه الإسلام؟؟

وكانت أوامر أبي بكر لخالد: أن يُقيم في (بزاخة) بعد الفراغ من أمر (طليحة) حتى يكتب إليه بأمره ولكن خالداً قد رأن الانتظار قد يفيد مالك بن نويرة لترصين قواته ومضاعفة استعدادها للقتال ؛ لذلك قرر المسير إلى (مالك) بعد فراغه من (طليحة) مباشرة غير ملتفت لاحتجاج الانصار (۱) ، فلو لم يكن مرناً وبقي مدة من الزمن ينتظر وصول الأوامر والوصايا والتوجيهات ، لكان من المحتمل أن يشتد عضد مالك ويزداد خطره ، فلا يقوى المسلمون على تحطيمه بسهولة وأمان .

وفى أول معركة خاضها خالد فى العراق ضد الفرس ، واعد خالد قواته (الحفير) ، فلما علم بأن الفرس سبقوه إليه ونزنوا به ، مال بالناس إلى (كاظمة) (٢٠) ، حتى يحرم الفرس من مزية سبقه إلى ميدان القتال وإكال استعداداتهم التعبوية قبله هناك .

وفى ممركة (دمشق) كان خالد قائداً مرؤوساً ، وكان أبو عبيدة هو القائد العام ، ولكن خالداً عندما علم بأنَّ حاة الأسوار والأبواب من الروم قد تركوا. مواضعهم للاشتراك في أفراح البطريق ، انتهز هذه الفرصة الذهبية فاعتلى الأسوار وفتح الأبواب ودخل المدينة (٣).

تلك هي بعض ملامح خطط خالد المرنة وعقلينه المرنة ، وتلك هي بعض

<sup>(</sup>۱) الطبري ( ۱/۲ م ) وابن الأثير ( ۱۳۶/-) .

 <sup>(</sup>۲) الطيري ( ۲/٥٥٥ ) وابن الأثير ( ١٤٨/٢ ) .

<sup>(</sup>٣) الطبري ( ٢/ ٢٦ – ٦٢٨ ) وابن الأثير ( ٢/ ١٦٤ – ١٦٠ ) .

مزايا قوات خالد في قابليتها على الحركة بسرعة وكفاءة ، فكيف لاينتصر على أعدائه الكثيرين بقواته القليلة نسبياً ؟ ؟

# ثامناً : التعماون (١)

مادام خالد يمتلك شخصية قوية نافذة وإرادة فولاذية ثابتة ، وقابلية قيادية نادرة ، فإن بإمكانه أن يؤمن التعاون بين صنوف (٢٠ قطعاته من جهة وبين تشكيلاتها التعبوية من جهة أخرى بسهولة ويسر ونجاح .

لقد لمسنا كيف أمّن خالد التعاون بين الفرسان الذين كانوا بقيادته وبين المشاة من المشركين في معركة ( أُحد ) ، كما لمسنا كيف أمّن التعاون بين قواته وبين قبيلة ( طبيء ) ضد ( طليحة ) الأسدى ، كما رأينا كيف أمن التعاون بين قواته وقوات شرحبيل بن حسنة ضد مسيلمة الكذاب ، وبين قواته وقوات المثنى بن حارثة الشيباني وأصحابه في العراق ، وبين قواته وقوات قادة الشام في ( اليرموك ) ، وكيف أمّن التعاون بين جيشه الذي اقتنى به أثر جيش

 <sup>(</sup>١) التعاون : هو توحيد جهودكافة الصنوف والقطمات لبلوغ الغرض .

<sup>(</sup>٢) كانت صنوف الجيش المعروفة حينذاك هي :

<sup>.</sup> الفرسان .

٧ --- الرجل أو الرجالة وم المشاة .

٣ -- المنجنيقيون وم رماة المنجنيق .

النشابون أو النشابة وم الذين يرمون النشاب .

هــــ الدبابون ، وم الذبن يستخدمون الدبابات التي تنقدم مع المشاة لاعانتهم
 طي التقدم .

الفعلة وم الذين تسميم اليوم بالهندسة .

الأطباء والبيطريون والمرتضون . راجع مقال جيش المسلمين في عهد بني أمية في مجلة المجمع العلمي العراق - العدد الثاني المجلد الرابع ( ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م )
 ص ( ١٣٥٠ - ١٣٧٧ ) .

(توذر) قائد الروم وبين جيش يزيد بن أبي سفيان ، حيث ضرب جيش الروم من الخلف فانهارت مقاومته ولم يستطع الوصول إلى هدفه وهو استعادة مدينة (دمشق).

تلك أمثلة قليلة جداً عن جهود خالد لجمع وتوحيد كافة جهود الصنوف والقطعات وتأمين النعاون الكامل فيما بينها ،كي تعمل بتوافق واتساق في سبيل هدف مشترك ومصلحة مشتركة ، ذلك الهدف هو القضاء على العدو بأسرع وقت وبأقل خسائر ، وتلك المصلحة هي إعلاء كلمة الله ورفع راية الإسلام شرقاً وغرباً

لقد كان لمقدرة خالد على تأمين التعاون بين مختلف رجاله وأسلحته أثر كبير على إحراز النصر ودحر الأعداء .

تاسعاً: إدامة المعنويات(١):

ترتكز المعنويات على دعامتين رئيسيتين: الثقة المتبادلة والإيمان القوى. ذلك ما تنصّ عليه كتب التدريب العسكرى فى الجيوش الحديثة لأكبر جيوش العالم شرقية وغربية .

لقدكانت معنويات خالد ومعنويات رجاله ترتكز على هاتين الدعامتين

<sup>(</sup>۱) المعنويات: أم عامل من عوامل النجاح في الحرب، وهي استعداد الجنود المقلى أو شعورم الذي يدفعهم عن طيب خاطر إلى الكفاح والتحمل ومجامة الخطر ، وتتوقف المعنويات العالية على إعان الجنود بالدور الذي يلعبونه وعلى ثقهم بقائدم ؛ فعندما تكون هناك ثقة ويكون هناك إيمان قوى ، فإن المعنويات تكون عالية ، راجع كتاب تدريب المناة المجلد الرابع — التعبية — ( فوج مشاة في المعركة ) ص ( ٤٤ — ٤٥ ) المطبوع في مطبعة الجيش العراقي سنة ه ١٩٥٥ م .

وَلَـكُن بِشَكُلُ أَكْثَر رَسُوخًا وأعظم قوةً ؛ إذ كانت معنوياتهم ترتـكز على الثقة المتبادلة الراسخة ، والإيمان العظيم .

لقد أسلفنا أن خالداً كان موضع ثقة مرجعه الأعلى، وكان يبادلهم ثقة بثقة وتقديراً بتقدير كا أسلفنا أنه كان يثق بنفسه بل يبالغ بهذه الثقة ،ويثق برجاله أعظم الثقدير .

كما أسلفنا: أن رجاله يثقون به إلى حد الفتنة ، فليس بعــد ثقة رجال خالد به ثقة ولا بعد إعجابهم به إعجاب.

أما إيمانهم العظيم، فهو إيمان المسلمين الأولين من السلف الصالح في الصدر الأول للإسلام.

كانوا يؤمنون جميعاً بالقضاء والقدر إيماناً لا حدود له ، ويؤمنون بأن النفس لن تموت حتى تستوفى أجلها ، ويؤمنون بأن الجهاد فى سبيل الله فرض عين على كل مسلم وأن الصبر فى ساحات الوغى واجب محتوم: « أم حسبتم أن تدخلوا الجنّه ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » (١) ويؤمنون بأنهم يخوضون حربا عادلة لتكون كلة الله هى العليا (٢) وحتى ينتشر فى الأرض الإسلام والسلام .

ذلك هو مبلغ إيمان خالد، وذلك هو مبلغ إيمان رجاله، فكيف لا تظهر على أيديهم خوارق الشجاعة ومعجزات الفداء !!

لقد أدام خالد هذه المعنويات العالية في نفسه وفي رجاله بصورة خاصة

<sup>(</sup>١) سورة آل عمران ( ١٤٢/٣ ) ٠

 <sup>(</sup>۲) الحرب العادلة : هي الحرب التي توجّه ضد شعب ارتكب ظلماً نحو شعب آخر
ولم يشأ رفعه ، ويشترط فيها أن تكون مطابقة للقواعد الإنسانية وتكون لفرض تحقيق
سلم دائم ، كما يشترط فيها وجوب احترام حياة وأملاك الأبرياء

وفى العرب المسلمين بصورة عامة ، وذلك بإثارة الاعتزاز بالمثل العليا المقيلة الإسلامية ، وبإثارة الرجولة بمثاله الشخصى فى الشجاعة والإقدام .

كان يثير في النفوس شعور الاعتزاز بالإسلام ، فيعين قارئاً خاصاً يقرأ سورة الجهاد قبل المعركة وفي أثنائها ، فيستمعون قول الله : « يا أيها الذين آمنوا ، إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار . ومن يولم يومئذ دبره إلا متحر فا لقتال أو متحيز ألى فئة ، فقدباء بغضب من الله ، ومأواه جهنم وبئس المصير » (() ويستمعون قوله تعالى : « وأعد والهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدو كم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يُوف إليكم وأنتم لا تظلمون . وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العلم » (() ، فمن يفر منهم من الزحف ، ومن منهم لا يُعد كل ما يستطيع من قوة للتغلّب على العدو ، ومن منهم لا ينفق بسخاء في سبيل المجهود الحربي ، ومن منهم يعتدى على العدو ، ومن منهم لا ينفق بسخاء في سبيل المجهود الحربي ، ومن منهم يعتدى على العدو ، ومن منهم لا ينفق بسخاء في سبيل المجهود الحربي ، ومن منهم يعتدى على العدو إذا جنح للسلم ؟ ا

ويستمعون قوله تعالى: « ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا . عنه وأنتم تسمعون (٢) » ، فن منهم لايطيع الأوامر وينتّناها عن طيب خاطر بكل أمانة وحرص 1/2

تلك لمحات من سورة الأنفال ، التي كان يقرؤها القراء قبل الممركة

<sup>(</sup>١) سورة الأنفال ( ٨ : ١٥ — ١٦ ) .

<sup>(</sup>٢) سورة الأنفال ( ٢٠/٨ — ٦٦ ) .

<sup>(</sup>٣) سورة الأنفال ( ٢٠/٨ ) .

وفى أثنائها لنذكير الناس بفضائل الجهاد ؛ فهل كان خالد يكنفى بذلك — ولو اكنفى لما كان ملوماً — لإدامة المعنويات ؟

لقد كان يعين قاصاً يقص (۱) على الناس أخبار أيام العرب قبل الإسلام: يوم ذى قار وأيام حرب الفجار ؛ وأخبار أيام العرب بعد الإسلام : غزوات النبى صلى الله عليه وسلم وحروب أهل الردة وأيام الفتح ، فيثير ذلك شعور النخوة فى النفوس ويبعثها على الإقدام البطولى لتكون هى الأخرى قصة مشرّفة تتلى على الناس ويتحدّثون عنها فورين معجبين (۲).

وكان يثير الشجاعة والإقدام في نفوس رجاله ، بمثاله الشخصي ، فيقدم إقدام من لايهاب الموت ولايخشاه ، فكيف لايقتدى رجاله بفعاله .

وبالإضافة إلى كل ذلك ، فقد كان خالد يديم معنويات رجاله بالنصر الذى يسير فى ركابه ، وما أصدق قولة خالد : « . . . إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان لابعدد الرجال (٢) » ، لأن الجيش ينتصر بمعنوياته أكثر مما ينتصر بعدده وعدده ، وقد رأينا فى الحرب العالمية الثانية ، كيف كان ينظر العالم كله إلى الجيش الإيطالى على الرغم من ضخامة عدده وكفاءة تسليحه وحسن تنظيمه ، ولكن المعنويات كانت تنقصه ، فكانت مواضعه التى يحتلها تعتبر فراغاً عسكرياً .

<sup>(</sup>١) الطبرى ( ١٩٤/٠ ) وابن الأثير ( ١٩٨/٢ ) .

<sup>(</sup>٢) (كان أهل الأيام من أهل الكوفة يوعدون مماوية عند بعض الذي يباخهم ويقولون ماشاء معاوية : نحن أصحاب ذات السلاسل ويسمسون ما بينها وبين الفراض ما يذكرون ما كان يعد المعتقاراً لما كان بعد فيما كان قبل ) ذلك ما ورد في الطبرى (٢/٤٥) وكل هذه المعارك التي يفخر بها أهل السكوفة على معاوية كانت بقيادة خالد ابن الوليد . فإذا اقتصر فحر أهل السكوفة على معارك خالد في العراق ، فإن أهل الشام الذين فاتلوا تحبت لواء خالد لا بد أن يفخروا بأيامهم معه فحر أهل السكوفة .

<sup>(</sup>٣) الطبرى ( ۲/۲ه ه ) وابن الأنير ( ۱۰۸/۲ ) ٠

لقد كان خالد كتلة هائلة من المعنويات ، تنتقل منه المعنويات العالية إلى رجاله بالمدوى فتزداد معنوياتهم قوة ورصانة ، ويحطم بسمعته العالية وإقدامه ورجولته معنويات أعدائه ، فيحسبون للقائه ألف حساب .

## عاشراً : الأمور الإدارية :

تحسّنت الحالة المعاشية لرجال خالد بعد معركة ( البمــامة ) وازدادت تحسّناً كما أوغلوا فى فتح العراق ، فقد بلغ سهم الفارس فى يوم ( ذات السلاسل ) ألف درهم والراجل ثلث هذا المبلغ (١ وبلغ سهم الفارس فى معركة ( أمغيشيا ) ألفًا وخسمائة سوى النظل (٢) الذى نفله أهل البلاء (٢٠ . . . إلخ

ولعل تدابير حالد الإدارية التي اتخذها تمهيداً لعبوره الصحراء بين العراق والشام قد وصلت شأواً بعيداً في الدقة والروعة فقد نقل الماء في بطون الإبل وفوق ظهورها ، كما أمن خالد قائد كل خيل أن يعطش عدداً من الإبل يمكني ما تحرزه من الماء لخيله (3) وهيأ دليلاً ماهراً يعرف مسالك الصحواء، ومهذه التدابير الدقيقة استطاع خالد عبور الصحراء بدون خلل إداري بذكر.

وكان مع جيشه بعض الأطباء من العرب لإعطاء الأدوية السائدة حينذاك المرضى والمصابين ، كاكانت النساء يقمن بواجب تموين المقاتلين بالماء والطعام والعناية بالمرضى والجرحى ونقلهم من ساحة المعركة إلى موضع أمين .

<sup>(</sup>١) الطبرى ( ٢/٧٥٥ ) .

 <sup>(</sup>۲) النفل: جمها أنفال ، وهي الفتائم . راجع تنسير الجلالين في تنسير قوله ثمالي : .
 « يسألونك عن الأنفال » إس ( ١٤٥) .

 <sup>(</sup>٣) الطبرى ( ٢/٣) ه ) . . .

<sup>(</sup>٤) الطبرى ( ٣/٣ ) و ابن الآثير ( ١٥٦/٢ ) وفتوح الشام ثلو اقدى ( ١٤/١ ) والبلاذري س ( ١١٨ )

تلك هي بعض الأمور الإدارية التي أمّنها خالد لرجاله .

أما الأمور الإدارية التي أجراها مع أعدائه ، فقد كانت بدرجة من الروعة والعدل والإنصاف بحيث لانزال نعجب بها حتى اليوم أشد الإعجاب .

فقد أقرّ الفلاحين على ماكانوا عليه وجمل لهم الذمة (1) ، وعاملهم معاملة ممتازة ، مما جعلهم يلهجون بالشكر والثناء لعدالة العرب المسلمين .

أما الجزية (٢) التي فرضها خالد على المغلوبين فهى من أجل حمايتهم في أموالهم وعقائدهم وأعراضهم وكرامتهم وتمكينهم من التمتع بحقوق الرعوية مع المسلمين سواء بسواء . يدل على ذلك أنّ المعاهدات التي عقدها خالد مع سكان العراق مثلاً ، كانت تنص على هذه الحماية في المقائد والأموال ، فقد جاء في عهد خالد لصاحب (قس الناطف): « إلى عاهدت كم على الجزية والمنعة ، فإن منعناكم فلنا الجزية ، وإلا فلاحتى نمنعكم (٢) » . كما نص عهده مع أهل الحيرة على المذمة أيضاً وعلى أخذ الجزية من القادرين على دفعها فقط وإعفاء غير القادرين (١) بل ذهب إلى أبعد من ذلك ، فأعلن في كتابه إلى أهل الحيرة التأمين الاجماعي ضد الشيخوخة والمرض والفقر ، فقال فيه : « جعلت لهم أيّ كاشيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنياً فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه ، طرحت جزيته وعيل من بيت

<sup>(</sup>۱) راجع الطبرى (۲/۲ه. و ۵۸ه و ۵۹۸. . . إلح ) حيث وردكثير عن معاملة خالد للفلاحين بالعدل والإنصاف .

 <sup>(</sup>۲) الجزية :بالكمر ،خراج الأرض، وما يؤخذ من الذى. راجع القاموس المحيط
 للغيروزأ بادى مادة الجزاء .

 <sup>(</sup>٣) انظر نظام السلم والحرب في الإسلام — للدكتور مصطنى السباعي ( ص ٣٠)
 (٤) الطبرى ( ٢٧/٢ ه ) .

مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام ، فإن خرجوا إلى غير دار الهجرة ودار الإسلام ، فليس على المسلمين النفقة على عيالهم (١) !!! » .

ولكن مامقدار الجزية المفروضة على القادر على دفعها ؟ إنها أربعة عشر درهماً على كل رجل لا أكثر<sup>(٢)</sup> ، وهي أقل بكثير مما يدفعه المسلم من زكاة ماله .

الحق أن خالداً كان عبقرية إدارية كما كان عبقرية عسكرية ، ولو أنّ الظروف ساعدته على إظهار قابلياته الإدارية ، لاستحوذ على إعجاب الناس وتقديرهم لإدارته للناس ولأمور المال ، كما استحوذ على إعجاب الناس وتقديرهم لقيادته للرجال .

#### قائد عبقرى :

لا أعرف قائداً عبقرياً في تاريخ المسلمين غير الرسول القائد صلوات الله وتسليمه عليه ، يمكن أن يفضل على القائد العبقرى خالد بن الوليد .

ولست أفضل عبقرية قيادة الرسول القائد على عبقرية خالد بن الوليد خضوعاً لعاطفتي باعتبار أنه نبي الإسلام وخاتم النبيين والمرسلين، ولكني مقتنع بذلك بعد دراسة مستفيضة لمزايا قيادة النبي العظيم سيد القادات وقائد السادات، رجل الرجال و بطل الأبطال محمد بن عبد الله صلى الله عليموسلم (٢٠) ومزايا قيادة خالد هازم الفرس والروم.

لقد اصطرعت عُبقرينا هذين القائدين في (أحد)وفي (الخندق)،

<sup>(</sup>١) انظر الحراج لأبي يوسف س ( ١٧٢ ) .

<sup>(</sup>٢) البلاذري ص ( ٢٤٥ ) مع اختلاف في المقدار في مصادر أخرى ٠

 <sup>(</sup>٣) أنظر تفاصيل مده الدراسة فى كتابنا الرسول القائد .

وفى غزوة (الحديبية)، فكانت الغلبة فكل هذه الغزوات لعبقرية الرسول القائد على عبقرية الصحابى القائد .

لقد كان خالد قائد فرسان المشركين في (أحد) ، وكان النفوق العددى إلى جانب المشركين ، ومع ذلك استطاع المسلمون بقيادة النبي الكريم دحر المشركين في الصفحة الأولى من المعركة حتى أخذ المسلمون ينتهبون معسكر المشركين ، مما جعل بعض رماة المسلمين يتركون مواضعهم ظناً منهم أن المعركة قد انتهت لصالح المسلمين ، فانتهز خالد فرصة انسحاب الرماة لضرب المسلمين من الخلف ، فأصبح المسلمون مطوقين من كل جانب .

فى هذا الموقف الرهيب بالنسبة للمسلمين ، يبرز اصطراع عبقريتى القائدين العظيمين ، فينجح الرسول القائد فى إنقاذ أصحابه من هلاك أكيد ، ويفشل خالد فى القضاء على المسلمين ، ولولا مخالفة الرماة لأوامر الرسول صلى الله عليه وسلم الصريحة فى الثبات حتى النهاية فى مواضعهم ، لاستحال على خالد أن يقوم بضرب المسلمين من الخلف ، ولما كان له فى هذه المعركة أثر ملموس.

أما فى ( الخندق ) و ( الحديبية ) فقد انتصرت عبقرية الرسول القائد على عبقرية خالد ، إذ لم يظهر لخالد فيهما أثر حاسم فى الوقت الذى ظهر للرسول صلى الله عليه وسلم أثران حاسمان : فى كل معركة منهما أثر حاسم .

ولا عجب في ذلك . . . لقد كان محمد قائداً ورسولا .

ومع ذلك ، فهناك قائد عربي مسلم هو المثنى بن حارثة الشيباني ، يشابه في سماته ومزاياه العسكرية سمات ومزايا خالد ، ولو لم يستشهد المثنى قبل أن يقضى رسالته في الفتح ، لكان له شأن ينافس شأن خالد في الفتوح.

ألقد ظهر عشرات القادة من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم وتلاميذه

حلوا رایات الإسلام شرقاً وغرباً ، ولکن لم یفتتن الناس بغیر خالدوالمثنی (۱) به لانهماکاناکفرسی رهان فی مزایاها وفی تمار سیفهما فی الفتح .

لقد جمع خالد مرايا الجندى الممتاز إلى مرايا القائد الممتاز مع أن هذه المرايا هي مرايا مثالية أو عاذج عليا يندر أن يتصف بها قائد واحد ، لأنها مجموعة من مزايا عديدة من القادة العظام من فجر التاريخ حتى اليوم.

وإذا كان لنا أن نوجز مزايا عبقرية قيادة خالد بكلمات ، فهى : ذكاء نادر يجعله حاضر البديهة دائماً يصدر قرارات سريعة مرنة ومبتكرة غالباً متشبث بجمع المعلومات عن العدو مما يجعل تلك القرارات السريعة صحيحة ، سريع الحركة شجاع مقدام له عقيدة راسخة وشخصية قوية وإرادة حديدية وقابلية بدنية فائقة ومعنويات عالية ، يسيطر على أعصابه سيطرة عجيبة ، ينق به رجاله ويحبونه ويبادلم ثقة بثقة وحباً بحب ، يفقه مبادئ الحرب وله ماض ناصع مجيد .

وكان بالإضافة إلى هذه المزايا، يختار موضعه فى القتال قريباً من مواطن الخطر — دائماً فى الأمام، دائماً يبارز أبطال أعدائه ويقضى عليهم، دائماً يقاتل أكثر من أى فرد من رجاله فيضطر على تبديل سيف بعد سيف، إذ لا يصمد فى يده سيف واحد فى معركة واحدة ا

لقد خلق خالد ليكون قائداً ، فعاش قائداً ومات قائداً ، فغاب جسده عن الوجود ، ولكن بقي حياً فى النفوس وآثاره بقيت خالدة فى الناريخ ، وانتصاراته كانت ولا نزال وسنبق معجزة من معجزات تاريخ العرب والإسلام بل تاريخ الحرب لكل الأمم فى كل مكان .

<sup>(</sup>١) ابن الأثير ( ٢٠٧/٢ )

# اكخاستمة

«كُمْ مِنْ فِعَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِعَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ الله ، وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِين » . ( قرآن كربم )

أسلم خالد فى أول من صفر سنة ثمان للهجرة ( ٢٦٩م ) ومات سنة إحدى وغشرين للهجرة ( ٢٤٩م )، فخاض خلال اثنتى عشرة سنة فقط إحدى وأربعين معركة فى اليمن والحجاز ونجد والعراق وأرض الشام ، وترك أثاراً خالدة فى كل هذه البلاد الشاسعة كانت وما تزال باقية منذ نشر الإسلام فى ربوعها وضمها إلى العالم الإسلامى حتى اليوم .

إنه القائد العربي الوحيد الذي كان له أثر في فتح كافة بقاع شبه الجزيرة العربية ، فهو أول قائد بحق جاهد من أجل وحدتها بصورة عملية .

رضى الله عن الصحابى الجليل، البطل المفدام، القائد الفاتح، سيف الإسلام خالد بن الوليد.

الملحق (ب) جدول توقيت الأعمال البارزة في حياة خالد(١)

الملحوظات	السنة الميلادية	السنة الهجرية	الأعمال	التسلسل
فی	• <b>1</b> Y	۲۰۰۰ ق	مولده	
	748	۳ ب.ه	في أحد	۲۰
1 :	777	٠	في غزوة الخندق	[ ۳]
الجاملية .	744	٦	فى غزوة الحديبية	٤
	774	v	في عمرة القضاء	
:	774		إسلامه .	٦
	749	٨	ني غزوة مؤثة	<b>V</b> .
	ं च ४५	٨	في فتح مكة	٨
	774	· A	ق مدم المزى	٩
مع الرسول	774	٨	فی بنی جذیمة	3 •
القائد	771	^	يوم حثين	11
	774	٠ ٨	غزوة الطائف	14
صلى الله :	٦٣٠	٩	مع بني المصطلق	14
عليه وسلم	14.	١.	في تبوك	1 8
: :	74.		هدم ود	١.
:	74.	•	في دومة الجندل	17
	141	١٠	نمی نجران	١٧
  : <del></del>	771	1.	فى اليمن	1 %
:	747	. \ \	مع طليحة	19
: فی حرب	744	11	مع مالك بن نويرة	٧٠
می عرب أمل الردة	744	11	في البمامة	۲۱
أيام أبيكر	•			44
الصديق	744	14	في منطقة البصرة	14
رضی الله عنه	744	14	في المدار	7 &
	<b>ግሞ</b> ሞ	۱۲	في الولجة و. س	1 *
	744	14	في ألبِّس	77

(۱) إعتمدنا في إعداد توقيت هذا الجدول على ماجاء في الطبرى ، عدا مرعش وحصن الحدث فقد اهتمدنا في توقيت فتحهما على ما جاء في تاريخ أبي ( ۱۲۰/۱ ) .

الملحو ظات	السنة الميلادية	السنة الهجرية	الأعسال	التسلسل
فتح العراق أيام أبى بكر الصديق رضى الله عنه	744	۱۲	في أمديشيا	٧,
	744	١٢	في الحيرة	4.Y
	744	1 4	في الأنبار	74
	744	14	أ في عين الغمر	٣٠
	744	17	فيّ دومة الجندل	41
	744	14	في المميخ	44
	744	١٢	في الثني و الزميل	**
	744	14	في الفراض	48
	7 44	14	حجّة خاله	۴0
				٣٦
	776	14	نقل خالد من العراق إلى أرضالشام	44
في الطريق بي <i>ن</i>	741	14	فی قر اقر	٣٨
العراق وأرض	741	۱۳	۔ اُبی سوی	44
	748	14	فی تدم	٤٠
الشام في عهد	788	14	فی قصم	11
أبىبكرالصديق	٦٣٤	١٣	فی مرج راهط	14
رضی الله عنه	377	14	فی بصری	14
فتح الشام أيام ابي بكر الصديق	378	14	في البرموك	1 £
فتح الشام في عهد عمر	746	14	عزاه من منصب القائد العام في الشام	10
	748	14	فی دمشق	٤٦
	346	١٣	فی <sup>فحل</sup>	ŁY
, •	747	1.0	فی مرج الزوم	٤٨
ابن الحطاب رضی اللہ عنه	747	١٥	في جمص	٤٩
	747	3 •	- في قاسرين	١٠٠
	747	١٥	في مرعش وحصن الحدث	• ١
في حمص	781	71	وفاته	• ۲

# فاتح منطقة الفرات الأوسط وشهيد معركة الجسر

#### إسلامه:

قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم (المدينة) من (تبوك) في رمضان من السنة التاسعة للهجرة ، وقدم عليه في ذلك الشهر وفد ثقيف<sup>(1)</sup> يعلن إسلامه وإسلام ثقيف .

لقد أسلم أبو عبيد بن مسعود بن عمرو التقنى مع قومه ثقيف وحسن إسلامه كاحسن إسلام قومه ، إذ إنهم ثبتوا على الإسلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فنال أبو عبيد شرف الصحبة وكان من (جلة الصحابة) (٤) ولكنه لم ينل شرف الجهاد تحت لواء النبي صلى الله عليه وسلم ، لأنه أسلم بعد (تبوك) ، وهي آخر غزوة قادها الرسول بنفسه (٥).

 <sup>(</sup>۱) هو أبو عبيد بن مسعود بن عمر الثقنى، وهو والد المختار الذي ظهر في الكوفة وقتل كافة من قدر عليه من قتلة الحسين بن على رضى الله عنه . راجع الاستيماب
 ( ١٤٩٥/٤ ) و ( ١٧٠٩/٤ ) .

 <sup>(</sup>۲) عيون الأثر — لابن سيد الناس ( ۲۲۸/۲ ) وطبقات ابن سعد ( ۳۱۹/۱ )
 (۳) ابن الأثير ( ۱۳۰/۲ ) .

<sup>(</sup>٤) الاستيماب (٤/١٤٦٥).

<sup>(</sup>٥) الطبرى (٢/٤٠٤).

#### عزياده:

### ١ — الفانح:

أول ما عمل عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد موت أبى بكر رضى الله عنه أن ندب الناس مع المثنى بن حارثة الشيبانى إلى أهل فارس وذلك قبل صلاة الفجر من الليلة التي مات بها أبو بكر ، ثم أصبح فبايعه الناس فعاد فندب الناس لقتال الفرس .

وتنابع الناس على البيعة فى ثلاثة أيام ، كل يوم ينديهم فلا ينتدب أحد إلى فارس ؛ وكان وجه فارس من أكره الوجوه إليهم وأثقلها عليهم ، لشدة سلطانهم وشوكتهم وعزهم وقهرهم الأمم ؛ فلما كان اليوم الرابع ، عاد فندب الناس إلى العراق ، فكان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود ، ثم ثنى سعد ابن عبيد () وسليط بن قيس () ، فلما تكامل تحشد ذلك البعث ، قال قائل لعمر : أمّر عليهم رجلا من السابقين المهاجرين والأنصار ، فقال عمر : هو لا والله ! لا أفعل . إنّ الله إنما رفعكم بسبقكم وسرعتكم إلى العدو ، فإذا جبنتم وكرهم اللقاء ، فأولى بالرياسة منكم من سبق إلى الدفع وأجاب إلى الله . والله لا أؤمّر عليهم إلا أولم انتدابا () ، ثم دعا أبا عبيد وسليطا وسعدا ، فقال عضاء عطباً سعدا وسليطاً . « أما إنكا لو سبقناه لوليت كما ، ثم قال لأبى عبيد :

<sup>(</sup>۱) سعد بن عبيد الأنصارى الأوسى : شهد ( بدرا) ومات شهيداً فى القادسية . راجع الإصابة ( ۸۱/۳ ) والاستيعاب ( ۲۰۰/۲ ) وأسد الغابة ( ۲۸۰/۲ ) وطبقات ابن سعد ( ۵/۳ ه ٤ ) .

<sup>(</sup>۲) سليط بن قيس الأنصارى الخزرجى : من بنى النجار ، شهد ( بدواً ) وما بعدها من المشاهد كلها وقتل يوم الجسر مع أبى عبيد ، راجع أسدالغابة ( ۲/ه ۳۲) والاستيعاب ( ۲۲۱۲ ) والاصابة ( ۲۲۳/۳ ) وطبقات ابن سعد ( ۲/۳ ه ) .

<sup>(</sup>٣) الطبرى ( ٦٣١/٣ ) وابن الأثير ( ١٦٦/٢ ) وتأريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص( ٦٧ ) .

« إسمع من أصحاب الذي صلى الله عليه وسلم وأشركهم في الأمر ، ولا تجنهد مسرعاً حتى تتبيّن، فإنها الحرب، والحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث (١) الذي يعرف الفرصة والكف » (٢) .

وعجّل المثنى بن حارثة الشيبانى بالعودة من المدينة إلى جيشه فى العراق، وسار أبو عبيد على أثره وبامِرته خمسة آلاف مقاتل، وكان يستنفر من يمرّ بهم من العرب، فأجابه عدد كبير منهم.

وصل المثنى إلى الجيرة ، ووصل أبوعبيد إليها بعد المثنى بشهر (٢) ، وعملا على إكال تحشّد جيش المسلمين ، وبعد إنجاز ذلك ابتدأ الصراع بين الفرس والعرب المسلمين ، فاصطدم جيش المسلمين بقيادة أبى عبيد بجيش الفرس بقيادة (جابان) في (النمارق) (٤) ، فانهزمت القوات الفارسية بعد قتال شديد ، وأسر في المعركة قائدهم (جابان) ، فاستطاع بدهائه أن يأخذ الأمان لنفسه ممن أسره ، فقال المسلمون لأبى عبيد : اقتله فإنه الأمير ، فقال أبو عبيد : « إنى أخاف الله أن أقتله وقد أمنه رجل مسلم . المسلمون في التواد والتناصر كالجسد ، فما لزم بعضهم فقد لزم كلهم !! فلما ألحوا عليه ذا كرين أن الذي أعطاه الأمان لا يعرف أنه أمير الفرس،أصر أبو عبيدة على موقفه قائلا: «لاأغدر» (٥) . وتركه المسلمون بالفرس في معركة (السقاطية) (١) ، فانتصر المسلمون المسلمون بالفرس في معركة (السقاطية)

<sup>(</sup>١) المكيت : الرزين غير المهور . بعيد النظر الذي يفكر ملماً ثم يقرّ ر .

<sup>(</sup>٢) الطبرى : ( ١٣١/٢ ) .

<sup>(</sup>٣) ابن الأثير ( ٢/٢٦) .

 <sup>(</sup>٤) النمارق: موضع قرب الكوفه من أرض العراق. راجع التفاصيل في ممجم
 البلدان ( ٣١٦/٣ ) .

<sup>(</sup>٥) الطبري ( ٢/٥٦٦ ) . .

<sup>(</sup>٦) السقاطية ناحية قريبة من مدينة واسط . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٦) . (٩١/٥) .

بعد قتال شديد أيضاً ، فأقام أبو عبيد بمنطقة (كسكر) (١) وسرح المثنى وغيره من القادة يغيرون على تلك النواحي ويخضعون حماتها للمسلمين .

وجاء الدهاقين (٢) إلى أبى عبيد بآنية فيها أطعمة فارس ، وقانوا : هذه كرامة أكرمناك بها قرى لك . قال أبو عبيد : « أأكرمتم الجند وقرَيتُهُوهم مثله ؟ » قالوا : لم يتيسر ونحن فاعلون !١ . قال أبو عبيد : «لاحاجة لنا فيه ١ بئس المرء أبو عبيد إن صحب قوماً من بلادهم ، أهرقوا دماءهم دونه أو لم يهريقوا ، فاستأثر عليهم بشيء يصيبه ١١ لا والله لا نأكل مما أفاء الله عليهم إلا مثل ما يأكل أوساطهم (٢)».

وأرسل قائد الجيش الفارسي العام (رستم) جيشاً من الفرس بقيادة ( الجالينوس) فهزمه أبو عبيد أيضاً ، فأتوه بالأطعمة أيضاً ، فقال : « ما آكل هذا دون المسلمين» ، فقالوا : ليس من أصحابك أحد إلا وقد أتى بمثل هذا !!. وحينذاك فقط أكل أبو عبيد ما قد موه إليه من طعام ()

ثم ارتحل أبو عبيد بجنده حتى قدم الحيرة واستقربها .

#### ٢ — الشهيد :

عظم على (رستم) أن تنهزم جيوش فارس أمام العرب ، فسأل خاصته : « أى العجم اشتد على العرب فيما ترون؟ » ، فأجابوه إنه ذو الحاجب (٠٠) ﴿ بَهْمِنِ

 <sup>(</sup>١) كسكر ( منطقة غنية بمنتوجاتها الزراعية والحيوانية قصبتها مدينة واسط .
 راجع التفاصيل في معجم البلدان ( ٢٠١/٧ ) .

<sup>(</sup>٢) الدهاةين : جمَّع دمقان وهو زعم فلاحيالفرس ورئيس الأقليم .

<sup>(</sup>۲) الطبرى ( ۲/۲۷ ) .

<sup>(</sup>٤) ابن الأثير ( ١٦٧/٢ ) .

<sup>(</sup>ه) سمى ذا الحاجب ، لأنه كان يعصب حاجبيه ليرفعهما عن عينية كبراً . راجع البلاذرى س ( ۲۰۲) .

جاذویه ) ، فوجهه رستم علی رأس قوة عظیمة ورد الجالیموس معه) وقال له : « إنْ عاد ( الجالینوس ) لمثل ما فعل ، فاضرب عنقه » .

وسار الفرس من المدائن حتى نزلوا (قس الناطف) (`` ، وسار أبو عبيد بجيشه حتى نزل (المروحة) (`` وعسكر بها ، وجعل الفرات بينه و بين العدو ، فبعث إليه قائد الفرس : « إما أن تعبروا إلينا وندعكم والعبور ، وإما أن تدعونا نعبر إليكم » 11

قال الناس: لا تعبر يا أبا عبيد! إنا ننهاك عن العبور. فحلف أبو عبيد: « ليقطعن الفرات إلىهم » .

وناشده سليط بن قيس ووجوه الناس ، وقالوا : إنَّ العرب لم تلق مثل جنود فارس مذ كانوا ، وإنهم قد حفلوا (٢) لنا واستقبلونا من الزهاء (١) بما لم يلقنا به أحد منهم ، وقد نزلت منزلا لنا فيه مجال وملجاً ومرجع من فرة إلى كرة (٥) .

فقال أبو عبيد : « لا أفعل ! جبنت والله ياسليط ! » . فقال سليط « أنا

<sup>(</sup>١) قس الناطف موضع قريب من السكوفة على شاطىء الفرات الشرق . راجع التفاصيل في معجمالبلدان ( ٨٨/٧ ) .

<sup>(</sup>۲) المروحة موضع قريب من الكوفة على شاطىء الفرات الفربي مقابل (قس الناطف) ، راجع التفاصيل في معجم البلدان ( ۳۲/۸) ، وقد ذكر الدكتو غيل حسين هيكل في كتابه الفاروق عمر (۱۱۳/۱) ﴿ أَنْ أَبَا عبيد تراجع وجدوده إلى قرية القسلطف) فعبر النهر إلها وتحصنوا ينتظرون عدوم » . والصحيح أنه كان في ( المروحة ) وهي في الضفة الفربية للفرات ، وهناك اصطدم بالفرس ، ولو صنح أن أبا عبيد كان في قس الناطف لما كان لعبوره إلى الفرس معنى .

<sup>(</sup>٣) حفلوا : اجتمعواً واحتشدوا .

<sup>(</sup>١) يقال قوم ذو رؤهاء ، أى عدد كبير .

<sup>(</sup>ه) الطرى (٢/ ٦٤) .

والله أجرأ منك نفساً ، وقد أشرنا عليك بالرأى ، فستملم !! » ، فلج أبو عبيد وترك الرأى ، وقال : « لا يكونون أجرأ على الموت مناً . بل نعبر إليهم » .

وعبر المسلمون على جسر من (المروحة) فى الضفة الغربية للفرات إلى (قس الناطف) فى الضفة الشرقية ، وكان جيش المسلمين أقل من عشرة آلاف مقاتل ، ومع ذلك ضاق بهم المكان الذى تركه لهم الفرس ؛ ولم يمهلهم الفرس بعد عبورهم ، بل هاجموهم بعنف شديد ، وكان فى مقدمة الفرس فيلة مدربة أخافت خيول المسلمين ، ففرت تلك الخيول لا تلوى على شيء . . ورشق الفرس المسلمين بالنبل ، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً . . . !

واشتد الأمر بالمسلمين ، فترجّل أبو عبيد والناس ومشوا إلى الفرس وصافحوهم بالسيوف ، ولسكن الفيلة صدّت المسلمين وبعثرتهم ، فنادى أبو عبيد : احتوشوا (١) الفيلة واقطعوا بطنها (١) واقلبوا عنها أهلها ». ووثب هو بنفسه على فيل أبيض فقطع حزامه فوقع الذين على ظهره ، ثم ضرب خرطومه بالسيف ، ولكن الفيل هاجم أبا عبيد وضربه برجله فألقاه على الأرض ، ثم وقف فوقه فأزهق روحه .

ورأى الناس قائدهم شهيداً تحت أقدام الفيل ، فأنهارت معنوياتهم ، ولكنهم استقتلوا حتى تنحى الفيل عن جثة أبى عبيد، فأعملوا فيه سيوفهم حتى قتلوه .

وتتابع سبعة من ثقيف ، كلهم يأخذ اللواء ويقاتل حتى يموت ، حتى أخذ اللواء المثنى بن حارثة الشيباني ، فوقف واللواء بيده ينادى : « يا أيها

<sup>(</sup>١) احتوش القوم الصيد ۽ إذا نفره بعضهم على بعض .

<sup>(</sup>٢) بطن : جمع بطان ، وهو الجزام .

الناس!! دونكم فأعبروا ». وبذلك استطاع تخليص البقية الباقية من حيش المسامين (٧)

### الشمائل:

جمع أبو عبيد مزايا العربى الأصيل والمسلم الصادق ، فقد كان كريماً مضيافا ، غيورا شهما يتدفق شهامة ونبلا ، وكان صادق القول وفيا إلى أقصى حدود الوفاء ، مأمون النقيبة ورعا تقيا ، أعماله أبلغ من أقواله ، وكان عقائديا من الطراز الرفيع ، بذل نفسه رخيصة في سبيل عقيدته ، فمات شهيدا في السنة الثالثة عشرة من الهجرة (٢٣٤ م) .

#### القائد:

كان أبو عبيد لا يستأثر لنفسه بالخبر دون رجاله بلكان يؤثرهم به على نفسه لذلك نال ثقتهم الكاملة.

وكان شجاعاً إلى أقصى حدود الشجاعة: تطوّع لقنال الفرس عندما أحجم الآخرون، واستأثر لنفسه فى كل معركة بالخطر الداهم، فبرز فى كل معركة خاضها على أقرانه وضرب لرجاله بمثاله الشخصى فى الشجاعة أروع الأمثال...وفى معركة الجسر بالذات يوم استشهاده قتل وحده من الفرس بين السنة والعشرة رجال (٣).

ولكنه كان إذا اقتنع برأى أصر عليه دون الالتفات إلى الآخرين، وقد أدى إصراره على رأيه إلى كارثة معركة الجسر، وكأنه نسى نصيحة

<sup>(</sup>٢) الارِصابة ( ١٢٧/٧) والاستيماب ( ١٤٦٥/٤ ) .

<sup>(</sup>۲) الطبرى ( ۲/۲۹ ) .

عمر بن الخطاب له: أن يستشير أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يشركهم فى الرأى معه ، وكأنه نسى أن أمير المؤمنين أمرّه ولم يؤمر سليطا، لأن الحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث.

والحق أن أبا عبيد كان جندياً ممنازاً ولكنه لم يكن قائداً ممنازاً ، لأن من صفات القائد الممناز أن يستشير ذوى الرأى من رجاله وأن يأخذ بالسديد من آرائهم ، وأن يحسب لكل شيء حسابه قبل الاندفاع إلى غمار القتال . لقد كان من نتائج إصرار أبى عبيد على رأيه واندفاعه الشديد خسارة المسلمين في معركة الجسر أربعة آلاف شهيد بين قتيل وغريق ، من بينهم بعض كبار الصحابة ومن بينهم أخوه الحكم بن مسعود وابن أخيه جبر بن الحكم بن مسعود وابن أخيه جبر بن الحكم بن مسعود وابن أخيه جبر بن الحكم بن مسعود "

# أبو عبيد في التاريخ:

على الرغم من مكوث أبى عبيد مدة قصيرة قائداً عاماً فى العراق ، إلا أنه استطاع أن يترك أثراً معنوياً كبيراً بين المسلمين والفرس على حد سواء.

ترك أثراً معنوياً بين المسلمين ، لأنه جر أهم على حرب الفرس ، فكان أول من أجاب دعوة عمر لجهاد الفرس ، فهو من هذه الناحية بعد المثنى بن حارثة الشيباني وخالد بن الوليد في إقناع العرب بالاستهانة بقوة الفرس العسكرية .

وتركت كارثة يوم الجسر أثراً معنوياً عميقاً فى نفوس المسلمين ، فقد بعث في نفوسهم النخوة والحمية لأخذ ثارات شهداء يوم الجسر . لقد كان هتاف

<sup>(</sup>١) ابن الأثير ( ١٦٩/٢ ) .

<sup>(</sup>٢) الاستيماب (٢) ١٧٠٩).

القعقاع بن عمرو التميمي وهتاف المسلمين في معركة القادسية يتعالى : يالثارات أبي عبيد وسليط وأصحاب يوم الجسر (١) .

كما ترك أثراً معنوياً بين الفرس أنفسهم ، لأنه كان مثالاً فذا للقائد الشريف الذي لا يحنث بالعهود ويحترم المواثيق ويقاتل بشجاعة ونبل وشرف.

كما ترك أثراً مادياً لفتحه منطقة كبيرة من الفرات الأوسط، تلك المنطقة التي اعتبر سكانها الفتح الإسلامي تحريراً لهم من ظلم الامبراطورية الفارسية واستغلالها.

لقد كان لتصحية أبى عبيد بنفسه أثر كبير فى إعداد العدة الكاملة وإكال أضخم تحشد لقوات المسلمين فى العراق لإنجاز فتحه ؛ وبذلك يمكن اعتبار نتائج معركة الجسر فشلا تعبوياً للمسلمين ونصراً سوقيا لهم ، لأنهم أخذوا درسهم منها ، فلم يندحروا فى معركة بعدها حتى شملت رايات الإسلام جميع ربوع العراق .

إن التاريخ يذكر لأبى عبيد أنه مات شهيداً فى سبيل عقيدته ، وأن تضحيته بروحه وتضحية رجاله بأرواحهم هى التى ثبتت الإسلام فى العراق بعد المجوسية ، وجعلت العرب ينتزعونه من الفرس قبل أربعة عشر قرناً . . . وإلى الأبد!

رضى الله عن القائد الفائح ، البطل الشهيد ، أبي عبيد بن مسود الثقني .

<sup>(</sup>١) الطبرى ( ٢/٣ ) .

# سعب دبن أبی ووت اصل زهری

# فاتح العراق والجزيرة

« ہذا خالی ، فلیرنی امرؤ خالہ » محمد رسول اللہ

### نسبہ وأيامہ الاُولى :

هو سعد بن مالك بن أُهيب (' بن عبد مناف بن زُهْرة بن كلاب القرشي الزهري ، وأمه حمنة بنت سفيان بن أمية بنت عم أبي سفيان بن حرب ابن أمية (') . وفي (كلاب ) يجتمع نسب الرسول صلى الله عليه وسلم بنسب سعد (') ، كا أن آمنة بنت وهب أم النبي صلى الله علية وسلم من بني زهرة (') لذلك فإن سعداً هو خال النبي صلى الله عليه وسلم .

نشأ سعد فى قريش أعز العرب ، وفى مكة المكرمة إلى جانب البيت الحرام ، واشتغل فى برى السهام وصناعة القسى وهى من عدد الحرب المهمة (٥) قبل اختراع البارود . ولم تكن حرفته يومئذ رائجة عند المقاتلين فحسب ، بل كانت رائجة عند هواة الصيد والقنص ، وقد كان القتال شائعاً فى الجاهلية

<sup>(</sup>١) في جوامع السبرة لابن حزم ص (٤٦ ) اسمه : وهيب .

<sup>(</sup>٢) الأيصابة ( ٨٣/٣ ) والمعارف ص ( ٢٤١ ) والبدء والتاريخ ( ٨٤/٥ ) .

<sup>(</sup>٣) فتح الباري بصرح البخارى ( ٦٦/٧ ) وجوامع السيرة لابنحزم ص (٣)

 <sup>(4)</sup> سیرة ابن هشام ( ۱۹۹/۱ ) وطبقات ابن سمد ( ۹/۱ ) وجوامع السیرة لابن حزم س (۳) وهی آمنة بنت وهب بن عبد مثاف ، أی أن وهب بن عبد مثاف والد سعد ، فهو ابن همها .

<sup>(</sup>٥) المارف ( ٥٧٥ ) .

كا كان الصيد والقنص شائعين أيضاً ، لذلك كانت حرفته هذه تدرّ عليه المال الوفير .

وفى حانوته الذى كان بالقرب من البيت العتيق ، تعرق سعد على كثير من شباب وسادات قريش ، كما تعرق على كثير من الوافدين على مكة في أيام الحج ومواسمها الأخرى ، وكانت مهارته الفائقة فى حرفته وإخلاصه فى عمله ودمائة خلقه عوامل حببته وعرفته بكثير منهم وأفادته مادياً ومعنوياً.

### إسلامه :

كان أبو بكر الصديق من بين أصدقاء سعد الكثيرين ، وكانت الثقة والحبة والاحترام متبادلة بينهما ، وكانا لا ينفكان يلتقيان كلا وجدا إلى القاء سسلا.

ونزل الوحى على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم أبو بكر وأظهر إسلامه ودعا إلى الله ورسوله ؛ وكان أبو بكر رجلا مؤلفاً لقومه محباً سهلا ، وكان أنسب قريش لقريش وأعلم قريش بها وبما كان فيها من خير وشر ، وكان رجلا تاجراً ذا خلق ومعروف ، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه ، فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام من يثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه ، فأسلم بدعائه عمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وطلحة بن عبيدالله ، فأسلم وسول الله صلى الله عليه وسلم حين استجابوا له ، فأسلموا وصاوا (١) .

قال سعد عن نفسه : « ما أسلم أحد إلا في اليوم الذي أسلمت فيه ، ولقد أ

<sup>(</sup>۱) سیرة ابن هشام ( ۲۹۸/۱ ) والطبری ( ۲۰/۲ ) ۰

مكنت سبعة أيام وإنى لنالث الإسلام (') ، وأراد بذلك النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر الصديق ، إذ يُحمُل قولُه على الآحرار البالغين دون الموالى والعبيد وغير البالغين من الأحرار (')، ولكنه كان سابع سبعة في الإسلام (")، أسلم بعد ستة وذلك إذا أضفنا إلى قائمة المسلمين كافة من آمن بالله ورسوله من الذكور فقط دون النساء (ن).

ولاقى سعد معارضة شديدة لإسلامه حتى من أمه. قال سعد يصف ذلك: كنت رجلا برا بأمى ، فلما أسلمت قالت: ما هذا الدين الذي أحدثت ؟ لندعن دينك أولا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعبّر بي ! فقلت لها: لا تفعلي يا أماه ، فإ بي لا أدع ديني ! فمكثت يوماً وليلة لا تأكل ولا تشرب، فأصبحت وقد جهدت فقلت لها: والله لو كان لك ألف نفس فحرجت نفساً نفساً ما تركت هذا الشيء ! فلما رأت ذلك مني ، أكلت وشربت ، فأنزل

<sup>(</sup>۱) الاصابة (۸۳/۲) وفتح البارى بشرح البخارى ( ۲۹/۷ – ۲۷ ) والبد. والتاريخ (۸٤/۵ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر فتح البارى بشرح البخارى ( ١٦/٧ - ١٧ ) .

<sup>(</sup>٣) الاستيماب ( ٢٠٧/٢ ) ونكت الهميان ( ١٥٥ ) .

 <sup>(3)</sup> في جوامع السيرة لابن حزم ص ( ه ٤ -- ٤٦ ) عدد تسلسل الذين أسلمو!
 كما يل :

أبو بكر

٢ - على بن أبي طالب .

٣ — زيد بن حارثة السكلبي .

اللال بن رباح .

ه — عبسة السلمي صديق النبي في الجاهلية .

٦ -- خالد بن سعد بن العاص .

٧ --- سعد بن أبى وقاص ، فإذا أضفنا إلى هذا التسلسل خديجة أم المؤمنين وهى أول النساء إسلاماً ، فيكون سعد ثامن تمانية في الإسلام ، أسلم بعد سبعة من الرجال والنساء والعبيان .

المولى قوله سبحانه: (وإن جاهداك على أن تُشْرِكَ بِي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا) ('' فكان ماجرى بين سعد وأمه من مشادة في الدين سبباً في نزول هذا الدستور القرآني الكريم، يجلو ما بين الابن المسلم وبين أبويه المشركين (۲).

لقد أسلم سعد وهو ابن سبع عشرة سنة (٢).

### مع الني .

كان سعد من السابقين الأولين من المسلمين ، فقد أسلم قبل أن تفرض الصلاة (٥) ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو حينداك للإسلام سراً ، فجاهد سعد مع أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بماله وبنفسه لتكون كلة الله هى العليا .

وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا صاّوا ذهبوا إلى شِعاب (°) مكة بعيداً عن الأنظار فاستخفوا بصلاتهم من قومهم ، فبينا سعد فى نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فى شعب من شعاب مكة ، إذ ظهر عليهم نفر من المشركين، فنا كروهم وعابوا عليهم دينهم حتى قاتلوهم ، فضرب سعدرجلا

<sup>(</sup>۱) أسد الفابة ( ۲۹۲/۲ ) وطبقات ابن سعد ( ۱۲٤/٤ ) مع اختلاف باللفظ واتفاق بالمعنى . وانظر تفسير ابن كثير ( ۴۸/٦ ) وتفسير البنغنى . وانظر تفسير ابن كثير ( ۴۸/٦ ) وتفسير الكشاف للزمخترى ( ۱۹/۲ ) وشرح النووى على مسلم ( ۴۹/٥ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر مجلة لواء الاسلام العدد الأول من السنة الثانية ص ( ٣٩ ) .

 <sup>(</sup>٣) طبقات ابن سعد ( ١٩٣/٣ ) والبدء والتاريخ ( ٥/٥٨ ) وأسد الغابة
 ( ٢٩٣/٣ ) أما ف الاستيماب ( ٢٠٧/٢ ) فيذكر أنه أسلم وهو ابن تسع عشر سنة .

<sup>(</sup>٤) طبقات ابن سعد ( ١٣٩/٣ ) والاستيماب ( ٦٠٧/٢ ) .

<sup>(</sup>ه) الشعاب : جمع شعب ، وهي المواضع الحفية بين الجبال .

من المشركين بلحى (۱) جمل فشجه (۲) فكان هذا أول دم أهريق في الإسلام (۲).
ولما أذن الرسول صلى الله عليه وسلم للمسلمين بالهجرة إلى المدينة المنورة ،
هاجر إليها سعد من مكة ومعه أخوه عمير بن أبي وقاص (٤) ، فآخى الرسول صلى الله عليه وسلم بينه وبين مصعب بن عمير (٥) ، وبينه وبين سعد بن معاذ (٢)

- (٤) عمير بن أبى وقاص: آخو سعد ، هاجر معه إلى المدينة . قال سعد: ﴿ رأيت الحجى عمير قبل أن يعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم للخروج إلى بدر يتوارى! فتلت: مالك يأخى ؟! فقال: إنى أخاف أن يرانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستصفرنى فيردنى وأنا أحب الحروج لعل الله يرزقنى النهادة . قال : فعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستصفره ، فقال : ارجع! فبكى عمير!! فأجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكنت أعقد حمائل سيفه من صغره ﴾ فقتل بدر وهو ابن ست عشرة سئة . أنظر طبقات ابن سعد ( ١٤٩/٢) .
- (ه) مصعب بن همير : من بني عبدالدار من قريش . كان فتى قريش شباباً وجالا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكره ويقول : ﴿ مَا رَأَيْتَ مَكَمُ أَحِداً أَحِسْنَ لَمْ وَلَا أَرْقَ حَلَّةٌ وَلا أَنْمَ نَعْبَةٌ مِنْ مُصْعِبِ بن عمير ﴾ . هاجر إلى الحبشة الهجرة الأولى ، ولا أرق حلّة ولا أنم نعبة من مصعب بن عمير ﴾ . هاجر إلى الحبشة الهجرة الأولى ، وشهد بدراً واستثنهد في أحد بعد أن ضحى بكل شيء بملكة في سبيل الله . راجع التفاصيل في طبقات ابن سعد ( ١١٦/٣ ) والاستيعاب ( ١٤٧١/٤ ) وأسد الفابة ( ٢١٨/٤ ) .
- (٦) سعد بن معاذ الانصارى : سيد الانصار من الخزرج ، أسلم بالدينة على يد مصعب بن عمير ، فلما أسلم لم يبق فى بنى عبد الأشهل قومه أحد إلا أسلم ، فسكانت دار بنى عبد الأشهل أول دار من الأنصار أسلموا جميعاً رجالهم و نساؤه . شهد بدراواحداً وثبت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى أحد . وفى غزوة الحندق أصيب بسهم فعاش شهراً ثم انتقض جرحه فمات شهيداً سنة خس الهجرة . ولما جرح أقام له النبى صلى الله عليه وسلم خيمة فى السجد ليعوده من قريب ولما نزل بنو قريظة على حكم سعد ارسل النبى صلى الله عليه وسلم إليه ليحكم فى قريظة حلفاه و ومواليه ، فقال سعد : ﴿ إلى أحكم فيهم أن تقتل مقاتاتهم و تسبى ذرارهم ﴾ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ﴿ حكمت بحكم الله ﴾ . راجع طبقات ابن سعد (٣/٧) وأسد الغابة (٣/٧) والاستيعاب طبقات ابن سعد (٣/٣) وفتح البارى بشرح البخارى (٣/٧) .

 <sup>(</sup>١) اللحى: هو العظم الذي على الحد ، وهو في الانسان العظم الذي تنبت عليه اللحية .

<sup>(</sup>٢) شجه: حرحه .

<sup>(</sup>٣) سيرة ابن هشام ( ١/٥٧١) وأسد الغابة ( ٢٩١/٢) وجوامع السيرة لابن حزم ص ( ٥١ ) .

فى رواية أخرى<sup>(۱)</sup>

وعندما ابندأ الجهاد فى الإسلام ، كان سعد من بين الدين بذلوا أقصى جهودهم فى ميادين القنال : جندياً تحت لواء الرسول القائد وأمراء بعوثه تارة ، وقائداً لبعض السرايا تارة أخرى .

فقى شوال من السنة الأولى للهجرة ، عقد الرسول القائد أول راية لعبيدة ابن الحارث بن المطلب (ت) في ستين من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد ، وأمره بالمسير إلى بطن (رايع) () ، فبلغ (ثنية المرَة) () وهي بناحية الجُحْفَة () فالتقوا بالمشركين الذين كانوا بقيادة أبي سفيان بن حرب في مائتين من قريش (۱) فلم يكن قتال بينهم ، إلا أن سعداً رمى يومئذ بسهم ، فكان أول مهم رمى في الإسلام . قال سعد : « والله إني لأول رجل من العرب رمى بسهم في سبيل الله ، ولقد كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومالنا

 <sup>(</sup>۱) طبقات ابن سعد ( ۱٤٠/۳ ) .

<sup>(</sup>٢) عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف الترشى المطلبي : أسلم قديمًا وكان أسن بني عبد مناف يؤمئذ ، وكان أسن من رسول الله صلى الله عليه سلم بعشر سنين ، هاجر إلى المدينة وعقد الرسول صلى الله عليه وسلم له أول اواء وقد جرح يوم بدر فمات شهيدا من جرحه ، راجع طبقات ابن سعد (٣/٠٥) والإصابة (٤/٣٩) وأسد الغابه (٣٨/٣) والاستيماب (٢٩/٤) .

 <sup>(</sup>٣) رابغ : واد بين الجحفة وودان على طريق الحاج بين المدينة ومكة . راجع التفاصيل في معجم البلدال ( ٢٠٢/٤ ) .

 <sup>(1)</sup> ثنية المرة : موضع قريب من الجحفة . واجع التفاصيل في معجم البلدان
 ( ۲ o/۳ ) .

 <sup>(</sup>ه) الجحفة : قرية على بعد أربع مراحل من المدينة على طريق المدينة — مكة .
 راجع التفاصيل في معجم البلدان ( ٦٢/٣ ) .

<sup>(</sup>٦) الطبري ( ٢/٢ه ) وطبقات ابن سعد ( ١/٣ ) .

طعام نأكله (۱) . . . » . وكان من الرماة المذكورين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (۲) .

وفى العام الهجرى الأول أيضاً ، عقد الرسول القائد راية لسعد فخرج إلى (الخَرَّار (٢)) لتهديد الطريق النجارية بين مكة والشام وبإمرته عشرون رجلا من المهاجرين للحاق بقافلة تحمل تجارة قريش. قال سعد : «كنا نكمن النهار ونسير الليل حتى صبحنا (الخرار) صبح خامسة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد إلى "ألا أجاوز (الخَرَّار) ، وكانت العير قد سبقتني قبل ذلك بيوم ، وكانوا سنين (٤) ».

وشارك سعد بسرية عبدالله بن جحش<sup>(٥)</sup> ، كما شهد بدراً وأُحداً والخندق<sup>(١)</sup> والحديبية وخيبر وفتح مكة وكانت معه يومئذ إحدى رايات

<sup>(</sup>۱) سيرة ابن هشام ( ۲۲٤/۲ ) وجوأمع السيرة لابن حزم ص (۱۰۱) وطبقات ابن سعد ( ۱٤٠/۳ ) .

<sup>(</sup>۲) طبقات ابن سعد ( ۱٤٢/٣ ) .

 <sup>(</sup>٣) الحرار : موضع بالحجاز قرب الجحفة ، وقيل : هو وادر من أودية المدينة .
 راجع التفاصيل في معجم البلدان ( ٢٠٧/٣ ) .

<sup>(</sup>٤) الطبرى ( ٢٠/٢ ) وطبقات ابن سعد (٧/٣) وقد ذكر ابن هشام في سبرته ( ٣٣٨/٢ ) أن عدد رجال سعد ثمانية فقط .

<sup>(</sup>ه) عبد الله بن جحص الأسدى القرشى: ابو عجل ، أمه أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم . أسلم قبل دخول الرسول صلى الله عليه وسلم دار الأرقم وهاجر الهجرةين إلى الحبشة وأخته زينب بنت جحص زوج النبي صلى الله عليه وسلم . أمره النبي صلى الله عليه وسلم على سرية فغم أول غنيمة في الإسلام ، وقد خمس الرسول صلى الله عليه وسلم الغنيمة وقسم الباق ، فكانت أول خمس في الإسلام . "شهد بدراً واستشهد يوم أحد . راجع طبقات ابن سعد (٩/ ٩٨) وأسد الغابة (١٣١/٣) والإصابة (٤٦/٤) والإسابة

 <sup>(</sup>٦) أسد الغابة (٢٩٠/٢).

المهاجرين الثلاثة ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (۱) وكان له فيها أثر ملموس .

فقد أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم قبيل نشوب معركة (بدر) (٢) في مهمة استطلاعية إلى ماء (بدر) مع على بن أبي طالب والزبير بن العوام، فأسروا غلامين لقريش (٢) وعندما استنطقهما النبي صلى الله عليه وسلم علم منهما أن قريشاً وراء الكثيب بالعدوة القصوى ، كما استنبط من استنطاقهما أن قوة قريش بين التسمائة والألف ، كما عرف منهما أن أشراف قريش جيعاً خرجوا لمنعه . وقد شوهد سعد يقاتل يوم (بدر) قتال المغاوير من الرجال (٤) فأسر أسيرين من المشركين .

وكان موقف سعد فى (أُحد) (<sup>()</sup> رائعاً حقاً: ثبت يوم (أحد) ، ووقف سعد إلى جانب الرسول صلى الله عليه وسلم يرمى بالنبل دونه ، والرسول صلى الله عليه وسلم يناوله النبل ويترصد له إصاباته قائلا: « إرم فداك أبى وأمى » (<sup>()</sup>). قال سعد . « جمع لى النبى صلى الله عليه وسلم أبويه يوم (أحد) (<sup>()</sup>)،

<sup>(</sup>١) طبقات ابن سعد ( ١٤٢/٣ ) .

<sup>(</sup>٢) بدر : ماء مشهور بين مكة والمدينة ، بينه وبين ساحل البحر ليلة ، وبينه وبين المدينة سبع مراحل . راجع التفاصيل في معجم البلدان ( ٨٨/٣ ) . واليوم أصبح ببدر قرية كبيرة على طيرق السيارات بين المدينة ومكة .

<sup>(</sup>٣) سيرة ابن هشام ( ٢/٥٥٢ ) . وجوامع السيرة لابن حزم ص ( ١١٠ ) .

<sup>(؛)</sup> طبقات ابن سعد ( ۱۶۱/۳ ) وانظر نـکت الهمیان (۱۰۹ ) حول أسره أسیرین .

<sup>(</sup>٥) أحد : جبل شمالى المدينة ، بينه وبينها قرابة ميل ، وعنده كانت الموقعة المشهورة ببن المسلمين وقريش ، راجع التفاصيل في معجمالبلدان ( ١٣٣/١ ) وأنظر نكت الهميان ( ١٥٦ ) حول نباته يوم ( أجد ) . .

 <sup>(</sup>٦) جوامع السيرة لابن حزم س ( ١٦٢ ) والطبرى ( ١٩٨/٢ ) وانظر شرح
 النووى على مسلم ( ١٥٨/٥ ) .

<sup>(</sup>۷) فتح البارى بشرح البحارى ( ٦٦/٧ ) .

وقال على بن أبى طالب: « ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفدى أحداً بأبويه إلا سعداً » (١) ، وكان لدفاع سعد المستميت مع بعض الصحابة عن حياة الرسول القائد الغالية أثر على تحطيم هجوم قريش لنهديد حياة النبى صلى الله عليه وسلم .

وكان سعد فى غزوة (الحديبية) (٢٦ أحد الشهود على وثيقة الهدنة مع كل من أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعبدالرحمن بن عوف وعبد الله بن سهيل بن عمرو (٢٦ وهم الشهود الذين وقعوا مع سعد على هذه الوثيقة (١٦).

لقد كان سعد حريصاً غاية الحرص على حياة الرسول صلى الله عليه وسلم في الحرب والسلم على حد سواء. روى الشيخان والترمذي والكسائي من حديث عائشة أم المؤمنين قولها: « لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة أرق ، فقال: ليت رجلا صالحاً من أصحابي يحرسني ، إذ سمعنا صوت السلاح ، فقال: من هذا ؟ قال: أنا سعد! فنام . . وفي رواية : فدعا له » (٥) .

<sup>(</sup>١) طبقات ابن سعد (١٤١/٣) .

 <sup>(</sup>۲) الحديبية: قرية متوسطة البست بالكبيرة، سميت ببئرهمناك بينها وبين مكا مرحلة،
 وبينها وبين المدينة تسع مراحل. وقد اشتهرت بالصلح الذي جرى فيها بين المسلمين وقريش.
 راجع التفاصيل في معجم البلدان ( ۲۳۳/۳ ).

<sup>(</sup>٣) عبد الله بن سهيل بن عمرو القرش العامرى : هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية ثم رجع إلى مكة فأخذه أبوه وأوقفه عنده وفتنه في دينه . وخرج مع أبيه سهيل بوم بدر ، وكان يكتم إسلامه أباه ، فاتحاز من المشركين وهرب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم مسلماً وشهد معه بدراً والمشاهد كامها ، وكان من فضلاء الصحابة ، وهو أحد الشهود في صلح الحديبية ، وهو الذي أخذ الأمان لابية يوم الفتح ، فقال أبوه عنه : ﴿ كَانَ وَالله بِراً صغيراً وَكِبِراً ﴾ ، وقد استشهد يوم المجامة سنة اثنق عشر ، راجع الاستيعاب (٣/٥/٣) والد الفابة ( ٢٨٥/٣) .

<sup>(</sup>٤) سيرة ابن هشام ( ٣٦٨/٣ ) .

<sup>(</sup>ه) الاصابة (٣/٨٤).

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يفاخر بسعد حين يراه . أقبل سعد فقال النبي صلى الله عليه و الم : « هذا خالى ، فليرنى امرؤ خاله » (١) .

فهل بذل سعد نفسه فقط رخيصة في سبيل الله أم بذل نفسه وماله أيضا ؟ مرض سعد بمكة بعد فتحها فخلفه رسول الله صلى الله عليه وسل فيها مريضاً حين خرج إلى (حُنَيْن) (٢) ، فلما قدم من (الجغرانة) (٣) معتمراً دخل على سعد يعوده ، فقال سعد . « يا رسول الله ! أوصى يمالى كله ؟ » . قال : « لا » . فقال : « الثلث ؟ » . قال : « الثلث والثلث كثير ، إنك إن تدع ورثنك أغنياء خير من أن تدعهم قال : « الثلث والثلث كثير ، إنك إن تدع ورثنك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس في أيديهم ، وإنك مهما أنفقت على أهاك من نفقة فإنها صدقة حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك ، وعسى الله أن يرفعك فينتفع بك قوم ويضر بك آخرون » (١) وكان لسعد حينذاك مال كثير أوصى بثلثه في سبيل الله (٥) .

لقد رفع جهاد سمد بماله ونفسه فى سبيل الله ، وإخلاصه للإسلام ولرسوله ، وعقيدته الراسخة وإيمانه العظيم إلى درجة الصديقين ، فكان أحد العشرة المبشرة بالجنة الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض (٧)

<sup>(</sup>١) طبقات ابن سعد (١٣٧/٢) والاصابة (٨٣/٣) والسيرة الحلبية (٢/١/٣) .

<sup>(</sup>٢) حثين : وادر قبل الطائف ، بين مكة والطائف ، وعلى بعد ثلاث ليالى من مكة .

راجع التفاصيل في معجم البلدان ( ٣٠٤/٣ ) . .

 <sup>(</sup>٣) الجمرانة: ماء بين الطائف ومكة أقرب . راجع التفاصيل في معجم البلدان .
 (٣)٠٠) .

<sup>(</sup>١) طبقات ابن سفد ( ٢/١٤٠ ) .

<sup>(</sup>٥) طبقات ابن سمَّد ( ١٤٤/٣ ) .

<sup>(</sup>٦) أسد الغاية ( ٣٩١/٢ ) والاستيماب ( ٣٠٨/٢ ) -

كا دعاله الرسول صلى الله عليه وسلم علامة رضاه عنه قائلا: « اللهم استجب لسعد إذا دعاك »(1).

### مهاده :

تعيينه:

اجتمع الفرس على (يزدجرد) بعد توليه عرش أجداده الأكاسرة ، فاطمأنت فارس وأخذت تعد العدة لمهاجمة جيوش المسلمين في العراق .

ولما علم المثنى بن حارثة الشيبانى بأخبار فارس، أيقن أن أهل السواد<sup>(٢)</sup> لن يلبثوا أن ينقضوا على المسلمين إذا اتجهت جيوش الفرس نحوه، فكتب المثنى إلى عمر يذكر له حقيقة الموقف فى العراق.

وتمجهز الفرس ، فأثار تمجهزهم قرى العراق ومدنه على المسلمين ، فلم يجد المثنى بُدًا من أن ينسحب كرة أخرى إلى تخوم شبه الجزيرة ، فسار بجنده حتى نزل ( بذى قار ) (٢٠) .

ولما علم عمر بن الخطاب بخطورة الموقف في العراق، قال: «والله لأَضرِ بَنَّ ملوك العجم بملوك العرب » ثم كتب عمر إلى عماله ، لا تدعو أحداً له سلاح أو فرس أو نجدة أو رأى إلا انتخبتموه ثم وجهتموه إلى والعجل العجل (٤٠٠).

<sup>(</sup>۱) الإصابة ( ۸۳/۳ ) وأسد الغابة (۳۹۱/۳) والاستيماب ( ۲۰۷/۲ ) وطبقات ابن سعد ( ۲/۳ ) .

<sup>(</sup>٢) السواد . أرض العراق التي فتحها المسفون على عهد همر بن الحطاب ، سمى بذلك لسواده بالزروع والتخيل والأشجار ، لأنه حين تاخم جزيرة العرب التي لا زرع فيها ولا شجر ، كانوا إذا خرجوا من أرضهم ظهرت لهم خضرة الزرع والأشجار فيسمونه سواداً . واجم التفاصيل في معجم البلدان ( ١٠٩٥ ) .

<sup>(</sup>۴) ابنَ الأثير ( ۱۷۱/۲ ) و الطبرى ( ۲،۹/۲ ) .

<sup>(</sup>٤) الطبرى ( ١٦٠/٢ ) .

فلما اجتمع الناس إلى عمر أراد أن يتولى قيادتهم بنفسه لمواجهة القوات الفارسية ، ولكن أصحاب الرأى من كبار الصحابة أشاروا عليه بالبقاء فى المدينة وإرسال قائد يعتمد عليه ، فجمع عمر الناس وقال لهم : «إنى كنت عزمت على المسير حتى صرفنى ذوو الرأى منكم ، وقد رأيت أن أقيم وأبعث رجلا ، فوصل فأشيروا على برجل» () ، وكان سعد يومذاك على صدقات هوارن ، فوصل فأشيروا على برجل» () ، وكان سعد يومذاك على صدقات هوارن ، فوصل كتابه وقرأه عمر على الناس ، قال الناس لعمر : وجدته ! قال : « من هو ؟ » . وقرأه عمر على الناس ، قال الناس لعمر : وجدته ! قال : « من هو ؟ » . قالوا : الأسد عادياً سعد بن مالك (٢) . . . فلما استقر رأى عمر على تعيين سعد ، قال عنه : « إنه رجل شجاع رام » (٣) .

لقد كانت إمارة سعد على جيش العراق نتيجة لمشاورات طويلة أجراها عمر مع خاصة الناس وعامتهم ، فلما قرر عمر نهائياً أن يكون سعد قائداً عاماً على أخطر جيش يتجه إلى أخطر منطقة ، استدعاه عمر فقدم عليه وأوصاه : « ياسعد ، سعد بنى وهيب ! لا يغرنك من الله أن قيل : خال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه ، فإن الله عز وجل لا يمحو السيء بالسيء ، ولكنه يمحو السيء بالحسن ! وليس بين الله وبين أحد نسب إلا طاعته ، فالناس يمحو السيء بالحسن !

<sup>(</sup>١) ابن الأثير ( ٢/١٧٣ ) .

 <sup>(</sup>۲) الطبرى ( ۴/۳ ) وفى مروج الدهب للمسمودي على هامش الكامل لابن الاثير
 ( ١٩٦/٥ ) أن عبد الرحمن بن عوف هو الذى أشار بتولية سعد ، وكذلك فى تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوازى ص ( ٧٦ ) .

<sup>(</sup>٣) البلاذري ص ( ٥٥٥) . وقد كان لممر بن الخطاب قابلية ممتازة على اختيار القادة ، وكان لابد" أن تتوفّر بعض الشروط في القائد الذي يختاره . أشار عليه عثمان كما جاء في مروج الذهب على هامش ابن الاثير ( ١١٧/٥) أن يولى طلحة بن عبيد الله لقيادة جيش العراق قبل أن يقر" قرار عمر على اختيار سعد بن أبي وقاس لهذا المتصب على اغتيار سعد بن أبي وقاس لهذا المتصب على اغتيار سعد بن أبي وقاس لهذا المتصب على القيادة جيش العراق قبل أن يقر" قرار عمر وب بالسيف رام بالنبل، ولسكن أخمى ألا يكون له ممرفة بتدبير الحرب ؟ له .

شريفهم ووضيعهم فى دين الله سواء: يتفاضلون بالعافية ، ويدركون ما عنده بالطاعة ، فانظر الأمر الذى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلزمه، فالزمه، فإنه الأمر » .

ولما أراد سعد التحرك بالجيش إلى العراق ، استدعاه عمر ، وقال له : « إنى قد وليتك حرب العراق ، فاحفظ وصيتى ، فإنك تقدم على أم شديد كريه لا يخلص منه إلا الحق ، فعود نفسك ومن معك الخير واستفتح به ، واعلم أن لكل عادة عتادا ، وعتاد الخير الصبر فالصبر على ما أصابك» (١)،

### ٢ -- في القادسية:

لما وصل بجيشه موضع (ذى قار) وجد جيش المثنى بانتظاره ، ولكنه لم يجد المثنى بينهم لآنه كان قد مات قبيل وصول جيش سعد أرض العراق (٢)، فاستلم سعد وصية المثنى له ، فترحم عليه كثيراً وأمرّ المعنّى أخا المثنى على عمل المثنى وخطب زوجة المثنى سلمى وتزوجها (٢).

ونظّم سعد جيشه وعبأه للحرب: جعل على كل عشرة رجال عريفاً ، وأمرّ على الرايات رجالاً من أهل السابقة ، وولّى الحروب رجالاً ، فولى على مقدماتها ومجنباتها وساقاتها وطلائعها ومشاتها وفرسانها ، ولم يتقدّم بعد ذلك إلا على تعبية (٤٠) ، حتى يحول دون مباغتة العدو لقواته .

ولم ينس سعد القضايا الإدارية في جيشه ، فعـّين مسؤولًا عن القضاء

<sup>(</sup>١) الطرى ( ٢/٤ - ٠ ) .

<sup>(</sup>٢) ابن الاثير ( ٢/٣٧ ) والطبرى ( ٣/٧ ) .

<sup>(</sup>۴) الطبرى (۳/۱۱) و ابن الاثير (۲/۱۲).

<sup>(1)</sup> ابن الاثير (١٧٤/٢) والطبرى (٩/٣) ، وكانت ترتيبات سعد هذه ضرورية لثامين الضبط والنظام في جيشه ، إذ لا محكن أن ينتصر جيش في الفتال بدون ضبط ولا نظام .

وجعله مسؤولاً عن قسمة الفيء أيضا، وعبّن مسؤولاً عن الوعظ والإرشاد، وعبن مترجماً يجيد اللغة الفارسية ، كما عين كاتباً تنهى إليه الأمور الكتابية ().

وصل جيش المسلمين ( القادسية ) (٢) ، فبعث عيونه ليعلموا له خبر أهل فارس ، فرجعوا إليه يخبرونه بأن كسرى ولى ( رستم) حربه . ثم أرسل بعض المفارز للإغارة على المناطق المجاورة ، فعادت كلها بالفتح والفنائم والسلامة (٢) كا أرسل وفوداً من رجالات المسلمين إلى كسرى وإلى رستم يفاوضونهما ويعرضون عليهما مطالب المسلمين التي تتلخص بثلاث كمات : الإسلام أو الجزية ، أو السيف (١) ، فكان لهذه الوفود تأثير معنوى حاسم على كسرى وقائدة العام .

وتهيأ الفريقان القنال ، فأرسل رستم إلى سعد يقول : « أتعبرون إلينا أم نعبر إليك ؟ » . فقال سعد : «اعبروا إلينا» (٥٠) .

وقبل أن يأذن سعد بالقتال ، أرسل ذوى الرأى والعقل والنجدة إلى الناس وقال لهم : انطلقوا فقوموا فى الناس بما يحق عليهم ويحق عليهم عند مواطن البأس ، فإنه من العرب بالمكان الذى أنتم به ، وأنتم شعراء العرب وخطباؤهم وذوو رأبهم ونجدتهم وسادتهم ، فسيروا فى الناس فذكروهم

<sup>(</sup>١) ابن الأثير (٣/٤/١) والطبري (٩/٣) .

 <sup>(</sup>۲) القادسية . موضع بينه وبين الكوفة خمسة عشر فرسخا وبينه وبين العذيب أربعة أميال . راجع التفاصيل في معجم البلدان (۷/ه) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (۲۳۹) .

ں (۱۲۲) . (۲) ابن الائیر (۲/۱۷) .

<sup>(</sup>١) انظر تفاصيل مفاوضات هذه الوفود في الطبرى (٣٣/٣ ــ ٤٢) وابن الأثير

<sup>. ( 1</sup>Y7 - 1Y0/Y)

<sup>(</sup>٥) الطبرى (٢/٣) .

وحرّضوهم على القتال » (1) . وأمر سعد الناس بقراءة سورة الجهاد وهي سورة الأنفال ، فلما قرئت هشّت قلوب الناس وعيونهم وعرفوا السكينة مع قراءتها (٢) . وعند فراغ القراء من قراءة هذه السورة المباركة كبّر سعد ، فكبّر الذين يلونه ، وكبّر بعض الناس بتكبير بعض، فاستعد الناس للقنال . ثم ثنّى سعد ، فأكمل الناس استعداداتهم ، ثم ثبّت فبرز أهل النجدة وأنشبوا القنال . . . ثم كبّر سعد التكبيرة الرابعة إشارة لبدء الزحف العام (٣) .

وحمل أصحاب الفيلة من الفرس، ففر قوا كنائب المسلمين وفرت خيولهم، ولكن المشاة صمدوا متكبدين خسائر فادحة ، وكان زخم هجوم فيلة الفرس على (بجيلة) ، فأرسل سعد إلى بنى أسد: أن ذبوا عن بجيلة ومن حولها من الناس، فاستطاعوا تقطيع أحزمة الفيلة ، فسقط عن ظهورها الذين يركبونها ويوجهونها ، مما أدى إلى تراجع الفيلة ().

ورأت (سلمى) التى كانت زوج المثنى بن حارثة الشيبانى والتى أصبحت زوج سعد ، ما حل بالمسلمين فى يوم (أرماث) وهو اليوم الأول من أيام القادسية ، فصاحت من أعماق قلبها : « وامثناه ا ولا مثنى للخيل اليوم (٥) وكان سعد مريضا بالدمامل فى جسمه (١) فكان خليفته خالد بن عرفطة يسئلم من سعد الأوام ويشرف على تنفيذها (١) ، وكان سعد ضجراً فلطم وجه سلمى زوجه وقال لها : « أبن المثنى من هذه الكتيبة التى تدور عليها الرحى

<sup>(</sup>١) الطبري (٣/٥٤) .

<sup>(</sup>۲) ابن الأثير (۱۸۱/۲ ــ ۱۸۲ ) والطبرى (٤٧/٣) ٠٠

<sup>(</sup>٤) الطرى (٤٧/٣) .

<sup>(</sup>١) الطرى (٢/٣) .. ٥٠) .

<sup>(</sup>ه) الطبرى (۱/۳ه) وان الأثير (۱۸۳/۲) .

<sup>(</sup>٦) الطرى (٧٩/٣).

<sup>(</sup>٧) الطرى (٣/٣) .

- يعنى أسدا وعاصما (' وخيله - » الذين كانوا يصطلون بزخم هجوم فيلة الفرس عليهم ، فقالت سلمى : « أغيرة وجبنا ؟ ! » . قال : « والله لا يعدرنى اليوم أحد إذا أنت لم تعدرينى ، وأنت ترين ما بى ، والناس أحق ألا يعدروننى » (<sup>1</sup>) ، وقد عدرته سلمى وعدره الناس ، لانه كان (غير جبان ولا ملوم ) (<sup>1</sup>).

ولم تشرق شمس اليوم الثانى من أيام القادسية وهو يوم ( أغواث ) : إلا وكان المسؤولون عن الشهداء والجرحى قد نقلوهم ليلا إلى ( العُدَيْب) (أن) حيث دفنوا الشهداء مناك وأسلموا الجرحى للنساء يقمن عليهم (٥٠).

ومضى اليوم الأول ، ومضى اليوم الثانى والحرب سجال ، وفى اليوم الثالث وهو يوم (عماس) عادت الفيلة الفارسية إلى ساحة المعركة ، فأرسل سعد إلى جماعة ممن أسلموا من فارس ، فلما دخلو عليه سألهم عن مقاتل الفيلة ، فقالوا : المشافر والعيون ، فأرسل إلى القعقاع وعاصم ابنى عمرو : « اكفيانى الفيل الأبيض» وكان بأزائهما ، كما أرسل إلى جماعة من بنى أسد : « اكفيانى الفيل الأجرب » ، وكانت الفيلة كلها تتبع هذين الفيلين ، فحمل القعقاع وأخوه على الفيل الأبيض ففقاً عينيه وقطعا مشفره ، فبقي هأماً بين الصفين .

<sup>(</sup>۱) هو عاصم بن عمرو النميسي أخو القعقاع بن عمرو النميسي وسترد ترجمهما مع قادة الفتح الإسلاي .

<sup>(</sup>٢) الطبرى (١/٣٠).

<sup>(</sup>٣) الطبرى (١/٣) : .

<sup>(</sup>٤) العديب : ماء بينه وبين القدسية أربعة أميـال . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١٣١/٦) .

<sup>(</sup>٥) الطبرى (١/٣) ه) وهذا أروع ما يمكن أن يتخذه قائد من تدابير إدارية لدفن النتلى وتمريض الجراحى حتى بالنسبة للحرب الحديثة ، فكيف وقد طبق ذلك سعد. قبل حوالي أربعة عشر قرانا ؟

كما جرح بنو أسد الفيل الأجرب فوثب إلى النهر ومن خلفه الفيلة الأخرى هاربة (١) لا تلوى على شيء ! .

واستمر القتال ليلا ، وتسمى هذه الليلة ليلة ( الهرير ) وسميت بذلك لترك الناس الكلام إنما يهرُّون هريراً (٢)، وزحف القعقاع على الفرس، فأطلّ سعد فرأى القعقاع يزاحفهم مما أثار نخوة غيره من الرجال(٣). وأرسل سعد طليحة الأسدى وعمرو بن معد يكرب إلى مخاضة أسفل المعسكر ليقوموا علمها خشية أن يأتيه الفرس منها ، فعبرها طليحة وضرب مؤخرة الفرس فارتاع أهل فارس وطلبوه فلم يدركوه . أما عمرو فأغار أسفل المخاضة ثم رجع (١). وقدم الفرس صفوفهم ، فزاحفهم الناس بغير إذن سعد ، وكان أول منزاحفهم القعقاع ، فقال سعد : اللهم أغفرها له وأنصره ، فقد أذنت له (٥) ، ذلك لأن سعداً قدّر أن الموقف الراهن يتطلّب هجوم المسلمين على الفرس فقــال : « إذا كرَّت ثلاثًا فاحلوا » ، وهكذا ابندأ الهجوم العام ، إذ لحق الناس بعضهم بعضاً واستقبلوا الليل استقبالاً بعد ماصلوا العشاء ، وكان صليل الحديد هو الصوت السائد في ذلك الليل البهيم . وبات سعد ليلة لم يبت بمثلها ، ورأى العرب والعجم أمراً لم يروا منله قط ، وانقطعت الأخبار والأصوات إلاّ صليل السيوف عن سعد ، وأقبل سعد على الدعاء ؛ فلما كان عند الصبح ، انتمى الناس، فاستدلُّ بذلك على أنهم الأعلون (٦).

<sup>(</sup>١) الطبري (٦٣/٣) ،

<sup>(</sup>٢) ابن الأثير (٢/٥٨٨) .

<sup>(</sup>٢) الطيرى (٢/ ٦٨) .

<sup>(</sup>٤) ابن الاثير (٢/١٨٠) .

<sup>(</sup>٥) أبن الاثير (٢/٢٨) .

<sup>(</sup>٦) ابن الاثير (١٨٦/٢) .

واستمر القنال في اليوم الرابع حتى الظهيرة ، عند ذاك بدأ الخلل في صفوف الفرس واضحاً للعيان خاصة بعد مقتل رستم قائد الفرس ، فانهزم قلب الفرس ؛ وتتابعت الهزيمة بغير نظام ، مما أدى إلى وقوع خسائر عظيمة فيهم قتلا وغرقا (١) ولما انكشف أهل فارس، أمر سعد بعض قادته بمطاردتهم ، وأمر خالد ابن عرفطة لسلب القتلي ودفن الشهداء (٦) فانهارت معنويات الفرس انهياراً تاماً ؛ إذ أصاب أهل فارس يومنذ بعدما انهزموا ما أصاب الناس قبلهم : قتلوا حتى أن كان الرجل من المسلمين ليدغوا الرجل منهم ، فيأتيه حتى يقوم بين يديه ، فيضرب عنقه ، وحتى إنه ليأخذ سلاحه فيقناء به ، وحتى إنه ليأمن الرحلين أحدها رصاحه (٣).

وبعد أن انتهت معركة القادسية ، كتب سعد إلى عمر بالقتح: «أما بعد فإن الله نصرنا على أهل فارس ومنحهم سنن من كان قبلهم من أهل دينهم بعد قتال شديد. ولقد لقوا المسلمين بعدة لم ير الراءون مثل زهائها ، فلم ينفعهم الله بذلك ، وأتبعهم المسلمون على الأنهار وفى الفجاج ، وأصيب من المسلمين فلان وفلان ورجال من المسلمين لا نعلمهم ، الله بهم عالم ، وكانوا يدوون بالقرآن إذا جُن عليهم الليل دوى النحل ، وهم آساد الناس لا يشبهم إلا الأسود ، ولم يفضل من مضى منهم من بقى إلا بغضل الشهادة ، إذ لم تكتب لهم (٤) م.

## ٣ – فتح عاصة كسرى :

أمضى سعد شهر بن في القادسية بعد المعركة وكاتب عمر فيما يفعل، فكتب

<sup>(</sup>١) الطرى (١/٩/٣) .

<sup>(</sup>۲) الطبرى (۲/۸۲) .

 <sup>(</sup>٣) الطبرى (٣/٣) .

<sup>(</sup>٤) الطبرى (٣/٤) .

إليه عمر يأمره بالمسير إلى المدائن وأن يخلُّف النساء والعيال ( بالعتيق) (١) وأن يجعل معهم جنداً كثيفا (٢) لحمايتهم .

وتحرّك الجيش المنتصر بأتجاه المدائن وأمامه المقدمات ، فأزاحت تلك المقدمات بعض المقاومات الفارسية فى طريقها ، وسار المسلمون من نصر إلى نصر فى ( بُرسِ ) (٢) وفى ( بابل ) (٤) ، وفى ( بَهرُ سِيْر ) (٥) ، وبذلك أصبح جيش المسلمين فى الضفة المقابلة للمدائن .

وحاول سعد أن يؤمن عبور جيشه في السفن فلم يقدر على شيء منها لأن الفرس ضمّوا السفن (٢) ليحرموا المسلمين من الإفادة منها ، لذلك قرّر أن يقتحم الماء بالخيل ، فجمع الناس وقام فيهم وقال لهم : « إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر ، فلا تخلصون إليه ، وهم يخلصون إليكم إذا شاءوا ، فيناوشونكم في سفنهم ، وليس وراءكم شيء تخافون أن تأتوا منه ، فقد كفا كموهم أهل الأيام وعطّلوا ثنورهم وأفنوا ذادتهم (٧) ، وقد رأيت من الرأى أن تبادروا

 <sup>(</sup>١) العتيق : موضع لم أجد له ذكرا في معجم البلدان ، والظاهر أنه موضع قريب
 من القادسية .

<sup>(</sup>٢) ابن الأثير (٢/٢٦) وفتوح الشام للواقدي (٢/٩/٢) .

 <sup>(</sup>۳) راجمع تفاصیل المعركة فى الطهرى (۱۱۳/۳) وابن الأثیر (۱۹٦/۲).
 وبرس: موضع بأرض بابل به آثار لبخت نصر وثل مفرط العلو یسمى: صرح برس.
 راجم معجم البلدان (۱۲٦/۲).

 <sup>(4)</sup> راجع تفاصيل المركة فى الطبرى (١١٤/٣) وأبن الأثير (١٩٦/٣) . وبابل : مدينة أثرية قديمة فى ضواحى الحلة حالياً . راجع التفاصيل فى معجم البلدان (١٨/٣) وآثار البلاد وأخبار العباد ص( ٣٠٤) .

 <sup>(</sup>٥) راجع تفاصيل المعركة فى الطبرى (١١٦/٣) وابن الأثير (١٩٦/٢) .
 وبهرسير : من نواحي سواد بنداد قرب المدائن ، وهى فى الضفة الغربية من النهر مقابل المدائن . راجع التفاصيل فى معجم البلدان (٣١٤/٣) .

<sup>(</sup>٦) الطبرى (١١٩/٣) . .

<sup>(</sup>٧) الذائد : الرجل الذي يحمى ويدافع ، وجمه ذادة .

جهاد العدو بنياتكم قبل أن تحصركم الدنيا . . . ألا إنى قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم » فقالوا جميعاً : عزم الله لنا ولك على الرشد ، فافعل (١٠) 1

ندب سعد الناس إلى العبور ، ثم قال : « من يبدأ ويحمى لنا الفراض (٢) لكيلا يمنعونا من العبور ؟ » فانتدب (٢) عاصم بن عمرو النميمى وانتدب معه سمائة من أهل النجدات (١) ، فعبر هؤلاء المغاوير وعبر سعد مع جيشه بعدهم ، ففاجأوا أهل فارس بأمم لم يكن في حسابهم ، ففروا بأرواحهم تاركين كل غال ورخيص ، فدخل المسلمون المدائن .

وانتهی سعد الی إیوان کسری ، وأقبل يقرأ خاشعاً لله وحده : « کم ترکوا من جنات وعیون وزروع ومقام کریم ونعمة کانوا فیها فا کهین ، کذلك وأورثناها قوماً آخرین (۵) » .

وجمع سعد من الغنائم ما لا يكاد يحصى ، كان من بينها ذخائر كسرى ونفائسه . وشرع سعد بتقسيم هذه الغنائم ، فأصاب الفارس اثنا عشر ألف درهم ! 1 وبعث بأخماس الغنائم إلى المدينة ، وفيها سيف كسرى ومنطقته ونفائسه ، فلمارآها عمر قال : « إن قوماً أدوا هذه لذوو أمانة ! » فقال على بن أبى طالب : « إنك عففت فعفت الرعية (٢٠) » .

<sup>(</sup>۱) الطبرى(۱/۹/۳) وابن الاثير(۱۹۸/۲) وفتوح الشام للواقدى(۱۲۷/۳) . (۲) الفراض : جمّم فرصة ، وهي ثنور المحاصة من الناحية الأخرى .

 <sup>(</sup>٣) انتدب: خف و اسرع بالتطوع .

 <sup>(</sup>٤) الطبرى (٣/ ١٨) وإن عمل سعد فى تأمين حماية الفراض وتأمين رأس جسر يطابق أحدث أساليب حبور الأنهر فى الحرب الحديثة.

<sup>(•)</sup> الطبرى (٣/ أُ٢) وابن الاثير (٢/ ١٩٩) .

<sup>(</sup>۳) الطبری (۱۲۸/۳) وللاطلاع علی تفاصیل الغنائم ، راجع الطبری (۳ ــ ۱۲۵ ــ ــ ۱۳۳) وابن الاثیر (۲۰۰۷ ــ ۲۰۱) . وانظر تاریخ عمر بن الحطاب لاین الجوزی (س ۲۷) .

## ٤ — الفائح العظيم

وجه سعد هاشم بن عتبة بن أبى وقاص ومعه القعقاع بن عمرو النميمى لفتح محور ديالى ، فانتصر هاشم فى معركة جلولاء وفتح القعقاع وجرير البجلى خانقين وحلوان وقصر شيرين (١٠).

كا وجه عبد الله بن المُعْتَم وربعي بن الأفكل وعرفجة بن هر ثمة البارق إلى محور دجلة، ففتح عبد الله بن المعتم تكريت وفتح ربعي بن الأفكل الموصل (٢).

ولما رجع هاشم بن عتبة من جلولاء إلى المدائن بلغ سعداً أن الفرس قد حشدوا قواتهم في سهل ( ما سبدان ) ، فأرسل سعد إليهم ضرار بن الخطاب الفهرى ، فانتصر المسلمون على الفرس وفتح ضرار ( ماسبدان ) (٢٠٠٠).

ووجه سعد عمر بن مالك الزهرى والحارث بن يزيد العامرى لفتح محور الفرات ، حتى ( قرقيسياء )(1) الواقعة فى ملتق خابور الفرات ، فقتحا هذه المنطقة .

<sup>(</sup>۱) راجع التفاصيل فى الطبرى (۱۳۲/۳ ـ ۱۶۱) وابن الأثير (۲۰۱۲ ـ ۲۰۱۲) أما البلاذرى فى (ص ۲۰۹ ) فيذكر أن الذى فتح حلوان وما حولها هو جرير ابن عبدالله البجلى ، وسترد تفاصيل كل ذلك فى ثرجة : هاشم بن عتبة الزهرى والتعقاع ابن عمرو التميى وجرير بن عبدالله البجلى .

<sup>(</sup>۲) راجع التفاصيل فى الطبرى (٣) ٢٤١ – ٢٤٢) وابن الآثير (٢٠٢/٢) - ٢٠٣)، وسيرد تفاصيل ذلك فى ترجمة : عبدالله بن المعنم وربعى بن الأفكل وعرفجة ابن هرثمة .

 <sup>(</sup>٣) راجع التفاصيل في الطبرى (٣/٣) ١٤٣ – ١٤٣) وابن الأثير (٢٠٣/٢)،
 وسترد تفاصيل ذلك في ترجمة ضرار بن الحطاب الفهري. وماسبدان: مدينة واقعة جنوب حلوان وجند يسابور. انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٦٣/٧).

<sup>(</sup>٤) راجع التفاصيل فى الطبرى (١٤٣/٣ ـ ١٤٤) وابن الأثير (٢٠٣/١) . وسترد تفاصيل ذلك فى ترجمة : عمر بن مالك الزهرى والحارث ابن زيد العاسرى . وقرقيساء : بلد هند ملتق نهر الحابور بالفرات . واجع معجم البلدان (٩/٧ ه) .

كما وجّه سعد عتبة بن غزوان لفتح جنوب العراق ، ففتح منطقة البصرة والأهواز (1) ، كما وجه عتبة بن فرقد السلمى لفتح شمالى العراق وآذربيجان ، ففتح تلك المناطق (1)

ووجه سمد عياض بن غنم وسهيل ابن عدى وعبد الله بن عبد الله ابن عتبان لفتح الجزيرة ففتحوا منطقة الرقة وتصيبين وحران والرها<sup>(٣)</sup>.

والخلاصة أن كافة الفتوحات الإسلامية التي جرت في العراق وفي شرقه وشماله حتى نهاية سنة عشرين للهجرة (٤) ، وهي السنة التي عزل فيها عمر بن الخطاب سعداً عن الكوفة (٤) ، هذه الفتوحات كلها فتحها سعد بنفسه أو أرسل إليها الجيوش والقادة لفتحها ، وحتى الجيش الذي فتح نهاوند سنة إحدى وعشرين للهجرة أرسله سعد ولكن فتحها جرى بعد عزله (٥).

لقد فتح سعد بلاداً شاسعه لم تنكص عنها رايات الإسلام منذ فنحها حتى اليوم .

<sup>(</sup>۱) راجع الطبرى (۲/۳) وسترد تناصيل دلك فى ترجمة عتبة بن غزوان اللازنى وأبى سبرة بن أبى رهم :

<sup>(</sup>٢) ابن الأثير (٣/٠١) والبلاذري(ص٣٢٩) .

<sup>(</sup>٣) راجع التفاصيل في ابن الأثير (٢/٢٠٥ ـ ٢٠٧) مع اختلافات في أسماء الفانحين ترد عند ترجمتهم .

<sup>(</sup>٤) راجع الطبرى ( ٢٠٧/٣ ) وابن الأثير (٢٠/٣) ، والبلاد التي فتحها سعد بصورة بمحلة باعتباره قائدا عاما عدا ما ذكرناه أعلاه هي : الأهواز ومناذر ونهرتيرى ، واجع ابن الأثير (٢١١/٣) ، ورامهر من ، واجع ابن الأثير (٢١١/٣) ، ورامهر من ، وجند راجع ابن الأثير (٢١٣/٣ – ٢١٤) ، وجند يسابور وكرمان . راجع ابن الأثير (٢١٤/١) ، وسترد تفاصيل فتح هذه البلاد في ترجة القادة الذين فتحوها .

<sup>(</sup>ه) الطبرى (۴/۴) وابن الأثير (۴/۳) .

# ۱ – مِع أَبِی بَكُر :

بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، تزاحت الأحداث على أبى بكر الصديق ، وأصبح محتاجاً إلى مشورة ذوى الرأى من كبار الصحابة ، فكان سعد أحد ذوى شوراه المقربين .

لقد بقى سعد إلى جانب أبى بكر فى أكثر أيام خلافته مستشاراً أميناً له يعينه بالرأى السديد ، ومن أولى منه بالاستشارة وهو صديقه الحميم ؟ .

وكمنال على استعانة أبى بكر بمشورة سعد، مارواه المؤرخون عن استدعاء أبى بكر له مع عمر وعثمان وعلى وأبى عبيدة ابن الجراح وطلحة والزبير وعبد اللرحن بن عوف وغيرهم من كبار الصحابة ، لاستشارتهم فى أم استنفار العرب إلى الروم بالشام فأقر الحاضرون جميعاً هذا الرأى ، وقالوا : مارأيت من رأى فامضه فإنا سامعون لك مطيعون ، لا نخالف أمرك ولا نتهم رأيك ولا نتخلف عن دعوتك وإجابتك (۱).

### ۲ <u>— مع عمر :</u>

(۱) تمصير السكوفة : كان أبو بكرقد استعمل سعداً على صدقات هوازن بنجد ، فأقره عمر <sup>(۱)</sup>، ثم ولاّه قائداً عاماً لفتح العراق ثم ولاّه صلاة ما غلب عليه وحربه <sup>(۱)</sup>.

<sup>(</sup>١) الفتوحات الإسلامية لابن دحلال (١/٣٥) .

<sup>(</sup>٢) الطبرى (٢) .

<sup>(</sup>۴) الطبرى (۲۱۳/۳) وابن الأثير (۲۱٤/۳) .

وبعد إكال فتح العراق، أقام سعد بالمدائن ومعه بعض جيوش المسلمين، ولكنهم استوخوها وأثر جوها على صحتهم وتغيرت ألوانهم (۱)، وكان حذيفة ابن اليمان (۱) مقياً معسعد في المدائن، فكتب إلى عرز «إن العرب قد رقت بطونها وجفّت أعضاؤها وتغيّرت ألوانها» (۱)، فحشى عر ما يجره تردى صحة الحاربين من نتائج وخيمة، فكتب إلى سعد: «إن العرب لا يوافقها إلا ما وافق إبلها من البلدان، فابعث وائداً برتاد لهم منزلا برياً بحرياً ليس بينى وبينكم فيه بحر ولا جسر» (۱)، وأراد عمر من ذلك أن يكون الموضع المختار في جوه قريباً من جو البادية ولا يجول جسر ولا نهر دون وصول الإمدادات إلى جيوش المسلمين في العراق، ولكي يسهل انسحاب القوات من هذا الموضع عند الضرورة إلى البادية دون عائق.

وبعث سعد سلمان الفارسي(٥) وحديفة بن اليمان يرتادان المكان الصالح

<sup>(</sup>١) الطبري (٣/١٥) -:

 <sup>(</sup>۲) حديقة بن اليمان : من قادة الفتيح الإسلامي ترد ترجمته .

<sup>(</sup>٣) ابن الأثير (٢٠٤/٢) -

<sup>(</sup>٤) البلاذري ص(۲۷۰) وابن الأثير (۲/٤/۲) والطبري (۱٤٠/۳).

<sup>(</sup>ه) سلمان الفارسى: يعرف بسلمان الحبر، أصله من فارس، وكان إذا قيل له: ابن من أنت؟ قال: ﴿ أنا سلمان بن الإسلام ﴾ . أول مشاهده الحندق وبقية المشاهد وفتوح العراق وولى المدائن . دخل قوم على سلمان وهو أمير المدائن وهو يعمل الحوس، فقيل له: لم تعمل هذا وأنت أمير مجرى عليك رزق ؟ فقال: ﴿ أحب أن آكل من عمل يدى ﴾ . وكان إذا خرج عطاؤه تصدق به ويأكل من عمل يده ، وكان خبيرا فاضلا عدا متقشفا وقد نوفى فى المدائن فى خلافة عنهان بن عفان وقبره لا يزاله فها ، راجع الإصابة (١١٣/٣) وأسد الفابة (٢٨/٣) والاستيماب (٢/٤٣٤) وطبقات ابن سعد

لمقام العرب، فاختاروا موضع الكوفة الحالى (١) ، وكان ذلك فى السنة السابعة عشرة للهجرة .

وخصّص سعد مكاناً مناسباً لمسجد الكوفة ، ثم أمر رجلا فعلا بسهم قبل مهب القبلة ، فأعلم موقعه . ثم علا بسهم قبل مهب الشمال ، وأعلم موقعه . وهكذا إلى جميع الجهات ، ثم وضع مسجدها ودار إمارتها فى مرتفع عال ، وأسهم لنزار وأهل الممن بسهمين على أنه من خرج بسهمه أولا فله الجانب الأيسر وهو خبرها ، فخرج سهم اليمن ، فصارت دورهم فى الجانب الشرق ، وصارت دور نزار فى الجانب الغربي (٢) .

## (ب) القوى الأمين :

كان من عادة عمر أن يسأل الناس عن قادمهم وأمرائهم ، وقد سأل مرة عمرو بن معد يكرب عن سعد ، فقال : « متواضع فى خبائه ، عربى فى نمرته (۲)، أسد فى تاموره (٤) ؛ يعدل فى القضية ، ويقسم بالسوية ، ويبعد فى السرية ؛ يعطف علينا عطف الأم البرة ، وينقل إلينا حقنا نقل الذرة » (٥).

<sup>(</sup>۱) الطبرى (۱٤ه/۳) أن عبدالله بن المعتم والتمقاع بن عمرو النميمي اللذان اختارا الفاروق عمر (۲۱۸/۱) أن عبدالله بن المعتم والتمقاع بن عمرو النميمي اللذان اختارا موضع السكوفة الحالى ، والصحيح ماذكرناه ، وإن هذين القائدين حضرا مع سعد عند اختطاط السكوفة . راجع الطبرى (۱۳۰۳) فيما يخس التحاق القمقاع بسعد بعد خروجه من المدائن إلى السكوفة . والطبرى (۱۲۷/۳) فيما يخس قدوم عبدالله بن المعتم . كا قدم إلى السكوفة غيرهما من القادة . راجع الطبرى (۱۲۷/۳) حول قدوم ضرار بن الخطاب الفهرى .

<sup>(</sup>۲) فتوح البلدان للبلاذري ص (۲۷) .

<sup>(</sup>٣) النمرة : هي كساء فيه خطوط بيض وسود تلبسه الأعراب .

<sup>(</sup>٤) التامور : هو عرين الأسد ، وهو بيته الذي يأوي إليه .

 <sup>(</sup>ه) أسد الغابة (۲۹۲/۲) والبيان والتبيين للجاحظ (۱۸/۲) مع اختلاف
 ف اللفظ والذرة : أصفر النمل ، جمها ذر .

وكان إدارياً حازماً في إدارة الكوفة . سأل عنه عمر ُ جرير بن عبدالله البجلي فقال : « تركته في ولاينه أكرم الناس مقدرة ، وأقلّهم قسوة ، وهو لهم كالأم البرة ، يجمع لهم كا تجمع الذرة ، أشد الناس عند الباس، وأحب قريش إلى الناس (١) » .

### (ح) محاسبته:

إن ماضي سعد المشرّف وجهاده في الحرب والسلم ، لم يحولا دون محاسبة عمر له .

أنشأ سعد لسكناه داراً من نقض آجر قصر كان للأكاسرة في ضواحي الحيرة ، وكانت الأسواق قريبة من داره وكانت الأصوات المرتفعة بمنع سعداً الحديث ، فلما أنجر بناء الدار ، ادّعي الناس عليه مالم يقل فقالوا : قال سعد : «سكّن عني الصُوريت 11! (٢٠)».

وبلغ عمر ذلك عن دار سعد ، وأن الناس يسمونه : قصر سعد ، فدعا محمد أبن مَسْلَمَة (٢٠ وأرسله إلى السكوفة ، وقال له : « أعمد إلى القصر حتى

<sup>(</sup>١) الإصابة (٢/ ٨٤).

<sup>(</sup>٢) الطيري (٣/٠٥١).

<sup>(</sup>٣) محمد بن مسلمة الحزرجي الأنصاري. أسلم بالمدينة وآخي الرسول صلى الله عليه وسلم بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح ، وشهد بدراً وأحدا ، وكان فيمن ثبت مع الرسول صلى الله عليه وسلم يومئذ حين ولى الناس ، وشهد الحندق والمشاهد كها مع النبي صلى الله عليه وسلم ماخلا تبوك ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم استخلفه على المدينة حين خرج إلى تبوك ، وكان فيمن قبل البهودي كعب بن الأشراف ، وقد بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم على رأس بعض المفارز وأمسره على الحيل في بعض غزواته . كان موضع ثقة الحلفاء بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد استعمله عمر مفتشاً إدارياً عاما على الولاة والأمراء . وقد اعتزل الفتن مع من اعتزلها من كبار الصحابة وتوفي بالمدينة سنة ست وأربعين المهجرة وهو يومئذ ابن سبع وسبعين سنة . راجع طبقات ابن سعد (٣/٤٤) وأسد النابة (٤/ ٣٠٠) والاستيماب (٣/ ١٣٧٧) .

تحرق بابه ، ثم ارجع عودك على بدئك » ؛ فخرج حتى قدم الكوفة فاشترى حطباً ثم أنى به القصر ، فأحرق الباب(١) .

وأتى سعد فأخبر الخبر ، فقال «هذا رسول أرسل لهذا الشأن » . وبعث لينظر من هو ، فاذا هو محمد بن مسلمة . فأراده على النزول والدخول ، فأبى . وعرض عليه نفقة ، فلم يأخذ . ودفع كتاب عمر إلى سعد وفيه : « بلغنى أنك بنيت قصراً الخذته حصناً و بسمى : قصر سعد ، وجعلت بينك وبين الناس باباً ، فليس بقصرك ولكنه قصر الخبال . إنزل منه مغزلاً مما يلى بيوت الأموال وأغلقه ولا تجعل على القصر باباً يمنع الناس من دخوله وتنفيهم به عن حقوقهم ليوافقوا مجلسك و خرجك من دارك إذا خرجت » .. فقلف سعد ما قال الذي قالوا ! ! . . ورجع محمد بن مسلمة حتى إذا دنا من المدينة نفذ زاده ، فجعل يأكل قشر الشجر ، فأقبل على عمر وقد مرض لسبب ذلك ، فأخبره خبره كله ، فقال عمر : «هلا قبلت من سعد ! ؟ (٢) . فقال عمر : « هلا قبلت من سعد ! ؟ فقال عمر : « إن أكل الرجال رأياً من إذا لم يكن عنده عهد من صاحبه ، عمل بالحزم أو قال به » ! ! . .

وأخبر ابن مسلمة عمر بن الخطاب رضى الله عنهما بيمين سمد وقوله ، فقال عمر : « هو أصدق ممن روى عليه وممن أبلغني » (٢).

<sup>(</sup>١) الطبرى (٣/١٥٠) .

<sup>(</sup>٢) الطبرى (٣/ ١٥١) .

<sup>(</sup>٣) ألطبرى (١٥١/٢) .

### ( ٤ ) عزله :

إنهم نفر من بنى أسد سعداً فى دينه وصلاته وفى عدله !!.. فشكوه إلى عر فى أحرج الأوقات ، فقد اجتمعت قوى الفرس كلها فى ( نَهَاوَنْد ) ، وأخذ المسلمون والفرس يستعدون لمعركة حاسمة ، خاصة وأن سعداً هو القائد العام ، واكن عمر قال لأولئك النفر : إنّ الدليل على ما عندكم من الشر نهوضكم فى هذا الأمر وقد استعد لكم من استعد ا وآيم الله ، لا يمنعنى ذلك من النظر فما لديكم ، وإن نزلوا بكم » (١) . . ثم بعث محمد بن مسلمة للتحقيق — وهو صاحب العال الذى يقتص آثار من شكى زمان عر .

ولم يجر ابن مسلمة النحقيق مع سعد سراً ، ذلك أنه كان يأخذ سعداً من مسجد إلى مسجد ويسألهم عنه وعن سيرته ، علناً ، فيقولون : لانعلم إلا خيراً ، ولا نشتهى به بديلا . . حتى وصل إلى الجماعة التي كانت تمالىء أصحاب الشكوى ، فلم تجرؤ أن تطعن عليه أو تقول فيه سوءاً . .

وانتهى به إلى محد بنى عبس ، فقال محمد بن مسلمة : «أنشد بالله رحلاً يعلم حقاً إلا قال » ، فأجابه أسامة بن قتادة «اللهم إذ نشدتنا ، فإنه لا يقسم بالسوية ، ولا يعدل فى الرعية ، ولا يغزو فى السرية » . فقال سعد : «اللهم إن كان قالها كاذباً ورئاء وسمعة فأعم بصره وأكثر عياله وعرضه لصلات الفتن » ، فعمى بعد ذلك واجتمع عنده عشر بنات ، وكان يسمع خبر المرأة فيأتها حتى يجسها ، فإذا عُبر عليه قال : « دعوة سعد الرجل المبارك » ()

<sup>(</sup>۱) الطبری (۲۰۸/۳) .

<sup>(</sup>۲) الطبری (۳/۱۸ – ۲۰۹) .

وقال سعد: إنى لأول رجل أهرق دماً من المشركين ، ولقد جمع لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه وما جمعهما لأحد قبلى (قال له الرسول: فداك أبى وأمى) ، ولقد رأيسى خُمسَ الإسلام ، وبنو أسد تزعم أنى لا أحسن أصلي، وأن الصيد يلهيني » 1! (1).

وخرج محمد به وبهم إلى عمر حتى قدموا عليه فأخبره الخبر ، فقال : «يا سعد ا ويحك كيف تصلى ؟» قال سعد « أطيل الأوليين وأحذف الأخريين فقال عمر : هكذا الظن بك » ثم قال : «لولا الاحتياط لكان سبيلهم بيّناً (٢٠)».

وعزل عمر سعداً سنة عشرين الهجرة (٢٠ ( ١٩٤٠م ) ، ولم يعزله عن عجز أو خيانة كما قال عر (١٤ م ولى عمار بن ياسر (٥) مكانه ، فاتهمه أهل الكوفة بالضعف وأنه لا علم له بالسياسة ، فعزله عمر وهو يقول : « مَن عذيرى من أهل الكوفة ا إن استعملت عليهم القوى فجروه ، وإن وليت عليهم الضعيف حقروه ! » (١) .

<sup>(</sup>١) الطبري (٣٠٩/٣) وانظر المعارف لابن قتيبة ص (٢٤٢) .

<sup>(</sup>۲) الطبرى (۲۰۹/۳) .

<sup>(</sup>٣) ابن الأثير (٢٢٠/٢) والطبرى (٢٠٢/٢).

<sup>(</sup>٤) فتح البارى بشرح البخارى (٧/٠٠) .

<sup>(</sup>ه) عمار بن ياسر : أسلم بعد بضعة وثلاثين رجلا ، وعذبته قريش بالرمضاه بأنصاف النهار ليرجع عن دينه ، وأحرق بالنار ، كاعذبت قريش أمه وأباه أيضا . هاجر إلى أرض الحبشة وصلى القبلتين وهو من المهاجرين الأولين . شهد بدرا والمشاهد كلها وأبلى ببدر بلاء حسنا ، ثم شهد المجامة وأبلى فيها أيضا ، وقد قطعت أذنه يومئذ . روت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عن عمار : « ملىء عمار إعانا إلى أخبص قدميه » ولاه عمر الكوفة ثم عزله وكان مع على بن أبى طالب رضى الله عنه وقتل في صغين وله ثلاث وتسعون سنة ، راجع طبقات ابن سعد (٣/٤٦) والإسابة (٤٣/٤) والإسابة (٤٣/٤) .

ما أعظم عدل عمر ، عدله الذي يتساوى أمامه الراعى والرعية والقوى والضعيف . . وما أعظم صبر سعد وما أعظم نكرانه لذانه ! ! ولكن ا، هل كان سعد يعمل لذاته حتى يستجيب لنداء النفس ووساوس الشيطان ؟ ! إن سعداً وأضرا به كانوا يعملون لله وحده ، لا لعمر ولا لأنفسهم ، لذلك كانوا يتقبّلون محاسبتهم — مهما اشتدت — تقبّل المؤمنين الصابرين .

فلماذا عزله عمر أعن الكوفة؟

لما حضرت عمر الوفاة ، جعل الخلافة من بعده شورى فى ستة هم : عنمان وعلى وطلحة والزبير وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص ينتخبون أميراً للمؤمنين من بينهم ، وقال عن سعد : « إن أصابت الإمرة سعداً ، فهو ذاك ، وإلا فليستعن به أيّكم ما أُمّر ، فإنى لم أعزله فى عجز ولا خيانة » (١).

لقد عزل عمر سعداً خوف الفتنة ، لأن جيوش الفرس كانت تتجمّع للغزو والنأر ، وكان المسلمون فى موقف صعب للغاية يعملون على تحشيد جيوشهم فى منطقة (نهاوند) لصد الخطر الفارسى ، فليس من المصلحة إذ كاء فتنة فى الكوفة لا يعرف نتائجها ، والكوفة يومها كانت القاعدة الأمامية الكبرى للجيوش الإسلامية فى المشرق . . ولعل عمر سرس أن يكون سعد إلى جانبه فى المدينة المنورة يستشيره ، فقد استبقى عمر بالمدينة بنى هاشم وكبار الصحابة ورؤوس قريش (۲) ليشيروا عليه بما أونوا من عقل راجح وحكمة الصحابة ورؤوس قريش (۲) ليشيروا عليه بما أونوا من عقل راجح وحكمة

 <sup>(</sup>۱) فتح الباري بشرح البخاري (۷/۰۰) والإصابة (۸٤/۳) والطبري
 (۳) .

<sup>(</sup>۲) الطبرى (۲/۳) وابن الأثير (۲۰/۳) ونس عبارة الطبرى . ﴿ لَمُ عَتَ عَمِرَ حَى مُلْتُهُ وَقَالَ : ﴿ إِنْ أَخُوفَ مُلْ حَلَى مُلْتُهُ عَلَى مُلْتُهُ فَاللَّهِ وَقَالَ : ﴿ إِنْ أَخُوفُ مَا أَخَافَ عَلَى هَذَهُ اللَّهِ وَهُو مُمْنَحِبُسُ مَا أَخَافَ عَلَى هَذَهُ اللَّهِ وَهُو مُمْنَحِبُسُ الْمُلْتُ وَلَا اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى عَلَى اللَّهُ عَلَى اللللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَّهُ عَلَى الل

وحنكة ؛ وحتى لايفتتن بهم المسلمون ويفتتنون هم بهذه الدنياكما حدث ذلك فعلا أيام عثمان ١١

لقد رأى عمر إذاً ، أن فى عرل سعد مصلحة عامة ، ومن يكون سعد — على سمو قدره وعظم بلائه — وهو فرد ، بجانب المصلحة العامة للمسلمين ١٢

### ٣ — في الشورى :

لما عين عمر الستة ليختاروا منهم واحداً يكون خليفة للمسلمين ، كان طلحة غائباً عن المدينة ، فقال عمر : « . . وطلحة شريكم في الأمر ، فإن قدم في الأيام الثلاثة فأحضروه أمركم ، وإن مضت الأيام الثلاثة قبل قدومه ، فاقضوا أمركم ، ومن لى بطلحة » ؟ فقال سعد : « أنا لك به ولا يخالف إنشاء الله » (1) ؟

و بعد وفاة عمر ، اجتمع أصحاب الشورى ، فجاء عمرو بن العاص والمغيرة ابن شعبة (٢) فجلسا بالباب ، فحصبهما سعد وأقامهما ، وقال : « تريدان أن تقولا : حضرنا وكنا من أهل الشورى » . ولما خلع عبدالرحمن بن عوف نفسه من ترشيح نفسه للخلافة ليتولى أمر انتخاب الخليفة وبدأ مشاوراته قال

عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبلغك وخير لك من الغزو اليوم ألا ثرى الدنيا ولا تراك » فلما ولى علمان خلى علم ، فاضطربوا فى البلاد وانقطع إلهم الناس !! .
 انتهى وانظر كتاب الفاروق عمر للدكتور محمد حسين هيكل (٢١٢/٣) و (٢٢٣/٢) ففيه تفصيل ما أجلناه أعلاه .

<sup>(</sup>١) الطبري (٢/٣٧).

 <sup>(</sup>۲) همرو بن العاس والمسفيرة ابن شعبة سترد ترجتهما، الأمهما من قادة الغتج الإسلامي .

<sup>(</sup>٢) الطبرى (٢/٥/١) .

له سعد: « إن اخترت نفسك فنعم ، وإن اخترت عبان فعلي أحب إلى » (...).
وعندما طالت مشاورات عبدالرحمن قال له سعد: « يا عبدالرحمن أفرغ
قبل أن يفتتن الناس (...) »، وكان سعد قد أعطى صوته في اختيار الخليفة
لعبدالرحمن بن عوف يولى الخلافة من يشاء (\*\*).

كل ذلك يدل على قوة شخصيته ورجولته وحبه لوحدة الكلمة وعدم حبه الإمرة، ولعل قوة شخصيته وشجاعته تظهران بجلاء عندما نزع سعد السيف من عبيدالله بن عمر وجذب شعر رأسه حتى أضجعه إلى الأرض وحبسه في داره، وذلك بعد ما أقدم عبيدالله على قتل المشتبه بهم بقتل أبيه في في الوقت الذي كان فيه ابن عمر في ذروة هياجه وتحمسه لمقتل أبيه حتى لم يستطع أحد من الصحابة غير سعد أن يقدم على وضع حد لنهور ابن عمر م م أن سعداً لم يكن وقتها ذا سلطان ، وكان يعتمد على شجاعته وشخصيته وحرصه على إشاعة الأمن والنظام.

### ٤ – مع عثمان:

(١) في الكوفة أثانية:

كان عمر قد أوصى الخليفة من بعده أن يستعمل سعداً ، فــكان سعد أول

<sup>(</sup>۱) الطبرى (۲۹۹/۳) أما فى الطبرى (۳۰۲/۲) فقد أشار على عبد الرحمن بانتخاب عثمان ، وفى الإمامة والسياسة لاس قتيبة الدينورى (۲۹۱/ ) قال عبد الرحمن اس عوف لجماعة الشورى : ﴿ إِنَى طَارِضَ عَلَيْكُمُ أَمْراً . قَالُوا وَمَا تَعْرَضَ ؟ قَالُ : أَنْ تُولُوفَى أَمْراً . وَالوا وَمَا تُعْرَضَ ؟ قَالُ : أَنْ تُولُوفَى أَمْراً وَأَهْبِ لَـكُمْ تَصْبُونُ فَيْهَا وَأَخْتَارُ لَـكُمْ مِنْ أَنْسِكُم ! قَالُوا قَدَ أَعْطَيْنَاكُ الذَّى سَأَلَت ﴾ . أمركم وأهب لـكم تصيبي فيها وأختار لـكم مِن أَنْسِكُم ! قَالُوا قد أَعْطَيْنَاكُ الذِّي سَأَلَت ﴾ . (٢) الطبري (٢٩٧/٣) .

<sup>(</sup>۳) فتح البارى بشرح البخارى (۲۰/۷ه) والامامة والسياسة لابن قتيبة الدينورى (۲۰/۱) . الدينورى (۲۰/۱) .

<sup>(</sup>٤) الطبرى (٣٠٢/٣) .

علمل بعث به عثمان على السكوفة وعزل المغيرة ابن شعبة ؛ وقيل بل أقر عثمان عمال عر جميعهم سنة ، لأن عمر أوصى بذلك ، ثم عزل المغيرة بعد سنة واستعمل سعداً ، وعلى هذا القول تكون إمارة سعد سنة خس وعشرين للهجرة (١) .

ولكن عثمان عاد فعزل سعداً عن الكوفة بعد أن عمل علمها سنة وأشهراً (٢) ، وولاها الوليد بن عقبة (٢) . وسبب عزله أن سعداً استقرض مالا من بيت المال الذي كان عليه عبدالله بن مسعود (١) ، ولما بقاضاه ابن مسعود لم يتيسر عند سعد ما يسد به دينه من مال ، فارتفع بينهما الكلام ، حتى استمان عبدالله بأناس من الناس ، واستعان سعد بأناس من الناس على

<sup>(</sup>۱) الطبرى (۲/۳ ٪) وابن الأثير (۳۰/۳ ــ ۳۱) .

<sup>(</sup>۲) الطبرى (۲/۳) .

<sup>(</sup>٣) الوليد بن عقبة ابن أبي معيط الأموى . وأمه أروى بنت كريز ، فهو أخو عثمان بن عفان لأمه ، أسلم يوم فتح مكة وكان صبيا ، وولا عثمان السكوفة فابتني له فها داراً كبيرة إلى جانب السجد ، ثم عزله عثمان عن السكوفة وولاها سعيد بن العاس ، فرج الوليد إلى المدينة ، فلم يزل بها حتى قتل عثمان ، قلما كان من على ومعاوية ماكان ، خرج الوليد إلى الرقة معتزلا لها ، فلم يكن مع واحد منهما حتى تصوم الأمر ، ومات بالرقة . راجع طبقات ابن سعد (٢٤/٦) والتفاصيل عن حياته في الإصابة (٢٢١/٦) والاستيماب (٤/٢٥ م ١) وفي الطرى (٣١١/٣) : ( إنه لم يتخذ لداره بابا حتى خرج من السكوفة ، وكان عاملا لعمر بن الحطاب على ربيعة بالجزيرة ) .

<sup>(</sup>٤) عبد الله بن مسمود: من حلفاء بني زهرة ، أسلم وهو غلام وأخذ من النبي صلى الله عليه وسلم سبعين سورة من القرآن السكريم ، وكان إسلامه قبل دخول النبي سلى الله عليه وسلم دار الأرقم ، هاجر إلى الحبشة الهجرتين وقيل الهجرة الثانية فقط ، يم هاجر إلى المدينة المنورة ، وشهد بدراً والمخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أعلم الصحابة بالفرآن . أرسله عمر مع عمار بن ياسر إلى السكوفة : أرسل عماراً أميراً وعبد الله معلماً ووزيراً وبني على بيت المال في عهد عثمان حتى عزله وتوفى بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين هجرية وهو ابن بضع وستين سنة ودفن بالبقيم . راجع طبقات ابن سعد (١٢٩/٤) و (١٣/١) والإيسابة (١٢٩/٤) وأسد اللهابة (١٢٩/٤)

استنظاره... فافترقوا وبعضهم يلوم بعضا: يلوم هؤلاء سعداً ويلوم هؤلاء عبدالله على الله عليه عبدالله عن ماحبى رسول الله صلى الله عليه وسلم (أول ما نزغ به بين أهل الكوفة ، وهو أول مصر نزغ الشيطان بينهم في الإسلام) ؛ فغضب عثمان على سعد وانتزع المال منه وعزله (1).

ومن الواضح أن سبب عزل سعد عن الكوفة، هو خوف عثمان من تفاقم الشغب بين أهل الكوفة، مما يؤدى إلى أخطار جسيمة تهدد سلامة هذه القاعدة الأمامية لجيوش المسلمين، لذلك آثر عزل سعد ليقضى على هذه الفتنة في مهدها.

### (س) دفاعه عن عممان :

عاد سعد إلى المدينة واستقربها ، فكان عنمان يستشيره في الأمور الخطيرة ويئق بمشورته كل الوثوق . ولما احتشدت جموع الأمصار لقتل عنمان ، كان سعد رهن إشارة عنمان ينقد كافة أوامره (۱) ورفض رفضاً قاطعاً أى تعاون مع الناقين على عنمان (۱) ، وقال عن رؤسائهم : « والله إن أمراً هؤلاء رؤساؤه لأمر سوء » (۱) ، وكان سعد ممن استقتل في الدفاع عن عنمان (۱) ، ولما علم سعد بمقتله ذهب عقله ، فدخل عليه واسترجع وأكب عليه يبكى !! . . (۱) وقال سعد يوما : « ما بكيت من الدهر إلا ثلاثة أيام : يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويوم قتل عنمان ، واليوم أبكى على الحق ، فعلى الحق السلام » . .

<sup>(</sup>١) الطبرى (١/٣) (٣) وابن الأثير (٣٠/٣ ـ ٣١) وانظر للمارف ص(٢١٢) .

<sup>(</sup>٢) الطبرى (٣/١/٣) .

<sup>(</sup>٣) الطبرى (٣/١) .

<sup>(1)</sup> طبقات ابن سعد (۲/۳) .

<sup>(</sup>٠) ابن الأثير (٦٢/٣) والطبرى (٣٨٩/٣) .

<sup>(</sup>٦) الإمامة والسيالجة لابن قتيبة (١/٤٤) .

## نرهاية المطاف :

### ١ — إعتزاله الفننة :

بايع سعد علياً بعد مقتل عثمان (۱۰)، وقد رفض ما عرضه عليه بعض الناس لمبايعته قائلا لهم: « لا حاجة لى فيها و عثل:

لا تخلطن خبيثات بطيقة واخلع ثيابك منها وانج عريانا (۱) كان سعد يقول: «ما أزعم أنى بقميصى هذا أحق منى بالخلافة: قد جاهدت إذ أنا أعرف الجهاد، ولا أبخع نفسى إن كان رجل خيراً منى ، لاأقاتل حتى تأتونى بسيف له عينان ولسان وشفتان ، فيقول: هذا مؤمن ، وهذا كافر » (۱) ، وقال رجل لسعد: «ما يمنعك من القتال ؟ » فقال سعد: «حتى تأتونى بسيف يعرف المؤمن من الكافر! » (۱). وقال له ابن أخيه هاشم بن عُتبة : « ههنا مائه ألف سيف يرونك أحق بهذا الأمم » فقال سعد: «أريد منها سيفاً واحداً إذا ضربت به المؤمن لم يصنع شيئاً وإذا مربت به المؤمن الم يصنع شيئاً وإذا مربت به المؤمن المؤمن الم يصنع شيئاً وإذا مربت به المؤمن ا

<sup>(</sup>١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ( ٤٧/١) وطبقات ابن سمد (٣١/٣) ، وفي الطبرى (٣١/٣) : ﴿ جاءوا بسمد ، فقال على : بايع ، فقال سمد : لا أبايع حتى يبايع الناس . قال على : اثننى بحميل ( أى كفيل ) : قال سمد : لا أرى حميلا . قال الأشتر : خل عنى أضرب عنقه . فقال على : دعوه ، أنا حميله ﴾ . وأنظر ابن الأثير ( ٧٤/٧) وتاريخ أبي الفدا ( ١٧١/١) .

 <sup>(</sup>٣) الطبرى ( ٣/٤ه٤ ) وابن الأثير (٣/ه٧) .

<sup>(</sup>٣) طبقات ابن سعد ( ١٤٣/٣ ) .

<sup>(</sup>٤) طبقات ان سعد (١٤٤/٤) .

<sup>( )</sup> الأرسابة ( ٣/١٨ ) .

<sup>(</sup>٦) أسد النابة (٢٩٢/٢).

لزم بيته (') ، وأمر أهله ألاّ يخبروه من أخبار الناس بشيء حتى تجتمع الأمّة على إمام (٢٠) .

كل ذلك يدل على شدّة تَعَلَقه بوحدة كلة المسلمين وابتعاده عن إراقة دمائهم. لقد كان سيف سعد للمسلمين لا عليهم.

ولما اجتمع الحكان: أبو موسى الأشعرى عن الإمام على بن أبى طالب، وعمرو بن العاص عن معاوية بن أبى سفيان ، حضر الاجماع سعد (أعلى أمل اجماع كلة المسلمين ، وكان سعد على ماء لبنى سكم فى البادية ، فأتاه ابنه عر فقال له: « إن أبا موسى وعمراً قد شهدهما نفر من قريش ، فاحضر معهم ، فإنك صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد الشورى ولم تدخل فى شىء موجه هذه الأمة ، وأنت أحق الناس بالخلافة » فلم يفعل ا وقيل حضرهم سعد وندم على حضوره فأحرم بعمرة من بيت المقدس (أ) ، وقيل إنه قال لابنه: « لا أفعل ، إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنه يكون فتنة ، خير الناس فيها الخني التي . والله لا أشهد هذا الأمم أبداً » (أ). وسواء حضر سعد في هذا الاجتماع أم لم يحضر ، فإن أكبر همة كان بألا يزج نفسه فى فتنة عمياء تراق فها كثيراً من دماء المسلمين ، لأنه كان يريد لهم جميعاً الخير والحبة والسلام .

 <sup>(</sup>١) أسد الغابة ( ۲۹۱/۲) .

 <sup>(</sup>۲) الاستيماب (۲/۹۰۲) .

<sup>(</sup>٣) طبقات ابن سعد ( ٣٣/٣) .

 <sup>(</sup>٤) ابن الأثير ( ١٣٢/٣ ) وأنظر مروج اللهمب للمسمودى على هامش ابن الأثير
 ( ٨/٦ ) حول حضوره التحكيم .

<sup>(</sup>٠) الطبرى (٤/إه٤) -

### ۲ — حیاته :

أسلم سعد وعمره سبعة عشر عاما<sup>(۱)</sup> ، فيكون مولده حوالى سنة ثلاث وعشرين قبل الهجرة (٣٠٣م) ، وتوفى قصره بالعقيق على بعد عشرة أميال من المدينة عام خمسة وخمسين الهجرة (٢٠٥م) وهو أثبت الروايات (٢٠ ، فيكون عمره حين توفى ثمان وسبعين سنة قرية .

وقبل وفاته أوصى أن يكفن بجبته التى كان يرتديها حين قاتل المشركين فى غزوة (بدر) الكبرى. قال سعد: «كفنونى فيها، فإنى كنت لقيت المشركين فيها يوم بدر وهى على ، وإنما كنت أخبؤها لذلك »(1).

وعندما توفى تُحمِل جَمَانه من قصره فى العقيق إلى المدينة على أعناق الرجال إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعد الصلاة عليه وقف بجسده الطاهر على تُحجر أمهات المؤمنين فصلين عليه (٥) ودفن بالبقيع (٦).

### المحدث الفقيد :

روى سعد الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وروى عنه كثير

<sup>(</sup>١) طبقات ابن سعد ( ١٣٩/٣ ) وفى الا ستيماب ( ٦٠٧/٣ ) أنه أسلم وهو ابن تسم عشرة سنة وكدلك في المارف ( ٢٤٢ ) .

 <sup>(</sup>۲) طبقات ابن سعد (۹/۳ ۱۶) والمعارف ( ۲۶۲ ) وقى رواية أنه مات سنة خمسين
 وقى أخرى أنه مات سنه تمان وخمسين راجع الإصابة ( ۸۳/۳ ) .

<sup>(</sup>٣) طبقات ابن سعد ( ١٤٩/٣ ) والايصابة ( ٨٣/٣ ) ، وقد جاء أنه يوم مات كان ابن بضع وسبعين سنة .

<sup>(</sup>٤) أسد الغابة ( ۲۹۳/۲ ) والاستيماب ( ۲۱۰/۲ ) .

 <sup>(</sup>a) طبقات ابن سعد (۱۱۸/۳) وصلى عليه مروان بن الحسيم وهو بومثذ والى المدينة .

 <sup>(</sup>٦) الاستيماب (٦١٠/٢) ، والبقيع هو مقبرة أهل المدينة راجع التفاصيل
 ف معجم البلدان ( ٢٥٣/٢ ).

من الصحابة منهم ابن عمر وابن عباس وعائشة أم المؤمنين (1). حدّث سعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه مسح على الخفين ، فسأل ابن غمر أباه عمر بن الخطاب عن ذلك ، فقال: « نعم . إذا حدثك سعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا تسأل عنه غيره » . وقد أحصى ابن حزم الأحاديث التي رواها سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فكانت (٢٧١) حديثاً (٢) كا عده ابن حزم من أهل الفتيا (١٠) .

ولكنه كان لا يحدث إلا إذا كان واثقاً كل الوثوق من صحة حفظه وروايته للحديث ، كا أنه كان لا يفتى إلا عندما يسأل عن شيء ويجد نفسه مضطراً للافتاء . قال السائب بن يزيد (١) « صحبت سعد بن أبى وقاص من المدينة إلى مكة ، فما سمعته بحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثاً حتى رجع » . وسئل مرة عن شيء ، فاستعجم ا فقال : « إنى أخاف أن أحدث م واحداً ، فنزيدوا عليه المائة » (٥) .

لقد كان محدثاً فقهاً ، ولكنه كان يخشى الله كثيراً ، فلا يقول إلا إذا لم يجد مفراً من القول 1 . . .

<sup>(</sup>١) الأيصابة( ٣/٣٨ ) أسد الغابة ( ٢٩٢/٢ ) .

<sup>(</sup>٢) أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد – ملحق بجوامع السيرة لابن حزم س ( ٢٧٧ ) وأنظر مسئد سعد بن أبي وقاص في مسئد الإمام أحمد بن حنبل ( ١٦٨/١ ) .

 <sup>(</sup>٣) أضحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدم على مراتبهم فى كثرة الفتيا لابن حرم صماحق بجوامع السيرة لاإن حرم س ( ٣١٩ ) .

<sup>(</sup>٤) السائب بن يزيد : ولد فى السنة الثانية من الهجرة ، وحج أبوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان السائب معه وهو ابن سبع سنين وكان عاملا لعمر ابن الحطاب على سوق المدينة . توفى سنة النتين وتمانين وقيل سنة ست وتمانين وقيل سنة إحدى وتسعين راجع أسد الغابة ( ٢٥٧/٢ ) والإصابة ( ٨٧/٣ ) والاستيعاب ( ٧/٣٥ ) .

<sup>(</sup>ه) طبقات ابن سأد ( ١٤٤/٣ ) .

#### الشاعر:

فى المصادر التى بين أيدينا بعض الشعر لسعد ، قاله فى بعض المناسبات ، مما يدل على تمتّعه بسليقة شعرية .

فني سرية عبيدة بن الحارث ، رمى سعد أول سهم في الإسلام ، وفي ذلك يقول (١٠) :

ألا أبلغ رسول الله أنى حميتُ صَحَابَتَى بِصُدُورِ نُبْلِي أذود بها عدوهم ذياداً بكل حَزُوْنَة وبكل سهل (٢) فما يعتدُّ رام من معد بسهم يارسول الله قبلى ويضيف ابن هشام في كتابه: سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، هذه الأبيات النلاثة (٣):

وذلك أن دينك دين صدق وذو حق أتيت به وعدل يُغجَّى المؤمنون به ويُخزَى به الكفار عند مَقاَم مَهْل (ئ) فيهل قد غُويت فلا تعبيني غُويَّ الحي ويحك يا ابن جَهْل وفي معركة القادسية ،كان سعد مريضاً ، فقال جرير بن عبدالله البجلي: (\*) أنا جرير كنيتي أبو عَمْرو قد نصر الله وسعد في القصر فلما بلغ سعداً ذلك خرج إلى الناس ، فاعتذر إليهم ، وأراهم ما به من

 <sup>(</sup>١) الإصابة (٣/٥٨) ، وفي الاستيماب(٣/٧٢) ذكر صدر البيت الأول .
 (ألا عل جا رسول الله أنى ) . كما ذكر عجز البيت الثالث) بسهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ) وما ذكرناه أعلاه أبلغ معنى ومبنى .

<sup>(</sup>٢) الحزونة : الوعر من الأرض ، والسهل ضده .

<sup>(</sup>٣) سبرة الل هشام ( ٢٢٩/٢ ) .

<sup>(</sup>٤) مهل : أي إمهال وتثبت .

<sup>(</sup>٥) الطبرى (٣/٣) .

القُرُح في فحذه وإليتيه ، وفي ذلك يقول سعد (١):

وما أرجو (بجيلة) (٢) غير أنى أؤمل أجرهم يوم الحساب فقد لقيت خيولهم خيولاً وقد وقع الفوارس في ضراب وقد دلفَت بغرصتهم فيول كأن زُهاءها إبلُ جِراب (٢) وعندما اعتزل سعد الفتنة الكبرى ، طمع فيه معاوية بن أبي سفيان ،

فكتب إليه بدعوة أن يعينه على الطلب بدم عثمان ، فأجابه سعد (· أَ: ﴿

معاوى داؤك الداء العياء وليس لما نجىء به دواء أيدعونى أبو حسن على فلم أردُد عليه ما يشاء وقلتُ له : اعطنى سيعًا بصيراً تميزُ به العداوةُ والولاء فإن الشر أصغره كبيرٌ وإن الظَهرُ تُثقِلُهُ الدماء أتطمع فى الذى أعيا علياً ١٤ على ماقد طمعت به العقاء

ليوم منه خير منك حياً وميتاً . أنت للمرء الفداء فأما أمن عنان ، فدعه فإن الرأى أذهبه البلاء فأما أمن عنان ، فدعه فإن الرأى أذهبه البلاء والظاهر أنه كان لا يقول الشعر إلا عندما يُستثار ، فلا يجد غير الشعر وسيلة يعبّر بها عما يخالج نفسه من أحاسيس وأفكار . وعلى كل حال ، فهو شاعر مُقِل له موهبة شعرية لا ترقى إلى درجة الشعراء الجيدين ، فهو وسط

فی شعرہ . ----

 <sup>(</sup>١) بحيلة : قبيلة عربية ينتسب إلها جربر بن عبد الله البجلي . وهذه الأبيات في الطبري ( ٧٩/٣ ) .

<sup>(</sup>۲) زهاء: الكبر والفخر والمدد والملاحظ أن أواخر الأبيات الأولى مكسورة ، بينا آخر البيت الأخير مرفوع ، ولا يمكن أن يتم مثل سعد العربى الأصيل في مثل هذا الحطأ النحوى ، بما يدل على وجوم تحريف في البيت الأخير .

 <sup>(</sup>٣) في أسد الغابة ( ٢٩٢/٢ ) ورد البيت الأول والناني والثالث و الحامس فقط ،
 وهذه الأبيات كاملة في الإستيماب ( ٢٠٩/٢ — ٦٠٠ ) .

### الانساد :

كان سعد يهتم بقيافته: يلبس أفخر النياب، ويخضب شعره بالسواد ويلبس قى إصبعه خاتماً، يحب الطيب، ذواقة فى ملبسه ومأكله ومشربه (١٠).

وكان راجح العقل ، بعيد النطر ، منين الخلق ، عفّ اليد واللسان ، براً بأهله وفياً لأصحابه ، أحب قريش للناس ، بل أحب الناس للناس وأرفقهم (٢).

وكانت فيه حدَّة (٢) ، يغضب لله ، فقد كان أشد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة : عمر وعلى والزبير وسعد (١) . قال عمر بن الخطاب قبل موته : « ما يمنعني أن أستخلفك ياسعد ، إلا شدّتك وغلظتك » (٥) .

وكان حكماً في قوله حكماً في عمله. قال لابنه وهو يعظه: يابني ا إن طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة ، فإن من لم تكن له قناعة ، لم يغنه مال » . وكان بينه وبين خالد بن الوليد كلام ، فدهب رجل يقع في خالد عنده ، فقال سعد: « مه ! إن ما بيننا لم يبلغ ديننا » (٦) . وكان يتوقى الشبهات ورعاً ، وكان يقتنى آثار النبي صلى الله عليه وسلم ، فيعمل بعمله . قال له ابنه: « يا أبت ، أراك تصنع بهذا الحي من الأنصار شيئاً ما تصنعه بغيرهم » . فقال سعد: « أي بني ؟ هل تجد في نفسكشيئاً من ذلك ؟ » قال: «لا إولكن أعجب من صنيعك! »

<sup>(</sup>١) طبقات ان سعد ( ١٤٣/٣ ) .

<sup>(</sup>٢) الطبرى ( ٣١٢/٣ ) .

<sup>(</sup>٢) الطبرى ( ٣١١/٣ ) .

<sup>(</sup>٤) الارسابة ( ١٤/٣ ) .

<sup>(</sup>٥) الايمامة والسياسه - لان قتيبة ( ١/١٥).

<sup>(</sup>٦) الطبقات الكبرى الشعراني ( ٢١/١ ) .

قال: إنى سممت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « لا يحبّهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق» (١).

وكان يقول الحق ولا شيء غير الحق دون خوف من ظالم أو ذي سلطان ، فعندما تولى معاوية الخلافة بأساليب السياسة والدهاء ، دخل عليه سعد ، وقال : « السلام عليك أيها الملك 1 » فضحك معاوية ، وقال : « ما كان عليك يا أبا اسحاق لو قلت : يا أمير المؤمنين ؟ 1 » . فقال سعد : « أتقولها جذلان ضاحكا 1 ا والله ما أحب أني وليتها به » يعني بأساليب معاوية . وكان أحد الناس بصراً (٢) ، آدم (٢) طويلاً أفطس (١) ، وقيل : إنه كان رجلاً قصيراً ، دُحْدَاحاً ، غليظاً ، ذا هامة شَتَن الأصابع ، أشعر (٥).

وكان مِزواجاً ، فقد نزوج اثنتى عشرة امرأة خلال حياته ، وكان منهن بعض السرارى ، وقد أعقب منهن سبعة عشر ذكراً وثمانى عشرة أنثى ، وكان غنياً نرك يوم وفاته مائتى ألف وخسين ألف درهم(٦).

#### الفائر:

كان سعد جندياً ممتازاً ، وقائداً ممتازاً .

<sup>(</sup>١) أسد الغاية (٢٩٣/٢) .

 <sup>(</sup>۲) الاسابة ( ۱/۹۸ ) -

<sup>(</sup>٣) آدم : أحمر .

<sup>(</sup>٤) أسد الفاية (٢٩٣/٢) .

غليظها . راجع منن اللغة ( ٢٧٥/٣ ) . (٦) طبقات ابن سعد ( ١٣٧/٣ — ١٣٨ ) وفيها أسماء زوجاته وأولاده ذكوراً وإنائاً . وطبقات ابن سعد ( ١٤٩/٣ ) عن ماله وتركته .

كان جنديا ممتازاً ، لأنه كان متفوقاً فى الرمى تفوقاً ظاهراً (١) ، شجاعاً مقداماً يتحلّى بالضبط المتين ويؤون بالطاعة لذوى الأمر ماداموا على الحق، يتحمّل المشاق العسكرية ، له أهداف واضحة يؤون بها ويعمل جاهداً لتحقيقها . يقوم بواجبه بدافع من نفسه لا بدافع من غيره وللمصلحة العامة لا للمصلحة الخاصة ، وتلك هى مزايا الجندى الممتاز فى كل زمان .

هذه الصفات ، هي التي جعلت النبي الكريم صلى الله عليه وسلم يختاره حارساً شخصياً له في غزواته ، فقد (كان أحد الفرسان الشجعان من قريش الذين كانوا يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم في مغازيه)(٢).

وكان قائداً ممنازاً ، لأنه كانت له قابلية ظاهرة على إعطاء القرارات الصحيحة السريعة ، إذ أنه كان يتحلّى بعقلية منزنة وذكاء خارق، وكان بحرص كل الحرص على الحصول على المعلومات بالدوريات والعيون واستنطاق الأسرى والاستطلاع الشخصى وباستشارة ذوى الرأى . ولأنه كان يتحلّى بشجاعة شخصية نادرة و إرادة قوية ثابتة ونفسية لا تتبدل في حالتي النصر والاندحار، له مخيلة تحسب حساب كل شيء ، يبادل قواته محبة بمحبة مثلها وثقة بثقة تساويها ، بمثلك شخصية محترمة ذات ماض ناصع مجيد. وتلك هي صفات القائد المتاز بكل زمان .

وبالإضافة إلى كل هذه المزايا ، كان سعد قائداً (مَرِناً) ، لا يُصِر على تنفيذ حرفية أوامره ، ولا يحاسب رجاله إذا انتهزوا فرصة مناسبة للإقدام على عمل عسكرى قبل أن يستأذنوه ا ذلك لأنه ورجاله كانوا يعملون يداً وأحدة

<sup>(</sup>١) فى الأصابة ( ٨٤/٣ ) قصة إصابته الهدف بدقة ، وفي طبقات ابن سعد ( ٣/٣ ) أنه كان من الرماة المذكورين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . (٢) الاستيماب ( ٢٠٨/٢ ) .

في سبيل أهداف مشتركة ، ولم يكن يخطر ببال أحدهم أن يخالف الأوامن حباً بالظهور أو جراً لغنم شخصي ! ولسكنه كان لا يرضي من رجاله أي إخلال بالضبط يؤدي إلى الشغب وعرقلة أعمال الجهاد . قال سعد : « والله لا يعود أحد يحبس المسلمين عن عدوهم ويشاغلهم وهم بإزائهم ، إلاستنت به سنة يؤخذ بها بعدي (۱) » . وقال ناصحاً رجلين من أعوانه للنسك بأهداب الضبط : « إنى أحدركما أن تُؤثرا أمن الجاهلية على الإسلام فنموت قلوبكما وأنها حيان! إزما السمع والطاعة والاعتراف بالحقوق ، فا رأى الناس كأقوام أعرتهم الله بالإسلام (۲) » .

والحق أن ضبط سعدكان منيناً للغاية ، فكماكان يريد السمع والطاعة من القادة والرجال الذين كانوا بإمرته، فإنه كان يسمع ويطيع أمير المؤمنين سمماً وطاعة خارجة عن أعماق قلبه ونفسه . لقد كان سمد يخبر عمر بكل شيء ويستأذنه قبل أن يُقدم على عمل أي شيء .

كان يخبره عن موقف العدو بالنفصيل ، وكان يخبره عن طبيعة الأرض التي يحلّ بها ، ويستأذنه قبل خوض المعارك ، ويسأله الرأى في الأسرى والغنائم ، وكان عمر استناداً إلى أخبار سعد التي تصله تباعاً وبدافع من حرصه الشديد على انتصار السلمين يكاد يتداخل في تفاصيل المعركة : في موقعها ، وفي إعداد خطّتها ، وحتى في تسميه قادة التشكيلات التعبوية من قلب وميمنة وميسرة وساقة . . . الخ . أما سعد فيتقبّل كل ذلك برحابة صدر وينفذ أوامي عمر حرفياً من دون تنسّر ولا تردد !!

وكان قائداً عقائدياً ، جاهد لحماية حرية انتشار الإسلام في شبه الجزيرة

<sup>- (</sup>١) الطبرى( ٣/٤٤) .

<sup>(</sup>٢) الطبرى ( ٣/ ٣ ) وهو يخاطب عمر بن معد يكرب وطليعة الأسدى .

العربية ، وجاهد في الفتح الإسلامي خارج شبه الجزيرة العربية ، ولكنه أحجم عن الاشتراك في الفتنة الكبرى واعتزل الطرفين المتخاصمين ، وكان بإمكانه أن يتولى قيادة الجيوش أو إمارة مصر من الأمصار لعلى أو معاوية على حد سواء ، لو أنه تعاون مع أحدها على حساب عقيدته ... وهمهات ، لأنه لم يكن يجاهد من أجل المناصب ومن أجل الدنيا ولكنه كان يجاهد من أجل إعلاء كلة الله . وما أصدق قول سعد وهو على فراش الموت لابنه : « لا تبك على غإن الله لا يعذبني أبداً وإني من أهل الجنة ، إن الله يدين المؤمنين ما علوا لله » (١) .

وعند مقارنة أعمال سعد العسكرية بمبادىء الحرب، ينضح لنا أنه كان يطبق مبدأ (اختيار المقصد وإدامته)، فقد كان مقصده والمحاً في كل معركة خاضها، وكانت معاركه كلها، معارك (تعرضية) وكان يطبق مبدأ (المباغنة) كلما وجد إلى ذلك سبيلا، كما فعل عند عبور نهر دجلة بالخيل في معركة فتح المدائن. وكان (يحشد) قوته قبل المعركة ولا يقدم على تنفيذ خطة حربية قبل أن يتخذ كافة تدابير (الأمن) اللازمة مستفيداً من مبدأ (التعاون) بين صنوف قواته وأقسام جيشه من تشكيلات تعبوية وقبائل، ويبذل قصارى جهده (لإدامة معنويات قطعاته)، ويؤمّن لها كافة متطلبات (القضايا الإدارية).

# سعد في الشاريخ :

نسى الناس كثيرا من قادة الفتح الإسلامى ، وحتى التاريخ نسى كثيراً منهم أيضاً ، ولكن سعداً كان من بين القادة الذين يذكرهم الناس دا مماً

<sup>(</sup>۱) طبقات ابن سعد ( ۱٤٧/۳ ) .

ولا ينسونهم أبداً ، كما إنه شرّف بأعماله الخالدة صفحات التاريخ ، فاسمه في كل مصادر الناريخ وعلى كل لسان .

لقد فتح سعمد العراق<sup>(۱)</sup> وأكثر فارس<sup>(۲)</sup> و أذربيجان )<sup>(۳)</sup>. و ( أخربيجان )<sup>(۳)</sup>. أى أنه فتح بصورة مباشرة العراق الحديث وأكثر إبران بحدودها اليوم من أملاك الامبراطورية الفارسية ، وفتح القسم الجنوبي من جمهورية تركيا الحديثة من أمسلاك الامبراطورية الرومانية ونشر فيها الإسلام ، فرسخت مبادؤه في تلك البلاد الشاسمة منذ فتحها سعد حتى اليوم.

ولكن ، هل هذه الفتوحات، على أهميتها وعظمها - هى كل أمجاد سعد ابن أبى وقاص ؟

<sup>(</sup>١) أقصد بالعراق العراق بحدوده الحالية لا العراق القديم . راجع تفاصيل ماجاء عن العراق في معجم البلد إن ( ١٣٣/٦ ) .

<sup>(</sup>۲) الاستيماب (۲۰۸/۴) ، وفارس ولاية وإقليم فسبتح ، أول حدودها من العراق (أرّجال) ، ومن جهة (كرمان السيرجان) ومن جهة ساحل بحر الهند (البحر العربي) (سيراف) ومن جهة السند (مكرال . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (۲۲٪۲۳) .

<sup>(</sup>٣) آذربیجان من (برذعة) مشرقاً إلى (آذربیجان) مفریاً ویتصل حدها من جهة الشهال ببلاد الدیلم والجیل والطرم ، وهو إقلیم واسع ، ومن مشهور مدانتها تبریز والراغة وخوى وسلماس وأورمیه وأردبیسل ومرند . راجع التفاصیل فی معجم البلدان ( ١٩٩١ ) .

 <sup>(</sup>٤) الجزيرة : سميت بالجزيرة الأنها بين دجلة والفرات ، تشتمل على ديار مضر وديار
 بكر ، ومن أمهات مدنها حران -- الرها -- ونصيبين ومدن أخرى . واجع التفاصيل
 ف معجم البلدان ( ٩٦/٣ ) .

 <sup>(</sup>ه) أرمينية : راجل التفاصيل عنها في معجم البلدان ( ٢٠٣/١ ) وتقصد بها اللنطقة السكائنة شمال الحدود العزاقية — السورية من تركيا في الوقت الحاضر .

لم تقتصر أمجاد سعد على هذه الفتوحات فحسب، بل له أمجاد كثيرة هى أهم من فتوحاته هذه، يمتاز بها عن غيره من القادة الفاتحين.

فقد أسلم سعد قبل أن تفرض الصلوات (۱)، فهو من قدماء المسلمين الأولين، وهو الذي أراق أول دم دفاعاً عن الإسلام، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله ، وهو أحد العشرة المبشرة المشهود لهم بالجنة وهو أحد الستة الذين جعل عمر فيهم الشورى ، وهو الذي كوتف الكوفة فأصبحت القاعدة الأمامية للفتح الإسلامي في الشرق كله ، وأمدت العالم الإسلامي بعدد ضخم من قادة الفكر والأدباء والمفكرين من قادة الفكر والأدباء والمفكرين وأصحاب الورع والنقوى ، فكانت هذه المدينة أعظم قواعد الفتح الإسلامي ، وأغرز مصادر الثقافة العربية .

وفوق ذلك ، يذكر التاريخ له ، أنه جاهد بنفسه وماله فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم لدعم العقيدة الإسلامية وللدفاع عن الإسلام ، فقد شهد المشاهد كلها مع الرسول القائد ، وكان له فيها أثر شخصى ملموس، كما أنه أوصى بنلث ماله لخدمة الدعوة الإسلامية ، وبذلك استحق سعد أن يفاخر به النبى الأعظم ويقول له : « أنت خالى (٢) » ويفديه بأبيه وأمه يوم أحد (١) ، ويدعو له قائلاً : « اللهم أجب دعوته وسدد رميته (٤) » ، فكان سعد مجاب الدعوة مشهوراً بذلك ، تخاف دعوته وترجى ، لا يشك فى إجابتها (٥) .

<sup>(</sup>١) طبقات ان سعد ( ١٣٩/٣ ) والاستيعاب (٢٠٧/٢ ) .

<sup>(</sup>٢) الاستيماب ( ٢٠٨/٢ )٠

<sup>(</sup>٣) طبقات ابن سعد (١٤١/٣ ).

 <sup>(</sup>٤) الاستيماب ( ۲۰۸/۲ ) والإسابة ( ۸۳/۳ ) .

<sup>(</sup>ه) الاستيماب ( ٢٠٧/٢ ) .

لا عجب إذن ، وقد عرفت بعض أمجاد سعد ، ألا ينساه الناس ولا ينساه الناريخ ، بلكان ولا يزال وسيبق مفخرة من أبرر مفاخر العرب المسلمين .

إن سعد بن أبى وقاص دليل على على كفاءة العربى الأصيل المؤمن بمبادىء الإسلام، وهو أسوة حسنة لمن يريد أن يفعل المستحيل من أجل عقيدته.

رضى الله عن القائد الذى حطم عرش كسرى ، الإدارى الذى كو ّف الكوفة ، النقى النقى ، أبى إسحاق سمد بن أبى وقاص الزهرى .

en en diserro partir de la compa

**عتادة فنتح** محسود العاهشب الأوسيط

### خالدبن عرفطة العدري

# نائب سعد في القادسية وفاتح مدينة ساباط

## أبام الأولى وإسلام :

هو خالد بن عُرْفُطة الليثي ويقال البكرى من بني ليث بن بكر بن عبد مناه ، ويقال : بل هو من قضاعة ثم من عذرة حليف لبني زهرة (١) ، وقد أسلم قبل فتح مكة وصحب النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه (٢) ، ولكننا لا نعلم وقت إسلامه بالضبط ولا أعماله في عهد النبي الكريم .

### مهاده :

برز اسم خالد لأول مرة فى معركة القادسية الحاسمة ، وهذا يدل على أنه بذل جهوداً مشرفة فى جهاده قبل القادسية رشحته ليكون الرجل الثانى فى تلك المعركة .

فقد كان سعد بن أبي وقاص مريضاً في أيام القادسية لا يستطيع أن يقود

<sup>(</sup>۱) الإصابة ( ۱/۲ ) وأسد الغابة ( ۱/۲ ) والاستيماب ( ۴۲/۲ ) ، والصواب أنه من بنى عدّرة كما جاء فى أسد الغابة ( ۱/۸۸ ) والاستيماب ( ۱/۵۳۶ ) ، وأرجح أنه من عدّرة لأن الذين نسبوه إليها ذكروا أنه حليف لبنى زهرة ، وهذا يجمله بنماس شديد بسمد بن أبى وقاص الزهرى ، مما جمل سمدا يعرف مزاياه ويثق به ويقلده منصب نائبه فى القادسية .

 <sup>(</sup>۲) طبقات ابن سعد (٤/٥٥٣)، وقد ذكر ابن حزم في رسالته (أسماء الصحابة الرواة) الملحقة بكتابه (جوامع السيرة) ص ( ۲۹۰) أن خاك بن عرفطة روى أربعة أحاديث فقط عن النبي صلى الله عليه وسلم.

المعركة إلا بإصدار الأوام، والإشراف العام على سير القتال ، لذلك عين خالداً نائباً عنه : يبلغ أوام، سعد إلى جيشه ، ويراقب تنفيذ تلك الأوامر ، ويباشر القتال بنفسه ، ويطُلِع سعداً على تفاصيل تطورات المعركة وسيرها ، فكان سعد يرمى بالرقاع فيها أمره إلى خالد (١) ، وكان خالد بدوره يبذل غاية جهده فى تنفيذ أوامر القائد العام .

ولما انتهت معركة القادسية ، أمر سعد أن يجمع خالد سلب القتلى ، ويدفن الشهداء والقتلى (٢) ، وهذان واجبان مهمان للغاية بعد كل معركة ، الواجب الأول يدل على أمانة خالد ، والواجب الثانى يدل على إنسانيته ، وكلاهما يدلان على عظم ثقة سعد بسجايا خالد الإنسانية .

وارتحل سعد بعد الفراغ من أمر القادسية بانجاه المدائن ، فكان خالد على مقدمة قوات المسلمين المتحركة لفتح المدائن ، فلم يرد سعد حتى فتح خالد (ساباط) (۲) الواقعة قرب المدائن والتي كانت تدعى بـ (ساباط كسرى) (٤) . وكان خالد مع سعد في فتح المدائن ، وبتى إلى جانبه حتى ارتحل سعد إلى الكوفة ، فارتحل خالد معه .

شمائل الإنسان :

نزل خالد الكوفة مع مَنْ نزلها من المسلمين وابتني مها داراً له (٥) ،

Containing

<sup>(</sup>١) الطبرى ( ١٣/٣) وابن الأثير ( ١٨١/٢ ) م ١٠٠٠ ١٠٠٠ ١٠٠

<sup>(</sup>۲) الطبرى ( ۴/۳ ) .

<sup>(</sup>٣) الطبرى ( ٦٩/٣ ) ٠

<sup>(</sup>٤) المبلاذري ص ( ٢٦٣ ) . وقد ذكر الطبري في ( ١١٣/٣ ) ان خالداً كان على الساقة وأن زهرة بن الحوية كان على المقدمة . وساباط : وتسمى ( ساباط كسرى ) مدينة بالقرب من المدائن . راجع معجم البلدان ( ٢/٥ ) .

<sup>(</sup>٥) معجم البلدان ( ٥/٠ ) وهي على مرأى من المدائل . ) از 🕒 🗄

<sup>(</sup>٦) طبقات ابن سعه ( ٢١/٦ ) .

فكان مستشاراً مقرباً من سعد ومن الذين تولوا إمارة الكوفة<sup>(١)</sup> عند غمايه عنها.

لقد ابتعد خالد عن الفتن ، وبذل طاعته لكل خليفة تولى أمر المسلمين ولحكل أمير تولى الكوفة ، فلم يشارك فى الشغب على عثمان رضى الله عنه ولم يرض عن تصرفات الناقمين عليه . فلما تولى على بن أبى طالب رضى الله عنه الخلافة أخلص له الولاء ولكنه لم يشارك فى القتال الدائر بين المسلمين ، إذ كان فى شك من أمر هذا القتال ، كاكان سعد بن أبى وقاص فى شك من أمر هذا القتال أيضاً .

ولما تولى معاوية الخلافة ودخل الكوفة ، كان خالد حينذاك في الكوفة فبايع معاوية مع الذين بايعوه من أهل العراق. وفي تلك الأيام خرج على معاوية عبدالله بن أبي الحوساء على رأس جماعة من الخوارج (بالنخيلة) قرب الكوفة ، فقال معاوية لأهل الكوفة : « والله لا أمان لكم عندى حتى تكفوهم » (٢) ، فخرج أهل الكوفة وعلى رأسهم خالد ، فقاتل ابن أبي الحوساء حتى قتله (٣) ، فهو الذي قتل الخوارج يوم النخيلة (١) .

وقد توفی خالد سنة ستین للهجرة ( ۱۷۹ م ) وقیل سنة إحدی وستین ( ۱۸۰ م ) (۰) .

لقد كان خالد مخلَّصاً لعقيدته ، يتفانى فى سبيلها ، أُسلم طائماً وثبت على

<sup>(</sup>١) أسد النابة (٢/٨٨) والإصابة (٢/٤) .

<sup>(</sup>٢) ابن الأثير ( ١٦٣/٣ ) .

<sup>(</sup>٣) الإصابة ( ٩٤/٣ ) وأسد الفابة ( ٨٨/٢ ) وابن الأثير ( ٩٦٤/٣ ) .

<sup>(</sup>٤) طبقات ابن سعد (٦/٦).

<sup>(</sup>٥) ابن الأثير ( ٤١/٤ ) والإصابة ( ٩٤/٣ ) وأسد الفابة ( ٨٨/٣ ) .

إسلامه ، ولم يعمل لإثارة الفتن بين المسلمين ، وقد أعان على قتال الخوارج لأنهم كانوا يعملون على تفريق الكلمة وبمثرة الصفوف وإشاعة الفوضى والاضطراب فى البلاد ، فقاتلهم بدافع من اعتقاده بأنهم من عوامل فقدان الأمن والاستقرار وإثارة الحرازات والأحقاد .

وكان جواداً مضيافا شهماً غيوراً ، شجاعا مقداما ، يعمل للمصلحة العامة ويجملها دائماً فوق مصلحته الخاصة ، وكان لا يحرص على تولى الإمارة ، ولا نعلم أنه خلّف ملا يذكر عند وفاته ، مما يدل على أنه لم يصبح ذا ثراء على حساب الفتح .

#### القائد :

كان خالد متكامل الشخصية مسيطراً على رجاله، يتروى فى إعطاء قراراته ولا يتسرع فى إصدارها ، فكانت قراراته صحيحة ندل على عمق تفكيره ورحاحة عقله.

وكان ذا إرادة قوية ، يفكر ثم يقرّر ثم ينفذ ما يقرّره بعزم لا يتزعزع ، وكانت له شخصية قوية ولكنها محببة إلى النفوس : يحب رجاله ويحب الناس ويبادلونه حباً بحب وثقة بثقة .

وكان يطبق مبدأ (المباغتة) دائماً في حركاته معتمداً على سرعة حركة قطعاته لمباغنة أعدائه بالمكان والزمان ، ومعتمداً على إبداعه الذاتي ومشورة رجاله لمباغنة أعدائه (بالأسلوب) كما فعل في معركة القادسية عندما استخدم الجمال المجالة بالقاش لإخافة فيلة الفرس (١).

<sup>(</sup>١) الطبرى (٣/٤٥).

### خالد فی التاریخ :

يذكر خالد كما ذكرت معركة القادسية الحاسمة ، إذ كان (كالخليفة السعد لو لم يكن سعد شاهداً ) (١) ، لأنه لعب دوراً مهماً فى تلك المعركة التى فتحت أبواب الإمبراطورية الفارسية للمسلمين الفاتحين.

إنه يذكر كما ذكر سعد بن أبى وقاص فى جهاده ، ويذكر كما ذكر سعد فى أعماله العسكرية لإدامة زخم الفتوحات الإسلامية من جهة وفى أعماله الإدارية لإدارة البلاد المفتوحة من جهة أخرى .

لقد كان خالد فاتحاً وإدارياً ولكنه من الناحية الإنسانية كان مثالا للخلق الرفيع ، وقد كان صديقاً وفياً لسعد عندما كان قائداً عاماً فى العراق وأميراً على الكوفة ، وبقى محافظاً على صداقته بعدما أقبل سعد من مناصبه وأصبح رجلا من المسلمين. وبعد موت سعد ، بتى خالد وفياً لأهل سعد وفاء ولأهله. لقد كان خالد قائداً إنساناً .

<sup>(</sup>١) الطبرى (٢/٢) .

## زهسرة بن الحويتر التمسيمي

# فاتح ما بين القادسية والمدائن

#### اسلامہ :

أوفد ملك (هُجَر (۱) المنذر بن ساوى العبدى (۲) بعد إسلامه زهرة بن حوية بن عبدالله النميمى السعدى على النبي صلى الله عليه وسلم ، فأسلم زهرة (۱) وكان النبي بعد انصر أفه من الحديبية سنةست للهجرة (۱) قد بعث العلاء بن الحضر مى إلى المنذر بن ساوى العبدى وكتب إليه رسول الله كتابا يدعوه فيه إلى الإسلام (۱) ، فأسلم المنذر وأوفد زهرة على النبي ، مما يدل على أن زهرة كان

(١) هجر : من قصبة البحرين وقاعدتها . راجع التفاصيل في معجم البسلدان (١) ٨) .

(٢) المندر بن ساوى العبدى النميدى الدارمى: يقال له العبدى لأنه من ولله عبد الله بن دارم ، ذكر بعضهم أنه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم ، والصحيح أنه لم يكن في الوفد ، وإنما كتب مهم بإسلامه ، استخلفه النبي على البحرين ومات في السنة التي تؤفي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، راجع النفاصيل في الإصابة (٣/٦) وأسد الغابة فيها رسول الله عليه وسلم ، راجع النفاصيل في الإصابة (٣/١٥) وأسد الغابة صلى الله عليه وسلم ، راجع الناسري (٢/١٥) أن المنذر مات بعد النبي صلى الله عليه وسلم بتأليل .

(٣) الأصابة (١٣/٣) وأسد الغابة (٢٠٦/٣) وفي الطبرى (٨/٣) : زهرة بن عبدالله بن قتادة بن الحوية وكان ملك هجر قد سوده في الجاهلية ووفده على النبي صلى الله عليه وسلم .

(؛) طبقات ابن سعد (۲۰۸/۱) و (۲/ه۹) وسیرة ابن هشام (۳/ه ه۳) و هنیج الباری بشرح البخاری (۳۳۹/۷) .

(ه) الطبرى (۱۹/۲ه) وسيرة بن هشام (۲۷۹/۱) وانظر نص كتاب المنذر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى طبقات ابن سعد (۳٦٣/۱) وفي عيون الأثر لابن سيد الناس (۲۷۷/۲) . من وجوه البحرين<sup>(١)</sup> وأنه كان موضع ثقة ملكها .

والظاهر أن زهرة عاد من المدينة إلى البحرين بعد أن تفقه فى الدين ، وذلك ليكون إلى جانب المنذر يعاونه فى نشر الإسلام وإدارة البحرين ، إذ لم يرد أى ذكر لزهرة فى غزوات النبى وفى أعماله الأخرى ، لذلك نال زهرة شرف الصحبة (٢٠) ، ولم ينل شرف الجهاد تحت راية الرسول القائد .

### مهاده:

## (1) قبل القادسية :

ثبت زهرة على دينه مع من ثبت من أهل البحرين عند ارتداد أهل البحرين عند ارتداد أهل البحرين عن الإسلام وبذل جهده في محاربة المرتدين حتى عادوا إلى الإسلام، إذ لم يتول قيادة الجيوش غير الصحابة (")، ولم يتولاها المرتدون على الرغم من توبتهم واشترا كهم في الجهاد أيام عمر بن الخطاب (").

برز زهرة لأول مرة قائداً للمقدمة (٥) في مسير الاقتراب من (شراف)(١) إلى (العُذَيب)(١) إلى (العُذَيب)(١)

 <sup>(</sup>١) البحرين: بلاد على ساحل الحليبج العربى ، وقيل هي قصبة هجر ، وقيل هجر قصبة البحرين . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٧٢/٢).

<sup>(</sup>٢) ابن الأثير (٢/١٧٤) .

<sup>(</sup>٣) الإسابة (٣٠٩/١) و (١٩٤/٢) و (٢٣٠/٤ ) .

<sup>(</sup>٤) الطَّبرى (٣/٤/٣) وأول من ندب أهل الردة هو عمر وكانوا فى أيام أبى بكر محرومين من الجهاد . وقد استخدمهم عمر جنودا فقط ولم يتول أى مرتد أية قيادة أبداً. (٥) الطبرى (٣/٨) وابن الأثير (١٧٤/٢) وهذا يدل أنه بذل جهودا مشرفة فى الجهاد قبل ذلك حتى أصبح موضم ثقة سعد لتولى قيادة الرجال .

<sup>(</sup>٦) شراف : ماء بنجد . راجع التغاصيل في معجم البلدان (٥/٢٤٦) .

 <sup>(</sup>٧) العديب : ماء على بعد أرباة أميال من القادسية يمر بها القادم من نجد قبل وصوله القادسية . وقبل هو واد لبني نمم على طريق حاج الكوفة ، وقبل هو حد السواد . راجع التفاصيل منجم البلدان (١٣٠/٦) .

فوصلها وعسكرت قواته هناك حتى وصلت قوات سعد بن أبي وقاص ، فتقدم زهرة على رأس المقدمة حتى نزل ( القادسية )(۱)

وكان فى (العُدَيْب) جندى فارسى يستطلع حركات أرمال المسلمين ، فخرج راكضاً نحو (القادسية) ليخبر الفرس عن قوة المسلمين وانجاه تقدمهم ، فلما علم زهرة بأمره انبعه وقتله بعد أن عجز أصحاب زهرة عن إلقاء القبض عليه (٢٠) وكان زهرة قد وجد فى (العذيب) رماحا ونشابا وأسفاطا من جلود وغيرها ، فانتفع بها المسلمون ، كما انتفعوا بالأموال الكثيرة التي حصلت عليها سرية بعثها زهرة للغارة على (الحيرة) (٣) وبذلك انتعش المسلمون من الناحية الإدارية .

وأكل سعد بن أبى وقاص تحشد قوات المسلمين فى القادسية ، وكان زهرة يقوم بواجب حماية تحشد المسلمين خوفا من مباغنة الفرس لهم ، فكانت طلائع الفرس تصطدم أول ما تصطدم بقوات زهرة (، وعندما أراد (رستم) قائد الفرس أن يرسل له المسلمون رجلا منهم يفاوضه ، أخبر زهرة سعداً بهذا الطلب ، فأرسل سعد إلى (رستم) المغيرة بن شعبة (ه).

كا أن (رستم) نفسه قام باستطلاع شخصي لمسكر المسلمين في القادسية ،

<sup>(</sup>۱) الطبرى (۲/۲) والقادسية موضع بينه وبين الكوفة خمسة عشر فرسخا وبينه وبين الكوفة خمسة عشر فرسخا وبينه وبين العديب أربعة أميال . راجع التفاصيل في معجم البلدان (۰/۷) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (۲۳۹) .

<sup>(</sup>٢) الطبرى (١٤/٣) .

 <sup>(</sup>٣) الطبرى (١٣/٣) وابن الأثير (١٧٥/٢) ، والحيرة مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة في موضع يقال له النجف . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣٧٦/٣) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (١٨٦) .

<sup>(</sup>٤) البلاذري ص ( ٢٠٨ ) .

 <sup>(</sup>٥) الطبرى (٣/٣) .

فرآه زهرة وكلاهما لا يعرف شيئا عن حقيقة هوية صاحبه ، فعرض (رستم) أن يصالح المسلمين ويجمل لهم جعلا على أن ينصر فوا عنه، وقال لزهرة: « أنتم جيراننا ، وقد كانت طائفة منكم في سلطاننا <sup>(١)</sup> ، فكنا نحسن جوارهم ونكف الأذى عنهم ونوليهم المرافق الكثيرة ونحفظهم في أهل باديتهم ، فنرعيهم مراعينا، وتميرهم من بلادنا، ولا تمنعهم من التجارة في شيء مر أرضنا ، وقد كان لهم في ذلك معاش » فقال له زهرة : « صدقت ، قد كان ما تذكر ، وليس أمرنا أمر أولئك ولا طلبتنا طلبتهم . إنَّا لم نأتـكم لطلب الدنيا ، إنما طلبتنا وهمتنا الآخرة ! . كنا كما ذكرت يدين اكم من ورد عليه منا ، ويضرع إليهم بطلب ما في أيديهم ، ثم بعث الله تبارك وتعالى إلينا رسولاً ، فدعانا إلى ربه ، فأجبناه ، فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم : إنى قد سلَّطت هذه الطائفة على من لم يدن بديني ، فأنا منتقم بهم منهم وأجعل لهم الغلبة ماداموا مقرين به ، وهو دين الحق ، لا يرغب عنه أحد إلا ذل ، ولا يعتصم به أحد إلا عز » . فقال له رستم : « ماهو ؟ » . قال زهرة : « أما عموده الذي لا يصلح منه شيء إلا به ، فشهادة : أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، والإقرار بما جاء به من عند الله تعالى . وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله تعالى . والناس بنو آدم وحواء أخوة لأب وأم » فقال رستم : « أرأيت لو أنى رضيت بهذا الأمر وأجبتكم إليه ومعى قومى ، كيف يكون أمركم ؟ أترجعون ؟ » . قال زهرة : « إى والله لا نقرب بلادكم

<sup>(</sup>١) يقصد رستم المناذرة في الحيرة وفي المناطق المجاورة لها والقبائل العربية القاطنة في البحرين وعمان على الحليج العربي والتي كانت تخضع الإمبراطورية الفارسية في بعض الأحيان .

أبداً ، إلا في تجارة أو حاجة ! (١) » ، فإذا صحت هذه الرواية عن زهرة ، فهى دليل قاطع على قابليته فى اقناع خصومه بأن الحرب التى يخوضها المسلمون هى حرب عادلة لها أهداف سامية ، وهى بعيدة عن الظلم والاستغلال والعبث ، وبذلك يحطم معنويات خصومه فى أحرج الأوقات ، ولا يمكن أن ينتصر حيث يفتقر إلى المعنويات !

### (ب) في القادسية:

لما نشب القنال بين الفرس والمسلمين ، اندمجت قوات المقدمة التي يقودها زهرة بالقطعات المقاتلة الأخرى ، لذلك سلم سعد قيادة الميسرة لزهرة مكان شرحبيل بن السمط الكندى (() ، فكان زهرة قائداً للميسرة في معركة القادسية الحاسمة (() ، فكان لبلاء زهرة وثباته أثر كبير في انتصار المسلمين لذلك كان من بين خسة وعشرين بطلا فصلهم سعد في العطاء لبلائهم في القادسية (3) بلاء مشرفاً ا .

ولما انكشف أهل فارس، أمر سعد زهرة بمطاردتهم، فحرج على رأس

 <sup>(</sup>۱) الطبرى ( ۳/ ۴۳ ـ ۳۳ ) وقد ذكر الطبرى أن رستم اقتنع بوجهة نظر زهرة وبا رائه ، ولكن أصحابه أنفوا من الاستسلام لمسلمين .

<sup>(</sup>۲) شرحبيل بن السمط الكندى : أدرك النبي سلى الله عليه وسلم وروى عنه حديثا واحداً هو «لا نزال أمني قوامة على أمر الله لا يضرها من خالفها » ، وقد شهد القادسية وكان أميرا على حمص لماوية ثم مات سنة أربعين للهجرة . واجع طبقات ابن سعد (۷/۰٤) والأصابة (۱۹۹/۳) وأسد الفابة (۳۹۱/۳) والاستيماب (۲۹۹/۳) ، وجاء في الطبرى (۳/۳) في وصفه عند الحديث عن معركة القادسية ما يلى : « وكان غلاما شابا ، وكان قد قاتل أهل الردة ووفي الله ، فعرف ذلك له ، وقد غلم الأشمث بن قيس الكندى على الشرف » .

<sup>(</sup>٣) الطرى ( ٢/٣) .

<sup>(</sup>٤) ابن الأثر ( ١٨٧/ ) .

المقدمة في آثارهم (۱) ، فأدرك (الجالينوس) في آخر القوات الفارسية يحنى تراجعها ، وكان الجالينوس ملكا من ملوك الفرس وأحد قادتهم الكبار ، يمتطى فرسه المطهم ويرتدى أفحر النياب والحلى ، فحمل عليه زهرة الذي كان على فرس له ، عنانها من حبل مضفور كالمقود ، وحزامها شعر منسوج ، فقتل الجالينوس ، وجاء بسلبه إلى سمد ، فكأن سمداً استكثر قيمة هذا السلب ، فكتب إلى عمر في أمره ، فكتب عمر إلى سعد : « تعمد إلى مثل زهرة وقد صلى بمثل ماصلى به ، وقد بتى عليك من حربك ما بتى ، تكسر قرنه وتفسد قلبه ؟!! امض له سلبه ، وفضله على أصحابه عند العطاء بخمسائة » فدفعه سعد إلى زهرة ، فباعه بسبعين ألف دره (۲).

# (ح) الفاتح:

لما فرغ سعد من أمر القادسية ، أقام بها بعد الفتح شهرين وكاتب عمر فيا يفعل ، فكتب إليه عمر يأمره بالمسير إلى المدائن (٢) ، فجعل سعد على المقدمة زهرة وأمره بالتقدم ، فسار زهرة حتى نزل الكوفة (١) وانتظر هناك حتى نزل عليه عبد الله بن المعتم وشرحبيل بن السمط ، فارتحل زهرة حين نزلا

<sup>(</sup>١) الطبرى ( ٣/٣ )٠

<sup>(</sup>۲) الطبرى ( ۲۱/۳ ) وفتوح الشام للواقدى ( ۲/۰/۲ ) .

<sup>(</sup>٣) ابن الأثير ( ١٩٦/٢ ) .

<sup>(</sup>٤) الطبرى ( ١١٣/٣) : ( إن الكوفة كل حصباء وسهلة حمراء مختلطتين ) إذ أن مدينة الكوفة لم تكن قد مصرت حينة الله ، لأن تقدم جيش سعد نحو المدائن جرى سنة خس عشرة الهجرة وانظر فتوح جرى سنة سبع غشرة الهجرة وانظر فتوح الشام للواقدى ( ٢٠/٢) وقد ذكر الواقدى أن اسمه : زهرة بن جويرة وهذا خطأ لإجماع المصادر الأخرى على أن اسمه زهرة بن الحوية .

عليه نحو المدائن ، فلما انتهى إلى ( بُرْس ) لقيه جمع من الفرس ، فهز ، هم وقتل هو قائدهم (١).

ومكث زهرة ريم عقدله (بسطام) دهقان (برس) الجسور وأتاه بأخبار الغرس الذين تحشدوا (ببابل) ، فكتب زهرة إلى سعد بالخبر ، فارتحل سعد بالناس إلى (برس) ، ثم قدم زهرة إلى بابل ، وتقدم جيش المسلمين من ورائه، ولما أنجز المسلمون تحشد قواتهم ببابل ، قاتلوا القوات الفارسية هناك ، فهز ، وهم في أسرع من لفت الرداء (٢٠).

وقد معد زهرة إلى (بَهْرَ سِيرٌ) (") ، فتلقاه دهقان (ساباط) وصالحه على الجزية (أ) . وفي طريقه إلى المدائن ، قضى زهرة على كتيبة للفرس ، ثم انتظر تجمّع قوات المسلمين حول (بهرسير) (الواقعة على ضفة دجلة اليمنى مقابل (المدائن) التي تقع على ضفة النهر اليسرى ، فحاصرها سعد وضربها بالمنحنيقات ودب إليها جنوده بالدبابات ، وكان على زهرة درع مفصومة ، فقيل له : لو أمرت بهذا الفصم فتسرد! فقال : ولم ؟ 1 » فقالوا : نخاف عليك منه : فقال : « إلى لكريم على الله إن ترك سهم فارس الجند كله ثم أتانى من هذا الفصم حتى يثبت في 1 » ولكنه أصيب بسهم ، فكان أول رجل من هذا الفصم حتى يثبت في 1 » ولكنه أصيب بسهم ، فكان أول رجل

<sup>(</sup>۱) الطبرى (۳/۳۱ – ۱۱۶) وابن الأثير (۱۹۲۲)، برس: موضع بأرض بابل فى ضواحى مدينة الحلة حالياً. راجع التفاصيل فى معجم البلدان (۱۸/۲). (۲) الطبرى (۲/۳٪) وابن الأثير (۱۹۲/۳).

 <sup>(</sup>۳) بهرسیر : مدایئة من نواحی سواد بغداد قرب المدائن . راجع التفاصیل
 ف معجم البلدان ( ۳/۱٤/۲ ) .

 <sup>(</sup>٤) ساباط: مدينة بالغرب من المدائن و تسمى (ساباط كرى). راجع التفاصيل
 ف معجم البلدان (٣/٥) وانظر الطبرى (٣/٦/٣) وفتوح الشام للواقدى (٣٢٦/٢).
 حول الصلح .

<sup>(</sup>٥) الطبرى ( ٦/٣ / ١١ ) وابن الأثير ( ١٩٦/٣ ) .

من المسلمين أصيب يومئذ بنشابة فثبنت فيه من ذلك الفصم ، فقال بعضهم : انزعوها عنه . فقال : « دعونى ، فإن نفسى معى مادامت في ، لعلى أن أصيب منهم بطعنة أو ضربة » فمضى إلى العدو وضرب بسيفه (شهريار) أحد قادة الفرس ، فقتله ( ) . واشتد الحصار بأهل المدائن الغربية ( بهرسير ) ، حتى أكاوا السنانير والكلاب مما اضطرهم على الانسحاب إلى المدائن عبر النهر فدخل المسلمون ( بهر سير ) فاتحين () .

### الإنسان:

لم يرد ذكر زهرة فى معركة فتح (المدائن) ولا فى ممارك الفتح الأخرى، مما يدل على أن جرحه فى معركة (بهر سير) كان بليغاً جداً ، حتى عده كثير من المؤرخين فى عداد الشهداء (٢)، وكانت إصابته بهذا الجرح البليغ هى التى حالت بينه وبين مواصلة جهاده فى معارك الفتح (١).

<sup>(</sup>۱) الطبرى ( ۱۱۷/۳ – ۱۱۸ ) وابن الأثير ( ۱۹۰/۳ ) وفي الطبرى وفتوح الشام للواقدى ( ۱۲۷/۳ ) أن زهرة قتل في هذه الممركة، والصحيح أنه عاش إلى عهد الحجاج بن يوسف الثانى ، فقتله شبيب الحارجي كما سيرد ذكر ذلك . وقد استدرك الطبرى ، فروى أنه قتل وروى أنه لم يقتل ثم أورد تفاصيل مقتله في أيام الحجاج .

<sup>(</sup>۲) ابن الأثير ( ۱۹۷/۲ ) والطبرى ( ۱۱۸/۳ ) .

 <sup>(</sup>٣) راجع الطبرى (١١٨/٣) وابن الأثير (١٩٧/٢) وفتوح الشام ( ١٩٧/٣)
 ولكن ابن الأثير يستدرك فيقول: ( ٥٠٠٠ واحيط به فقتل ( يعنى زهرة ) وقيل إن زهرة عاش إلى أيم الحجاج » ، وانظر أيضاً أسد الفابة ( ٢٠٦/٣) والإصابة ( ١٣/٣) .

<sup>(</sup>٤) جاء في الطبرى (٧١/٣) أن زهرة كان شابا في نلك الأيام. لهذا لا أستبعد أبدا أن يكون جرحه في معركة ( بهرسير ) ثرك فيه عاهة مستديّة أعانته عن مواصلة جهاده، إذ أن بطولته النادرة جعلته يبرز في كل معركة خاضها ، فليس من المنطق ولا من المعقول أنه شارك في الجهاد بعد معركة ( بهرسير ) دون أن يترك آثارا مشرفة يذكرها التاريخ كا هي عادته في أمثالها من المعارك التي خاضها قبل إصابته مجروح بليفة .

وسكن زهرة الكوفة واستقربها ، ولكنه لم يشارك فى إثارة الفتنة الكبرى ولم يكن له موقف يذكر فى مناصرة أحد الطرفين المتنازعين بعد مقتل عثمان بن عفان سواء كان ذلك بلسانه أو بسيفه ، مما يدل على اعتزاله الفتنة أسوة بمن اعتزلها من كبار صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما أنه لم يشارك فى الفتن التى حدثت بعد الفتنة الكبرى حتى وافاه الأجل المحتوم .

لقد كان زهرة سيداً في الجاهلية سيداً في الإسلام (١) لرجاحة عقله ومتانة أخلاقه وحسن تصرفه في الأمور . وكان تقياً ورعاً ، قال عنه عمر بن الخطاب في رسالة بعث بها إلى سعد : « أنا أعلم بزهرة منك ، وإن زهرة لم يكن ليغيب من سلب سلبه شيئا (١) » . وكان وفياً صادقاً شهماً غيورا محباً للخير . وكان لا يدخر وسعاً للمعل في سبيل جمع شتات المسلمين وفي سبيل القضاء على عوامل التفرقة والفتن بينهم ، ومن أجل ذلك ضحى بحياته وهو شيخ كبير . . . فقد عاث شبيب الخارجي (١) في الأرض فسادا وزاد خطره في أيام الحجاج

<sup>(</sup>١) الطبرى ( ١/٣ V ) .

<sup>(</sup>٢) الطبرى ( ١/٣ ) .

<sup>(</sup>٣) شبيب بن يزيد الشيباني الحارجي : كان خروجه في خلافة عبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف الثقل بالمراق يومئذ ، فيمث إليه الحجاج خمسة قواد ، فقتلهم والحدا بعد واحد . دخل شبيب الكوفة فتحمن الحجاج في قصر الإمارة ، ودخلها معه أمه جهزة وزوجته غزالة غند الصباح ، وكانت غزالة قد ندرت أن تدخل مسجد الكوفة فتصلى فيه ركمتين تقرأ فيهما سورة البقرة وآل عمران ، فاتوا الجامع في سبعين رجلا ، فصلت فيه الغداة وخرجت من نذرها ، فعير الحجاج بعض الشعراء بقوله :

أسد على وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر هلا برزت إلى غزالة في الوغى بل كان قلبك في جناحى طائر ولما عجز عنه الحجاج بعث عبد الملك إليه عسا كركثيرة من الشام وتكاثروا على شبيب فانهرم، ثم مات غرفا، وكان مولده سنة ست وعشرين للهجرة وغرقه سنة سبع وسبعين للهجرة ، راجع التفاصيل في وفيات الأعيان ( ١٦٤/٢ ) .

ابن يوسف النقنى وقضى على كثير من قواته ، فأظهر الحجاج تدمره من فشل أهل الكوفة فى القضاء على شبيب ، ولكن زهرة قال للحجاج : « إنك إنما تبعث إليهم الناس متقطعين ، فاستنفر الناس إليهم كافة ، فلينفر إليهم الناس كافة ، وابعث عليهم رجلا ثبتا شجاعاً مجرباً للحرب ، ممن يرى الفرار هضما وعارا والصبر مجداً وكرماً » . فقال الحجاج : « فأنت ذاك ، فاحرج ! » فقال زهرة : « إنما يصلح للناس فى هذا رجل يحمل الرمح والدرع ويهز السيف ويثبت على متن الفرس ، وأنا لا أطيق من هذا شيئاً ، وقد ضعف بصرى وضعفت ، والكن أخرجني فى الناس مع الأمير ، فإنى إنما أثبت على الراحلة ، فأكون مع الأمير فى عسكره ، وأشير عليه برأيى » . فقال الحجاج : «جزاك الله عن الإسلام وأهله فى أول الإسلام خيرا ، وجزاك الله عن الإسلام في آخر الإسلام خيرا ، وجزاك الله عن الإسلام في آخر الإسلام خيراً ، فقد نصحت وصدقت ، وأنا مخرج الناس كافة ،ألا فسيروا أيها الناس » خيراً ، فقد نصحت وصدقت ، وأنا مخرج الناس كافة ،ألا فسيروا أيها الناس»

وسار الناس حتى وصلوا منطقة (ساباط) حيث دارت رحى معركة طاحنة بينهم وبين الخوارج بقيادة شبيب الخارجي ، وكان زهرة بجلس مع قائد أهل الكوفة في القلب ، قاستطاع الخوارج دحر أهل الكوفة ، فتجلد قائدهم ، فقال له زهرة يشجعه : « أحسنت ا فعلت فعل مثلك !! والله والله لو منحهم كتفك ما كان بقاؤك إلا قليلا! أبشر ، فإنى أرجو أن يكون الله قد أهدى إلينا الشهادة عند فناء أعارنا » . وثبت قائد أهل الكوفة بعد أن انفض عنه رجاله ، فات بطلا ، وكان اسمه عناب بن ورقاء الرياحي (١) مأما زهرة فقد وطئته الخيل ، فأخذ يذب بسيفه وهو شيخ كبير لا يستطيع أما زهرة فقد وطئته الخيل ، فأخذ يذب بسيفه وهو شيخ كبير لا يستطيع أن يقوم ، وهكذا قتل هذا الشيخ وهو ثابت الجنان صامداً لا يخاف الوت وذلك في سنة سبع وسبعين هجرية ( ١٩٦٦ م ) .

<sup>(</sup>١) عتاب بن ورقاء الرياحي النميمي : ولاه مصمب بن الزبير إمارة أصبهان ثم انتدبه الحجاج لقتال شبيب الحارجي فقتل سنة سبع وسبعين للهجرة راجع الأعلام للزركلي (٣٥٨/٤) .

ولما رأى شبيب قائد الخوارج زهرة صريعاً ، أبنّه بقوله: « لرب يوم من أيام المسلمين قد حسن فيه بلاؤك وعظم فيه غناؤك ، ولرب خيل المشركين قد هزمتها وسرية لهم قد أغرتها وقرية من قراهم جم أهلها قد افتتحتها ... الخ<sup>(۱)</sup> » ، وهذا أبلغ وأروع ما يمكن أن يرثى به عدو عدوه ، وقد بما قالوا: والفضل ما شهدت به الأعداء ! .

#### الفائر:

يمكن اعتبار زهرة من ألمع قادة الفتح الإسلامي عندما يتولى قيادة المقدمات وقوات المطاردة ، فقد نجح في اشغاله هذين الواجبين نجاحاً باهراً يدعو إلى الإعجاب الشديد .

إن هذين الواجبين يحتاجان إلى قائد شجاع ، وقد كان زهرة يتحلى بشجاعة الطولية نادرة تجعله في مصاف أبطال الحروب في التاريخ. ولم تكن شجاعته الشخصية الفدة تجعله يزاج بقطعاته في المخاطر والمهالك ، بل كان بحرص كل الحرص على أن تبقى قطعاته في أمان ، بينما يعرض نفسه هو للمخاطر من أجل سلامتها ...

لقد كان شجاعاً من غير تهور ، يؤمن بفائدة الاستطلاع ولا يدخر وسعاً في سبيل إنجازه ، ويحرص على حماية قطعانه من مباغتة العدو لها ، ولا يتقدم إلا على هدى وبصيرة : يحصل على المعلومات عن العدو وحركاته ، ويؤمن القوات الكافية للتقدم .

كاكان مندفعاً يتحمّل المشاق ولا يكل من التعب ، وأعانه على ذلك شبابه (٢) وحيويته وصبره .

<sup>(</sup>۱) راجع الفاصيل عن مقتله فى الطبرى ( ١٤/٥ ـ ٩١ ) وابن الأثير ( ١٦٣/٤ ) - ١٦٤ ) ، وانظر الإصابة ( ١٣/٣ ) عن رثاء شبيب لرهرة . (۲) الطبرى ( ١/٣ ) .

كل هذه المزايا جعلت زهرة قائداً ألمعياً في ممارك المقدمات والمطاردة ، وجعلت سعداً يحرص على تـكليفه بإنجاز هذين الواجبين ! .

لقد وصف زهرة مزاياه فى القيادة بصورة غير مباشرة فى حديثه مع الحجاج عن حرب شبيب الخارجى ، فنصحه أن يحشد قواته كلها لضرب عدوه ولا يرسلها متفرقة ، وأن يؤمر علمها قائداً ثبتاً شجاعاً مجربا للحرب يرى الفرار هضماً وعاراً والصبر مجداً وكرماً ، بحمل الرمح والدرع وبهز السيف ويثبت على صهوة الفرس . .

ذلك موجز ما قاله زهرة الحجاج وهو ينصحه ، ولست أجد وصفاً ينطبق تمام الانطباق على مزايا قيادة زهرة مثل هذا الوصف الموجز البليغ .

لقد كانت لزهرة قابلية ممنازة لإعطاء القرار السريع الصحيح ، وكان شجاعاً ذا إرادة قوية ثابنة ، يتحمّل المسؤولية بلا تردّد ، يعرف مبادىء الحرب عن تجربة وممارسة ، له نفسية لا تنبدل في حالتي النصر والاندحار . يتمنع بمزية سبق النظر ، يعرف نفسيات رجاله وقابلياتهم ، يثق بقطعاته ويحبها وتثق به وتحبه نظراً لشخصيته القوية وممارسته للحرب جندياً وقائداً ولماضيه الناصع المشرف .

وعند تطبيق أعماله العسكرية على مبادىء الحرب ، نجد أنه ( بختار مقصده ويديمه ) وكان مقصده دائماً القضاء بنفسه على قائد العدو لتتفرق قطعاته عنه ؛ كل معاركه ( تعرضية ) ؛ يعمل على ( مباغتة ) خصهه فى الزمان والمسكوب ، ويبذل غاية جهده ( لتحشيد قوته ) قبل البدء بالقتال ، ويوفّر لها الحماية اللازمة وذلك بالحصول على المعلومات عن العدو ومنع العدو من الحصول على المعلومات عن العدو ومنع العدو في ( أمن )قبل القتال وأثناءه و بعده .

وكانت خططه العسكرية تتسم بطابع (المرونة) ، يضع نصب عينه عند إعدادها تأمين (التعاون) بين صنوف قطعاته من جهة ، وبينها وبين قطعات المسلمين التي يقوم بحايتها من جهة أخرى ، كما أنه يعمل على (إدامة المعنويات) وإنجاز كافة متطلبات (الأمور الإدارية) لرجاله خاصة ولقوات المسلمين عامة .

إن زهرة قائد عبقرى بحق ، أثبت جدارة فائقة فى قيادة الرجال خلال فترة قصيرة من أعماله العسكرية ، ولست أشك أن هذه الفترة لو طالت لنافس زهرة فى شهرته المثنى بن حارثة الشيبانى ، وخالد بن الوليد المخزومى ، لأن قابلياته فى القيادة ومزاياه العسكرية تشابه قابلياتهما ومزاياها إلى حد بعيد !

# زهرة في الشاريخ :

يذكر التاريخ لزهرة ثباته الراسخ على عقيدته فى أيام ردة أهل البحرين ، ويذكر له انتصاره لعقيدته ودفاعه عنها . دفاع المستميت ، حتى عادت رايات الإسلام ترفرف ثانية فى ربوع بلاده .

ويذكر له نجاحه في حماية قوات المسلمين عند حركتها من منطقة تحشدها في (شراف) حتى وصولها القادسية ، ويذكر له حماينه لتحشد قوات المسلمين في القادسية ، ويذكر له مواقفه البطولية وقيادته الحكيمة للميسرة في أيام القادسية. ويذكر له مطاردته الشديدة التي حطّمت كثيراً من قوات الفرس بعد القادسية ، مما سهل انتصار المسلمين علمهم فما بعد . ويذكر له قيادته الناجحة للمقدمة بعد القادسية حتى وصول المسلمين عاصمة كسرى .

إن زهرة من أبر زالقادة الذين كان لهم أثر حاسم في انتصار المسلمين على الفرس في معركة القادسية الحاسمة ، وفي انتصارهم بعد هذه المعركة حتى دخو لهم (المدائن). وأخيراً يذكر له الناريخ تضحيته بنفسه في سبيل جمع كلة المسلمين ووحدتهم،

وترفعه عن كل أسباب إشاعة الفوضى والفتن وتفرقة الصفوف .

رضي الله عن الصحابي الجليل القائد البطل زهرة بن الحوية التميمي.

# **عتادة فستت** محور دياتي من للدائن إلى حلوان

# هاثم برعت بذبن أبي وقاص لزهري

# فاتح محور ديالي من المدائن إلى جلولا.

#### إسلامه وأبامه الاُولى:

هو أبو عمرو هاشم بن عتبة بن أبى وقاض من بنى زهرة ، وهو ابن أخ سعد بن أبى وقاص (١) فانح العراق .

والمصادر التى بين أيدين لا تتحدث عن أيام هاشم قبل الإسلام ، وقد لا تختلف شيئاً عن حياة أترابه من قريش: اشتغال بالتجارة وعكوف على الاوثان ، وحياة رتيبة فى جوار البيت الحرام.

أسلم هاشم يوم الفتح (٢) فهو من الطلقاء ، وشهد غزوة حنين مع الذين أسلموا من قريش يوم فتح مكة ، وبذلك نال هاشم شرف الصحبة وشرف الجهاد تحت نواء الرسول القائد .

ولم یکن هاشم شدید العداوة للنبی ولدعو ته قبل إسلامه ، إذ المعروف أن الذین لم یسلموا من بنی زهرة لم یکو نوا فی یوم من الآیام شدیدی العداوة للرسول وللإسلام: خرجوا مع قریش لقتال المسلمین فی ( بدر ) ، ولکنهم رجعوا قبل نشوب القتال ، فلم یشهد معرکة ( بدر ) مع قریش زهری واحد (۲۰)؛

<sup>(</sup>١) الايصابة ( ٦/٥٧٧ ) وانظر جهرة أنساب العرب ( ١٧٠ ) ..

<sup>(</sup>٢) الارسابة ( ٦/٥/٦ ) والاستيماب ( ١٠٤٦/٤ ) .

<sup>(</sup>۳) ابن هشام (۲۰۸/۲) .

كا أنهم لم يقاتلوا النبى بضراوة بعد ( بدر ) كما فعل غيرهم من بطون قريش ؛ ولعل من أسباب ذلك أنهم أخوال النبى لأن أمه ( آمنة ) بنت وهب من بنى زهرة ، ولأن سعد بن أبى وقاص — وهو من أبرز وأحب رجالاتهم كان بين صفوف المسلمين الأولين ، كما أنهم كانوا معروفين بين ( قريش ) بالتفكير السلم الذي يرشدهم إلى طريق الحق والسلام .

#### مراده :

### ١ - مع خالد بن الوليد:

قاتل هاشم المرتدين نحت لواء خالد، فلما انتهت حروب الردة وسار خالد بن الوليد يحو العراق كان هاشم معه فى معاركه التى خاضها فى العراق، فلما توجه خالد نحو الشام كان هاشم من بين الذين انتخبهم خالد من جيش العراق. فشارك خالداً فى المعارك التى خاضها فى طريقه إلى الشام.

وفى معركة (اليرموك) برزهاشم فدائياً وقائداً ، فقد انتخب خالدفدائيين من أبطال المهاجرين والأنصار عددهم مائة فارس فقط<sup>(1)</sup>للتأثير على معنويات الروم فى ابتداء معركة اليرموك ، وكان هاشم أحد هؤلاء الفدائيين المنتخبين .

وبعد أن فعل هؤلاء الفدائيون الأعاجيب، تولى هاشم قيادة مشاة المسلمين في معركة (اليرموك) (٢٠)في رواية وقيادة كردوس من مشاة المسلمين في رواية

 <sup>(</sup>١) فتوح الشام - للواقدى ( ١٢٠/١ ) .

<sup>(</sup>۲) فتوح الشام — الواقدى ( ۱۳۴/۱ ) وذكر الطبري فى ( ۹۳/۲ ) أنه كان قائد كردوس من كراديس جيش العراق ، وأنا أميل إلى رأى الطبرى ، لأن مشاة المسلمين فى البرموك وزعوا إلى كراديس ، المكل كردوس قائد خاس . ولم يكن المشاة مجموعة واحدة ليتولى قيادتها قائد واحد .

أخرى ، وفى هذه المعركة فقد إحدى عينيه (١) ، وقاتل الروم بشجاعة فائقة كان لها أثر ملموس فى انتصار المسلمين على عدوهم فى هذه المعركة الحاسمة.

# ۲ — مع سعد بن أبى وقاص :

أولا: لما أصبح الموقف العسكري في العراق خطيراً ، وتولى سعد ابنأ بي وقاس منصب القيادة العامة فيه ، أصدر عمر بن الخطاب أمره إلى القائد العام في بلاد الشام أبي عبيدة بن الجراح ، بأن يصرف أهل العراق من أصحاب خالد إلى العراق ، فأعاد إلى العراق كافة الرجال الذين جاءوا مدداً إلى الشام وهم ستة آلاف<sup>(۱)</sup>وذلك بعد فتح الشام الذى تم قبل القادسية بشهر واحد ،وأمر على هذا الجيشهاشم بنعتبة ،وجعلءلىمقدمته القعقاع بن عمرو التميمىوعجله أمامه كي يدرك سعدا قبل فوات الأوان ، فقدم القعقاع علىالناسصبيحة يوم ( أغواث ) وهو اليوم الثاني من أيام القادسية ، فرفع قدومه وجهاده البطولي معنويات المسلمين. وفي اليوم الثالث من أيام القادسية وهو يوم ( عماس) أدرك هاشم وجنوده رجال القعقاع ، فجعل رجاله فرقاً وأمرهم أن يتلاحقوا درا كا ، فلا تسير فرقة حتى تغيب الأخرى عن نظرها ، وسار هاشم على رأس الفرقة الأولى ، حتى إذا خالط القلب ، كبر وكبر المسلمون . واندفع هاشم وهو يرمى العدو بأسهمه حتى بلغ النهر، ثم عاد فسكرتر فعلمته، فلم يجرؤ أحد على مصاولنه<sup>(٢)</sup>.

<sup>(</sup>۱) البلاذرى س ( ۱٤۱ ) .

<sup>(</sup>۲) الطبرى ( ۲/۳ه ) ، وقد ذكر الدكتور حسين هيكل أن عددم ثمانية آلاف فكتابه ( الغاروق عمر ) فى ( ۱٬۳/۱ ) ولكنه عاد فذكر فى ( ۱۷۲/۱ ) من نفس الكتاب أن عددم سنة آلاف ، والصعيح أن عددم سنة آلاف .

<sup>(</sup>٣) الطبرى ( ٣/ ٩٠ ) وابن الأثير ( ١٨٠/٢ ) .

لقد كان لقدوم قوات هاشم في الوقت المناسب أثر حاسم في انتصار المسلمين على الفرس في معركة القادسية الحاسمة ، كما أن هاشما ( أبلي فيها بلاءاً حسناً ، وقام منه في ذلك ما لم يقم من أحد ، وكان سبب الفتح على المسلمين (١٠). ثانياً : أقام سعد بالقادسية بعد انتصار المسلمين فيها شهرين : ليستجمُّ المقاتلون ، وليعيدوا تنظيمهم ، وليكملوا قضاياهم الإدارية استعداداً للبدء بصفحة استثمار الفوز ، وذلك بفتح المدائن عاصمة كسرى ومن ثم فتح العراق كله ليكون قاعدة أمينة متقدمة للفتح الإسلامي بدلا عن الحجاز ، لأن الحجاز أصبح بعيداً جداً ، وأصبحت من جراء ذلك خطوط مواصلات المسلمين. طويلة للغاية . وفعلا وصل أمر عمر بالتوجه لفتح المدائن ، فعبأ سعد جيشه بقدمات: قدَّم زهرة بن الحوية ، ثم أتبعه بعبدالله بن المعتم ، ثم بشرحبيل ابن السمط، ثم بهاشم الذي جعله نائباً عنه بدلا عن خالد بن عرفطة الذي جعله على الساقة (٢<sup>)</sup>، فسارت قوات المسلمين من نصر إلى نصر : انتصروا في ( بُرُس )<sup>(۲)</sup> وفی ( بابل )<sup>(4)</sup>وفی ( ساباط )<sup>(۰)</sup>، وفیها قتل هاشم أُسداً رباه كسرى ودربه على القتال، إذ لم يكد هاشم يرىالأسد إلاوترجل وقتله بسيفه (٦٠). وانتهى المسلمون إلى ( المدائن ) وفتحوها ، فدخلها هاشم مع الفاتحين .

<sup>(</sup>١) الاستيماب ( ١/٤٥٥ ) .

<sup>(</sup>٢) الطبرى ( ١١٣/٣ ) .

 <sup>(</sup>٣) برس: موضع بأرض بابل فيه آثار قديمة وتل مفرطالماو يدعى: صرح البوس .
 راجع التفاصيل في معجم البلدان ( ٢٦/٢ ) .

 <sup>(3)</sup> بابل: مدينة قديمة أثرية بناها السكلدانيون ، ولا تزال أطلالها بالقرب من مدينة الحلة في الوقت الحاضر . واجع التفاصيل في معجم البلدان ( ١٨/٢ ) .

<sup>(</sup>ه) ساباط: مدينة بالقرب من المدائن تعرف به ( ساباط كسرى ) . راجع التفاصيل في معجم البلدان ( ۲/۰ ) .

<sup>(</sup>٦) ابن الأثير ( ٢/١٩٦) .

# ٣ – الفاتح:

لم يكد المسلمون يستقرون في المدائن، حتى علموا بأن القوات الفارسية قد عسكرت (بجلولاء)، وهي مدينة على طريق خراسان شال (المدائن)، فك تب عمر إلى سعد: « سرح هاشم بن عتبة إلى (جلولاء)(۱) في اثنى عشر ألفا، واجعل على مقدمته القعقاع بن عرو، وعلى ميمنته مسعر بن مالك، وعلى ميسرته عرو بن مالك بن عتبة، واجعل على ساقته عرو بن مالك، والجهنى هاك.

و فصل هاشم من ( المدائن ) ، حتى قدم على الفرس في ( جَاوُلاء ) ، فحاصرهم في خنادقهم وأحاط بهم ، واستمر الحصار نحو نمانين يوما ، وكانت الإمدادات ترد إلى الفرس بكثرة ، كما أمد سعد المسلمين . وأخيراً ، خرج الفرس من خنادقهم إلى العراء ، فاصطدمت قوات الطرفين ، فقام هاشم خطيباً في رجاله : « أبلوا في الله بلاء حسنا يتم عليكم الآجر والمغنم ، واعملوا لله » (٣) فاقتنلوا قتالا شديدا لم يقتنلوا مثله إلا ليلة (الهرير) أشد أيام القادسية ولياليها ، وهاجم المسلمون الفرس هجومين شديدين ، فاستطاع القعقاع دخول خندقهم واحتلاله ، وبذلك طوق المسلمون أعداءهم من جميع الجهات فقنلوا كما قيل من الفرس مائة ألف (٤) ولم يفلت منهم إلا القليل ! ا

وابتدأت مطاردة المسلمين لفلول الفرس ، إذ أصدر هاشم أمره إلى القعقاع

<sup>(</sup>١) الاصابة (٢/٥٧٧).

<sup>(</sup>۲) الطبرى ( ۱۲۲/۳ ) والبلاذرى ص ( ۲٦٤ ) .

<sup>(</sup>٣) الطبرى (٣/٣٣) .

<sup>(</sup>٤) ابن الأثير ( ٢٠٤/٢ ) .

للقيام بالمطاردة ، فدخل القعقاع خانقين وحلوان فأنحاً ، وبقى فى حلوان حتى تحوسل سعد إلى الكوفة ، فلحقه القعقاع (١٠)

وكتب سعد إلى عمر بفتح جلولاء وحلوان واستأذنه في النغلغل داخل بلاد الفرس، ولكن عمر أبي عليه ذلك قائلا: « لوددت أن بين السواد وبين الجبل سدا ، لا يخلصون إلينا ولا نخلص إليهم احسبناً من الريف السواد... إنى آثرت سلامة المسلمين على الأنفال » (٢) ، وكان هذا القرار صحيحاً للغاية ، وذلك لتوطيد الفتح في العراق حتى يمكن أن يكون قاعدة أمينة متقدمة كأ أسلفنا ، يمكن الاستناد علمها في استئناف الفتح القريب!

## أيام بعد الفشح :

استقر هاشم فى الكوفة بعد تمصيرها مع عمه سعد بن أبى وقاص ، يعاونه فى إدارة شؤون العراق ، ويدير معه الشؤون العسكرية فى أوج أيام الفتح الإسلامى ، حتى عزل عمر سعداً عن الكوفة سنة عشرين للهجرة (٢٠).

وقد قام هاشم بنفس الدور فى معاونة عمه سعد عندما تولى الكوفة ثانية فى خلافة عثمان بن عفان سنة أربع وعشرين للهجرة (٢) حتى عزله عثمان عنها . سنة ست وعشرين للهجرة (١)

ولم يكن هاشم يبخل بنصحه وإرشاده على غير سعد من ولاة الكوفة ،

<sup>(</sup>۱) ابن الأثير ( ۲۰۱/۲ ) والطبری (۱۳۰/۳) و (۱٤۰/۳ ) واکن البلادری ف ص ( ( ۲۹۹ ) يذكر أن الذي فتح خانقين وحلوان هوجرير بن عبد الله البجلي ، وقد ذكرتا تفصيل ذلك في ترجمة جرير .

<sup>(</sup>۲) الطبري ( ۳/۱۳۰) .

<sup>(</sup>٢) ابن الأثير ( ٢/٠٢٠.)

<sup>(</sup>٢) الطبرى (٣/٦/٣).

 <sup>(</sup>٤) الطبرى ( ٣/ ٣١ ). أما ابن الأثير في ( ٣١/٣ ) فيدكر أن سعداً عزل عن
 عن الكوفة سنة خمس وعشرين الهجرة .

بل كان لهم جميعاً خير عون فى السراء والضراء ؛ فكان لذلك موضع ثقتهم جميعاً .

وكان هاشم فى الكوفة لما قتل عنمان ابن عفان ، فلم يتردد أبداً عن مبايعة على ابن أبى طالب بعد ما علم بأن الناس فى المدينة المنورة بايعوه . قال هاشم لأبى موسى الأشعرى والى الكوفة بومذاك : « تعال يا أبا موسى بايع لخير هذه الأمة على » فقال أبو موسى : « لا تعجل » ، فوضع هاشم يده على الأخرى قائلا : « هذه لعلى ، وهذه لى ، وقد بايعت عليا »(١)

والمهم فى الأمر ، أن هاشم بن عتبة ، لم يشارك بقلبه ولا بلسانه ولا بيده فى الشغب على عثمان وفى قتله ، ولقد كان كارهاً لهذه الفتنة كرهاً شديداً .

لقد كان هاشم يؤمن إيماناً صادقاً بضرورة اجتماع قلوب المسلمين ووحدة كلتهم ، وكان يكافح كل عوامل تفرقة الصفوف وإشعال نيران الفتن ، لذلك قاتل مخلصاً في صفوف على بن أبي طالب ، وكان قائد المشاة في معركة صفين (٢) كما كانت معه راية على في تلك المعركة ، وقد قتل فيها هو وعمار بن ياسر في يوم واحد (٢) وذلك في سنة سبع وثلاثين للهجرة ، بعد أن أبلي في تلك المعركة أعظم البلاء.

#### شعره

تروى بعض المصادر التي بين أيدينا بعض الشعر لهاشم، منه ما قاله لما جاء نبأ مقتل عثمان إلى أهل الكوفة (١٠):

<sup>(</sup>١) الاصابة (٢/٦٧٦) .

 <sup>(</sup>۲) الاستيماب (۲/٤) . ۱ (۲)

 <sup>(</sup>٣) الطبرى (٣) ٢٨/٤) .

<sup>(</sup>٤) الأصابة (٦/٥٧١).

أبايع غير مكترث علياً ولا أخشى أميراً أشعريا<sup>(1)</sup> أبايعه وأعلم أن سأرضي بذاك الله حقاً والنبيا وقال وهو يقاتل في معركة صفين<sup>(1)</sup>:

أعور يبغى أهله محلا قد عالج الحياة حتى ملا لا به أن يفل أو يفلا يتلهم بذى الكعوب تلا وقطعت رجله يومئذ ، فجعل يقاتل من دنا منه وهو بارك ويقول (٣):

الفحل بحمى شوله معقولا

وعلى الرغم من صعوبة الحكم على شاعرية هاشم من هذه الأبيات القليلة، إلا أنه يمكن القول ، بأنه كان شاعراً له قريحة شعرية لا بأس بها ، لم تبلغ بشعره منزلة عالية تجعله بين الشعراء المجيدين !

#### الإنساله :

دراسة شخصية هاشم تدل بوضوح على أنه كان يتميز بميزتين ظاهر تين للعيان : الإخلاص الشديد ، والشجاعة النادرة .

نامس إخلاصه الشديد لعقيدته في كل حياته ؛ أخاص لدينه القديم حتى فنحت مكة ، فلما آن له أن يؤمن بالله ورسوله ، أخلص للإسلام ولمبادئه حتى توفاه الله .

وأخلص لعقيدته السياسية ، فلم يتردد أبداً في الدفاع عن الخليفة القائم ،

<sup>(</sup>١) يقصد أبا موسى الأشعرى والى الكوفة .

 <sup>(</sup>٧) ابن الأثير ( ١٢٣/٣ ) وق الإصابة (٢٧٩/٦ ) يروي صدر البيت الأول :
 أعور ببغى أهله عملا ، كما أن عجز البيت الثانى لم يذكر ق الإصابة .

<sup>(</sup>٣) الاستيماب (٤/٧٤).

ولم يتردد في محاربة الفتن ، وأخيراً ضحى بنفسه إخلاصاً لعقيدته في محاولة جمع شمل المسلمين .

لقد كان مثالاً حياً للإخلاص الشديد .

ونلمس شجاعته فى كل معركة خاضها ، وكان معدودا من أبرز أبطال المسلمين حتى لقبوه ( بالمرقال ) من ( الإرقال ) وهو ضرب من العدو<sup>(۱)</sup> ، لأنه كان يرقل فى الحرب أى بسرع فى تقدمه نحو العدو .

لقد كان مثالًا حيًّا للشجاعة النادرة .

وكان كريماً شهماً ، وفياً صادقاً ، ألفاً مألوفاً ، ذكياً متزناً ،كل هذا جعله موضع ثقة المسلمين وموضع ثقة أمرائهم وخلفائهم .

وكان لا يحرص على الإمارة ، فلم نعرف عنه أنه طالب أحداً بولاية أو إمارة ، وكان يعنبر ذلك تكليفاً لا تشريفاً !

ولم يذكر عنه أنه أثرى على حساب الفتح ، بينما شهد معركة اليرموك والقادسية وفتح المدائن ومعركة جلولاء، وكلها معارك أفاءت على الذين شهدوها من المسلمين مالا كثيراً ، ولمل سخاءه وكرمه لم يترك له غير الذكر الحسن ، وكأن الذي قال : ( الجود يفقر والإقدام قتال !! ) قصده بالذات ، إذ مات فقيرا قتيلا !

#### القائد

كان هاشم صحيح القرار سريعه ، وذلك لذكائه والزانه ولاستمانته دأمماً بذوى الرأى من رجاله والعمل بمشورتهم .

<sup>(</sup>١) الأيماية ( ٦/٥٧٦ ) والاستيماب ( ١٥٤٦/٤ ) .

وكان ذا إرادة قوية وشخصية نافذة وشجاعة نادرة وعقيدة راسخة ، يتحمّل المسؤولية ، يبادل رجاله ثقة بثقة وحباً بحب ، له ماض ناصع مجيد .

## هاشم فی الناریخ

يذكر التاريخ لهاشم بأنه قضى على مقاومات الفرس على محور المدائن — جلولاء — خانقين — قصر شيرين ، وهو المحور الرئيس لانسحاب القوات الفارسية من المدائن باتجاه فارس والذى تتيسر فيه مواضع دفاعية متعاقبة تسهل الدفاع عنه ، مما يجعلنا نامس أهمية قيادة هاشم ومقدار خدمته للفتح الإسلامى.

ويذكر له أثره الشخصى البارز فى انتصار المسلمين على الروم فى معركة اليرموك الحاسمة ، ولا يزال المؤرخون يتساءلون حتى اليوم : ترى الولم تصل قوات هاشم إلى ساحة معركة القادسية فى الوقت المناسب ، فاذا كان يحدث للمسلمين فى تلك المعركة ؟؟

إن التاريخ يذكر له أنه فاتح محور ديالى وأنه نشر الإسلام فى الربوع السكائنة بين (سلمان باك) الحالية وقصر شرين فى إيران عبر حدود العراق، فهل يذكره أهل تلك المنطقة ؟ وهل يذكره العرب والمسلمون فى كل مكان ؟؟

# القعف ع بن عروالتهيمي

# 

لا يهزم حيش فيه مثل القعقاع »
 أبو بكر الصديق

### الصحابى :

قدم وفد نميم على النبى صلى الله عليه وسلم فى السنة الناسعة للهجرة ('' بعد غروة ( تبوك ) : فدخلت قبيلة نميم فى الإسلام ومن بينهم القعقاع بن عمرو النميمى . قال القعقاع : « قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أعددت للجهاد ؟ قلت : طاعة الله ورسوله والخيل . قال : تلك الغاية » (۲) . وروى عنه أنه قال : « شهدت وفاة النبى صلى الله عليه وسلم » (۲) .

ولا نعرف له جهاداً في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه أسلم متأخراً، ولكنه نال شرف الصحبة (٤) وهو شرف عظيم ا

#### مراده:

#### ١ — في الردة :

كان علقمة بن عُلاَّتَة من بني (كلب ) قد أسلم نم ارتد في زمن الرسول

<sup>(</sup>۱) ابن الأثير ( ۲ ــ ۱۱۰ ) والطبرى ( ۲ ــ ۳۷۷) أنظر التفاصيل في طبقات ان سعد ( ۱ ــ ۲۹۳ ) .

<sup>(</sup>٢) الإصابة ( ٥ ــ ٤٤٢ ) .

<sup>(</sup>٣) أسد الغابة ( ٤ ــ ٢٠٧ ) وأنظر عكسه فى الإصابة ( ٥ ــ ٢٤٤ ) .

<sup>(</sup>٤) الطبرى (٣ ــ ٣٠٠ ) وابن الأثير (٣ ــ ٩١ ) .

صلى الله عليه وسلم ولحق بالشام ، ولكنه أقبل مسرعاً بعد وفاة النبي ، حتى عسكر في بني (كلب).

وبلغ ذلك أبا بكر ، فبعث إليه القعقاع بن عمرو() وأمره أن يغير عليه ليأسره أو ليقتله . فخرج القعقاع فى رجاله فلم يثبت له علقمة وفر" على فرسه ، ولكن أهله وامرأته وبناته أسلموا وجحدوا أن يكونوا على رأى علقمة . أما علقمة نفسه ، فقد رجع إلى أبى بكر تائباً فقبل منه وحقن دمه ، لأنه لم يقاتل المسلمين ولم يقتل أحدا منهم ().

## ٢ — مع خالد بن الوليد :

### (1) فى العراق : 🕆

سيّر أبو بكر إلى العراق خالد بن الوليد ، وكتب إليه وإلى عياض بن غنم: « أن استنفرا من قاتل أهل الردة ومن ثبت على الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يغزون معكم أحد ارتد حتى أرى رأيى » فسلم يشهد تلك الأيام مرتد (٣).

واحتاج خالد إلى الإمدادات ، فكتب إلى أبى بكر يستمده ، فأمده بالقعقاع ، فقيل لأبى بكر : أتمد رجلا قد ارفض عنه جنوده برجل ؟ فقال : « لا بهزم جيش فيه مثل هذا »(٤).

 <sup>(</sup>۱) الطبرى (۲ ـ ۹۰ ـ ۶) وقد ذكر ابن الأثير (۲ ـ ۱۳۳ ) « أن أبا بكر أرسل القمقاع بن عمرو وقبل التمقاع ابن سور » ... ولم أجد للقمقاع ابن سور ذكراً ف الإصابة ولا في أسد الفابة .

<sup>(</sup>۲) الطبرى ( ۲ ــ ٤٩٠ ) وابن الأثير ( ۲ ــ ۱۳۳ ) .

<sup>(</sup>٣) الطرى ( ٢ \_ ٤٥٥ ) ·

<sup>(</sup>٤) الطبرى (٢ - ١٥٥).

التحق القعقاع بخالد وشهد معه معركة (كاظمة) (١) وهي أول معركة كبيرة قاتل فيها خالد جيش الفرس بقيادة (هرمز) ، فأنقذ القعقاع خالدًا في هذه المعركة من الموت . فقد خرج هرمز ودعا خالدًا إلى البراز ، واتفق مع أصحابه للغدر بخالد ، فلما النقيا احتضنه خالد ، فشد أهل فارس يريدون قتل خالد واستخلاص (هرمز) من يديه ، ولكن القعقاع لم يمهلهم وحمل علمهم ، وشد المسلمون فانهزم الفرس أمامهم فطاردوهم بهاس شديد إلى الليل (١)

وقاتل القعقاع تحت راية خالد حتى دخلت قوات المسلمين ( الحيرة )<sup>(٣)</sup> وكان له أثر بارز فى كل معركة خاضها المسلمون ، فلما استسلمت ( الحيرة ) أرسل خالد قادته ومنهم القعقاع للتغلغل فى أرض ( السواد ) حتى دجلة (٤) فنجح القعقاع فى مهمته نجاحاً باهراً .

أصبحت (الحيرة) القاعدة المنقدمة لجيش المسلمين ، فلما أراد خالد الانحدار شمالاً لفتح (الأنبار) (°) و (عين التمر) (°) و ( دومة الجندل ) (°)، استخلف القعقاع على (الحيرة) (^) ، فحمى القعقاع ظهر خالد وحافظ على (الحيرة)

 <sup>(</sup>١) كاظمة: مدينة على ساحل الحليج العربى جنوب البصرة على طريق البحرين
 من البصرة ، بينها وبين البصرة مرحلتان راجلا . راجع التفاصيل في معجم البلدان
 ( ٧ - ٨٠٠ ).

<sup>(</sup>٢) ابن الأثير ( ٢ -- ١٤٨ ) .

 <sup>(</sup>٣) مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٣ – ٣٧٦) .

<sup>(</sup>٤) ابن الأثبر (٢ ــ ١٥٠) .

<sup>(•)</sup> الأنبار هي مدينة الفلوجة الحالية واقعه غرب بقداد علىالفرات . راجع التفاصيل في معجم البلدان ( ١ – ٣٤٠ ) .

 <sup>(</sup>٦) عين النمر : بلدة قريبة من الانبار غربي الكوفة بقربها موضع يقال له شفائة .
 راجع التفاصيل في معجم البلدان (٦ – ٣٥٣) .

<sup>(</sup>٧) راحع النفاصيل في معجم البلدان ( ٤ ــ ١٠٦ ) .

<sup>(</sup>٨) الطبرى (٢-٧٤٥).

قاعدة المسلمين المتقدمة ، وصدَّ هجوماً مقابلاً شنّه الفرس وحلفاؤهم على المناطق المجاورة للأنبار (١) .

وما كاد خالد يصل (الحيرة) عائداً من (دومة الجندل) حتى وجد القعقاع منهياً للحركة على رأس رجاله لضرب تحشدات الفرس فى موضع (حَصْيد)<sup>(۲)</sup> حيث أوقع خسائر فادحة فى الفرس وقتل بنفسه قائد الفرس<sup>(۲)</sup>.

وقاتل القعقاع تحت لواء خالد أيضاً في كل المعارك التي خاضها بعد ذلك (\*) حتى تحرك خالد بنصف قطعاته من العراق إلى الشام (\*) فكان القعقاع أحد الأبطال الذين اختارهم خالد ليعاونوه في مهمته الشاقة ، وهي فتح بلاد الشام .

وفى الطريق إلى الشام قاتل القعقاع تحت لواء خالد فى كافة المعارك التي خاضها خالد حتى النحقت قوات العراق بقوات الشام .

## (ب) في الشام:

اجتمعت قوات المسلمين في البرموك وتولى خالد بن الوليد القيادة العامة ، فكان القعقاع أحد الأبطال الذين اختارهم خالد وعددهم مائة فارس فقط من المهاجرين والأنصار فدائيين للتأثير على معنويات الروم في ابتداء معركة (البرموك) (٢٠) ، كما تولى القعقاع قيادة كردوس من كراديس العراق في معركة

<sup>(</sup>١) ابن الأثير ( ٢ – ١٥٢ ) ٠

<sup>(</sup>٢) حصيد : موضع في أطراف العراق على حدود الجزيرة ، راجع التفاصيل ف معجم البلدان ( ٣ ـ ٢٨٨ ) .

<sup>(</sup>٣) الطبري (٢ - ١٨٥) ٠

<sup>(</sup>٤) راجع التقاصيل في الطبري ( ٢ ـ ٥٨٠ ـ ٨١٥ ـ ٨٩٠ ) ٠

<sup>(</sup>ه) ان آلأثير ( ٢ ــ ٢٩٦ ) .

<sup>(</sup>٦) فتوح الشام للواقدي (١١ ـ ١٢٠) .

اليرموك (١٠) ، فكان القعقاع يهاجم الروم على رأس كردوسه وهو يرتجز (٢) ضارباً لرجاله في الشجاعة والإقدام أروع الأمثال .

ولما انتهت معركة البرموك الحاسمة ، علم المسلمون أن قوات جديدة من الروم قد عزرت حامية دمشق، فسار أبو عبيدة بن الجرّاح وخالد إلى دمشق ، فاصرها المسلمون سبعين يوماً دون جدوى ، لذلك قرر خالد أن يقوم بمغامرة جريئة لاحتلال المدينة ، فأعد حبالاً على هيئة السلالم ، فلما أرخى الليل سدوله نهض هو ومن معه من رجاله الذين جاءوا من العراق وتقدمهم خالد ومعه القعقاع وقالوا لرجالم : « إذا سمعتم تكبيراً على السور فارقوا إلينا » ، ثم تقدم نحو سور المدينة وألق سلالم الحبال ، فصعد القعقاع ومذعور بن عدى إلى أعلى السور وأثبتا بقية الحبال في شرف السور ، وكان المكان الذي اقتحموا منه أحصن مكان يحيط بدمشق حتى إذا صعد المسلمون السور هاجم خالد برجاله وعلى رأسهم القعقاع حماة أبواب المدينة ، فقتلوهم وفتحوا الأبواب للفاتحين وعلى رأسهم القعقاع حماة أبواب المدينة ، فقتلوهم وفتحوا الأبواب للفاتحين من المسلمين "

لقد ردّد خالد والقعقاع من فوق أسوار المدينة: الله أكبر . . . الله أكبر . . . الله أكبر . . . فكان ذلك إيذاناً بدخول المسلمين إلى دمشق بعد صعودها الطويل.

- ٣ في العراق ثانية :
  - (١) فى القادسية :

بعد فتح دمشق ورد كتاب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بن الجراح.

<sup>(</sup>۱) ألطبري ( ۲ ــ ۹۲ ه ) وابن الأثير ( ۲ ــ ۱۰۸ ) .

<sup>(</sup>٢) الطبري ( ٢ \_ ١٩٤ ) .

<sup>(</sup>٣) الطبرى ( ٢ ــ ٦٢٧ ) وابن الأنبر ( ٢ ــ ١٩٤ ) .

« اصرف حبد العراق إلى العراق وأمرهمالحث إلى سعد بن أبي وقاص » (١). قأمر أبو عبيدة هاشم بن عتبة على جند العراق ، وجمل على مقدمته القعقاع ، فعجّل القعقاع في مسيرته حيث وصل العراق في صبيحة اليوم الثاني من أيام القادسية وهو يوم ( أغواث ) وقد عهد إلى أصحابه وهم ألف رجل أن يكونوا. جماعات ، كل جماعة مؤلفة من عشرة رجال(١)، فسكلما بلغت جماعة منهم مدى البصر ، سرَّحوا في آثارهم جماعة أخرى ، ثم تقدم القعقاع مع الجماعة الأولى ، فأنى الناس وسلم عليهم وبشَّرهم بالجنود فقال : « يا أيها الناس . إنى َ جئتكم في قوم والله لوكانوا بمكانكم ثم أحسُّوكم حسدوكم حظوتها ؛ وحاولوا أن يطيروا بها دونكم ، فاصنعوا كما أصنع »(٢) · ثم تقدم ، فلماكان بين الصفين ، نادى : من يبارز ؟ فخرج إليه ذو الحاجب وعرَّفه بنفسه قائلاً : إنى ( بهمن جاذویه )(1) فنادي القعقاع: « يا لثارات أبي عبيدة وسليط وأصحاب يوم الجسر » 11 فاجتلدا فقتله القعقاع <sup>(٥)</sup>. وجعلت خيل القعقاع ترد جماعات وما زالت ترد إلى الليل فترفع معنويات المقاتلين من المسلمين ، حتى كأن لم يكن بالأمس مصيبة .

وطلب القمقاع البراز ثانية ، فخرج إليه أحد قادة الفرس، فعالجه بضربة أطاحت به سريعاً .

<sup>(</sup>١) الطبرى ( ٢ ــ ٦٣٧ ) .

<sup>(</sup>۲) ذكر الدكتور عجل حسين هيكل في كتابه (الفاروق عمر) في (۱ ــ ۱۷۲) أن القمقاع قسم رجاله الألف إلى عشرة فرق ، والصحيح أنه قسمهم إلى مائة قسم كل قسم مؤاف من عشرة رجال ، كما ذكر الطبرى في (۲ ــ ۲ه) وابن الألبر في (۲ ــ ۲۸۳) .

٠ (٢) الطبري (٢ - ٢٥) .

 <sup>(</sup>٤) هو قائد قوات الفرس في معركة النجسر التي استشهد فيها أبو عبيدة
 ابن مسمود الثقني .

<sup>(</sup>٥) الطبرى (٣ ـ ٢٥) .

و حمل بنو عم القعقاع بجهاعات مؤلفة كل منها من عشرة رجال على إبل قد ألبسوها وهي مجللة مبرقعة ، وأمرهم القعقاع أن يهاجموا بها خيل الفرس ، فحفلت خيول الفرس تفر منها وركبتها خيول المسلمين ، فلما رأى الناس ذلك فرحوا أشد الفرح ، إذ لق الفرس من هذه الإبل أعظم مما لق المسلمون من الفيلة في اليوم الأول من أيام القادسية (۱) ، وحمل القمقاع يوم ذاك ثلاثين حملة كلا طلعت جماعة من جماعاته حمل معهم وأصاب فيها (۱) فقتل وحده يومها من الفرس ثلاثين رجلاً (۱).

وبات القعقاع ليلنه كلها يسرّب أصحابه إلى المكان الذى فارقهم فيه من الأمس قائلاً لهم : « إذا طلمت لكم الشمس فأقبلوا مائة مائة كلا توارى عنكمائة فليتبعها مائة فاإن جاء هاشم فذاك، وإلا جدّدتم للناس رجاء وجدًا» (1). وقد نقد ذلك دون علم رجال القادسية الآخرين.

أصبح الناس على مواقعهم ، فلما ذرّ قرن الشمس طلعت نواصى خيل رجال القعقاع ، فكبر وكبر المسلمون ، وقالوا : « جاء المدد » فلما وصل آخر رجال القعقاع ، أخذت قوات هاشم تتوارد هى الأخرى . ولكن الفيلة ما لبثت أن عادت إلى مثل فتكها فى اليوم الأول من أيام القادسية . ورآها سعد تكبد المسلمين خسائر فادحة ، فأرسل إلى القعقاع وأخيه عاصم يقول : « اكفيانى الفيل الأبيض » وكانت الفيلة كلها آلفة له ، فأخذ القعقاع وعاصم رمحين أصمين لينين ودبا فى خيل ورجل ، فقالا : اكتنفوه لتحيروه ، ثم

<sup>(</sup>١) ابن الأثير ( ٢٣ – ١٨ ) والطبرى ( ٣ – ٤٥ ) .

<sup>(</sup>٢) الطبري (٣ ـ ٥٥).

 <sup>(</sup>٣) الإسابة ( • - ٢٤٤ ) .

<sup>(</sup>٤) الطبرى (٣ - ٥٩)

حملاً على الفيل فوضعاً رمحيهما معاً في عيني الفيل الأبيض ، فتراجع الحيوان من الألم وطرح سائسه ، ودلى مشفره فضربه القعقاع بسيفه فقطع مشفره (١).

وجاء الليل وكان سعد بن أبى وقاص قد أرسل قوات من المسلمين لحماية مخاضة كان يخشى أن تطوق قوات الفرس منها قواته ، ولكن قوات المسلمين بدلا من حماية المخاضة عبرتها وضربت مؤخرة الفرس ، فقد م الفرس صفو فهم زاحفين. ورأى القعقاع صنيعهم فزاحفهم هو الآخر من غير أن يستأذن سعداً ، فلما رأى سعد زحف القعقاع قال : « اللهم اغفرها له وانصره ، فقد أذنت له وإن لم يستأذنى » . وفعل الناس ما فعل القعقاع ، فاشتد القتال وحى وطيسه كما تقدم الليل ، وما كاد الليل ينتصف إلا وسمع سعد صوت القعقاع بهدر مرتجزاً ، فكان صوت القعقاع أول ما استدل به سعد على الفتح (٢٠) .

وتنفس الصبح عن هذه الليلة الدامية ، فسار القعقاع فى الناس يقول : « إنّ الدائرة بعد ساعة لمن بدأ القوم ، فاصبروا ساعة واحملوا ، فإنّ النصر مع الصبر » (٢) .

واجتمع جماعة من القادة ومعهم جنودهم ، فصمدوا لرستم حتى خالطوا الذين دونه ، عند ذاك بدأت صفوف الفرس تضطرب .

وزحف القعقاع ومن معه إلى سرير (هرمز) فلما وصلوه وجدوا (هرمز) قد قام عنه ، فاندفع القعقاع برحاله إلى ناحية النهر ، فوجد (هرمز) قد ألتى بنفسه فى النهر ، فرآه (هلال بن علقمة) فاقتحم النهر وراءه وقتله . فانهزم

<sup>(</sup>۱) الطبرى ( ٣ ــ ٦٢ ) والإصابة ( ٥ ــ ه ٢٤ ) .

<sup>(</sup>٢) الطبرى (٣ - ٦٧) .

<sup>(</sup>۲) ابن الأثير ( ۲ – ۱۸۲ ) .

الفرس وطاردهم القعقاع بأمر سعد وأوقع بهم خسائر فادحة (١) . كتب عر ابن الخطاب إلى سعد: « أى فارس كان أفرس فى القادسية ؟ فكتب إليه سعد: « إنى لم أر مثل القعقاع بن عمرو ، حمل فى يوم ثلاثين حملة يقتل فى كل حملة بطلاً » (٢) .

## (ب) في المدائن :

قرر سعد أن يعبر النهر على ظهور الخيل لفتح (٣) المدائن ، فندب الناس إلى العبور قائلا : « من يبدأ فيحمى لنا الفراض (١) حتى تنلاحق به الناس لكى لا يمنعوهم من العبور ؟ » فانتدب له عاصم أخو القعقاع فى سنمائة من أهل النجدات ، فعبر عاصم على رأس كنيبة أطلق عليها اسم (كنيبة الأهوال) فكان عاصم أول من دخل المدائن بكنيبته ، ثم دخلت كنيبة القعقاع بعده ، وهى التى أطلق عليها اسم (الكنيبة الخرساء) (٥) وفى أثناء عبور القعقاع زل رجل عن ظهر فرسه فننى القعقاع عنان فرسه إليه فأخذ بيده فجره حتى عبر ، فقال الرجل للقعقاع : « أعجز الأخوات أن يلدن مثلك ياقعقاع » (١).

و بعد انتصار المسلمين كان القعقاع على رأس قواتهم: المطاردة للفرس،

<sup>(</sup>١) الطبرى ( ٣ - ٦٩)

<sup>(</sup>٢) الإصابة (٥ - ٢٤٤) .

<sup>(</sup>٣) أسد الغابة (٤ - ٢٠٧) .

<sup>(</sup>٤) الفراض: جمع فرضة وهي موضع في الجهة المقابلة من النهر وتسمى بالأصطلاح المسكرى الحديث ( رأس جسر ) ، و الاستيلاء عليها و حمايتها ضرورى لتسهيل مهمة العبور اللسم الأكر من القطمات .

<sup>(</sup>٥) الطبرى (٣ - ١٢٣).

<sup>(</sup>٦) الطبرى (٢-١٢٢).

فوجه فارسياً يحمى انسحاب الفرس فقته ، فإذا مع المقتول أحد عشر سيفاً ودروع بينها سيف ودرع كسرى وهرمن وهرقل وخاقان والنعان وغيرهم من الملوك والأمراء والقادة ، فغنمها القعقاع (١٠).

#### (ح) في جلولاء :

ا نسحبت القوات الفارسية من المدائن إلى جلولاء ، فسكتب سعد إلى عمر يخبره بدلك، فأجاب عمر سعداً: «سرّح هاشم بن عتبة إلى جلولاء فى اثنى عشر ألفاً واجعل على مقدمته القعقاع بن عمرو » .

ولما بلغ هاشم جلولاء حاصر القوات الفارسية فيها ، ولكن الحصار طال كثيراً حتى بلغ تمانين يوماً .

ورحف القعقاع برحاله حتى انتهى إلى باب خندق الفرس ، فدخل الخندق واحتل قسماً منه ، وأمر منادياً ينادى : « يا معاشر المسلمين ، هذا أمير كم قد دخل الخندق وأخذ به فأقبلوا إليه ولا يمنعكم من بينكم وبينه من دخوله » وقد أمر القعقاع بذلك ليقوى معنويات المسلمين ، وقعلاً حمل المسلمون وهم لا يشكون أن هاشماً في الخندق ، فإذا هم بالقعقاع قد احتل قسماً من الخندق ، وبذلك انهزم الفرس (۲) ، ولكن القعقاع طاردهم حتى بلغ خانقين (۳) ثم دخل خلوان في وقصر شيرين (۵) ، وبقى القعقاع في حلوان إلى أن تحول سعد كلوان على أن تحول سعد

<sup>(</sup>۱) الطبرى ( ۳ ــ ۱۲۸ ) والإصابة ( ه ــ ه ۲۶ ) . .

<sup>. (</sup>۲) الطبري ( ۴ ــ ۱۲۲ ) و بن الأثير ( ۲ ــ ۲۰۱ ) .

 <sup>(</sup>٣) خانقين : بلدة بالقرب من الحدود المراقية الإيرانية في المراق على طريق بغداد
 همذان — راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣٠ – ٣٩٣).

<sup>(</sup>٤) حلوان العراق هي آخر حدود السواد بما يلىالجبال من بنداد ، راجع التفاصيل في معجم البلدان ( ٣ ـ ٣٢٣ ) .

 <sup>(</sup>٥) قصر شیری - مدینة قریبة من ( قرمیدین ) بین همدان وحلوان فی طریق بغداد إلى همدان . راجع التفاصیل فی معجم البلدان ( ۷ – ۲۰۲ ) .

إلى الكوفة فلحقه القعقاع إلى هناك مستخلفاً أحد رجاله على حلوان (١)

### ٤ -- إلى الشام ثانية :

حشد هرقل ملك الروم قوات كبيرة ، وأقبلت قواته من الجزيرة ومن المحدد براً ومن الإسكندرية بحراً ، فلما علم أبو عبيدة بن الجراح بذلك حشد قوات المسلمين في حمص (٢) وكتب إلى عر بن الخطاب يخبره بهذا الموقف المعصيب، فكتب عر إلى سعد بن أبي وقاص : «اندب الناس مع القعقاع ابن عمرو ، وسرسجهم من يومهم الذي يأتيك فيه كنابي إلى حمص ، فإن أبا عبيدة قد أحيط به ، وتقدم إليهم في الجد والحث » (٢) ، فتحرك القعقاع على رأس أربعة آلاف رجل من يومهم الذي أتاهم فيه الكتاب نحوحص (١) ، فلما بلغ أهل الجزيرة الذين أعانوا الروم على أهل حمص بأن جنود المسلمين قد تحركت من الكوفة دون أن يعرفوا الوجهة الحقيقية لها : أي هل تنجه إلى الجزيرة أم إلى حمص، تفرقوا إلى بلدانهم لحماية من الخطر المباشر ، فبق الروم وحدهم ، فقاتلهم المسلمون وانتصروا عليهم بسهولة قبل أن يبلغ القعقاع حمص بثلاثة أيام، فكتب عر إلى أبي عبيدة كي يشرك أهل الكوفة في العطاء قائلاً:

<sup>(</sup>۱) راخِع ابن الأثیر (۲ ـ ۲۰۱) والطبری (۳ ـ ۱۳۰) ، (۳ ـ ۱٤۰) ولکن البـلاذری فی صحیفة (۲۹۹) یذکیر أن الذی فتیح حلوان هو جریر ابن عبد الله البجلی .

 <sup>(</sup>۲)مدينة كبيرة بين دمشق وحلب في نصف الطريق . راجع التفاصيل في معجم
 البلدان ( ٣ – ٣٣٩ ) .

<sup>(</sup>٣) الطبرى ( ٣ – ١٥٤ ) .

<sup>(</sup>٤) حركة أربعة آلاف في يوم واحد إلى هدف بعيد ليس سهلا إنه يكاد يكون مستحيلاً في أيامنا الحاضرة فكيف أنجزه المسلمون قبل أربعة عشر قراً ؟ كان همر قد خصص قوات احتياطية نتجرك فوراً عند الطاب، وكان في السكوفة وحدها أربعة آلاف فرس نلحركة الفورية — راجع الطبرى (٣ – ١٠٤) ،

«جزى الله أهل الكوفة خيراً: يكفون حوزتهم ويمدون أهل الأمصار» (١٠). وعاد القعقاع بجنوده إلى العراق رافعاً اسمهم عالياً بين الفاتحين من مختلف الأمصار.

#### ف بلاد فارس:

قاتل القعقاع في معركة (نهاوند) الحاسمة تحت لواء النعمان بن مقرن المرنى ، وكان له في هذه المعركة أثر أي أثر !!

كان القعقاع على المجردة (٢٦) وقد خشى المسلمون أن يطول حصار المدينة دون جدوى ، إذ كان الفرس قد تحصنوا داخلها فلا يخرجون منها إلا إذا أرادوا الخروج .

وعقد النعان بن مقرن المرنى مؤتمراً استشارياً ليجد حلاً مناسباً يعينه على فتح المدينة ، فاستقر الرأى على أن يبعث النعان خيلاً لينشب القتال ، ثم تنسحب الخيل مظهرة الفرار حتى يتعقبها الفرس ، وعند ذلك يهاجمهم المسلمون في معركة تدور رحاها خارج أسوار المدينة الحصينة (٢).

فمن يقود الخيل لتنفيذ هذه الخطة بدقة وإتقان واندفاع ؟

أم النعان القعقاع، فقاد الحيل وأنشب القتال، فلما خرج الفرس لقتاله، نكص، ثم نكص، ثم نكص، وظن الأعاجم أنها هزيمة فاغتنموها، وخرجوا حتى لم يبق منهم سوى من يحرس الأبواب.

<sup>(</sup>۱) الطبرى ( ۳ ـ ۱۰۰ ) ولعل هذا الثناء أبلغ ثناء ولا أقول أول ثناء وآخر ثناء حظى به أهل الكوفة بفضل القمقاع .

 <sup>(</sup>٢) المجردة هي القطع الراكبة في الاصطلاحات المسكرية الحديثة وهي القوات المؤلفة
 من الفرسان التي تتقدم أمام المقدمة لحمايتها .

<sup>(</sup>٣) ابن الأثير ( ٣ ـ ٤ ) .

وتقهقر القعقاع إلى المسلمين حتى انقطع الفرس عن حصونهم (۱) فلما هاجمهم المسلمون فى العراء ، استطاعوا التغلب عليهم بيسر ، وبذلك انتهت معركة (نهاوند) التى أطلق عليها المؤرخون اسم ( فتح الفتوح) (۲) بنصر المسلمين ، وكان للقعقاع فى هذا النصر نصيب مرموق ، وفر ( الفيرزان ) قائد الفرس ناجياً بنفسه ، فتعقبه نعيم بن مقرن المزنى وقدم القعقاع أمامه فأدركه القمقاع فى ناحية همذان (۲) حيث ترجل ليصعد جبلاً قريباً ، ولكن القعقاع تبعه راجلاً فأدركه وقتله (٤) ثم دخل همذان فاتحاً مع نعيم بن مقرن المزنى (٥).

## أيام بعد الفتح :

لا نعلم بالضبط متى رجع القعقاع من جهاده فى الفتح ، ولكننا نعلم أنه سكن الكوفة واستقر فيها (٢) ثم تولى شؤون الحرب فى الكوفة على عهد سعيد ابن العاص (٧) ، وهو منصب القيادة العامة كا نسميه فى هذه الأيام ، وعندما علم بخروج يزيد بن قيس من الكوفة لخلع عثمان بن عفان أقبل إليه القعقاع حتى أخذه فقال بزيد : « إنما نستعنى من سعيد بن العاص » فقال القعقاع : « أما هذا فنعم » ثم تركه (٨) ، وهذا يدلنا على إخلاصه الشديد لعثمان وعدم رضاه عن والى الكوفة حينذاك سعيد ، إذكان الناس فى الكوفة متذم بن

<sup>(</sup>١) الطبري (٣ - ٢١٦) .

<sup>(</sup>٢)اللاذرى: ص ( ٣٠٢ ) .

 <sup>(</sup>٣) همذان مدينة من أكبر مدن إبران وأقدمها ، راجع التفاصيل في معجم البلدان
 ( ٨ – ٤٧٤ ) .

 <sup>(</sup>٤) ابن الاثمير (٣٥٥) .

 <sup>(</sup>٥) ابن الأثير (٣ – ٦) .

<sup>(</sup>ه) أسد الغابة (٢٠٧/٤) .

<sup>(</sup>٦) الطبرى ( ٣٧١/٣ ) .

<sup>(</sup>٧) الطبرى (٣/٥٧٥) .

من سيرته ، وقد أراد وكيل سعيد في الكوفة أن ينصح المتذمرين محاولاً أن يميدهم إلى طريق الصواب ، ولكنه أخفق في محاولته . وقد نصحه القعقاع بالصبر قائلاً له : « اترد السيل عن عبابه ، فاردد الفرات عن أدراجه . . . همات !! لا والله ، لا تسكن الغوغاء إلا المشرفية ، ويوشك ان تنتضى ثم يعجّون عجيج العبدان ويتمنون ما هم فيه فلا يرده الله علم م أبداً ، فاصبر (۱) » وهذا يدل على بعد نظر القعقاع فكا نه كان يقرأ الغيب في صحيفة ، إذ حدث كل ما توقعه .

ولما كتب عثمان بن عفان إلى الأمصار يستمدهم لإنقاذه من الثائرين به ، سارع القعقاع على رأس جيش من أهل الكوفة متوجها إلى المدينة لإنقاذ الخليفة مما أحاق به من خطر داهم ، ولكن عثمان قُتل قبل أن يدركه جيش القعقاع أو تدركه جيوش الأمصار الأخرى (٢) ، فعاد القعقاع أدراجه إلى الكوفة (٣).

لقد بذل القعقاع غاية جهده ليحول دون قتل عثمان وإشعال نيران الفتنة الكبرى ، كما بذل غيره من كبار الصحابة غاية جهدهم لإطفاء نيران هذه الفتنة ، ولكن جهودهم جميعاً ذهبت أدراج الرياح ، وما كان لمثل القعقاع أن يفعل غير ذلك ، لأنه جندى يقدر قيمة طاعة ذوى الأمر ، ولأنه مؤمن يعتبر المؤمنين أخوة له ، ولأن سيفه على أعداء الإسلام لا على المسلمين . .

ولقد فتحت جيوش الكوفة فتوحات كثيرة في مناطق مختلفة على عهد

<sup>(</sup>١) الطبري ( ٢-٣٧٢) .

 <sup>(</sup>۲) ابن الأثمير ( ۳ ـ ۲٦ ) والطبرى ( ۳ ـ ٤٠٢ ) .

<sup>(</sup>٣) ابن الأثير ( ٣ ــ ٧٨ ) والطبرى ( ٣ ــ ٤٦٢ ) .

عثمان ، وكان القعقاع على حرب الكوفة حتى قتل عثمان (١) فكان هو المسؤول الأول عن إعداد الجيوش وتسييرها إلى أهدافها وإمدادها بالرجال والسلاح . .

وتولى على بن أبى طالب الخلافة ، وسار إلى البصرة بعد علمه بذهاب طلحة والزبير وعائشة إليها ، وكان أبو موسى الأشعرى حينذاك أميراً على الكوفة ، وكان من رأيه القمود عن القنال حتى تنجلى الفننة (٢) ، ولكن القمقاع قام خطيباً فقال مخاطباً أهل الكوفة : « إنى لكم ناصح . . . إنه لا بد من إمارة تنظم الناس وتنزع الظالم وتعز المظلوم ، وهنا أمير المؤمنين ولى بما ولى ، وقد انصف فى الدعاء ، وإنما يدعو إلى الاصلاح . فانفروا وكونوا من هذا الأمر بمرأى ومسمع (٢) » .

كان القعقاع أحد رجالات الكوفة الذين نفروا لنصرة على بن أبي طالب ، فلما نزلوا موقع (ذى قار) حيث يعسكر على بجيشه ، دعا أمير المؤمنين إليه القعقاع وأرسله إلى أهل البصرة قائلاً له: « التي هَذِين الرجلين ، فادعهما إلى الألفة والجماعة وعظم علمهما الفرقة » وقال له: « كيف أنت صانع فما جاءك منهما مما ليس عندك فيه وصاة منى ؟ » فقال القعقاع: « نلقاهم بالذي أمرت به فإذا جاء منهما أمر ليس عندنا منك فيه رأى، اجتهدنا الرأى، و كلناهم على قدر ما نسمع ونرى أنه ينبغى » قال على: « أنت لها على أن فرج القعقاع حتى قدم البصرة فبدأ بعائشة أم المؤمنين ، ثم كلم طلحة والزبير

 <sup>(</sup>١) أبن الأغمير ( ٣ ـ ٧٧ ) والطيرى ( ٣ ـ ٤٤٦ ) .

<sup>(</sup>٢) الطبرى ( ٣ ــ ٤٩٩ ) وانن الأثير ( ٣ ــ ٨٩ ) .

<sup>(</sup>۴) الطبرى ( ۴ ـ ٤٩٩ ) .

<sup>(</sup>٤) الطبري ( ٣ ــ ٢٠٠ ) وابن الأثبر ( ٣ ــ ٩١ )

كلاماً منطقياً متزناً اقتنعوا به جميعاً حتى أشرف الناس على الصلح (١).

كان القعقاع مع أمير المؤمنين على بنأبي طالب يوم ( الجمل ) ، ولكنه لم يظهر فعالية تذكر في القتال . لقد كان هواه مع جميع المسلمين لا مع فريق منهم فلا يريد أن يلطخ يده بدمائهم . وقد مر في المعركة بطلحة وهو يقول : « إلى عباد الله ! الصبر ، الصبر » فقال له : « يا أبا محمد ! إنك لجربح وإنك عما تريد لعليل ، فادخل الأبيات (٢) » .

وهذا يدل على عطفه الشديد حتى على الذين يختلفون معه فى الرأى من المسلمين .

ولما قتل (الجمل) تقدم القعقاع وزفر بن الحارث وأنزلا (الهودج) عن ظهر البعير (۲) ،ثم كان أول من دخل على عائشة أم المؤمنين ، فسلم علمها فقالت له : « إنى رأيت رجلين بالأمس اجتلدا بين يدى وارتجزا بكذا . . فهل تعرف كوفيك منهما ؟ » قال : ذاك الذى قال :

أعقّ أم نعلم!! كذب والله! إنك لأبر أم نعلم ( ) » .

وعندما علم الإمام على بعد زيارته لعائشة ، بأن رجلين أسمعاها كلاماً نابياً ، بعث القعقاع إلى باب عائشة ، فأقبل بمن كان عليه من الرجال ، فلما عرف الرجلين اللذين قالا ما قالا أخبر علياً بهما ، فقال : « لأنهكنهما عقو بة (٥) ».

<sup>(</sup>١) تفاصيل كلام القمقاع في الطبري (٣٠٠٥) .

<sup>(</sup>٢) الطبري ( ٣ ــ ٣٣٥ ) ٠

<sup>(</sup>٣) الطبرى (٣ – ٣٨٥).

<sup>(</sup>٤) الطبرى (٣ - ١١٥) .

<sup>(</sup>ه) الطبري ( ٣ - ١٤٤ ) .

لقد شهد القعقاع مع على بن أبى طالب معركة الجمل (۱) كما شهد معه معركة (صفين) (۲) ، وهى المعركة الحاسمة التى خاضها على ضد معاوية ، ولكننا لأنجد له أثراً فعالاً فى تلك المشاهد كما عودنا فى المعارك التى خاضها فانحاً ، وفى (صفين) لم نجد له ذكراً بين قادة التشكيلات النعبوية لعلى (۱) . ولم يذكر اسمه من الشهود على وثيقة التحكيم (۱) كما أنه لم يبرز فبها مقاتلاً كما برز فى معارك الفتح، ممايدل على أنه كان فى معارك الفتنة حاضراً كالغائب!

لقد كان القعقاع يرى أن أمر المسلمين لا يصلح بغير إمام ، وأن علياً أحق الناس بالخلافة ، فلا بد من الوقوف فى صفه ، ولكنه بنفس الوقت كان داعية سلام ومحبة ووحدة بين المسلمين ولم يكن داعية حرب وخصام وفرقة بينهم ، كالم يكن يرى مبرداً أن يحكم السيف لمجرد اختلاف الرأى بين المسلمين .

والحق ان أمر القعقاع قائداً وأميراً قد انتهى منذ نشبت المعارك الداخلية بين المسلمين ، فلا نعرف أنه تولى قيادة أو تسنم منصباً إدارياً في أيام الفتنة الكبرى حتى توفاه الله سنة أربعين للهجرة ( ١٦٠ م ) مما يدل دلالة واضحة على أنه كان إلى جانب على بن أبى طالب لأنه كان يؤمن بأن علياً كان على الحق ، ولكنه لم يصل في ذلك إلى الاندفاع في قتال المسلمين .

<sup>(</sup>١) أسد الغابة (٤ ــ ٢٠٧).

<sup>(</sup>۲) ابن الأثبر (۳ ـ ۱۰۴ ) .

<sup>(</sup>۲) الطبرى (٤ ـ ٧ )٠

<sup>(</sup>٤) الطبري (٤ ــ ٢٩ ) .

#### الشاعر:

كان القعقاع فارس الشعراء أو شاعر الفرسان ، فهو أحد فرسان العرب وشعرائهم (١) ، وشعره الذي بين أيدينا شعر حربي إن صح هذا التعبير ، وهذه نماذج منه :

ولقد شهدت البرق برق تهامة يهدى المناقب راكباً لعيار في جند سيف الله سيف محد والسابقين لسنة الأحرار (١) وقال في يوم أغواث من أيام القادسية:

ولم تعرف الخيل العراب (٢) سواءنا عشية أغواث بجنب القوادس عشية رحن بالرماح كأنها على القوم ألوان الطيور الرسارس (٤) وكان يرتجز في القادسية (٥):

أزعجهم عمداً بها ازعاجاً أطعن طمناً صائباً نجاجا <sup>(١)</sup> أرجو به من جنة أفواجاً <sup>(٧)</sup>

وقد حمل فی یوم ( أغواث ) ثلاثین حملة ، کلما حمل حملة قتل فیها رجلاً من الفرس ، وکان آخر من قتل ( بزر جمهر الهمذانی ) وفی ذلك یقول :

حبوته جياشة بالنفس هدارة مثل شعاع الشمس في يوم أغواث ، فكيل الفرس أنخس بالقوم أشد النخس

<sup>(</sup>١) الإصابة (٥ ـ ٥٠) .

<sup>(</sup>٢) الا صابة (٥ - ٤٤٢) .

<sup>(</sup>٣) الخيل العراب: الحين الأصيلة لا شائبة بنسبها .

<sup>(</sup>٤) الطبرى (٣ - ٤٥) ٠

 <sup>(</sup>a) الا صابة (٣ ـ ٢٤٥) والطبرى (٣ ـ ٥٠) .
 (٦) النجاج : منصب جداً ، وعج الماء أو الدم سيله ، أى أطمن طعناً نجمل الدم

يسيل بغزارة .

<sup>(</sup>٧) الطبري ( ٣ ـ ٥٠ ) ٠

## حتى تفيض معشري ونفسي (١)

وقال في القادسية :

وخضض (٢) قومى مضرمى بن يعمر فلله قومى حين هزوا العَواليا وما خَام عنها يوم سارت جموعنا لاهل قديس يمنعون المواليا فإن كنت قاتلت العدو فَلَتُهُ فَإِنِى لَالِقِي فِي الحروب الدواهيا فيولا أراها كالبيوت مغيرة أسمِّل أعياناً لها ومآ قيا (٣) وقال في القادسية لما أصيب خالد بن يعمر المميمي :

سقى الله يا خوصاء قبر ابن يعمر إذا ارتحل السفار لم يترخل سقى الله أرضاً حلّها قبر خالد ذهاب غواد مدجنات تُجلجل فأقسمت لا ينفك سينى يحسّهم فان زَحَلَ الأقوام لم أنزحل (٤) وكان أول صوت سمعه سعد ابن أبى وقاص ليلة الهرير فى النصف الأخير من الليل مما يستدل به على الفتح صوت القعقاع بهدر:

نحن قتلنا معشراً وزائداً أربعة وخمسة وواحداً نُحسَبُ فوق اللبد الأساودا حتى إذا ماتوا دعوت جاهداً الله ربى واحترزت عامداً (٥)

هذا بعض شعره الذي قاله في القادسية ، ولا بد أن يكون له شعر في معاركه الأخرى ، وعلى كل فاين هذه النماذج تدل دلالة واضحة على تمنع القعقاع بسليقة شعرية أصيلة .

<sup>(</sup>١) الطبري (٣ – ••) .

<sup>(</sup>۲) خضض — حرك .

<sup>(</sup>٣) الطبري ( ٣ – ٦٣ )

<sup>(</sup>٤) الطبرى (٣ - ٥٥) .

<sup>(</sup>٥) الطيري (٣ ـ ٦٧) .

ولعل خير ما نختم به شعر القعقاع قوله فى معركة اليرموك لأنه يمثل نفسيته التى تستأثر دائماً بالخطر وتستجيب مندفعة فى القتال :

يدعون قعقاعًا لـكل كريهة فيجيب قعقاعٌ دُعاء الهاتف

#### الإنساد :

كان القعقاع صادق الإيمان متين العقيدة: تمسك بالإسلام بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم غير مكترث بردة قومه تميم ، ولا بردة القبائل العربية الأخرى . وكان إيمانه العظيم من العوامل التي جعلت أبا بكر الصديق يوليه قيادة جيش من جيوش المسلمين ويرسله لقتال بعض المرتدين في أحرج الظروف.

ولا ينكر أبداً ماكان يتحلى به القعقاع من شجاعة فائقة ، ولكن الخوارق التى حققها فى معارك الفتح لا تعزى إلى شجاعته فحسب بل إلى عقيدته الراسخة أولا وإلى شجاعته الشخصية ثانياً وإلى ماكان يتمتع به من عقلية راجحة أخيراً.

لقد كان بامكانه أن يبرز في معارك الفتنة الكبرى كما برز في معارك الفتح ، ولسكن عقيدته كانت دائماً له بالمرصاد ، فهني التي جعلته يقدم أقداماً مدهشاً في قتال غير المسلمين ، وهي التي جعلته لا يقدم نفس إقدامه الأول في قتال المسلمين .

لقد كان المسلمون أيام الفتنة ثلاثة أقسام : القسم الأول اعتزلوا الجانبين المتخاصمين ، ينتظرون النتيجة ومنهم سعد بن أبي وقاص .

والقسم الثانى كان مع على فى كل شىء إلا فى قتال المسلمين ومنهم القعقاع، والقسم الثالث كان مع على أو معاوية فى كل شىء. وكان لـكل قسم من هذه

الأقسام وجهة نظر يؤمن بها ويدافع عنها ، وكانت وجهة نظر القعقاع ، أنه لابد من إمام وهو على ، ولكن كان فى صدره حرج شديد من قتال المسلم للمسلم . لقد كان إدارياً أثبت كفاءة ممتازة حين كان والياً على حلوان (١) ، وكان

الله فان إداريا البت كفاء للمارة عين فان والله على عدوال والله والله المقيدته والمحج العقل بعيد النظر ، كريماً مضيافاً شهماً غيوراً صادقاً وهب نفسه لعقيدته فعاش عيش الكفاف ولم يترك بعد موته عقاراً ولا أموالا مما يدل على أنه لم يثر على حساب الفتح والغنائم.

#### الفاكر:

كان القعقاع جندياً من أخمص قدمه إلى قمة رأسه ، كرّس حياته للجندية ولمتطلباتها ، فكانت أعماله فى الجهاد مشرفة لكل جندى يفهم الجندية على أنها شرف ما بعده من شرف .

ولعل من الحديث المعاد أن نذكر أنه شجاع مقدام ، فقد كان مثالا رفيعاً للشجاعة الأصيلة ،ولكن لا بد لنا أن نشير إلى أنه كان يؤمن بالضبط والنظام كأساسين للجندية الحقة ولا جندية بدون ضبط ونظام .

لقد كان يتلقى الأوامر من رؤسائه ويحرص على تنفيذها برحابة صدر ، وكان يخلص إخلاصاً كاملاً لذوى الأمر من الخلفاء والأمراء ما داموا على الحقى ، وكان يعتقد بأن أمر الناس بدون خليفة هو الفوضى ، وأنه لا بد من النظام ليشيع الأمن والاطمئنان بين الناس .

وكان فى جهاده جندياً وقائداً يؤمن بأن سرعة الحركة والاندفاع بإقدام بعد إعداد العدّة عاملان من عوامل الظفر فى الحرب.

<sup>(</sup>١) ابن الأثير ( ٢ ــ ٢٠٤ ) .

لقد كان لا يعرف للتردد والخور معنى ، لذلك كان أبو بكر والمسلمون يجزمون أن الجيش الذي يقاتل معه القعقاع لا يقهر أبداً . .

وما أبلغ وصف أبى بكر للقعقاع: « لصوت القعقاع فى الجيش خير من ألف رجل » (١).

كان سريع القرار صائبه ، يثق بنفسه وبرجاله ثقة لاحدود لها ، ويثق به المسلمون ثقة لاحدود لها أيضاً ، كما كان محبوباً ذا شخصية جبارة ونفسية عالية لا تتبدل ، وماض ناصع مجيد ، وكان فى قتاله يعتمد اعتاداً كبيراً على تطبيق مبدأ ( المباغتة ) ، ومبدأ ( النعرض ) ، فكانت معاركه كالها معارك تعرضية ، كان لعنصر المباغنة فيها نصيب كبير .

## الفعقاع في التاريخ:

هناك قادة صمدوا للمرتدين كما صمد القعقاع ، وهناك قادة لم يخسروا معركة في حياتهم كلها كما لم بخسر القعقاع معركة واحدة في حياته ، وهناك أبطال يذكرون حين يذكر القعقاع ، ولكنني لا أعرف قائداً غير القعقاع قاتل في كل معارك الفتح الإسلامي الثلاثة الحاسمة : القادسية والبرموك ، ونهاوند ، وأبلي فيها كلها بلاءه ١

لقد فنحت معركة القادسية أبواب العراق للمسلمين ، وفنحت معركة اليرموك أبواب أرض الشام ، وفتحت معركة نهاوند أبواب بلاد فارس للإسلام ، وكان للقعقاع في هذه المعارك كلها أثر شخصي بارز يذكره له التاريخ بالفخر والإعجاب .

<sup>(</sup>١) الإصابة ( ٥ ـ ٢٤٤ ) .

لقد ضرب القعقاع رقماً قياسياً فى عدد الممارك التى خاضها فى العراق وبلاد الشام وفارس ، وكانت له فى كل معركة خاضها قصة مشرفة خالدة ، وقد حاولت أن أحصى عددها فوجدتها إحدى عشرة معركة كبيرة : سبع منها فى العراق وثلاث فى سوريا وواحدة فى إيران ، فإذا أحصى له الناريخ هذا العدد الكبير من المعارك الكبيرة ، فكم هى المعارك الثانوية التى لم يذكرها له النازيخ .

رضى الله عن القعقاع بن عمرو التميمى القائد الفائح ، المؤمن الحق ، بطل الإسلام وفارس العرب .

# جريربن عرابس البجلي

# فاتح خانقين وحلوان وقرميسين وهمـذان

« اللهم ثبته واجعــله هادياً مهدياً » · ( محمد رسول الله )

نسبد:

هو جرير بن عبدالله بن جابر (۱) من بنى أنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث البَجَلى ، نسبوا إلى أمهم (بَجِيلة) . وقد اختلف النسّابون فى (بجيلة) ، فنهم من جعلهم من النين : أنمار بن إراش بن عمرو الذى هو أخو الأزد، وهو قول السكلبى وأكثر أهل النسب ، ومنهم من قال همن نزار : أنمار بن نزار (۳).

والظاهر أنه من البمن ، لمعرفته التفصيليّة لنلك البلاد ولأهلها ، مما جعل النبي صلى الله عليه وسلم يرسله مقاتلا إلى البمن (٢) وداعياً (١) .

يكنى جرير أبا عمرُو على المشهور (٥) ، وقيل أبا عبدالله (٦) .

#### إسلامه :

اخْتُلف في وقت إسلامه ، فهناك من يذكر أنه أسلم قبل أربعين يوماً من

<sup>(</sup>١) الإصابة (٢٤٢/١) والاستيعاب (٢٣٦/١) وجهرة أنساب العرب (٣٦٥) .

<sup>(</sup>٢) أسد الغابة (١/٩٧١) والاستيماب (٢٣٧/١) .

<sup>(</sup>۴) فتح البارى بشرح البخارى ( ۲۰/۸ ) .

<sup>(</sup>٤) طبقات ابن سعد ( ٢٦٠/١ — ٢٦٦ ) .

<sup>(</sup>٥) فتح البارى بشرح البخارى ( ٩٩/٧ ) .

<sup>(</sup>٦) الاستيماب ( ٢٣٧/١ ) .

وفاة النبى صلى الله عليه وسلم (۱) ، وهذا خطأ لما ثبت في الصحيحين : البخارى ومسلم ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : « استنصت الناس » في حجة الوداع ، وذلك قبل النحاق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى بأكثر من ثمانين يوماً (۲) .

وجزم الواقدى ، بأنه وفد على النبى صلى الله عليه وسلم فى شهر رمضان سنة عشر للهجرة ، وهذا خطأ أيضاً ، لأن جريراً يروى « أنه سمع الرسول صلى الله عليه وسلم ينمى النجاشى » وهذا يدل على أنّ إسلام جرير كان قبل سنة عشر للهجرة (٢) ، لأن النجاشى مات قبل ذلك.

والصحيح أنه أسلم سنة تسع للهجرة ، وهي سنة الوفود(٤).

لقد كان جرير موضع ثقة النبى صلى الله عليه وسلم . قال جرير : «ماحجبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت ولا رآنى إلا ضحك (٥٠) .

وأرسله النبي صلى الله عليه وسلم لهدم ( ذى الخَلَصَة ) وهي من الأصنام بيضاء منقوشة علمها كهيئة الناج ، وكانت ( بتَبالَة) بين مكة واليمن على مسيرة سبع ليال من مكة ، وكان سدنتها بنو أُمامة من باهِلَة بن أعصُر ، وكانت تعظمها وتهدى لها خَثْعَم و بَحِيلة وأزد السّرَاة ومن قاربهم من بطون العرب

<sup>(</sup>١) أسد الغابة ( ٢٧٩/١ ) والاستيماب ( ٢٣٧/١ ) .

<sup>(</sup>٢) الإسابة ( ٢٤٢/١ ) .

<sup>(</sup>٣) الايصابة ( ٢٤٢/١ ) .

 <sup>(</sup>٤) فتح البارى بشرح البخارى ( ٩٩/٧ ) ، وفي طبقات ابن سعد ( ٣٣٧/١ )
 يذكر أنه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم سنة عشرة للهجرة مع ( بجيلة ) .

 <sup>(</sup>۵) فتح الباری بشرح البخاری (۹۹/۷) وشرح النووی علی مسلم (۱۹٤/۵) .

من هوازن (۱) ، وذو الخلصة أيضاً الذى فيه هذا الصنم بيت كان يطلق عليه في الجاهلية اسم الكعبة البجانية (۲) ، فسار إليها جرير على رأس مائة وخسين فارساً ، فهدم الصنم والبيت وحرقهما وعاد سالماً ، فدعاله النبي صلى الله عليه وسلم إلى البين يقاتلهم ويدعوهم إلى الإسلام (۱) ، فقد بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذى الكلاع بن ناكور ابن حبيب بن مالك بن حسان بن تُبتع وإلى ذى عرو يدعوهما إلى الإسلام ، فأسلما ، وأسلمت ضُريبة بنت أبرهة امرأة ذى الكلاع . وتوفى رسول الله عليه وسلم الله عليه وسلم وجرير عندهم ، فأخبره ذو عرو بوفاته صلى الله عليه وسلم، فخرج جرير إلى المدينة (۱) .

#### مهاده:

ا حاد جرير إلى المدينة وأخبر أبا بكر بارتداد من ارتد من أهل البمن عن دينه و بثبات من ثبت عليه (٦).

ولكن أبا بكر ردّ جريرا إلى اليمن ليصمد مع الثابتين على دينهم من قبيلة

 <sup>(</sup>١) أنظر كتاب الأصنام - للسكلي ص (٣٤/٣٤) وفي ذي الحلصة يقول رجل ل العرب :

لو كنت ياذا الحلص الموتوراً مثلى وكان شيخك المقبوراً لم ثنه عن قتل العداة زوراً

وكان أبوالشاعر قتل ، فأراد الطلب بثأره ، فأنى ذا الحلصة ، فاستقم عنده بالأزلام ، غرج السهم ينهاه عن ذلك ، فقال هذه الأبيات .

<sup>(</sup>۲) أنظر شرح النووى على مسلم ( ١٩٤/٥ ) .

 <sup>(</sup>۳) فتح البارى بشرح البخارى (۹۹/۷) وشرح النووى على مسلم (۵/۵).
 وطبقات ابن سعد ( ۳٤٨/۱ ) .

<sup>(</sup>۱) فتح الباری بشرح البخاری ( ۲۰/۸ ) والبلاذری ص ( ۱۱۳ ) .

<sup>(</sup>ه) طبقات ابن سمد ( ۲۲۶/۱ ) .

<sup>(</sup>٦) الطبرى ( ٢/٣٣ه ) .

( بجيلة ) تجاه تيار المرتدين الجارف ، والشد من عزائم المسلمين القليلين لمشاغلة المرتدين الكثيرين حتى تردهم النجدات ، فحرج جرير ونفذ أمن أبى بكر ، فلم يصادف مقاومة تذكر إلا من نفر يسير قتلهم وطاردهم (۱). فلما وصل المهاجر ابن أمية البين من عند أبى بكر ، وكان آخر من نحرك من المدينة لحرب المرتدين — حتى إذا حاذى جريراً ضمه إليه (۲) ، وكان جرير حينذاك ( بنجران ) (۱) ، فقاتل جرير وأتباعه أهل الردة تحت لواء المهاجر بن أمية ، فسار المهاجر من نصر إلى نصر ، حتى نزل ( صنعاء ) .

لقد ثبت جرير على عقيدته بالرغم من ارتداد معظم قومه (بجيلة) ، فكان ثباته ذا أثر كبير على إعادة ( بجيلة ) للإسلام ومن العوامل المهمة لانتصار المسلمين السريع الحاسم على المرتدين من أهل اليمن .

٧ – وسار جریر یجاهد تحت لواء خالد بن سعید فی أرض الشام ، ولکنه استأذن خالداً إلی أبی بکر لیسکامه فی جمع قومه ( بجیلة ) وکانوا أوزاعاً فی العرب ، فلما سمع أبو بکر حدیثه غضب وقال له : « تری شغلنا وما نحن فیه بغوث المسلمین ممن بإزائهم من الاسدبن : فارس والروم : نم أنت تحکلفنی التشاغل بما لا یغنی عما هو أرضی لله ورسوله ! دعنی وسر نحو خالد ابن انولید حتی أنظر ما یحکم الله فی هذین الوجهین » ، فسار جریر حتی قدم علی خالد بالحیرة بعد فتحها ، ولم یشهد شیئاً من قبلها بالعراق (1) .

٣ ــ ولما غادر خالد بن الوليد العراق إلىالشام ، استصحب معه جريراً ،

<sup>(</sup>١) ابن الأثير ( ١٤٤/٢ )

<sup>(</sup>٢) الطبرى ( ٢/٠٤٠ ) ٠

<sup>(</sup>٣) الطبرى ( ٦١٧/٢ ) وابن الأثير ( ١٦١/٢ )

<sup>(</sup>٤) الطبرى ( ۲۸/۲ه ) وابن الأثير ( ۱۰۱/۲ ) .

فشهد كافة معارك خالد فى طريقه إلى الشام . وفى معركة البرموك برز اسم جرير أحد الفدائيين الفرسان من المهاجرين والأنصار ، وهم مائة فارس ، انتخبهم حالد من بين جيش المسلمين كله ، كل فارس برد جيشاً وحده (١) ، للتأثير بهم على معنويات الروم قبيل معركة البرموك الحاسمة .

عبد النقنى وصحبه فيها، فندب الناس إلى المثنى بن حارثة الشيبانى، وكان فيمن ندب (بجيلة) بعد جمعهم بطلب من جرير: « إنه من كان ينسب إلى بجيلة فى الجاهلية وثبت عليه فى الإسلام، فأخرجوه إلى جرير»<sup>(1)</sup>.

وتجمّعت بجيلة وعلى رأسها جرير ، فقال له عمر : « أخرج حتى تلحق بالمثنى » ، فقال جرير : « بل العراق ، فإن أهل الشام قد قووا على عدوهم » ، وجعل عمر لجرير وقومه ربع خمس ما أناء الله عليهم فى غزواتهم " .

ورأى الناس ما صنع بنو بجيلة ، فحذوا حذوهم ، وكان الذين فروا من معركة (الجسر) فى مقدمتهم ، ثم تابعهم بنو الأزد و بنو كنانة وخلق كثير من مختلف القبائل ، وساروا يريدون العراق<sup>(1)</sup> .

وقاتل جرير وقومه تحت راية المثنى بن حارثة الشيبانى القوات الفارسية فى معركة (البُوَيْب)<sup>(٥)</sup> أول معركة حاسمة من معارك المسلمين

<sup>(</sup>١) فتوح الشام للواقدي ( ١٢٠/١ ) .

<sup>(</sup>٢) ابن الأثير ( ١٦٩/٢ ) .

<sup>(</sup>٣) الطبرى ( ٦٤٦/٢ ) .

<sup>(</sup>٤) الطبرى ( ٦٤٧/٢ ) :

 <sup>(</sup>٥) البويب ، نهر كان بالعراق موضع الكوفة ، فمه عند دار الرزق يأخذ من الفرات .
 نظر التفاصيل في معجم البلدان ( ٣١٠/٢ ) .

فى العراق . ولما انهزم الفرس قال المننى : « من يتبع الناس ؟ » ، فقام جرير فى قومه ، فقال : « يا معشر بجيلة 1 إنكم وجميع من شهد هذا اليوم فى السابقة والفضيلة والبلاء سواء ، وليس لأحد منهم فى هذا الحمس غداً من النفل مثل الذى لكم منه ولكم ربع خسة نفلاً من أمير المؤمنين ، فلا يكونن أحد أسرع إلى هذا العدو ولا أشد عليه منكم للذى لكم منه ونية إلى ما ترجون ، فإ نما تنظرون إحدى الحسنيين : الشهادة والجنة ، أو الغنيمة والجنة » (١) ، وهكذا تطوسعت بجيلة بقيادة جرير لمطاردة الفرس . وأرسل جرير يخبر المننى بسلامة بجيلة كا أخبر القادة الآخرون الذين طاردوا الفرس المثنى بسلامة قواتهم ، وسألوه جميعا أن يسمح لهم بالتغلغل عمقاً فى مطاردتهم ، فأذن لهم المثنى ، فأغاروا حتى بلغوا (ساباط) على مرأى من المدائن ، لا بخافون فأذن لهم المثنى ، فأغاروا حتى بلغوا (ساباط) على مرأى من المدائن ، لا بخافون كيداً ولا يلقون مانعا(٢).

ولما انسحب المثنى بقواته إلى (ذى قار) انتظاراً للإمدادات ، كان جرير على رأس بجيلة يقوم بواجب القوات السائرة (المسالح) التى تحمى قوات المسلمين الأصلية (٢) من قوات الفرس المتفوقة .

ح و تولى سعد بن أبى و قاص قيادة المسلمين فى العراق ، فقاتلت بجيلة التي يقد و عددها بألنى مقاتل () تحت راية سعد فى القادسية ، فكان لجرير

<sup>(</sup>١) الطبرى (٢/٢).

<sup>(</sup>٢) ابن الأثير ( ١٧١/٢ ) ٠

 <sup>(</sup>٣) الطبرى (٢/٠٢٠). إن يعض الروابات تنص على أن جريراً اختلف مع المثنى ،
 فقال جرير : « أنت أمير وأنا أمير ﴾ ، وأعتقد أن ذلك لا يمكن أن يحدث ، لأن عمر
 أرسل جريراً مدداً للمثنى لا أميراً مستفلاً . راجع الطبرى (٢/٤٥٢) الذي يذكر هذه الروابة .

<sup>(</sup>٤) الطبرى ( ٧/٣ ) ٠

وليجيلة أثر ظاهر في انتصار المسلمين على الفرس في هذه المعركة الحاسمة . كان سعد مريضا بالدمامل عندما كانت رحى معركة القادسية تدور ، ولكن رجاله لم يكونوا يعلمون بحقيقة مرضه الذي أقعده عن مباشرة القتال بنفسه كا يفعل قادة العرب في حروبهم ليكونوا مثالاً شخصيا يحتذي بهم رجالم ؛ لذلك تذمّر بعض رجال سعد ومن بينهم جرير وأبو محجن الثقني ، فلما عرفوا أن المرض حال دون مباشرة سعد للقتال بنفسه قبلوا عذره وتحاثوا على السمع والطاعة ، وقال جرير : «أما أني بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن أسمع وأطبع لمن ولاه الله الأم ، وإن كان عبداً حبشيا »(1).

وفى اليوم الأول من أيام القادسية ، وتجه الفرس ثلاثة عشر فيلا ، وفى رواية أخرى سنة عشر فيلا إلى مواقع (بجيلة) ، ففر قت بين الكتائب وأذعرت الخيل ، وكادت بجيلة أن تفنى عن بكرة أبيها بعد فرار خيلها ذعرا من الفيلة ، ولكن الرجالة (المشاة) منها صمدوا فى مواضعهم صمود الأبطال ، وأعانهم على الصمود تدارك سعد لهم ببنى أسدالذ بن هاجموا الفيلة وحماتها هجوماً عنيفاً بقيادة طليحة الأسدى ، فاستطاعوا بمعاونة ربيعة بقيادة الاشعث بن قيس بعد جهد جهيد أن يولوا الفيلة والقوات الفارسية التى تساندها الأدبار (٢٠).

وتركت بجيلة كثيراً من الشهداء في ساحة المعركة ، ولكن صمودها المدهش أتاح للمسلمين تدارك الموقف الخطير الذي كان نتيجة لهجوم فيلة الفرس على قواتهم .

وفى ليلة اليوم الرابع من أيام القادسية ( ليلة الهرير ) ، حملت بجيلة على القوات الفارسية مع من حمل عليها من القبائل غير منتظرة أمر سعد بالحملة ،

<sup>(</sup>١) الطبرى ( ٣/٣٤ — ٤٤ ) وابن الأثير ( ١٨١/٢ ) .

<sup>(</sup>۲) الطبرى ( ۴/۳٪ ) وابن الأثير ( ۲/۲٪) .

فمذرها سعد قائلا: « اللهم أغفرها لهم وأنصرهم (١) » ، فقضوا في تلك الليلة على عدد ضحم من الفرس ، وفي بلاء بجيلة بقيادة جَرير قال سعد:

وما أرجو بجيلة غير أنى أؤمل أجرهم يوم الحساب فقد لقيت خيولهم خيولا وقد وقع الفوارس فى ضراب وقد دلفت بعرصتهم فيول كأن زهاءها<sup>(1)</sup> إبل جراب

وكان سعد فى شعره هذا يرد على قول جربر:

أنا جرىر كنيتي أبو عُمْر قد نصر الله وسعد في القُصر

ولما فر الفرس من ساحة المعركة وجه سعد عياض بن غنم وجعل على مقدمته هاشم بن عنبة بن أبى وقاص وعلى ميمنته جرير البجلى وعلى ميسرته زُهرة التميمي ، وتخلف سعد لمرضه حتى وصلوا بمطاردتهم (ساباط) قريباً من المدائن ، فأشفق الناس أن يكون كمين للعدو ، ولكن هاشم بن عتبه أمم بالتغلغل فى المطاردة ، حتى انتهوا بمطاردتهم إلى جلولاء (٢) وكان بها جماعة من الفرس استطاع المطاردون تشتيتهم .

٩ – وشهد جرير مع قومه معركة فتح (المدائن) عاصمة كسرى ، كما شهد معركة جلولاء بحت راية هاشم بن عتبة بن أبى وقاص الزهرى ، فلما استطاع المسلمون القضاء على القوات الفارسية فى (جلولاء) ضم هاشم إلى بجيلة خيلاً كثيفة وجعلهم بقيادة جرير وأ بقاهم قوة سائرة فى جلولاء لشكون بين

<sup>(</sup>١) الطبرى ( ٣/٣٦ ) وابن الأثير ( ١٨٩/٢ ).

<sup>(</sup>٧) الزهاء: العدد الكثير والكبر والفخر أيضاً.

<sup>(</sup>٣) الطبرى ( ٣/٠٨ ) ·

المسلمين والفرس، فهاجم جرير (خانقين )(۱) ، وكان فيها فلول من الفرس فقتل بعضهم وفر" الباقى(۲) .

وأمد سعد جربرا بنحو ثلاثة آلاف مقاتل ، وأمره أن يسير لفتح ( حلوان ) (۱۳ ، فلما كان بالقرب منها هرب ( بزدجرد ) إلى ( أصبهان ) ففتح جربر حلوان صلحا ، ثم سار إلى ( قر ميسين ) (۱۰ ففتحها صلحا أيضا ، وبق جربر واليا على حلوان حتى أمره عمار بن باسر والى الكوفة بعد سعد بن أبى وقاص أن يتحرك مدداً لأبى موسى الأشعرى فى (خوزستان ) ، فغادرها جربر مخلفاً علمها عزرة بن قيس البجلى ، وقد نزل حلوان قوم من ولد جربر ، فأعقابهم مها (۱۰)

 <sup>(</sup>١) خانقين : بلدة بالقرب من الحدود العراقية — الإيرانية ، تقع في العراق على طريق بغداد — همدان . راجع التفاصيل في معجم البلدان ( ٣٢٢/٣ ) .

<sup>(</sup>٢) البلادري ص ( ٢٦٤ ) .

 <sup>(</sup>٣) حلوان : مدينة في العراق تتع في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بفداد .
 راجع التفاصيل في معجم البلدان ( ٣٣٣/٣ ) .

<sup>(</sup>٤) قرمیسین : جاء اسمها فی البلاذری ص ( ۲۹۹ ) قرماسین ، وهی علی طریق مکة ، والصحیح ما ذکرناه أعلام . وهی بلد معروف بینه و بین همدان ثلاثون فرسخا وهی بین همدان وحلوان . راجع التفاصیل فی معجم البلدان ( ۲۳/۷ ) وحول قرماسین ( ۲۲/۳ ) .

<sup>(</sup>٥) البلاذرى (٢٩٩) ومحمل فتوح الإسلام — ملحق بجوامع السيرة — لا برحزم ص ( ٣٤٥ ) ، ولكن الطبرى يذكر أن الذي فتح حلوان وغانقين هوالقمقاع ابن عمرو التميمي . راجع الطبرى (١٤٠/٣) .

ولا أرى اختلافاً بين ما جاء فى الطبرى والبلاذرى ، إذ أن القمقاع فتحها حقاً حين طارد الفرس ، والكن جربراً ثبّت هذا الفتح بقواته الضاربة ، ثم تسرّب بفتحه عمقاً إلى قرميسين داخل إبران

<sup>(</sup>ب) لا تزال في منطقة خانفين وحلوان قبيلة باسم ( باجلان ) وهي بمعني ( بجلي ) اسبة إلى ( بجيلة ) القبيلة العربية المعروفة ، لأن الألف والنون من ( باجلان ) علامة نسبة بهلوية كا هي في السكلمة : پاپكان نسبة إلى (بابك) ، راجع كتاب دستور بهلوي

وبرز اسم جرير فى معركة (نَهَاونَدُ) (العاسمة ، فكان من بين أشراف العرب وأبطالهم المعدودين الذين خاضوا تلك المعركة (المعركة بلاء أعظم البلاء .
 النعمان بن مُقَرَّن المزنى ، فأبلى جرير فى هذه المعركة بلاء أعظم البلاء .

وكان عمر بن الخطاب قد كتب إلى النعمان بن مقرن : ﴿ إِن أُصِبَ فَالْأُميرِ حَدْيَفَة بِنِ البَانِ ، فَإِن أُصِيبِ فَرِيرِ بن عبد الله البجلي ، فإِن أُصِيبِ فَالْمَعْيَرِة بن شعبة ثم الأشعث بن قيس » (٢) ، مما يدل على منزلته الرفيعة عند عمر بن الخطاب .

وفى رواية ، أن المغيرة بن شعبة حين كان والياً على الكوفة ، أرسل جريراً لفتح (همذان) (ئ) ، فقاتل أهلها وأصيبت عينه بسهم فقال : « احتسبتها عند الله الذى ريّن بها وجهى ونوّر لى ما شاء ثم سلبنها فى سبيله » ، ثم فتحها على مثل صلح ( نهاوند ) وغلب على أرضها قسراً (ق)

<sup>== (</sup>٢٠٧) طبع بمبى سنة ١٩٣٤ . فباجلال إذن نسبة إلى بجيلة ، وقد اسقطت منها الناء المربوطة بعد أن تحو لت إلى هاء صامتة تخفيفاً ، فاضيفت إلى آخر الكلمة أداة النسبة المهلوبة ( ال ) ، ثم أشبعت فتحة الباء فتحوات ألفا ، فأصبحت الكلمة ( باجلال ) .

إن قبيلة باجلان هي قبيلة بجيلة العربية وم من ولد القائد الفاتح الصحابي الجليل جرير ان عبد اقة البجلي .

<sup>(</sup>۱) نهاوند : أعتق مدينة في الجبل ، وهي مدينة قديمة في إيران ، راجع في معجم البلدان ( ۳۲۹/۸ ) .

<sup>(</sup>٢) ابن الأثير ( ٤/٣ ) .

<sup>(</sup>٣) البلاذرى ص ( ٣٠٠ ) ومعجم البلدان ( ٣٢٩/٨ ) .

 <sup>(</sup>٤) همدان : مدينة من أكبر مدن إبران وأقدمها . راجع التقاصيل في معجم البلدان ( ٤٧٤/٨ ) .

<sup>(</sup>ه) ابن الائير ( ٩/٣) والبلاذري ص ( ٣٠٦) و محل فتوح الإسلام -- ملحق بجو امم السيرة لابن حزم ص ( ٣٠٦) . أما الطبري في ( ٣٠٩/٣ - ٢٣٠) فيذ كر أن الذي فتحها هو نعيم بن مقرن المزنى والقمقاع بن عمرو التميمي ، ولا أرى تضارباً بين الروايتين لا أن فتح خرير فكان بقوانه الحقيفة المطاردة ، أما فتح جرير فكان بقوانه الطفيفة المطاردة ، أما فتح جرير فكان بقوانه الضاربة حيث ثبيّت فتحها وضمّها نهائياً إلى بلاد المسفين .

#### نرهاية المطاف :

سكن جرير الـكوفة وابتنى بها دارا فى القسم المخصص منها لسكنى ( بحيلة )(١) قوم جرير .

وقد ولاه عثمان بن عفان رضى الله عنه (قر قييسياء) (٢) وبقى علمها (١٥) حتى توفى عثمان (١٠) فبقى واليا عثمان ولاه (همذان) فبقى واليا علمها حتى استدعاه على بن أبى طالب بعد منصرف على من البصرة إلى الكوفة وفر اغه من معركة (الجمل)، لذلك لم يشهد حرير تلك المعركة.

غادر جرير (همذان) بعد أخد البيعة من أهلها لعلى بن أبى طالب ، فلما وصل السكوفة أرسله على إلى معاوية بن أبى سفيان يدعوه إلى الدخول فى طاعته وكتب معه كتابا يعلم معاوية فيه باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه المهاجرون والأنصار.

وانتهى جرير إلى معاوية فكلمه ووعظه وألح عليه فى الكلام والوعظ، ولكن معاوية جعل يسمع منه ولا يقول له شيئًا وإنما يطاوله ويسرف فى مطاولته ويدعو مع ذلك وجوه أهل الشام وقادة الجيش مظهراً مشورتهم فيما يطلب إليه على بن أبى طالب ويعظم لهم قتل عثمان ويحر ضهم على المطالبة بدمه . . . وأخيرا عاد جربر الى الكوفة ليخبر علياً خبر معاوية واجتماع أهل بدمه . . . وأخيرا عاد جربر الى الكوفة ليخبر علياً خبر معاوية واجتماع أهل

<sup>(</sup>١) طبقات ابن سعد ( ٢٢/٦ ) والأيصابة ( ٣٤٢/١ ) .

<sup>(</sup>٢) قرقيساء : بلدة على الحابور عند مصب الحابور فى الفرات . راجع التفاصيل فى ممجم البلدان ( ٦٠/٧ ) .

<sup>(+)</sup> الطبرى ( ۳۷۱/۳ ) وابن الأثير ( ٦/٣ ه ) .

<sup>(</sup>٤) الطبرى ( ٢٤٦/٣ ) وابن الأثير ( ٧٢/٣ ) -

<sup>(</sup>٠) المارف ( ٨٦) إ

الشام معه على قتاله . . . فلم يرض على عن سفارة جرير ، كما أن جماعة من أصحاب على على رأسهم الأشتر النخعى أسمعوا جريرا بعض ما يكره ، فغضب جرير وارتحل بأهله إلى ( قرِ قيسياء ) معتزلا الفريقين (١) .

وفى معركة (صفين) بين على ومعاوية ، انقسمت القبائل العربية على نفسها، فكان مع الطرفين قسم من كل قبيلة عربية عدا بجيلة ، فقد كانت كلها مع على ولم يشهد منها أحد هذه المعركة مع قوات معاوية (٢) ، وهذا ينبت أن جريراً اعتزل الطرفين ولم يلتحق بمعاوية كا يزعم بعض الرواة .

وفى اعتزال جرير انتهت حياته العامة حتى وافاه الأجل سنة إحــــى وخسين (٣).

#### الانساله :

كان سيد قومه في الجاهلية وفي الإسلام (\*) . قال النبي صلى الله عليه وسلم لا دخل عليه جرير : « اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه » (\*) .

وكان مؤمناً حقا، لم يبدّل ولم يغيّر منذ آمن بالله ورسوله، وقد أخلص للدعوة مجاهداً وداعيا، وسهر على مصالح رعيته حين أصبح والياً، فلما نشب القتال بين المسلمين أيام الفتنة الكبرى، لم يلطخ يده ولاضميره بدنس، بل سعى جاهداً لجمع كلة المسلمين، فلما أخفق في مهمته ترك الدنيا وما فيها واعتزل الفتن منزويا في عقر داره في (قرقيسياء).

<sup>(</sup>١) الإصابة ( ٢٤٢/١ ) .

<sup>(</sup>٢) ابن الأثير ( ١١٧/٣ ) .

 <sup>(</sup>٣) ابن الأثير ( ١٩٤/٣ ) ...

<sup>(</sup>٤) الاستيعاب ( ٢٣٨/١ ) .

<sup>(</sup>ه) الإصابة ( ٢/٢/١ ) وأسد الغابة ( ٢٧٩/١ ) والاستيماب ( ٢٣٧/١ ) .

و كان شاعراً خطيبا لَسِمَا. قدم على عمر بن الخطاب رضى الله عنه من عند سعد بن أبي وقاص ، فقال له: «كيف تركت سعدا في ولايته ؟» ، فقل: « تركته أكرم الناس مقدرة ، وأحسنهم معذرة ، هو لهم كالأم البرة ، يجمع لهم كا تجمع الذرة (1) ، مع أنه ميمون الأثر ، مرزوق الظفر ، أشد الناس عند البأس ، وأحب قريش إلى الناس (٢) » .

قال عر: « فأخبرني عن حال الناس » فقال جرير: « هم كسهام الجمنية » منها القائم الرائش (٢) ، ومنها العصل (٤) الطائش ، وابن أبي وقاص ثقافها يغمز عَضِلها ويقيم ميلها ، والله أعلم بالسرائر ياعر! » قال: « أخبروني عن إسلامهم » ، قال: « يقيمون الصلاة لأوقائها ، ويؤتون الطاعة لولاتها » . فقال عر: « الحمد لله — إذا كانت الصلاة أوتيت الزكاة ، وإذا كانت الطاعة كانت الطاعة كانت الطاعة » . وجرير هو القائل: « الحمر من الخلابة ، والبكم خير من الخلابة ، والبكم خير من البذاء » (٥) .

وكان ذكيا محدثًا عللاً بأمور دينه فقيها : روى مائة حديث عن رسول الله عليه وسلم (٢) ، كما عده العلماء من أهل الفتيا البارزين (٧) .

وكان كيّسا عاقلا . وجد عمر بن الخطاب في مجلسه رائحة من بعض جلسائه ، حين قال عمر : « عزمت على صاحب هذه الرائحة إلا قام فنوضاً ١»،

<sup>(</sup>١) الذر : صفار النمل لا واحدثه : ذرة .

<sup>(</sup>٢) الاستيماب ( ١/٢٣٩ ) .

<sup>(</sup>٣) الرائش : ذو الريش ، إشارة إلى كاله واستقامته .

<sup>(</sup>٤) العضل بكسر الضاد — من السهام: المعوج . :

<sup>(</sup>ه) الاستيماب ( ۲۳۹/۱ ) . والحلابة أراد به التول .

<sup>(</sup>٦) أسماء الصحابة والرواة ـــ ملحق بجوامع السيرة ـــ لابن حزم . ٢

<sup>(</sup>٧) أسماء أصحاب الفتيا — ملحق بجامع السيرة لابن حرم -- ص ( ٣١٩) .

فقال جرير: «علينا كلنا يأ أمير المؤمنين فاعزم!»، فقال عمر «عليكم كلكم عزمت»، ثم قال: «يا جرير! مازلت سيداً في الجاهلية والإسلام (۱)». وكان آلفاً مألوفاً: أحبه النبي صلى الله عليه وسلم، وأحبه أصحابه، وكان على بن أبي طالب يقول: «جرير منا آل البيت». وبلغ مقدار حبة لقومه (بحيلة) أن حصل على وعد من رسول الله صلى عليه وسلم أن يجمعهم له وكانوا أشتاتاً بين القبائل العربية، فاستنجز أبا بكر هذا الوعد إلا أن ظروفه لم تساعده على إنجازه، فطالب عمر بن الخطاب بإنجازه فجمعهم له وسيّرهم إلى العراق بإمرته لقتال الفرس.

وكان يثق بنفسه ويعرف لها قدرها ولا يتخلى عن حق من حقوقها . أراد عمر بن الخطاب أن يؤمّر عرفجة بن هر بمة البارق على ( بجيلة ) ليسبّرهم إلى العراق ، فغضب جرير وقال لبجيلة : «كلّموا أمير المؤمنين! » ، فقالوا لعمر : استعملت علينا رجلا ليس منا 1 ، فأرسل إلى عرفجة وقال له : « ما يقول هؤلاء؟ » ، قال : « صدقوا يا أمير المؤمنين! لست منهم ولكنى من الأزد ، كنا أصبنا في الجاهلية دماً من قومنا فلحقنا ببجيلة فبلغنا فيهم من السؤدد ما بلغك » ، فقال عمر : « فاثبت على منزلتك فدافعهم كما يدافعونك » ، فقال : « لست فاعلاً ولا سائراً معهم » ، فأمّر ، عمر جريراً على يجيلة وسار معهم إلى العراق (٢) .

وكان كريما شهما شجاعاً وفياً جمع صفات العربي الأصيل وزاد عليها خلق المسلم، فلا عجب أن كان نموذجاً كاملا للمؤمن المجاهد الصابر المحتسب الذى بذل غاية جهده لخدمة عقيدته وقومه فى السلم وفى الحرب ، ولاعجب أن

<sup>(</sup>١) الاستيماب ( ١/٢٣٨ ) .

<sup>(</sup>٢) الطبرى ( ٦٤٦/٢ ) .

يستحوذ على إعجاب الناس بمزاياه ، فيقول فيه أحد الشعراء مردداً صدى إعجاب الناس بسجاياه الكريمة :

لولا جرير هلكت بحيلة نعم الفتى وبئست القبيلة (١) ولست أشك أن الشاعر لم يرد هجاء بحيلة نظراً لماضها المشرّف، ولكنه أراد أن (يبرز) أثر جرير الشخصى في (رفع) منزلة (بحيلة) بين القبائل العربية.

لقد كان جميل الصورة ، قال عمر ابن الخطاب عنه : « جرير يوسف هذه الأمة وهو سيد قومه » (٢) ، وكان طويل القامة (٣) ، يخضب بالصفرة (٤) ، أعور ذهبت عينه بـ (همذان ) (٥)

#### القائر : ﴿

لمسنا بوضوح فى من ايا جرير الشخصية بعض الصفات التى تؤهله لنولى قيادة الرجال فى أخطر المواقف وأحرج الظروف، فهو كريم النسب عقائدى شجاع مقدام عالم ذكى ، لذلك أمره الرسول القائد فى حياته حين وجهه لتحطيم صنم ( ذى الخلصة ) هذا الواجب الذى لم يكن سهلا فى تلك الأيام ، خاصة وأن جدور الشرك لم تكن قد اجتثت عاماً من أصولها ، وأن المشركين كانوا يسترخصون أرواحهم وأموالهم فى سبيل الذود عن أصنامهم ، لهذا لم يوجة الرسول صلى الله عليه وسلم لمثل هذه الواجبات غير الصفوة من أصحابه أمثال على بن أبى طالب وخالد بن الوليد وجرير .

<sup>(</sup>١) الاستيماب ( ٢٢٨/١ ) .

<sup>(</sup>٢) أسد الغابة ( ٢,٧٩/١ ) وأنظر البدء والتاريخ ( ٥/٥ ) .

<sup>(</sup>٣) الإصابة ( ٢٤٣/١ ) والبدء والتاريخ ( ٥/٥٨ ) .

<sup>(</sup>٤) أسد الغابة ( ٢/٩/١ ) .

<sup>(</sup>ه) المحارف (٨٦).

لقد كانت له قابلية فائقة على إعطاء القرار السريع الصحيح، شجاعاً مقداماً صبوراً ذا إرادة قوية راسخة، يتحمل مسؤوليته كاملة بلا تردد بل إنه بحرص غاية الحرص على محمل مسؤوليته كاملة ولايتهرب منها خوفاً وجزعاً ، له نفسية لاتتبدل في حالتي النصر والاندحار وفي حالتي الرخاء والشدة ، يعرف نفسيات رجاله وقابلياتهم ويثق بهم ويثقون به ويبادلهم حباً بحب وإخلاصاً بإخلاص ، له شخصية نافذة وقابلية بدنية ممتازة وماض ناصع مجيد .

# عربر فی الشاریخ :

يذكره التاريخ في ناحيتين : عقيدته الراسخة وجهاده العظيم !

يذكر عقيدته التي لم تتبدل أبدا منذ إسلامه ، فقد ثبت على عقيدته شامخا كالطود حين ارتدكثير من الناس ، واعتزل الفتن حين اشترك فيها كثير من الناس ، وبق في كل حياته مخلصا لعقيدته لايتزحزح عنها قيد أنملة طلبا لمغنم أو هربا من مغرم ، وبذلك كان النموذج الرائع للعقائدي الذي يحيا ويموت من أجل عقيدتة .

ويذكر التاريخ لهجهاده الفد لأجل إعلاء كلة الله ، ولاتزال آثار فتوحانه باقية فى حلوان وخانقين وقرميسين وهمذان منذ الفتح الإسلامى قبل حوالى أربعة عشر قرناً حتى اليوم .

إن الثاريخ لاينسي جريراً وأمثاله من قادة الفتح، ولكن هل يذكره العرب والمسلمون ؟

رضى الله عن الصحابي الجليل، القائد الفائح، المتحدث الفقيه، جرير ابن عبد الله البجلي.

قادة فتح محور دجلة من المدائن حتى الموصل

•

# عارسين المحستم العبسى

# فاتح محور دجلة من المدائن جنو باحتى الموصل شمالا

#### إسلام:

أسلم عبد الله بن مالك بن المُنتَمَ العبسى () فى أيام النبى صلى الله عليه وسلم ، فهو أحد تسعة رجال من قبيلة عبس وفدوا على النبى () فأسلموا ، فدعا لهم الرسول بالخير .

وبلغ رسول الله ، أن عيراً لقريش أقبلت من الشام ، فبعث هؤلاء الجماعة من بنى عبس فى سرية على رأسهم عبد الله ، وعقد لهم لواله أبيض (٢٠) فقالوا : يارسول الله ! كيف نقسم غنيمة إن أصبناها ونحن تسعة ؟ . قال : « أنا عاشر كم ١ » (١٠) . وهذا دليل واضح على أن عبد الله وفد مع جماعته قبل صلح الحديبية ، لذلك فهو من المهاجرين الأولين (١٠) .

<sup>(1)</sup> عند ذكر عبد الله بن المعتم . لم بجزم ابن حجرالعسقلاني في الإصابة (٤/١٢) برأيه ، فقالى : « وقد تقدم ذكر عبد الله بن المعتم العبدى ، فما أدرى أهو هذا نسب إلى جده (أي عبد الله بن المعتم من دون ذكر والده مالك ) أم غيره به وقد ذكر الطبرى (٩/٣) أن عبد الله بن المعتم من أصحاب النبي وكان أحد النسمة الذين قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم ، كما أن ابن سعد في طبقاته ( ١/٩٥٧) ذكر أن عبد الله بن مالك كان أحد التسعة من وقد عبس ، لهذا يكون عبد الله بن المعتم هذا قد نسب إلى حده ، ويكون اسمه الكامل : عبد الله بن المعتم .

<sup>(</sup>۲) الاصابة ( ۱۲۵/٤ ) الطبرى ( ۹/۳ ) وطبقات ابن بنعد ( ۲۹۰/۱ ) .

<sup>(</sup>٣) الإصابة (٤/١٢٥).

<sup>(</sup>٤) طبقات ابن سعد ( ۲۹٦/۱ ) .

<sup>(</sup>ه) طبقات ابن سعه ( ۲۹۰۰/۱ ) .

وارتدت عبس بعد وفاة النبي ، فو ثب مرتدوها على من ثبت على إسلامه وأبادوهم (١) ، والظاهر أن عبد الله كان بعيداً على متناول أيدى المرتدين منقومه ، فقد كان من الذين ثبتوا على إسلامهم بدليل أنه تولى القيادة فيما بعد ، ولم يتولاها غير الصحابة ، كما لم يتولاها أبداً من ارتد عن الإسلام ثم عاد إليه ، بل بقي جندياً بسيطاً حتى ولو بلغ الذروة فى المنزلة والشجاعة والكفاءة .

### مهاده:

### ١ — مع سعد بن أبى وقاص :

لابدوأن جهاده بدأ مبكراً بعد إسلامه ، فقاتل المرتدين ، وقاتل تحت ألوية الفاتحين ، ولكنه برز لاول مرة عندما تولى قيادة ( الميمنة ) (٢٠) لقوات سعد التي محركت من (شَرَاف) (٢٠) متجهة نحو القادسية ، وبق في مسير الاقتراب من شراف إلى القادسية وفي معركة القادسية قائداً للميمنة ، فكان لقيادته الحكيمة أثر في انتصار المسلمين في معركة القادسية الحاسمة .

وبعد معركة القادسية ، وصل أم عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبى وقاص بالسير إلى المدائن ، فقد م سعد زهرة بن الحوية ، ثم أتبع زهرة بعبد الله بن المعتم ، فلما وصلت مقدمته ( بُرُس ) (<sup>(1)</sup> لقبهم جمع من الفرس سارعوا إلى الانسحاب نحو ( بابل ) ولكنهم هزموا هناك أيضا .

وسار المسلمون من نصر إلى نصر ،حتى تم لم دخول المدائن عاصمة كسرى،

<sup>(</sup>١) الطبرى (٢/٨٧٤) .

<sup>(</sup>۲) الطبرى ( ۱/۲) وابن الأثير ( ۱۷٤/۲ ) .

<sup>(</sup>٣) شراف : ماء بنجد . أنظر التفاصيل في معجم البلدان ( ٣٤٦/٥ ) .

<sup>(</sup>٤) بُوس : مُوسِّع بِأَرْض بَابِل أَنظر مَعْجُم البِلدانُ ( ١٢٦/٢ ) :

وَكَانَ عَبِدُ اللَّهُ عَلَى مَقْدُمَةً سَعِدُ مَنْذُ غَادِرِ القَادِسِيةَ حَتَّى فَتَحَ الْمُدَائَن (١).

### ٧ — الفاتح:

عندما علم سعد بأن الروم وأهل الموصل - اجتمعوا بنكريت وتحصنوا بها ومعهم أحلافهم من إياد وتغلب والنمر ، أرسل إليهم عبد الله وبامرته خسة آلاف مسلم ، فوصل تكريت بأربعة مراحل فى أربعة أيام (٢) وحاصر الروم وأحلافهم الذين خندقوا بتكريت أربعين يوماً تزاحفوا خلالها أربعة وعشرين زحفاً ، فأرسل عبدالله إلى العرب الذين يقاتلون بجانب الروم يناشدهم الكف عن نصرة الروم والالتحاق بالعرب المسلمين ، فاستجابوا له وسألوه السلام للعرب ، فأجابهم : « إن كنتم صادقين ، فاشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأقروا بما جاء به من عند الله ، ثم أعلمونا رأيكم » فرضوا بذلك ، فأرسل إليهم من يقول لهم : « إذا سمعتم تكبيرنا فاعلموا أنا قد بهدنا إلى الأبواب التي تلينا لندخل عليهم منها ، فخذوا بالأبواب التي تلي دجلة وكبروا واقتلوا مَنْ قدرتم عليه » .

وحمل المسلمون على المدينة وكبروا ، فردّد تكبيرهم العرب الذين أسلموا من المدينة ، فاضطرب الروم وحاولوا الهرب من الأبواب التي تطل على دجلة ، إلا أن السيوف أخذتهم من الإمام والخلف ، فلم يفلت منهم أحد (٢٠٠٠) ، وهكذا فتح المسلمون مدينة تكريت .

أفيقنع عبد الله بهذا النصر ؟ كلا! لقد أرسل قوة من المسلمين بقيادة

<sup>(</sup>١) الإصابة (١٣٢/٤) .

<sup>(</sup>٢) الطبرى ( ١٤١/٣ ) .

<sup>(</sup>٣) ابن الأنير ( ٢٠٣/٣) .

ربعى ابن الأفكل (1) إلى الحصنين: نينوى (٢) والموصل ، وقال له: « اسبق إليهما قبل وصول الأنباء إليهما » وسرح معه تغلب واياد والنمر ، فباغت ابن الأفكل الحصنين قبل وصول أنباء فتح تكريت إليهما.

وأراد حماة هذين الحصنين المقاومة ، فلما علموا بمأصاب تسكريت أجاب أكثرهم إلى الصلح على الجزية ، فأقام من استجاب وهرب من لم يستجب إلى أن وصل الموصل عبد الله بن المعتم ، فدعا الذين هربوا إلى العودة ووفى بعهد لمن يقى فيها ، فتراجع الهراب واغتبط المقيم وصارت لهم جميعاً المنعة والذمة (٣).

وبقى عبد الله على رأس جيشه فى الموصل حتى استدعاه سعد الحضور مع قواته إلى المدائن ، فلما وصلوها ارتحل سعد بالناس إلى الكوفة فدخلوها فى محرم من السنة السابعة عشرة للهجرة (1).

#### الانسان :

لما قدم وفد عبس إلى الرسول معلناً إسلامة ، عقد الرسول راية بيضاء (٥) ، الابن المعمم على أصحابه المنتخبين من بين سادات قومهم ، ممايدل على أنه كان أبرز شخصية في عبس حينذاك .

ومنذ أسلم ثبت على عقيدته لا يريم عنها بالرغم من ارتداد ( عبس ) عن

<sup>(</sup>١) سنكتب ترجمته في العدد القادم إن شاء الله تعالى .

<sup>(</sup>۲) نينوى: مدينة آثرية آشورية لاتزال قائمة مقابل مدينة الموصل فالطفة اليسرى من دجلة وفيها قبر النبي ذى النون ( بونس ) عليه الصلاة والسلام . أنظر معجم البلدان ( ٣٦٨/٨ ) .

<sup>(</sup>٣) الطبرى ( ١٤٢/٣ ) وأسد الفاية ( ٢٦٤/٣ ) .

<sup>(</sup>٤) الطبرى (٢/٧) .

<sup>(</sup>ه) الارسابة (٤/١٢٥).

الإسلام بعد وفاة النبي، مما يدل على أنه أسلم رغبة لا رهبة وأنه كان رجل مبدأ وليس بامعة يتاجر بمبادئه فيبدلها كلما تبدلت الظروف والأحوال.

لقد أوقف نفسه لخدمة عقيدته ، فجاهد في سبيل إعلائها جندياً وقائداً حتى وافاه الأجل المحتوم .

الظاهر أنه تفرَغ للجهاد ، فشغله هذا الواجب عن كل أمر سواه ، إذ لم تُعرف له رواية عن النبي (1) ، كما قد شغل الجهاد كثيراً من الصحابة عن رواية الحديث والتفقه في الدين إلى درجة الاختصاص .

لقد كان محباً لأصحابه محبوباً منهم كريماً شهماً شجاعاً مقداماً ، جمع صفات العربي الأصيل والمسلم الصادق ، فلا عجب ألا يسكون من بين الذين أثروا من غنائم الفتح، وهي غنائم كفيلة بتأمين الثراء العريض.

ما هى أعماله العامة بعد الفتح ؟ أين ومتى توفى ؟ ذلك ما لم تذكره المصادر التى بين أيدينا ، وحسبها أن تتغنى بكل ما ذكرناه من أمجاده ، وهى بدون شك أهم مما أغفلته بكثير!!

#### : القائد :

عين الرسول ابن المعتم قائداً ، وعينه سعد بموافقة عمر قائداً ، فاهى المرايا التي أهلته لتولى منصب القيادة ؟

كان شجاعاً مقداماً ، له قابلية على إعطاء القرارات الصحيحة السريعة ، مكيثاً لا يتعجل الأمور ولا ينهور ، صابراً على مكابدة مشقات القتال ، له إرادة قوية راسخة وشخصية نافذة مسيطرة ، يتحمل المسؤولية ولا ينهرب منها

<sup>(</sup>١) أسد الغاية ( ٢٠١/٣ ) والارسابة (١٢٠/٤ ) .

أو يلقبها على عواتق الآخرين ، يثق برجاله ويثقون به ويحبهم ويحبونه ، له ماض مشرف ناصع مجيد .

وكان يهتم كنيراً بالاطلاع على نوايا العدو وأخباره ، وقد ظهر ذلك بوضوح فى معركة (تكريت) ، إذ عندما أرهق الحصار المدافعين عن المدينة ، عزم الروم على الفرار بالسفن ، فلما علم ابن المعتم بدلك من عيونه راسل حلفاء الروم من العرب يدعوهم إلى الإسلام وإلى نصرته (١) ، وكان لاستجابتهم له أثر حاسم فى انتصار المسلمين .

أما خطته الدقيقة لاحتلال تكريت ، فتدل على قابليته الفائقة فى وضع الخطط العسكرية وتنفيذها ، كما تدل على تشبعه بروح (المباغتة) أهم مبدأ من مبادئ الحرب على الإطلاق .

كا أن أوامره الصريحة التي أصدرها لربعي بن الأفكل الذي وجهه لفتح الموصل ونينوى: « أسبق الأخبار ، وسر ما دون القيل وأحي الليل » (٢) ما يؤكد تشبع ابن المعتم بروح (المباغنة) وبمبدأ (النعرض) و (الأمن) ومبدأ (محشيد القوة) فلا عجب إذا استطاع بمدة لاتزيد كثيراً عن الشهرين احتلال المنطقة الشاسعة من المدائن جنوباً حتى الموصل شمالا ، وهي مدة قصيرة حتى بالنسبة للحرب (٢) الحديثة ، بينا قطع العرب هذه المسافة سيراً على الأقدام أو على الخيل والإبل ولم تقيسر لدمهم وسائط النقل الحديثة .

<sup>(</sup>١) الطبرى ( ١٤١/٣ ) .

<sup>(</sup>۲) الطبرى (۳ /۱٤۲) ، ومعنى ذلك : أن يتحرك بكل سرعة ليلا ويختنى نهاراً حتى يصل هدفه قبل وصول أنباء فتح تسكريت إليه ، وبهذا يباغت المدافعين عنه بوسول المسلمين إليهم قبل أن يعدواكافة متطلبات القتال .

<sup>(</sup>٣) في الحربالعالمية الثانية احتل الحلفاء بقداد في ١٩ مارس ١٩٦٧ وأعلنت الهدنة في ٣١ تشرين الأول ١٩١٨ ، ودخلوا الموصل صلحاً بعد ذلك !!!!.

# ابن المعتم فى التاريخ :

بعد هزائم الروم بتكريت والموصل ، خشى الروم أن يقطع المسلمون علمهم خط رجعتهم بالحركة من الموصل إلى شمال بلاد الشام ، فكان لذلك أثر كبير فى تراجع الروم بسرعة من شمال بلاد الشام وتقدم المسلمين السريع لفتحها .

يكفى أن يذكر التاريخ له ، أنه فانح محور دجلة من المدائن حتى الموصل وإنه أسكن العرب ونشر الإسلام في كل هذه الربوع .

# ربعی بن الأفكل العت نزی فاتح المو صل

#### الصمایی :

أسلم ربني بن الأفكل العنزى (١) في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن المصادر التي بين أيدينا أغفلت ذكر موعد إسلامه ، ومع ذلك يمكننا الجزم بأنه أسلم في أيام النبي وصحبه ، لأنهم كانوا لا يؤمرون في الفتوح إلا الصحابة (١) ، خاصة وأنه تولى القيادة في زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وبأم لا يولى إلا الصحابة ولا يرضى أبدا أن يعمل صحابي بإمرة غير صحابي .

#### مهاده :

جاهد ربعى أهل الردة ؛ فلما عادوا إلى الإسلام واستقرت الأمور فى شبه الجزيرة العربية ، كان ربعى من بين الذين اختاروا جهاد الفرس فشهد فتح المدائن والمعارك التى سبقتها .

وبرز اسمه لأول مرة قائدا لمقدمة عبدالله بن المعتم الذي تحرك بقواته

<sup>(</sup>۱) جاء اسمه فى الاصابة (۲/ ۱۹٤) ربعى بن الأفكل العنبرى ، بينها جاء اسمه فى الطبرى (۱) جاء اسمه فى الطبرى (۱٤١/۳) ربعى ابن الأفكل العنزي ،كما ورد اسمه فى كافه المصادر القديمة ربعى بن الأفكل العنزى ، وقد أخذنا به نظرا لاعتقادنا أن كلمة (العنبرى) فى الإصابة تصحيف ليس إلا .

<sup>(</sup>٢) الإصابة ( ٢/١٩٤ ) .

لفتح مدينة (تكريت)، وبعد أن تم لعبدالله فتح (تكريت) سار ربعی على رأس قوة من المسلمين لفتح الحصنين: نينوى والموصل، إذ أن عمر بن الخطاب كان قد عهد إلى سعد بن أبى وقاص: « أن يسرح عبدالله بن المعتم بعد فتح تكريت ربعى بن الأفكل إلى الحصنين » (1) ، الحصن الشرقى وهو نينوى والحصن الغربى وهو الموصل.

وكان نص أمر عبد الله بن المعتم الذى أصدره إلى ربعى: «اسبق الخبر وسر ما دون القيل وأحى الليل » أى أنه يحب أن يقطع المسافة بين تكريت والموصل سريعا بالسرى ليلا وبالمسير بعض ساعات النهار قبل الظهر ، حتى يصل الحصنين قبل أن تصل إليهما أخبار استسلام تكريت وأخبار تقدم المسلمين لفتحهما ، فنقد ربعى هذا الأمر حرفيا بالإفادة من رجال تغلب واياد والخر الذين أسلموا حديثا بعد فتح تكريت ، إذ دبر ربعى خطة الفتح بالتعاون مع هذه القبائل ، تلك الخطة التي يمكن تلخيصها : بأن يسبقوا جيشه ويذهبوا إلى أهل الحصنين ويظهروا لهم الظفر والنفل . والعودة بسلام من تكريت ، ولكنهم عندما يدخلون الحصنين يسيطيرون على أبوابهما ، فيدخل المسلمون من تلك الأبواب المسيطر عليها بدون مقاومة .

نفذت القبائل هذه الخطة بكل دقة ، وبادرت خيل ربعى المتقدمة أمام قواته باقتحام الحصنين على حماتهما ، فاستسلم بعضهم وفر آخرون ، فلما وصل عبد الله بن المعتم نينوى والموصل بعد فتحهما دعا من فر من سكانهما ولهم الأمان ، فعادوا إلى بلدهم وشملت السكان الأصليين الذمة والمنعة .

<sup>(</sup>۱) الطبرى ( ۱٤١/٣ ) وابن الأنير ( ۲۰۲/۱ ) .

وهكذا فتح المسلمون الموصل وضواحيها ، فعين عمر بن الخطاب ربعي ابن الأفكل على حرب الموصل وعرفجة بن هر ممة على خراجها(١) .

#### الإنسان :

عاش ربعی لعقیدته ، و کان جهاده أبرز ما فی حیاته ، فقد عاش جندیا وقائدا یعمل تحت رایات غیره من القادة تارة ، ویعمل الناس تحت رایته تارة أخرى ، وهو فی الحالتین یبذل غایة جهده لإعلاء كمة الله . .

منى ولد؟ كيف وأين عاش؟ ماهى مراياه الإنسانية؟ كيف ومنى توفى؟ أين دفن؟ كل ذلك أغفله التاريخ ونسيه الناس!

ولكن هل تخفى مزاياه الإنسانية إلى درجة أننا لا نستطيع أن نتبين معالمها وخطوطها العريضة ؟؟ حسبنا أن نذكر أنه رجل من رجالات العرب وقائد من قادة الإسلام ، جمع مزايا العرب وقضائل الإسلام ، وكرس حياته كلها لخدمة عقيدته ، ولم يعمل لنفسه يجمع لها المال والعقار ، إذ لم يذكر التاريخ عنه أنه أثرى من الفتح وعاش في سعة ورفاه كبعض الفاتحين من أمثاله .

#### الغيائر:

يظهر من دراسة الخطة العسكرية التي نفذها ربعي منذ تحرك بقواته من تكريت إلى أن فتح الموصل وضواحيها ، أنه كان قائداً متشبعاً بروح مبدأ (المباغتة) بالزمان ، فقد قطع المسافة بين تكريت والموصل بسرعة خاطفة ، واقتحمت خيله المدينة قبل أن تصلها أخبار استسلام تكريت للمسلمين ، ففتح

<sup>(</sup>۱) ابن الأثير ( ۲۰۳/۲ ) والطيرى ( ۱٤٣/۳ ) ويروى البلاذرى ص (٣٢٧) أن فانح الموصل هو عتبة بن فرقد السلمى ولسكن روايته هذه مرجوحة في نظرنا .

المدينة صلحاً ، وفر الذين لم يرضوا بالصلح ثم عادوا أدراجهم بعد جين !

إن العسكرى يدهش أشد الدهشة من سرعة حركة قوات ربعى وسرعة فتح مدينة الموصل ، فقد تم كل ذلك بمدة لا تزيد على عشرة أيام ، بيما قطع الحلفاء نفس المسافة في الحرب العالمية الأولى بمدة لانقل عن عام ونصف العام ا

إن سرعة تقدم المسلمين في حركاتهم مثال من أمثلة الحرب الخاطفة التي كانوا يشنونها في الزمان والمكان المناسبين – وهذه السرعة الخاطفة كانت بدون شك من عوامل انتصارهم على أعدائهم .

لقد كانت قوات الموصل الضاربة تقاتل فى تكريت التى تعتبر الخط الدفاعى الأول عن الموصل ، فلها استسلمت القوات المدافعة عن تكريت لم يبق للموصل قوة مؤثرة تدافع عنها ، إذ كان مقدرا للقوات المدافعة عن تكريت أن تنسحب منها بعد قتال شديد إلى الموصل للاشتراك مع القوات المتيسرة هناك فى الدفاع عن المدينة ، ولكن استسلام المدافعين عن تكريت من غير العرب وإسلام القبائل العربية المدافعة عنها وانضامهم إلى المسلمين كان إيذانا بسقوط الموصل الأكيد مالم تعمل الموصل على تحشيد قوة كافية للدفاع عنها ، وهذا يحتاج إلى الوقت الكافى . لذلك سبق ربعى الخبر بحركة قواته السريعة ليلا ونهاراً ، مما جعله بداهم الموصل قبل أن تعلم بأنباء سقوط تكريت ، وقبل أن يتأهب أهلها للدفاع عنها .

لقد كان ربعى شجاعاً مقداماً ، سريع القرار ، قادراً على إعداد الخطط العسكرية المناسبة ، وكان يبادل قطعاته ثقة كاملة وحبا بحب ، وكان يتمتع بإرادة قوية راسخة وشخصية رصينة نافذة ، يتحمل المسئولية ولا يتهرب منها ليضعها على عواتق الآخرين .

# ربعی فی التاریخ :

يقترن اسم ربعى باسم الموصل فى التاريخ ، فنذ فتحها المسلمون لم يستطع أحد من غير المسلمين دخولها عنوة ، كما لم يقتحمها أبداً عدو (خارجى ) منذ فتحها المسلمون حتى اليوم ، بل صمدت هذه المدينة الصابرة الباسلة دائماً بوجه الغزاة تدافع عن عروبتها وإسلامها .

إن أثر ربعى في فتح الموصل لم يقتصر على ضمها إلى البلاد الإسلامية وإسكان العرب في ربوعها و نشر الإسلام بين سكانها ، بل امتد أثره بعيداً إلى أرض الشام ، حيث بلغت هزائم الروم في تكريت والموصل أسحاع إخوانهم في بلاد الشام ، فتولاهم الفزع من احمال تقدم المسلمين من الموصل إلى أصقاع الشام الشمالية ، فيقطعوا على الجيش الروماني الذي يدافع عن أرض الشام خطوط ا نسحابه إلى قواعده في القسطنطينية والبلاد الرومية ، مما سهل على المجاهدين في بلاد الشام مهمتهم، واضطر الجيوش الرومانية على الا نسحاب من بلاد الشام بانجاه القسطنطينية ، وبذلك طهر المسلمون بلاد الشام من الروم وسهل لهم فتح ( الجزيرة ) الكائنة بين الفرات و حجلة من شمال الموصل حتى ديار بكر و نصيبين .

هــذا هو ربعي بن الأفـكل، وتلك هي آثاره الخالدة ، فهل يستحق مثله العقوق والنسيان؟؟

# عرفحية بن هرثمة البّارتي

# أول قائد عربى ركب البحر وأول من اختط الموصل وأسكنها العرب ومصرها

#### إسلام:

أسلم عَرْفَجَة بن هرثمة البارق<sup>(۱)</sup> فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ، والكنا لا نعرف متى أسلم بالضبط ، والظاهر أنه أسلم متأخراً أى فى عام الوفود من السنة الناسعة للهجرة ، لأنه لم يرد له ذكر فى غزوات الرسول القائد؛ ولكنه بدون شك كان صحابياً جليلا، لأنهم لم يكونوا يؤمرون إلا الصحابة (<sup>17)</sup>

#### مهاده:

# ١ – جهاده أهل الردة :

عقد الصديق أبو بكر إحدى عشر لواء لكل قائد لواء ووجهم لقتال المرتدين ، وعقد لعرفجة لواء ووجهه لمقاتله أهل الردة في (مَهْرَة) (٢٠) ، كما وجه

<sup>(</sup>١) في الأرصابة (٣٣٥/٤) النسلسل (١٠٥٠) نسبة : عرفجة بن هرعمة ابن عبد الدريز بن زهير البارق .

<sup>· (</sup> ٢٣٥/٤ ) الأيماية ( ٢٣٥/٤ ) .

<sup>(</sup>٣) مهرة: اسم قبيلة من قضاعة تنسب إليهم الإبل الهرية، ولهم ف المين محل يسمى: مهرة بينه وبين عمان مسيرة محو شهر وكذلك بينه وبين حضر موت. راجع معجم البلدان (٢١١/٨).

حذيفة بن محصن الغَلْفَانَى (۱) لمقاتلة المرتدين في (عان) (۲) ، وأمرها أن يبتدنا بعان : حذيفة على عرفجة على حذيفة في (مهرة) (۱) ، وأمرها أن يُجدا السير حتى يقدما (عمان) ، وكان أبو بكر قد أرسل عكرمة ابن أبي جهل إلى ( البمامة ) (۱) ففشل في مهمته ، فأمره أبو بكر أن يلحق بحذيفة وعرفجة ، فلحقهما قبل وصولها (عمان) فلما وصلوها انضمت إليهم قوات المسلمين الذين ثبتوا على دينهم في تلك المنطقة ، فقاتلوا المرتدين في منطقة (عمان) قتالا عنيفاً حطموا به المرتدين ، كما خاضوا معركة عنيفة أخرى في منطقة (مهرة ) انتصروا فيها على المرتدين أيضاً (۱) ، وأعادوا الإسلام إلى تلك الربوع.

#### ٢ – جهاده في البحرين

ولما انتهى أمر المرتدين فى (عمان) و (مهرة) التحق عرفجة على رأس رجاله بالعلاء بن الحضرمى فى البحرين ، فقطع العلاء إلى أسياف فارس ، فقطع البحر فى السفن، فكان أول من فتح جزيرة بأرض فارس واتخذ فيها مسجداً.

<sup>(</sup>١) راجع ترجمته في الإرصابة ( ٣٣٢/١ ) التسلسل ( ١٦٤١ ) .

<sup>(</sup>٢) عمان : منطقة عربية على ساحل خليج عمان وتشتبل على بلدان كثيرة ذات نخل وزروع ، إلا أن حرها يضرب به المثل . راجع التفاصيل في معجم البلدان ( ١٠/٨ ) .

<sup>(</sup>٣) الطبرى (٢/٥٧٢).

<sup>(</sup>٤) الىجامة : منقول عن اسم طائر يقال له : الىجام واحدته عامه ، وهي منطقة معدودة من نجد ، راجع التفاصيل في معجم البلدان ( ١٩/٨ ) .

<sup>(</sup>٥) الطرى ( ٢٩/٢ • ) وابن الأثير ( ١٤٣/٢ ) .

 <sup>(</sup>٦) البلاذرى ص ( ٣٨٧) ، وطبقات ابن سعد ( ٣٦٢/٤ ) وقد ذكر أن غزوة عرفجة هذه كانت سنة أربع عشرة هجرية ، وأنا أعتقد أنها كانت قبل هذا التاريخ نظراً للسلسل الحوادث ولأن عرافجة كان حينذاك في ساحات قتال العراق .

### ٣ — جهاده في العراق

# (١) مع المثنى بن حارثة الشيبانى

ندب عربن الخطاب الناس إلى العراق بعد هزيمة المسلمين في معركة (الجسر) واستشهاد قائدهم أبي عبيد بن مسعود الثقني ، فكان عرفجة أحد المتطوعين ، فأراد عر استعاله على (بجيلة) ، فقال جرير بن عبد الله البجلي لبجيله : « تقرون بهذا ؟ » فأتوا عمر ، وقالوا : اعفنا من عرفجة ا، فقال عمر : « لا أعفيكم من أقدمكم هجرة وإسلاما ، وأعظمكم بلاء وإحسانا » . فقالوا : استعمل علينا رجلا منا ١٠ . . فأرسل عمر إلى عرفجة ، فقال : « إن هؤلاء استعفوني منك وزعوا أنك لست منهم ، فما عندك ؟ » . فقال عرفجه : «صدقوا ، وما يسرني أني منهم . . . أنا امرؤ من الأزد نم من بارق » . فقال عرب عمر : « نعم الحي الأزد ، يأخذون نصيبهم من الخير والشر ١١ » (١) ، فأمى عمر عرفجة على الأزد وسيرهم إلى العراق ، ففرح الأزد بعودة عرفجة إليهم ، فغرج بقومه حتى قدم على المثنى بن حارثة الشيباني في العراق (٢) .

قاتل عرفجة على رأس الأزد تحت لواء المثنى فى معركة (البويب) الحاسمة، فكان من المعدودين الذين قتلوا تسعة من رجال الفرس. قال يحدث المثنى بعد المعركة: «طاردت كتيبة منهم إلى الفرات ورجوت أن يكون الله تعالى قد أذن فى غرقهم وسلى عنها بهامصيبة (الجسر)، فلما دخلوا إلى حد الاحراج، كروا علينا، فقاتلناهم شديدا حتى قال بعض قومى: لو أخرت رايتك! ا

<sup>(</sup>١) الطبرى ( ٦٤٦/٢ ) .

<sup>(</sup>٢) الطرى (٢/٧) .

فقلت : « على إقدامها ! ! » وحملت بهما على حاميتهم فقتلته ، فولوا نحو الفرات ، فما بلغه منهم أحد فيه الروح » (١) .

(ب) مع سعد بن أبي وقاص

قاتل عرفجة نحت لواء سعد بن أبى وقاص فى معركة (القادسية) الحاسمة، وكان أحد أفراد الوفد الذى وجهه سعد لمفاوضة رستم قائد الفرس (٢٠)، وكان عرفجة أحد الذين أبلوا أحسن البلاء فى القادسية وفى المعارك الأخرى التى قادها سعد بعد (القادسية) حتى دخل المدائن عاصمة الامبراطورية الفارسية.

(ج) الفامح

لما علم عمر من سعد باجتماع أهل (الموصل) وتوجههم إلى (تكريت) ، كتب إلى سعد: «سرح إليهم عبدالله بن المعتم (") ، واستعمل على مقدمته ربعي بن الأفكل وعلى الخيل عرفجة بن هرتمة » (أ) ، فشهد تحت لواء ابن المعتم فتح (تكريت) ثم شهد فتسح المنطقة من (تكريت) حتى (الموصل) ، حيث ولاه عمر خراج (الموصل) (") بعد فتحها .

#### ٤ – في البحرين ثانية

الظاهر أن عرفجة آثر الجهاد على منصبه الادارى، فعاد ثانية مع قومه إلى البحرين، فلما تولى عتبة بن غزوان البصرة (٦) كتب عمر البه: « قد

<sup>(</sup>١) الطبرى ( ٢/١٥١ ) .

<sup>(</sup>٢) الطبرى ( ٣/٣) .

<sup>(</sup>۴) سترد ترجمته فی عدد قادم إن شاء الله .

<sup>(</sup>٤) ابن الأثير ( ۲۰۳/۳ ) والطبرى ( ۱٤١/۳ ) .

<sup>. (</sup>٥) ابن الأثير ( ٢٠٤/٣ ) .

<sup>(</sup>٦) في رواية أن عتبة بن غزوان تولى البصرة سنة أربع عشرة الهجرة ، كما جاء في ابن الأثير ( ١٨٨/٢ ) ، بينما مصر"ت البصرة سنة سبع عشر الهجرة كما جاء في نفس

كتب إلى العلاء بن الحضرمى أن يمدك بعرفجة بن هرئمة ، وهو ذو مجاهدة ومكايدة للمدو ، فإذا قدم إليك فاستشره » (١) ، فكان الساعد الأيمن لعتبة في الإدارة والجهاد .

فقد أرسله وعاصم بن عمرو النميعي والأحنف بن قيس من البصرة ضمن جيش كثيف في اثنى عشر ألف مقائل ، فخرجوا على البغال بجنبون الخيل وعلمهم أبو سبرة بن أبي رهم لإنقاذ جيش العلاء بن الحضرمي ، فانتصر المسلمون في ( الأهواز ) انتصارا رائعا وأنقذوا حيش العلاء بن الحضرمي من خطر كبير ، ثم عاد هذا الجيش إلى البصرة سالماغانما (٢٠).

### ه – فی فتح فارس

تولى البصرة أبو موسى الأشعرى فكتب عمر بن الخطاب إلى أبى موسى:
« ابعث إلى الأهواز جندا كثيفا ، وأمر عليهم عدى ابن عمرو أخاسهيل ،
وابعث معه البراء بن مالك ومجزأة بن ثور وعرفجة بن هرثمة » (٦) فشهد فتح
مدينة (رامهرمن) (١) ومدينة (تستر) (٥) ، وبق مجاهدا في ساحات القتال
حق عاد إلى (الموصل) سنة اثنتين وعشرين للجهرة والياً عليها من قبل عمر

المصدر ( ۲۰۳/۲ ) ، إذ أن منطقة البصرة كانت خاضمة للفرس سنة أربع عشرة الهجرة ولم يجر تطهيرها منهم ، إننى أرجح أن عتبة بن غزوان تولى البصرة سنة سبع عشرة الهجرة وأن عرفجة التحق بعد فتنح الموصل كما جاء فى أعلاه .

<sup>(</sup>١) ابن الأثير ( ١٨٨/٢ ) والإصابة ( ٤/٥٣٠ ) وأسد الفابة ( ٤٠١/٣ ) .

<sup>(</sup>۲) ابن الأنبر ( ۲۰۹/۲ ) والطبرى ( ۱۷۸/۳ ) . (۳) ابن الأنبر ( ۲۱۱/۲ ) .

 <sup>(</sup>٤) رأمهرمز : معنى ( رام ) بالفارسية المراد والمقصود ، وهرمز مدينة مشهورة
 بناحية خوزستان . راجع التفاصيل في معجم البلدان ( ٢١١/٤ ) .

<sup>(</sup>ه) تُستر : أعظم مدينة في خوزستان اليوم . أنظر التفاصيل في معجم البلدان ( ٣٧٦/٢ ) وهي مدينة ششتر .

بن الخطاب ، ولكن عثمان أعاده للجهاد فى ميادين بلاد فارس ، وأخيرا أعاده عثمان واليا على الموصل » (١).

#### الإنساد :

استقر عرفجة في الموصل واليا عليها بعد جهاده الطويل ، فقد أمره عنهان أن يتوجه من فارس إلى الموصل على رأس أربعة آلاف جندى من الأزد وطئ وكندة وعبد القيس ، وكان قد بعثه عنهان يغير على أهل فارس ، فسكن الموصل هذا الجيش (٢) ، فكان عرفجة أول من اختط ( الموصل ) وأسكنها العرب ومصر ها ، وكانت قبله فيها الحصن وبيع النصارى ومنازل قليلة لهم عند تلك البيع ومحلة لليهود ، فصر ها عرفجة وأنزل العرب منازلهم واختط لهم ثم بنى البيع ومحلة لليهود ، فصر ها عرفجة وأنزل العرب منازلهم واختط لهم ثم بنى المسجد الجامع (٢) ، وبذلك سكن العرب الجدد إلى جانب إخوانهم العرب القدماء من إياد وتغلب والخر (١).

ما هي أعمال عرفجة العامة بعد تمصيره (الموصل) ، وما مصيره ؟ ومتى . توفى ؟ إن المصادر التي بين أيدينا لا تذكر شيئا عن ذلك .

ولكن الذى يقرأ سيرته إنسانا يتبين أنه كان مؤمنا حقا ، يتفانى من أجل عقيدته ومبدئه ، ولم يكن مرتزقا يجمع الأموال والعقار من أعماله العامة قائدا وواليا ، بل ارتفع بنفسه عن المادة الزائلة ليبقى عمله خالصا لوجه الله وحده اوكان صادقا وفيا ، شهما غيورا ، كريما مضيافا رزينا متزنا ، عاقلا ذكيا،

<sup>(</sup>١) أسد الغابة ( ٤٠١/٣ ) .

<sup>(</sup>٢) أسد الغابة ( ٢/٣) .

<sup>(</sup>٣) البلاذرى ص ( ٣٢٧ ) .

<sup>(</sup>٤) الطبرى ( ١٥٣/٣ ) وابن الأثير ( ٢٠٢/٢ ) ولاتزال هذه القبائل في الموصل حتى اليوم تحافظ على أمجادها وتعرف نسبها وتعتد بالمروبة والإسلام .

يحب لغيره ما يحب لنفسه ، وكان إداريا حازما برز في الإدارة بروزا لايقل عن بزوزه في ميدان الحرب .

## القائر :

كان عرفجة مثالا رفيعا من أمثلة الشجاعة العربية النادرة ، وكان فى زمانه معدودا من أفذاذ الشجاعة ، لذلك نرى عمر يمينه بالاسم فى البعوث كلما تحرج موقف المسلمين فى ساحة ما من ساحات الفتح .

قال عمر للأزد قوم عرفجة: «أى الوجوه أحب إليكم؟». قالوا: الشام!. فقال: «ذلك قد كفيتموه.. العراق! العراق! ذروا بلدة قد قلل الله شوكتها وعددها، واستقبلوا جهاد قوم قد حووا فنون العيش، لعل يورثكم قسطكم من ذلك، فتعيشوا مع من عاش من الناس». فقال عرفجة لقومه: «ياعشيرتاه! أجيبوا أمير المؤمنين إلى مايرى». فقال الأزد: إنا قد أطعناك وأجبنا أمير المؤمنين إلى ما رأى وأراد (١).

ولم يمكن النوجه إلى العراق يومذاك سهلا، خاصة بعد أن تلقى المجاهدون من المسلمين فيه درسا قاسيا فى معركة (الجسر)، ولمكن شجاعة عرفجة ونخوته وشهامنه أبت عليه إلا أن يختار أخطر ساحات الفتح الإسلامى، فذهب إلى العراق مختارا وبذل فيه أفصى ما يبذله المؤمن القوى الشجاع.

وكان سريع القرار صائبه ، له نفسية لاتتبدل فى حالتى النصر والاندحار، يتحمل المسؤولية كاملة بلا تردد ولا خوف ، ويتمتع بمزية سبق النظر لذكائه واتزانه ، يثق پرجاله ويثقون به ويحبهم ويحبونه ، له شخصية نافذة وإرادة قوية وماض ناصع مجيد .

<sup>(</sup>١) الطبرى ( ٦٤٢/٢ ) .

وكان فى أعماله يطبق أهم مباىء الحرب: بختار (مقصده) بدقة وينوخاه دائما ،كل معاركه (تعرضيه) ، يحشد لها أكبر قوة ممكنة ، وينفذ خططه بصورة مباغتة ويعمل دائما على إدامة معنويات قطعاته ويؤمن لها كافة متطلباتها الإدارية

# عرفجة في الشاربخ :

يذكر الناريخ لعرفجة جهوده الجبارة فى قنال أهل الردة فى (عان) و (مهرة) ، ويذكر له أعماله الفذة فى أكثر معارك الفتح الاسلامى فى العراق وفارس ، ويذكر له أنه أول قائد عربى فى الإسلام ركب البحر وجرأ العرب على ركو به ، ويذكر له تمصيره مدينة الموصل الحدباء (١) وجعلها من أكبر قواعد العرب والإسلام .

تلك هي مآثر عرفجة في التاريخ، فهل نذكره ونذكرها له، أم ننساه وننساها، لأننا أمة من أخطر عيوبنا النسيان ؟!

<sup>(</sup>۱) يقول يا قوت الحموى فى كتابه معجم البلدان ( ۷/ ۱۹ ۵) عن الموصل ما نصه : « المدينة المشهورة العظيمة ، إحدى قواعد بلاد الإسلام ، قليلة النظير كبراً وعظها وكثرة خلق وسعة رقعة ، فهمى محط رحال الركبان » .

قارة فتح محور الفات من الرمادى حتى ملتقى اكتابوب مب العنس الست

# عمت بن مالك و الزهب ري

# فاتح محور الفرات من الرمادى حتى ملتقى الخابور بالفرات

### إسلامه :

أسلم عمر بن مالك بن عقبة بن وهب بن عبد مناف بن زهرة القرشى يوم فتح مكة المكرمة ، وعمر هذا هو ابنءم والدسمد بن أبي وقاص الزهرى<sup>(١)</sup>.

ولا تذكر المصادر التي بين أيدينا شيئاً عن قتاله المسلمين قبل إسلامه ولا عن قتاله مع المسلمين في حياة النبي بعد إسلامه ، والظاهر أنه لم يكن شديد الخصومة للدين الجديد أسوة بقومه بني زهرة ، فلما أسلم حسن إسلامه وصمد مع الصامدين دفاعا عن دينه في حروب الردة ، وكان أحد الفاتحين بعد عودة المياه إلى مجاريها في داخل الجزيرة العربية .

### جهاده :

قاتل عمر المرتدين تحت لواء خالد ابن الوليد ، وسار مع خالد إلى العراق

<sup>(</sup>۱) الأيصابة ( ۲۸۲/۶ ) ، وفى أسد الفابة ( ۲۸۱٪ ) أن نسبه : عمر بن مالك ابن عقبة بن نوفل بن عبد مناف بن زهرة ، أما فى الطبرى ( ۱٤٣/۳ ) فذكر أنه عمر بن مالك بن عتبه وكذلك فى تاريخ ابن الأثير ( ۲۰۳/۲ ) ، ولكنهم جميعاً اتفقوا أنه : عمر بن مالك واختلفوا قليلا فى ذكر أسماء أجداده ، ولكن الدكتور عمل حسين هيكل فى كتابه : الفاروق همر ( ۲۱۳/۱ ) ذكر أن اسمه عمرو بن مالك ، وهذا خطأ لإجماع كافة المصادر القديمة على أن اسمه : عمر لا عمرو عدا معجم البلدان فى (۹/۷ ) .

بعد انتهاء حروب الردة وقاتل معه هناك ، فلما توجه خالد من العراق إلى الشام مدداً لقوات المسلمين فيها كان عر أحد الذين اختارهم خالد لمرافقته ، فقاتل في كل المعارك التي خاضها خالد في طريقه إلى الشام وشهد اليرموك وفتح دمشق (۱) ، ثم عاد إلى العراق بقيادة هاشم بن عتبه الزهرى ليشترك تحت لواء سعد بن أبي وقاص في معركة القادسية وفي كافة الممارك خاضها سعد بعدها حتى فتح المدائن ، كما شهد معركة (جلولاء) تحت لواء هاشم بن عتبة ، فلما رجع هاشم عن جلولاء إلى المدائن "وعلم سعدبأن أهل (الجزيرة) أمدوا (هرقل) على أهل (حص) وبعثوا جندا إلى أهل (هيت) ، أخبر عمر بن الخطاب بذلك ، فكتب إليه عر : (ابعث إليهم عربن مالك . . . في جند ، وابعث على مقدمته الحارث بن بزيد العامري (۲) وعلى مجنبتيه ربعي بن عامر (۱) ومالك بن حبيب » (۱) (۱)

محرك عمر بحيشه نحو (هيت) ، وقدم الحارث بن يزيد العامرى حتى نزل علمها ، فوجد أهلها قد خندقوا علمهم ، فلها رأى عمر امتناع القوم بخندقهم واعتصامهم به قدر أن حصارهم سيطول ، لذلك قرر أن يترك الأخبيه (٢) على حالها حتى لا يشعر المدافعون عن (هيت) بترك قسم من قوات المسلمين حصارهم ثم ابتى نصف القوة للاستمرار في حصار (هيت) وخرج بنصف قواته الأخرى

<sup>(</sup>١) أسد الغابة ( ٥/٨١ ) .

<sup>(</sup>٢) ابن الأثير ( ٢٠٣/ ) وأسد الغابة ( ٨١/٤ ) .

<sup>(</sup>٣) راجع ترجمته في العدد السابق من هذه المجلة .

<sup>(</sup>٤) راجع ترجمته في الأرصابة ( ١٩٤/٢ ) تسلسل ( ٢٠٦٨ ) .

<sup>(</sup>ه) راجع ترجته في الإصابة (٦/١٦١).

<sup>(</sup>٦) الطبرى ( ١٤٢/٣ ) .

 <sup>(</sup>٧) الأخبية : جم خباء ، وهو خيمة من وبر أو صوف ولا يكون من شمر وهو
 على عمودين أو الائة وما فوق ذلك فهو بيت ، راجع مختار الصحاح ص ( ١٦٩ ) .

يعارض الطريق حتى جاء (قرقيسياء)(١) ، فأخذها عنوة وأجابه أهلها إلى الجزاء (٢).

وكتب عمر إلى الحارث بن بزيد العامري في شأن أهل (هيت ) : « إن استجابوا فحل عنهم فليخرجوا ، وإلا فحندق على خندقهم خندقا أبوابه مما يليك ، حتى أرى من رأيي » . فأرسل الحارث إلى أهل (هيت) بما عزم من ذلك ، فأيقنُوا أنه الحصار المديد حتى الموت إذا أصروا على الدفاع عن المدينة ، وبذلك تذهب الفرصة السانحة التي عرضها علمهم الحارث وهي النجاة من القتل أو الأسر ، لذلك أذعنوا وتركوا المدينة وانصرفوا إلى أهلهم ، فدخل المسلمون ( هيت ) فأتحبن .

#### الشاعر:

يدل شعر عمر الذي وصل إلينا، أنه كان شاعر الفرسان يقتصر شعره على وصف المعارك . ومن شعره ما قاله فى وصف فتبح قرقيسيا<sup>(٣)</sup> :

ونحن جمعنا جمعهم في حفيرهم بهيت، ولم نحفل لأهل الحفائر (١) وسرنا على عمد نريد مدينة بقرقيسيا سير الكماة المساعر (٥) فطاروا وخلوا أهل تلك المحاجر ندين بدين الجزية المتواتر وحطناهم بعد الجزا بالبواتر

فجتناهم فى دارهم بغتسةً ضحى فنادوا إلينا من بعيـــد بأننا قبلنا ولم نردد عليهم جزاءهم

<sup>(</sup>١) قرقيسياء : بلد عنـــد ملتقي نهر الحابور بنهر الفرات ، راجع معجم البلدان . ( • 1/v )

<sup>(</sup>۲) الطبرى ( ۱٤٣/٣ ) وابن الأثير ( ۲۰۳/۲ ) .

<sup>(</sup>٣) معجم البادان ( ٧/ ٩ ه ) ٠

<sup>(</sup>٤) الحفائر : جم حفرة ، وهنا معناها الحندق ، أى أننا لم نكترث لحنادقهم .

<sup>(</sup>٥) الكياة : جم كمي وهو الشجاع ، والمساعر : جم مسمر ، نقول : سمر النار والمرب اي هنجها وألهبها

هذا مثال واحد من شعر عمر (۱) يدل بوضوح على أنه سخر حتى شعره لخدمة الفتح الإسلامي وإثارة روح القتال في المسلمين ، ويدل على أنه لم يكن شاعرا محترفا يمدح ويقدح حسب الظروف والأحوال!!

#### الإنسال: :

كان هذا الصحابى الجليل دمث الأخلاق حسن السيرة شهما كريما وفيا شاعرا محبا للناس محبوبا عقائديا مخلصا لعقيدته ورعا طاهرا ذكيا ، أوقف سيفه ولسانه وقلبه لخدمة الإسلام ولإعلاء كلته .

ولا نعلم أنه أثرى من الفتح أو استغل نفوذه لامتلاك الأراضي والقصور، وهذا يدل على أنه كان يعمل للمصلحة العامة لا لمصلحته الشخصية.

#### الفائد:

لا يستطيع العسكرى المختص الذى يدرس حركة عمر من (هيت) بنصف قواته إلى (قرقيسياء) بشكل مباغت وتركه نصف قواته للاستمرار في حصار (هيت)، ثم وصوله (قرقيسياه) على حين غرة بما أرغم المدافعين عنها للاستسلام، إلا أن ينحني إعجاباً لقيادة عمر ولقابليته الفائقة في إعداد الخطط العسكرية الدقيقة الصحيحة.

إن الدفاع عن (هيت )كان في الحقيقة هو الخط الأول للدفاع عن (قرقيسياء)، وكان المدافعون عنها يتوقعون أن يؤخروا المسلمين في حصارها مدة طويلة، لمناعة أرض (هيت) أولا ولتيسر خندق حول المدينة ثانياً،

<sup>(</sup>۱) راجع معجم البلدان ( ۱۸۷/۸ ) فی مادة ( هیت ) نجد مثالا آخر من شمر. عمر بن مالك الزهری

مما يساعدهم على إطالة أمد الدفاع عنها ، ولكن المسلمين تركوا قوة مناسبة من قوتهم وتحركوا إلى هدفهم الأصلى (قرقيسياء) ، فاستطاعوا الوصول إليها في غرة مما اضطرها على الاستسلام ، وبذلك تقرر مصير (هيت) سلفا ، وهو الاستسلام المحتوم .

ومما يزيدنا إعجابا بقيادة عمر ، أن خطته فى تطويق (هيت) بقسم من قواته ، والحركة بكتمان شديد بالقسم الباقى إلى (قرقيسياء) يطابق أحدث الأساليب العسكرية المتبعة فى الوقت الحاضر ، مما يدل على نضوج الفكرة العسكرية عند العرب قبل أربعة عشر قرنا.

وخطة عمر هـنـه ، تدل على تشبعه بروح ( المباغثة ) أهم مبدأ من مـادىء الحرب .

لقد كان عمر شجاعا مقداما سريع القرار صحيحه ، يثق بقواته وتثق به قواته ويبادلهم حبا بحب ، وكان ذا إرادة قوية ثابتة وشخصية نافذة متزنة ، يتحمل المسؤولية من دون تردد ، ويتمتع بمزية سبق النظر والإبداع ، وله ماض ناصع مجيد .

# عمرنی الشاریخ :

سكت التاريخ عن أيام عمر الأولى، كما سكت عن أيامه الأخيرة بعد الفتح: أين استقر ، وكيف عاش ، وماذا عمل ، ومتى توفى ؟؟ ... إلخ .

وعلى الرغم من أهمية كل ذلك لمن يريد دراسة حياة هذا القائد العظيم، إلا أن ما ذكره التاريخ له من فتوحات تخلده على الأيام، ما بقى التاريخ وما بقى العرب والمسلمون فى المنطقة الواقعة بين الرمادى حتى ملتقى خابور الفرات بنهر الفرات ، وما أعظمها من فتوحات وما أخلد فاتحها فى التاريخ !!!

إن من حق هذا القائد العظيم أن يعرفه العرب والمسلمون في كل ديار العروبة والإسلام خاصة سكان المنطقة الشاسعة التي فتحها ، وأن يذكروه كلما تكلم الناس بالعربية في هذه المنطقة وكلما علا صوت المؤذن من فوق منائرها: الله أكبر.

# انحارت بن یزیدانسامری فاتح هیت

## الصمايى :

لا يذكر التاريخ شيئاً عن الحارث بن يزيد العامرى قبل إسلامه ، كا لا يذكر شيئاً عن موعد إسلامه ولا عن أعماله فى زمن الرسول . ولكنه بدون شك أسلم فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وكان أحد أصحابه ، لأنه تولى قيادة جيش إسلامى ، وكانوا لا يؤمرون إلا الصحابة (٢) ، وخاصة وأنه تولى القيادة فى عهد عمر بن الخطاب الذى كان لا يرضى أن يتولاها غير أصحاب النبى .

#### المجاهد :

الظاهر أن الحارث قام بأعمال لا معة فى القتال ، فاستحق أن يتولى القيادة لقسم من جيوش المسلمين مكافأة له على أعماله المجيدة .

إنَّ القائد حينذاك بجب أن يكون صحابياً ، لأن الصحابي أقدم من غيره إسلاماً وأكثر تفهماً له ، ولكن عمر بن الخطاب لم يولكل الصحابة قيادات عسكرية ، بل ولى تلك القيادات البارزين من الصحابة في جهادهم وفي مزاياهم

<sup>(</sup>۱) الطبرى ( ۱٤٣/۳ ) والإصابة ( ۳۰۹/۱ )، وابن الأثير ( ۳۰۳/۲ ). (۲) الاصابة ( ۹/۱ ).

العسكرية . لقد كان عمر يصر على تيسر شروط معينة فى القائد بالإضافة إلى صحبته للرسول ، هذه الشروط واضحة فى وصيته لقائد من قادته : « إسمع من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وأشركهم فى الأمر ، ولا تجنهد مسرعاً حتى تتبيّن ، وإنها الحرب ، والحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث الذى يعرف الفرصة والكف (۱) » .

۲ — أول ما يذكر التاريخ للحارث ، هو أن عربن الخطاب حين علم من سعد بن أبي وقاص ، أن أهل ( الجزيرة (۲) ) أمدوا ( هرقل ) على أهل ( حمص ) وبعثوا جنداً إلى أهل ( هيت ) ، كتب إلى سعد : « إبعث إليهم عربن مالك . . . في جند ، وابعث على مقدمته الحارث بن يزيد العامري (۲) ». فلما وجد عمر بن مالك أن العدو المدافع عن ( هيت ) قد خندق عليه وأن فلما وجد عمر بن مالك أن العدو المدافع عن ( هيت ) قد خندق عليه وأن حصار حصاره قد طال دون جدوى ، قرر أن يترك نصف قواته للاستمرار في حصار ( هيت ) ، وأن يتحرك بنصفها لاحتلال ( قرقيسياء (۱) ) ، وترك على رأس القوة المحاصرة لمدينة ( هيت ) الحارث بن يزيد العامرى .

واحتل عمر بن مالك (قرقيسياء) ، فكتب إلى حارث فى شأن أهل (هيت): « إن استجابوا فحل عنهم فليخرجوا ، وإلا فخندق على خندقهم خندقا أبوابه ممايليك ، حتى أرى من رأى (٥٠) » .

<sup>(</sup>١) الطبرى ( ٦٣١/٢ ).

 <sup>(</sup>۲) الجزيرة: هي التي بإن دجلة والفرات ، تشمل على ديار مصر وربيعة وديار
 بكر ... سميت الجزيرة لأنها بين دجلة والفرات. راجم معجم البلدان ــ لياقوت الحموى ــ
 (٩٦/٣) .

<sup>(</sup>٣) الطبزى ( ١٤٣/٣ ) وابن الأثير ( ٢٠٣/٢ ) .

 <sup>(</sup>٤) قرقیسیاه : بلدة على الحاجر وعندها مصب الحاجر فى الفرات . أنظر «مجم البلدان ( ۲۰/۷ ) .

<sup>(</sup>٥) الطبرى ( ٣٠٣/٣ ) والن الأثير ( ٣٠٣/٣ ) .

وأرسل الحارث إلى أهل (هيت) أنه سيمضى في حصارهم حتى النهاية وأنه سيطوق خندقهم بخندق آخر بحتله المسلمون ولا يتزحزحون عنه قبل استسلام (هيت) ، وأن الذين يريدون الانسحاب إلى أهلهم من المدافعين عن (هيت) يستطيعون أن يخرجوا بأمان ، فلما أيقن هؤلاء المدافعون عن (هيت) أنه الحصار حتى الموت ، وأن الفرصة سانحة لمن يريد النجاة إلى بلادهم إذا رضوا بتسليم المدينة ، أجابوا الحارث إلى ترك المدينة والعودة إلى بلادهم أن فدخل الحارث (هيت) وضمها إلى بلاد المسلمين .

## الاِنسان :

كان الحارث كثير الندين راسخ العقيدة قوى الإيمان ، وكان كريماً سخياً مضيافاً شهماً وفياً محباً للناس محبوباً من الناس ، وكان شجاعاً مقداماً صبوراً على الشدائد ثابتاً في الملمات . جمع كل مزايا العربي الأصيل وأضاف إليها بعد إسلامه مزايا المسلم الحق ، فكان مثالاً حياً لشمائل العروبة وخلق الإسلام .

#### الفائد :

أبرز مزايا قيادة الحارث هو الصبر الجميل. إن العرب لم تكن تصبر على حرب الحصار ، وقد كان عدد المشركين الذين حاصروا المدينة المنورة في غزوة (الخندق) عشرة آلاف راكب وراجل ، وكان عدد المسلمين في تلك الغزوة ثلاثة آلاف رجل ، ومع ذلك لم يستطع المشركون رغم تفوقهم الساحق عدديا على المسلمين أن يصبروا على حصار المدينة أكثر من شهر واحد ، تفرقوا بعده خائمين .

إنّ مهمة الحصار تحتاج إلى قائد يشميز بالصبر والأناة والروية والانتباه (١) ابن الأنر (٣٠٣/٢).

الشديد إلى حركات عدوه وسكناته والسهر المتواصل على مراقبة الطرق التقريبية المؤدية للعدو لحرمانه من وصول السلاح والعتاد والمواد الغذائية إليه، لأن الغفلة عن ذلك تؤدى إلى إطالة أمد الحصار كما تحتاج إلى قوات مدربة تتميز بالضبط الشديد لأن القوات غير المدربة المحرومة من الضبط يتسرب إليها الملل سريعا ، فلا تقوم بواجباتها في الانتباه واليقظة والسهر و تشديد الحصار ، كما أنها تتسلل سرا وعلانية عائدة إلى مأمنها ، وقد أظهر حصار (هيت ) أن القائد وقطعاته كانوا يتمتعون بكل هذه المزايا بشكل مثالى .

وكان الحارث سريع القرار صحيحه ، يثق بقطعاته وتثق قطعاته به ، يتحمل المسؤلية بلا تردد ، يسبق النظر ويحسب لكل شيء حسابه ، له شخصية قوية نافذة وعزيمة صارمة وماض ناصع مجيد .

# الحارث في الشاريخ :

أغفل التاريخ ذكر أيام الحارث بعد الفتح ، كما أغفل أيامه الأولى قبل الإسلام ، وربما اعتبرنا مثل هذا الإغفال في أيامنا هذه اهمالا لما كان يتمتع به الحارث من مزايا إنسانية وعسكرية عالية . ولو كان وحده في أيامه متميزا بمثل هذه المزايا الرفيعة ، لكان لمزاياه هذه مكان مرموق في التاريخ ، ولكن أمثاله حينذاك كثير ، لذلك اقتصر التاريخ على ذكر فتوحاته وسكت عن مزاياه الإنسانية ، ولكننا نذكرها اليوم ليكون الحارث أسوة حسنة لشباب العرب والمسلمين ، لأنهم بأمس الحاجة للاقتداء به وبأمثاله حتى يكونوا قادرين على إنجاز مثل أعمالهم ، إذ لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

يكفى أن يذكر التاريخ عنه ، أنه فاتح (هيت ) البلد العربى المسلم ، الذى لم ترفرف عليه منذ (الحارث) غير رايات العرب والمسلمين ، وسيبقى عربيا مسلما يذكر الحارث وجيش الحارث ، ويذكر أن أهله اليومهم أيناء أولئك الأبطال الفاتحين !

# **مسادة فستح** جسنوبس العسولق

## عت بتربن عن زوان المازني

# فاتح جنوب العراق والأهواز وأول من مصر البصرة

إسلامه:

كان عُتْبَةً بن غَرْوَان أحد السابقين إلى الإسلام ، فقد ذكر فى إحدى خطبه أنه : كان سابع سبعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (1) . ولما اشتد أذى قريش للمسلمين ، هاجر عنبة مع من هاجر من المسلمين إلى الحبشة (٢) وهناك اتصل بالمهاجرين : أن قريشاً قد أسلمت ، فانصرف منهم قوم كان عنبة من بينهم (٦) حيث عادوا إلى مكة فوجدوا فيها البلاء والآذى على المسلمين ، ولكنهم صبروا إلى أن هاجروا إلى المدينة ، وقد هاجر إليها عنبة رفيقا للمقداد بن عرو (١) ، ونزل في المدينة على عباد بن بشر في داره (٥) ، وقيل للمقداد بن عرو (١) ، ونزل في المدينة على عباد بن بشر في داره (٥) ، وقيل

<sup>(</sup>١) طبقات بن سعد ( ٦/٧ ) وأسد الفاية ( ٣٦٥/٣ ) .

<sup>(</sup>٢) سيرة ابن هشام ( ٣٤٦/١ ) والاصابة ( ٢١٥/٤ ).

<sup>(</sup>٣) جو امع السيرة لابن حزم ( س ٦٥ ) وسيرة ابن هشام ( ٣٨٩/١ ) .

<sup>(</sup>٤) الإصابة (٥/٥)، والمقداد ابن عمرو هو المقداد ابن الأسود الكندى، عماي جليل كان قديم الإسلام من الغضلاء النجباء السكبار الحيار من أصحاب النبي. وكان موضع ثقة الرسول وتقديره، وقد شهد فتح مصر ومات وهو ابن سبعين ودفن بالمدينة. راجع الاستيماب ( ١٤٨٠/٤) وطبقات ابن سعد ( ١٦١/٣) والإيصابة ( ١٣٣/٦) وأسد الفاية ( ٤٩/٤).

<sup>(</sup>ه) جوامع السيرة لابن حزم ( ص ٧٩ ) ، وعباد بن بشر الأنصارى من الخزرج شهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ، وجعله النبي على مقاسم حنين واستعمله على حرسه فى تبوك ، وقد شهد يوم البجامة واستعمد فيها سنة اثنتى عشرة للهجرة وهو يومئد ابن خمس وأربعين سنة . راجع النفاصيل فى طبقات ابن سعد ( ٣ / ٤٤٠ ) .

نزل على عبد الله ابن سلمة العجلاني (١) ، وآخي الرسول بينه و بين أبي دجانة (٣) وفي رواية أنه خرج مع الكفار في سرية عليها عكرمة بن أبي جهل (٣) ، فلقيهم سرية من المسلمين عليها عبيدة بن الحارث (٤) ، فالتحق المقداد وعتبة بالمسلمين (٥) .

ولست أميل إلى تصديق هذه الرواية على الرغم من إجماع المصادر التي بين أيدينا على تزديدها ، لأنهما مسلمان قديمان معروفان كل المعرفة من قريش ، ولا يمكن أن يجهل المشركون إسلامهما ، فكيف يخرجان مع المشركين دون أن يعرفهما أحد ؟

إننى أعتقد أنهما هاجرا إلى المدينة سراكما هاجر إليها غيرم من المسلمين ، وهذا ما يقره المنطق السليم .

 <sup>(</sup>۱) طبقات بن سعد ( ۹۹/۳ ) ، وعبد الله بن سفة من الأنصار شهد بدرا وأحدا ، واستشهد يوم أحد رضى الله عنه ، راجع طبقات ابن سعد (٤٦٨/٣ ) والإصابة
 ( ٨١/٤ ) وأسد الغاية ( ١٧٠٧/٣ ) والاستيعاب ( ٩٢٣/٣ ) .

<sup>(</sup>۲) طبقات ابن سعد (۹۹/۳) وأبو دجانة هو سماك بن خرشة الحزرجي الأنصاري شهد بدرا وأحدا وثبت يومئذ مع رسول الله وبايعه على الموت ، وكان أبو دجانة من أبرز أبطال المسلمين وهو الذي أعطاه النبي سيغه يوم أحد . قال الرسول : « من ياخله هذا السيف بحقه ؟ فأحجم القوم ، فقال أبو دجانة : « أنا آخذه بحقه » فأخفاه فغلق به هام المشركين . وكان أبو دجانة يعتم في الزحوف بعصابة حمراء . وبعد النبي شهد أبو دجانة يومئذ دجانة يوم الحيامة وهو فيمن اشترك في قتل مسيلة الكذاب ، وقتل أبو دجانة يومئذ شهيدا . راجع طبقات ابن سعد ( ٣/٣ه ه ) وأسد الغابة ( ٢/٣ ه ) والاستيعاب شهيدا . راجع طبقات ابن سعد ( ٣/٣ ه ) وأسد الغابة ( ٢/٣ ه )

<sup>(</sup>٣) سترد ترجمته ، لأنه أصبح من قادة الفتح الإسلامي فيما بعد .

 <sup>(</sup>٤) عبيدة بن الحارث بن عبد مناف آبن قصى ، أسلم قبل دخول رسول الله دار الأرقم وقبل أن يدعو فها ، هاجر إلى المدينة وعقد له النبي لواء ، وقد استشهد يوم بدر وله من العمر ثلاث وستون سنة ، راجع طبقات ابن سعد ( ٣/٠٥ ) .

### مهاده :

# (1) مع النبي :

بعث النبى فى السنة الثانية للهجرة ثمانية فرسان من المهاجرين بقيادة عبد الله ابن جحش الأسدى (۱) ، كان أحدهم عتبة (۲) ، وكان هؤلاء من الفدائيين (المغاوير) ، لذلك اختارهم الرسول من أبطال المهاجرين المعروفين ، لأن واجهم كان خطيراً وخطرا للغاية .

وقاتل عتبة نحت لواء النبي فى غزوة بدر الكبرى أبو وأبلى فيها أحسن المبلاء ، كما قاتل تحت راية النبى فى كل غزواته (١) ، فكان من المسلمين الأولين الذين شاركوا النبي فى جهاده وأعانوه على حماية حرية انتشار الإسلام .

# ٧ — في الفتح:

(1) الغازي

بدل عتبة أقصى جهده فى مقاتلة المرتدين ، فلما عادت رايات المسلمين ترفرف على كافة البلاد العربية داخل شبه الجزيرة العربية ، سار عتبة إلى العراق لجهاد الفرس ، فقاتل تحت لواء سعد بن أبى وقاص فى القادسية

<sup>(</sup>۱) عبد الله بن جعش الأسدي : أمه أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم . أسام قبل دخول الرسول دار الأرقم ، وهاجر إلى الحبشة ثم عاد إلى مكة وهاجر إلى المدينة ، وقد أمره النبي على جماعته وأرسلهم إلى نخلة ومعهم رسالة مكتومة . وقد شهد بدرا واستنهد في يوم أحد ، ودفن مع حمزة بن عبد المطلب وهو خاله في قبر واحد ، راجع طبقات ابن سعد ( ۱۳۱۴ ) وأسد الغابة ( ۱۳۱۴ ) .

<sup>(</sup>۲) سیرة ابن هشام ( ۳۲۷/۲ ) .

<sup>(</sup>٣) طبقات بن سعد ( ٩٩/٣ ) والاستيماب ( ١٠٢٦/٣ ) .

 <sup>(</sup>٤) أسد النابة (٢ / ٣٦٤) .

وفى المعارك الآخرى حتى تم المسلمين فتح المدائن ووصلت خيوطم إلى حلوان على محور ديالى وإلى شمال الموصل على محور دجلة وإلى قرقيسياء على محور الفرات الفرات الفرات عند ذاك كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبى وقاص: أن يبعث عتبة بن غزوان إلى منطقة البصرة (٢) ، وقال عمر عن عتبة : « فإن له من الإسلام مكانا ، فقد شهد بدرا وقد رجوت جرءه عن المسلمين (٣) » ، فدعا سعد بن أبى وقاص عتبة وأخبره بكتاب عمر ، فحرج من الكوفة في ثما عائمة رجل (أ) ، فساروا حتى نزلوا البصرة حيث ضربوا أخبيتهم وخيامهم وأخذ عمر يوالى إرسال الامدادات إلى عتبة ، فلما كثر المسلمون بني رهط منهم بيوتا من لبن (أ) في موضع البصرة الحالى .

# (ب) الفاتح:

حين وجه عمر عنبة إلى منطقة البصرة ، أوصاه : « يا عتبة ! إنى قد استعملتك على أرض الهند (٢) ، وهى حومة من حومة العدو أرجو أن يكفيك الله ما حولها و يعينك علمها ، وقد كتبت إلى العلاء الحضر مى أن يمدك بعر فجة ابن هر ثمة ، وهو ذو مجاهدة ومكايدة للعدر ، فإذا قدم عليك فاستشره ، وادع إلى الله ، فمن أجابك فاقبل منه ، ومن أبى فالجزية ، وإلا فالسيف » (٧) ،

<sup>(</sup>١) الطبري (٣ / ٩٠٠).

<sup>(</sup>٢) ابن الأثير (١٨٨/٢) .

<sup>(</sup>٣) طبقات ابن سعد ( ٦/٧ ) .

<sup>(</sup>٤) طبقات ابن سعد ( ٦/٧ ) وبذكر الطبرى في ( ٩٠/٣ ) أن عددم كان خمسمائة رجل .

<sup>(</sup>ه) طبقات ابن سعد ( ۱/۷ ) .

<sup>(</sup>٦) منطقة البصرة يومداك كان يطلق عليها ( أرض الهند ) راجع ان الأثير ( ١٨٨/٣ ) .

<sup>(</sup>٧) الطبري ( ٩٣/٣ ) وابن الأثير ( ١٨٨/٢ ) والاستيماب ( ٩٠٢٧/٣ ) .

فلما وصل عتبة إلى منطقة البصرة ، أقام فيها نحو شهر ، ثم خرج إليه أهل (الأبكة) (۱) فقاتلهم ، وجعل قطبة بن قنادة السدوسي (۶) وقسامة بن زهير المازنی (۱) في عشرة فوارس ، وقال لهم : «كونا في ظهرنا ، فتردان المنهزم ، وتمنعان من أرادنا من ورائنا » ولكن المعركة بين المسلمين والفرس لم تستمر غير وقت قصير حتى انهزم الفرس ، فدخل المسلمون (الأبلة) وأصابوا فيها متاعا وسلاحا ومالا كثيراً (۱).

وعلم عتبة بتحشد أهل (دَسْتُميسَان) (<sup>(۵)</sup> لقتال المسلمين ، فبادر إلى قتالهم وأسر قائدهم (<sup>(۲)</sup> ، كما أنه فتح ( مَيْسَان ) أيضاً (<sup>(۷)</sup> .

وتحرج موقف قوات العلاء بن الحضرمي في الأهواز ، إذ طوق الفرس

<sup>(</sup>۱) الأبلة: مدينة كانت مرفأ السفن الفادمة من الصين . راجع الطبرى ( ٩٣/٣ ) وهى واقعة جنوب البصرة القديمة بمسافة خمسة عشر ميلا وجنوب مدينة أبى الخصيب الحالية بحوالى ميلين ، وهى ليست مدينة أبى الخصيب كا جاء فى كتاب ( أخبار عمر ) للأستاذين على وناجى الطنطاوى . راجع التفاصيل فى معجم البلدان ( ٨٩/١ ) .

 <sup>(</sup>۲) قطبة بن قتادة: صحابى جليل وقد على الرسول صلى الله عليه وسلم وبايعه.
 استخفه خالد بن الوليد على منقطة البصرة سنة النتى عشرة للهجرة ولم يزل بأرض البصرة حتى قدم عليه عتبة بن غزوان. راجع الاستيماب ( ۱۲۸۲/۳ ) وأسد الغابة (۲۰٦/٤).

<sup>(</sup>٣) قسامة بن زهير : صحابى جليل كما جاء فى الأرسابة ( ٢٠٤/٤ ) ومن النابعين كما جاء فى طبغات ابن سمه ( ١٠٢/٧ ) وكان ثقة نوف فى ولاية الحجاج بن يوسف الثنفى .

 <sup>(</sup>٤) الطبرى ( ٩٣/٣ ) والبلاذرى ( ص ٣٣٧ ) .

<sup>(</sup>ه) دستميسان: كورة جليلة بين واسط والبصرة والأهواز ، وهي إلى الأهواز أوره ، أقرب ، وقيل دستميسان كورة قصيتها الأبلة ، فتسكون البصرة من هذه السكورة . راجع معجم البلدان ( ٩/٤ ) .

<sup>(</sup>٦) طبقات ابن سعد ( ٧/٧ ) .

 <sup>(</sup>٧) مبان كورة واسعة كثيرة القرى والشغيل بين البصرة وواسط . راجع التفاصيل
 ف معجم البلدان ( ٨ / ٢٢٤ ) .

قوات المسلمين فلم يستطيعوا الانسحاب عن طريق البحر إلى قاعدتهم في (البحرين)، فأرسل عمر إلى عتبة يأمره بإنفاذ حيش كثيف إلى المسلمين بفارس قبل أن بهلكوا، فأرسل عتبة جيشاً كثيفاً في اثنى عشر ألف مقاتل فيهم عاصم ابن عمرو التمييني وعرفجة بن هرثمة البارق والأحنف بن قيس وغيرهم، فخرجوا على البغال يجنبون الحيل وعليهم أبو سبرة بن أبي رهم (١)، فسار بالناس يساحل بهم حتى التق بتوات الفرس، فهزمهم وأنقذ جيش العلاء أبن الحضرمي وعاد بقواته إلى البصرة سالماً غاماً (٢).

ولكن عتبة عاد وأرسل قوات إلى منطقة الأهواز واستمد سعد بن أبى وقاص ، فأمده بنُعَيْم بن مقرن المزنى ونعيم بن مسعود ، وبذلك استطاع عتمة فتح منطقة الأهواز<sup>(7)</sup>.

## الإنساله :

لما فتح عتبة الأهواز ، استأذن عمر فى الحج ، فأذن له ، فلما قضى حجه ، استعفاه من منصبه على البصرة ، فأبى عمر أن يعفيه وعزم عليه أن يرجع إلى عمله (٢٠) ، فلماذا أراد عتبة أن يستقيل من منصبه الرفيع ؟

 <sup>(</sup>۱) عاصم بن عمر والتعيمى ، وعرفجة بن هرئمة البارق والأحنف بن قيس وأبو سبرة بن أبى رم ، كلهم من قادة الفتح الإسلامى لهم تراجم خاصة فى كتابنا : (قادة الفتح الإسلامى).

<sup>(</sup>۲) ابن الأثیر ( ۲/۲ / ۲۰۹ ) والطبری ( ۱۷۸/۳ ) ۰

<sup>(</sup>٣) ابن الآنير (٢١٠/٢) ونعيم ابن مقرن من قادة الفتح الإسلامي له ترجمة خاصة في كتابنا: (قادة الفتح الإسلامي) أما نعيم بن مسعود، فهو الذي هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم الحندق، وهو الذي خدال المشركين وبني قريظة حتى صرف الله المشركين . سكن المدينة ومات في خلافة عثمان . راجع التفاصيل في الاستيماب دي صرف الله المشركين . سكن المدينة ومات في خلافة عثمان . راجع التفاصيل في الاستيماب (٤/٠٩٠٤) .

<sup>(</sup>٤) الارسابة ( ٢١٥/٤ ) وابن الأثير ( ٢٠٩/٢ ) .

لقد شعر عتبة أنه أنجر واجبه على أنم وجه ، فلم يعد لبقائه فى منصبه مسوّغ ، وكان كثير من السلف الصالح ينهربون من المناصب ورعا وخوفا من الوقوع فى الأخطاء .

كان عتبة من السابقين للإسلام ومن المهاجرين الأولين ، وكان من أُولئك الذين يعتبرون أرفع المناصب تكليفاً لهم لا تشريفاً . لذلك استقال من منصبه وأصر على استقالته بعد أن شعر أنه لا مبرر لبقائه فيه بعد إكال واجبه (١) .

وكان عتبة متواضعاً أشد التواضع (٢) . خطب مرة فى البصرة وهو أمير عليها قائلا : « لقد رأيتنى مع وسول الله صلى الله عليه وسلم سابع سبعة ما لنا طعام إلا ورق البشام وشوك القتادة (٢) ، حتى قرحت أشداقنا . ولقد

<sup>(</sup>۱) جاء فی طبقات این سعد ( ۸/۷ ) عن سبب استقالة عتبة : أن سعد ابن أیی وقاص كان یعتبر عتبة عامله علی البصرة ، فوجد من ذلك عتبة ، فلما قدم علی عمر ، شكا إليه تسلسط سعد علیه : فسكت عمر ، فأعاد ذلك عتبة مرارا ، فلما أكثر علی عمر ، قال له : ﴿ وما علیك یا عتبة أن تقر بالأس لرجل من قریش له صحبة مع رسول الله صلی الله علیه وسلم ، وشرف ؟ » ، قال له عتبة : ألست من قریش ؟ ! ... قال رسول الله صلی الله علیه وسلم . حلیف القوم منهم ، ولی صحبة مع رسول الله صلی الله علیه وسلم قدیم و لا تذکر و لا تدفع » ، فقال عمر : ﴿ لا یت کر ذلك من فضلك ! » فقال عتبة : ﴿ أَمَا إذا صار الأس إلی هذا ، فوالله لا أرجع إلیها أبدا ! » فأبی عمر إلا أن برده إلیها ، فرد " ، فات فی الطریق . . انتهی قول ابن سعد .

ولست أشك أن سبب استقالته هذا غير وارد ، لأن عتبة لم يكن يعمل لنفسه بل كان يعمل لن المبابة بل كان يعمل لله الرواية النقات . راجع الاستيعاب ( ١٠٢٦/٣ والارسابة ( ٢١٥/٤ ) وأسد الغاية ( ٣٦٣/٣ ) والطبرى ( ٩٥/٣ ) وابن الأثير ( ٢٠٩/٢ ) . أقول : وكان عتبة حليفا لبنى عبد شمس أو بنى نوفل من قريش . راجع الارسابة ( ٢١٥/٤ ) .

<sup>(</sup>٢) الاصابة (٤/١٥).

<sup>(\*)</sup> البشام: شجر طيب الربح يستاك به . والفتاد: شجر له شوك . راجع مختار الصحاح ( ص ٤٥) . الطبعة الحامسة .

التقطت بُرُّدَةُ (1) يو منذ ، فشققتها بيني وبين سعد بن أبي وقاص ، ولقد رأيتنا بعد ذلك وما منا أبها الرهط السبعة إلا أمير على مصر من الأمصار (٢) » .

ومن أعماله الخالدة ، أنه مصر البصرة واختطها وبنى المسجد بقصب (٢) ، وأسكنها من تميم والأزد (١) ومن كافة القبائل العربية الأخرى ، وقد تم بناء البصرة سنة سبع عشرة الهجرة (٥) .

وكان كريما مضيافا شهما غيورا مؤمنا صادق الإيمان ، روى أربعة أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) وكان يكنى أبا عبد الله ويكنيه بعضهم أبا غزوان (٢) ، وكان رجلا طويلا جميلا ، وكان من الرماة المعدودين من أصحاب النبي (١).

لقد كان عمره حين هاجر إلى المدينة أربعين سنة ، فيكون مولده قبل الهجرة بأربعين عاما (٨٤٥ م) ، وتوفى سنة سبع عشرة (٨٣٨ م) وهو بن سبع وخسين (٢) ، وكان عمله على البصرة ستة أشهر (١٠٠) .

<sup>(</sup>۱) ردة : كساء أسود مربع فيه صفرتلبسه الأعراب، والجمع برد ، راجع مختار الصحاح ( ص ۱۷ ) .

<sup>(</sup> ٢ ) طبقات ابن سعد (٧/٧) والبيان والتبيين (٢/٧٥) والعقد الفريد(٢/٢٨٦) مع اختلاف في اللفظ .

 <sup>(</sup>٣) طبقات ابن سعد ( ٩٩/٣ ) و ( ٧/٥ ) .

 <sup>(</sup> ٤ ) طبقات ابن سعد ( ٦/٧ ) .

<sup>(</sup> ه ) كيل فتوح الايسلام لاين حزم ملحق بجوامع السيرة ص ( ٣٤٥ ) .

<sup>(</sup>٦) أسماء الصحابة الرواة لابن حزم ــ ملعتى بجوامع السيرة ( ص ٢٩٠ )

<sup>(</sup> ٧ ) طبقات ابن سعد (٣ /٩٨ ) .

 <sup>(</sup> ۸ ) طبقات ابن سعد ( ۹۹/۳ ) وأسد الغابة (۳۲٤/۳) .

<sup>(</sup> ٩ ) طبقات ابن سعد ( ٩٩/٣ ) وابن الأثير ( ٢٠٩/٢ ).

<sup>(</sup>۱۰) طبرتات بن سعد (۷/۱).

كان عتبة من القادة الذين يتحينون الفرص المناسبة للقتال ، ولا يزجون قواتهم فى قتال غير مأمون العواقب ولا مضمون النتائج ، لذلك كانت كل معاركه معارك فرص مؤاتية اهتبلها ، أو بطلب من الخليفة نفذ فيها الأوام حرفياً .

إنه قائد متبع لا مبتدع ، دفاعي لا تعرضي ، لهذا كانت خسائره قليلة جداً بالنسبة للفتوحات التي أجراها في أيامه القصيرة عند توليه إمارة البصرة .

لقد كان قائداً عقائديا يعمل لعقيدته ويخاف الله عليها ويبالغ بهذا الخوف . . وكان يعتبر منصبه قائداً وأميراً تكليفا له يتحين الفرص للتخلص منه ، ولا يعتبره تشريفا يباهى به ويحرص عليه .

ولولا شدة خوفه من الله أن يقصر في عمله ، ولولا شدة حرصه على أرواح المسلمين ، لكان من أبرز قادة الفتح الإسلامي ، لأنه كان يتمتع بقابلية إصدار القرارات الصحيحة السريعة ، وكان شجاعا مقداما له إرادة قوية ونفسية لا تتبدل . يثق به رجاله ويثق بهم ويحبونه ويحبهم ، له شخصية قوية نافذة وماض ناصع مجيد .

# عنبة في التاريخ

يذكر التاريخ لعتبة جهاده المرتدين، وجهوده المشرفة في الفتح الإسلامي.

فقد كان له أثر كبير في إعادة المرتدين من أهل عمان ومهرة إلى الاسلام، تلك البلاد العربية التي أصبحت قاعدة عسكرية متقدمة لإمداد الفـــ آنحين بالرجال والمواد .

وهو الذى فتح العراق الجنوبي والأهواز ، فنشر فيها رايات الإسلام قبل أربعة عشر قرنا . . . وإلى الأبد .

ولكن عتبة يذكر دائماً عندما تذكر مدينة (البصرة) التي كان أول من مصرها، فأمدت العالم الإسلامي منذ مصرها حتى اليوم بسيول جارفة من قادة الفتح والفاتحين وصلوا إلى حدود الصين . . . وبسيول جارفة من قادة الفكر والعلماء والأدباء والمفكرين وأصحاب الورع والتقوى ، فكانت هذه المدينة من أعظم قواعد الفتح الإسلامي ، ومن أغرر مصادر الفكر العربي والتراث الإسلامي .

رصى الله عن القائد الورع الصحابي الجليل عتبة بن غزوان المازني .

# المغيرة بن شعالتفت هي

فَاتْحِ مَيْسَانِ (۱) وَدَسَتُمَيْسَانِ (۲) وَأَبَرُ فَبَاذِ (۲) من جنوبي العراق

« دهاة العرب أربعة : معاوية بن أبى سفيان وعرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزياد » ( الشعبي )

## نسبه وأبامه الأولى :

هو المُغِيْرَةُ بن شُعْبَةَ بن أبي عامر بن مسعود بن مُعَنِّب الثقنى ، وأمه أسماء بنت الأفقر () من بني نصر بن معاوية (<sup>()</sup> ، ويكنى أبا عيسى أو أبا محمد أو أبا عبد الله (<sup>()</sup> .

 <sup>(</sup>۱) ميسان : كورة واسعة كثيرة القرى والنخيل بين البصرة ومدينة واسط .
 أنظر التفاصيل في معجم البلدان ( ۲۲٤/۸ ) .

<sup>(</sup>٢) دستميسان : كورة جليلة بين واسط والبصرة والأهواز ، وهي إلى الأهواز أوب ، وقيل : دستميسان كورة قصبتها الأيلة . راجع معجم البلدان ( ٩/٤ ) .

<sup>(</sup>٣) أَبْرَقِبَادْ : مُوضَع يَجَاوِر مَيْسَانَ وَدُسْتَمَيْسَانَ . انظَرَ النَّفَاصِيلُ فَي مُعَجِّمُ الْبَلَدَانَ ( ٨٣/١ ) .

<sup>ُ (</sup>٤) طبقات ابن سعد ( ١٣١/٦ ) والاستيعاب ( ٤/٥٤٤ ) ، أنظر جمهرة أنساب المرب (١٤٤٠ ) .

 <sup>(</sup> ۱٤٤٥/٤ ) الاستيماب ( ١٤٤٥/١ ) .

<sup>(</sup>٦) الايصابة ( ١٣١/٦ ) ٠

وَكَانَ فِي الجَاهِلِيَةِ بِسَكَنَ ( الطَّاءُف ) ، وَكَانَ مِن سَدِنَةً ( اللاَّتِ ) (١) ومن أَشراف ثقيف ، وهو ابن أَخ عُرُ وَهِ بن مَسْعُود (٢) أحد رؤساء ثقيف البارزين.

وقد سافر قبل إسلامه إلى مصر برفقة جماعة من بنى مالك من ثقيف ، فلما دخل ( الإسكندرية ) رأى المقوقس فى مجلس مطل على البحر ، فركب زورقاً حاذى به مجلسه ، فلفت نظر المقوقس إليه ، فأمن رجلاً من رجاله أن يسأله عن هويته ، فلما عرفه وعرف أصحابه أمن أن ينزلوا فى كنيسة وأجرى عليهم ضيافة ، ثم دعاهم فدخلوا عليه وقدموا له هداياهم ، فسر بها وأمن باستلامها ، ثم أمن لهم بجوائز .

وفى طريق عودتهم إلى الحجاز ، كانوا يعاقرون الخرة ، فاغتال المغيرة أصحابه وأخذ جميع ماكان معهم من مال<sup>(٣)</sup>.

لقد كان شاباً من شباب العرب فى أيامه . مشركاً يعاقر الحمرة ، يحب المقامرة ولا يحجم حتى عن القتل غدراً فى سبيل استلاب المال .

## مع الني :

قدم المغيرة على النبي صلى الله عليه وسلم مُسْلِماً بعد اغتياله رفقاء سفره إلى مصر ، فعرفه أبو بكر الصديق وسأله: « أمن مصر أقبلتم ؟ » ، فأجابه : « نعم ! . . . » ، فقال أبو بكر : « فما فعل المالكيون الذين كانوا معك ؟ » ، فأجابه : «كان بيني و بينهم بعض ما يكون بين العرب و نحن على دين الشرك ،

<sup>(</sup>۱) اللات: صخرة مرابعة كانت قريش وجميع العرب تعظمها، وكان سدنتها من النيف، وبها كانت العرب تسمى: زيد اللات وتيم اللات، وهي التي ذكرها الله في القرآن الكريم فقال: (أفرأيتم اللات والعزي"). أنظر كمتاب الأستام ص (١٦) السكلي.

<sup>(</sup>۲) المعارف ص (۲۹۶)

<sup>(</sup>٣) أنظر تفاصيل هذه القصة في طبقات ابن سمد ( ٢٨٤/٤ ) ..

فقتلتهم وأخذت أسلابهم وجئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخمسها أو يرى فيها رأيه ، فإنما هي غنيمة من مشركين وأنا مُسِلم مصدّق بمحمد » ؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أما إسلامك فقبلته ، ولا آخذ من أموالهم شيئاً ولا أخسّه ، لأن هذا غدر ، والغدر لا خير فيه (١) » .

كان إسلامه عام الخندق (٢) ، وكانت الخدّيبيّة أول مشاهده (٣) ، فشهد بيعة الرضوان (١) ، وكان واقفاً على رأس النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي تلك الحديبية (٥) ، أي أنه كان من حرس الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفي تلك الغزوة بعثت قريش عُرُوّة بن مسعود عم المغيرة (٢) ليفاوض النبي صلى الله عليه وسلم ، فجمل عروة يتناول لحية النبي صلى الله عليه وسلم وهو يكلمه ، وجمل المغيرة يقرع يد عُروة إذا تناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن وهو يقول : « أكفف يدك عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن لا تصل إليك ١ » ، فقال عروة : « ويحك ما أفظك وأغلظك ! ! » ، فقبل الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقال المحد ؟ » ، فقال : « هذا ابن أخيه المنكيرة بن شُغبَة » ، قال : « أي عُذر و اوهل غسلت سوأتك إلا بالأمس ؟ (٧) » ، فلما عاد عروة إلى قريش ، وقد رأى إخلاص سوأتك إلا بالأمس ؟ (٧) » ، فلما عاد عروة إلى قريش ، وقد رأى إخلاص

<sup>(</sup>١) طبقات ابن سعد (٢٨٦/٤) .

<sup>(</sup>٢) أسد الغابة (٤٠٦/٤) وشذرات الذهب (٦/١٠) .

<sup>(</sup>۴) طبقات ان سعد (۲۰/٦)

<sup>(؛)</sup> الأصابة (١٣١/٦) وجهرة أنساب العرب (٢٥٥).

<sup>(</sup>ه) جواهع السيرة لابن حزم ص (٢٨) والأغاني (١١/١٥) .

<sup>(</sup>٦) المعارف ص (٢٩٤) .

<sup>(</sup>٧) سبرة ابن هشام (٣٦٢/٣) والأغانى (٣١٠/١٤). وغزوة الحديبية كانت في السنة السادسة للهجرة، وبين الحديبية ومكل سرحلة واحدة ، وكان عروة قد ودى المقتولين وعددم ثلاثة عشر رجلا الذين قتلهم المغيرة من بني مالك من ثقيف ، إذ تها يج ==

أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن بينهم ابن أخيه لنبيهم ، قال لقريش : « يا معشر قريش ! إنى جئت كسرى فى ملكه ، وقيصر فى ملكه ، والنجاشى فى ملكه ، وإنى والله ما رأيت مَلِكاً فى قوم قط مثل محمد فى أصحابه : لا يتوضأ إلا ابتدروا (١) وضوءه ، ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه ، وإنهم لن يسلموه لشيء أبداً ، فروا رأيكم (٢) » ، وكان للمغيرة أثر معنوى كبير على نفسية عمه الذى عكس شعوره بصراحة لقريش .

وشهد المغيرة بعد الحديبية كافة غزوات الرسول القائد ، وكان معه فى غزوة ( حُنين ) وحصار الطائف بلد المغيرة ، وفى هذه الغزوة وجد أحد الانصار رجلاً مقتولاً من ثقيف وهو أغرل (٢٠ ، فصاح بأعلى صوته: «يا معشر العرب ايعلم الله أن ثقيفاً غُرل »! . قال المغيرة: « فأخذت بيد ، وخشيت أن تذهب عنا فى العرب ، فقلت : لا تقل ذاك فداك أبى وأمى ، إنما هو غلام لنا نصر انى 1 » ثم جعل المغيرة يكشف عن القتلى ويقول له: «هاهم مختنين كا ترى ؟ 1 (٤٠ » .

ولما طوّق المسلمون مدينة الطائف وضيّقوا عليها الحصار، تقدم أبو سفيان بن حرب والمغيرة إلى الطائف، مناديا ثقيفاً: أن أمنونا حتى نكلمكم... فأمنوهما، فدعوا نساء من نساء قريش وبني كنانة ليخرجن إليهما وهما يخافان

<sup>=</sup> الحيان من ثقيف: بنى مالك رهط المقتولين ، والأحلاف رهط المفيرة ، فودى عروة المقتولين ثلاثة عشرة دية وأصلح ذلك الأس ، وهذا ما أراد عروة بقوله : ﴿ هل غسلت سوأتك إلا بالأمس ! ﴾ أى أقلت عثرتك وأصلحت خطأك !

<sup>(</sup>١) ابتدروا أسراً : بادر بعضهم بعضا إليه ، أيهم يسبق إليه فيغلب .

<sup>(</sup>۲) سيرة ابن هشام (۲/۳۳) .

<sup>(</sup>٣) أغرل : أي غير مختنن ، والفرلة هي الجلدة التي يقطعها الحاس .

 $<sup>-(4\</sup>cdot/٤)$  سيرة ابن هشام (٤)

عليهن السباء ، ولكنهن أبين الخروج<sup>(١)</sup> مفضلات البقاء مع رجالهن وذويهن على النجاة بأنفسهن .

إن قتال المغيرة لقومه ثفيف فى الطائف عقر دارهم ، دليــل على شدّة إخلاصه لعقيدته الجديدة ، ومع هذا ، فهو يحرص على سمـــة قومه ومصيرهم ما دام ذلك لا يمس جوهر عقيدته بسوء .

ولما قدم وفد ثقيف على النبي صلى الله عليه وسلم لقيهم المغيرة حين دنوا من المدينة ، فأسرع ليبشّر النبي صلى الله عليه وسلم بقدومهم عليه ؛ ولكن أبا بكر الصديق لقيه فى الطريق قبل أن يدخل على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له أبو بكر : « أقسمت عليك بالله لا تسبقنى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم » ؛ ودخل أبو بكر وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بقدوم وفد ثقيف (٢).

وعاد وفد ثقيف إلى قومهم، فوجه النبي صلى الله عليه وسلم معهم أبا سفيان ابن حرب والمغيرة ليقوما بهدم (اللآت) صنم ثقيف ، فأنجز المغيرة هذا الواجب بكل دقة: دخل المغيرة على هدا الصنم وشرع فى هدم هذا الطاغية، وأقام قومه دونه خشية أن يُرمى ؛ وخرج نساء ثقيف حُسّراً يبكين اللآت ويندن عليها . وبعد هدمها أخذ المغيرة مالها وحليها ، فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المال دين عروة بن مسعود ودين رجل آخر من ثقيف "

ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حضر المغيرة دفنه ، فكان

<sup>(</sup>۱) سيرة ابن هشام (۱۲۸/٤) . (۲) سيره ابن هشام (۱۹٦/٤) .

 <sup>(</sup>٣) جوامع السيره لابن حزم ص (٣١٠)، وفي معجم البلدان (٣١٠/٧): أن
 المديرة هدم اللات وحرقها بالنار .

يد عى أنه أحدث الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول:

« أخذت خاتمى فألقيته فى القبر ، وقلت: إن خاتمى سقط منى ؛ وإنما طرحته عداً لأمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأكون أحدث النهاس به عهداً » (۱) ، ولكن بعض شهود العيان الذين حضروا دفن النبي صلى الله عليه وسلم ذكروا: أن المغيرة ألقى فى قبر النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن خرجوا منه خاتمه لينزل فيه ، فقال على بن أبى طالب: « إنما ألقيت خاتمك لكى تنزل فيه فيقال: نزل فى قبر النبي صلى الله عليه وسلم ا والذى نفسى لكى تنزل فيه فيقال: نزل فى قبر النبي صلى الله عليه وسلم ا والذى نفسى بيده لا تنزل فيه أبداً » ومنعه (٢) . وذكر بعضهم أن عليه أقال للمغيرة: بده لا يتحدث الناس أنك نزلت فيه ، ولا يتحدث الناس أن خاتمك فى قبر النبي صلى الله عليه وسلم » . ونزل على وقد رأى موقع الخاتم ، فتناوله ودفعه إليه (٢) .

وقد أجاب على بن أبى طالب بنفسه عن سؤال نفر من أهل العراق سألوه عن حقيقة هذه القصة ، فقال : « أحدث الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم أثم بن العباس (\*) » . لقد أراد المنديرة أن يستأثر بهذه المسكرمة فيذكرها الناس له ، ويذكرها هو الناس . لقد كان طموحاً بحب دائماً أن يتميز على أقرانه بالحمد والثناء وبالمناصب الرفيعة .

### مِهاده :

قاتل المغيرة في حروب الردة محت لواء خالد بن الوليد ، فشهد معركة

<sup>(</sup>۱) سيرة ابن هشام (۲/٤ ۴) ، (۲) طبقات ابن سمند (۲/۲ س) .

<sup>(</sup>٣) طبقات ابن سعد (٣٠٣/٣) . (١) سيرة ابن هشام (١/٥٤٩) .

(اليمامة) (۱) ضد مسيلمة السكذاب؛ وتوجه مع خالد إلى العراق فقاتل تحت لوائه هناك فلما نقل خالد من العراق إلى أرض الشام كان المغيرة معه فشهد تحت لوائه معركة (اليرموك) وفيها ذهبت عينه (۲) ، كاشهد بعض فتوح الشام (۲) .

وعاد المغيرة إلى المدينة المنورة ، وقبيل معركة القادسية كنب سعد بن أبى وقاص إلى عمر بن الخطاب يستمدّه ، فبعث إليه عمر المغيرة على رأس أربعائة رجل مدداً من المدينة (ن) ، فلما وصل العراق أرسله سعد على رأس خسمائة رجل إلى منطقة ( الأبكاة ) (ف) ليكون قوة ساترة تحمى تحشد المسلمين من خطر عدو يهددها من تلك المنطقة ، ولكن سعداً سحب المفيرة وقوته وضمّها إلى قواته الأصلية قبيل معركة ( القادسية ) .

وقاتل المغيرة تحت لواء سعد فى معركة القادسية (١) ، وكان له أثر بطولى فى هذه المعركة — ولكن من نوع آخر — هو الأفادة من عقليته الراجحة وتفكيره الناضج فى مفاوضة كسرى وقادته (٧) ، تلك المفاوضات التى أمنت انتصاراً معنوياً باهراً للمسلمين على الفرس قبل نشوب القنال .

فقد أرسله سعد مع نفر من ذوى المنظر والمهابة والرأى إلى كسرى(٩)،

 <sup>(</sup>۱) الاصابة (۱/۱۳).
 (۲) أسد الفابة (٤٠٧/٤).

 <sup>(</sup>٣) المعارف ص (٢٩٠) .
 (٤) الطبرى (٣/٥٧) .

 <sup>(</sup>a) الأبلة: مدينة كانت مرفأ للسفن القادمة من الصين . راجع الطبرى (٩٣/٣)
 وهى واقعة جنوب البصرة القديمة بمسافة خمسة عشر ميلا وجنوب مدينة أبى الحصيب الحالية يحوالى ميلين . راجع معجم البلداز (٨٩/١) .

<sup>(</sup>٦) الطبرى  $(\Lambda/\tilde{r})$  . (۷) المعارف ص (٦٩٥) .

<sup>(</sup>٨) ابن الأثير (٢/١٧٠) . (٩) الطبرى (٣/١٠) .

ولما عاد هذا الوفد المفاوض ، أرسله سعد وحده إلى رستم القائد المام للقوات الفارسية ، فأقبل المغيرة حتى جلس مع رستم على سريره ، فوثب عليه رجال رستم وأنزلوه ؛ فقال لهم : « قد كانت تبلغنا عنكم الأحلام ، ولا أرى قوماً أسفه منكم . إنّا معشر العرب لا نستعبد بعضنا بعضاً ، فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسى ؛ فكان أحسن من الذى صنعتم أن تخبرونى أن بعضكم أرباب بعض . . . » فقال عامة النياس صدق والله العربى . وقال رؤساؤهم : « والله لقد رمى بكلام لا زال عبيدنا يتزعون إليه (۱) ! » . . . وبذلك أثار المغيرة بين العامة من جهة و بين الخاصة من جهة أخرى نعرات تفرق كلتهم ؛ وتفريق الكلمة — خاصة في ساحة القتال — ، سلاح من أخطر الأسلحة وأشدها فتكاً .

وقبل نشوب القتال بين المسلمين والفرس في القادسية ، أرسل سعد إلى الذين انتهى إليهم رأى الناس والذين انتهت إليهم بجدتهم ، فكان منهم من ذوى الرأى المغيرة ، وقال سعد لهم : « الطلقوا فقوموا في الناس بما يحق عليهم عند مواطن البأس ، فأنكم من العرب بالمكان الذي أنتم به ، وأنتم شعراء العرب وخطباؤهم وذوو رأيهم وبجدتهم وسادتهم ، فسيروا في الناس فذكروهم وحراضوهم على القتال (٢) » ، فكان المغيرة أحد البارزين الذين حراضوا الناس على القتال ودفعوهم إلى التضحية والفداء يومذاك .

ولما تولى عُتبة بن غَزُوان المازي أمن فتح منطقة البصرة ، سار المغيرة معه إليها وقاتل تحت لوائه في المعارك التي خاضها لتطهير العراق الجنوبي من

الطبرى (٣٦/٣) وآبن الأثير (٢٩/٢).

<sup>(</sup>٢) الطبرى (٣/ه٤) · :

الفرس<sup>(۱)</sup> ، فشهد فتح (الأبكة) وفتح هو (مَيْسَان) و (دَسْتُمَيْسَان) و (أَبَرْ ُقُبَاذ)<sup>(۲)</sup>.

ولما توجه عُتبة بن غزوان الأداء فريضة الحج ، استخلف المغيرة على الصلاة في البصرة إلى أن يقدم بمحاشع بن مسعود من غزوته فيتولى الإمارة . وانتصر مجاشع على الفرس في منطقة الفرات الجنوبي ، ولكن أحد قادة الفرس استطاع أن يحشد قوة كبيرة بهدد بها جيش مجاشع ، فخرج المغيرة من البصرة على رأس جيش من المسلمين فلقي الفرس وانتصر عليهم ؛ فكتب إلى عر ابن الخطاب بهذا النصر ، فقال عر لعتبة : « من استعملت على البصرة ؟ » ، فقال : « مجاشع بن مسعود » ، فقال عر : « أتستعمل رجلا من أهل الوبر فقال : « مجاشع بن مسعود » ، فقال عر : « أتستعمل رجلا من أهل الوبر على رجل من أهل المدر ؟ (؟) » ، ثم أخبره بما كان من المغيرة (\*) الذي أنقذ جيش مجاشع من خطر داهم .

لم يكن انتصار المغيرة على الفرس يسيراً ، فقد اشتد القتال بين الطرفين ، وكانت القوات الفارسية متفوقة عددياً على المسلمين ، كما أن الفرس استماتوا في المعركة ، وأنهم لكذلك إذ رأوا كنيبة مقبلة حسبوها مدداً للمسلمين ، فتضعضعت معنوياتهم وانهزموا ، ولم تكن تلك الكنيبة إلا نساء المسلمين

<sup>. (</sup>۱) الطبري (۲/۲) . (۲) للمارف (۲۹۰) .

<sup>- (</sup>٣) الطبرى ( ٣/٤) و ابن الأثير ( ١٨٩/٢ ) . والوبر : بفتحتين غطاء جلد البمير ويطلق على البعير أيضا ، واحدتها : وبرة ، والمدر : بفتحين أيضا جم مدرة وهى القرية . يربد عمر : أتستعمل أعرابياً على حضرى ؛ أو ، أتستعمل وجلا من أهل البادية على رجل من أهل الحاضرة ، على اعتبار أن أهل الحاضرة أعرق مدنية وأعرف بالسياسة والإدارة من أهل البادية .

<sup>(</sup>٤) الطنري ( ٩٣/٣ ) وابن الأثير ( ١٨٩/٢ ) .

خرجن من أخبيتهان واتخذن من خرهن رايات وسرن يردن معاونة الرحال! (١)

ولما مات مُعتبة في طريق عودته من الحجاز إلى العراق ، استعمل عمر بن الخطاب على البصرة المغيرة خلفاً لعتبة (٢٠٠٠ .

وشهد المغيرة فتح (سوق الأهواز) (٢) ، كما قاتل تحت لواء النعان بن مقرّن المزنى في معركة (نهاوند) ، وقد جاء مع أمداد المدينة (٥) . وقبل اشتماك الطرفين ، بعث قائد الفرس إلى النعان: « أن أرسلوا إلينا رجلاً نكلّمه » ، فأرسل النعان إليه المغيرة . ودارت بين الرجلين مناقشة حامية ختمها المغيرة بقوله: « والله ما زلنا مذ جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نتعرسف من ربنا الفتح والنصر حتى أتيناكم ، وإنّا والله لا نرجع إلى ذلك الشقاء أبداً حتى نغلبكم على ما بأيديكم أو نقتل بأرضكم » . . . وقال المغيرة للمسلمين عند عودته إليهم من قائد الفرس: « . . . فقمت ، فقد والله أرعبت العلج جهدى (٢) » .

وتولى المغيرة يوم (نهاوند) قيادة الميسرة (٧) ، وعندما رأى كثرة

<sup>(</sup>١) الطبرى ( ١٤/٣ ) .

<sup>(</sup>۲) البلاذري ص ( ۲۳۸) والطبري ( ۹۰/۳)، ولكن الطبري في ( ۱۷۹/۳) يذكر أن عتبة أمر" عمر أبا سبرة يذكر أن عتبة أمر" عمر أبا سبرة على البصرة بقية السنة التانية . وارجيح رواية الطبري على البصرة بقية السنة التانية . وارجيح رواية الطبري الأولى لشهرتها ولقول عمر نفسه لعتبة : « أتستعمل رجلا من أهل الوبر على رجل من أهل المدر؟ » ثم ذكر لعتبة خبر انتصار المفيرة على الفرس .

<sup>(</sup>٣) المعارف ص ( ٩٠٠ ) . (٤) أسد الغابة ( ٤٠/٧٤ ) .

<sup>(</sup>ه) ابن الأثير ( ۲/۳ ) . (٦) الطبرى ( ٢٠٦/٣ ) .

<sup>(</sup>٧) أسد الغابة ( ٤٠٧/٤ ) والمعارف ص ( ٢٩٥ ) .

الفرس قال: « لم أركاليوم فشلا! إن عدونا يُتركون يتأهبون لا يعجلون. أما والله لو أن الأمن لى لقد أعجلتهم! (١) » ؛ ولكن النعان بن مُقرِّن أمن الناس أن يلزموا الأرض ولا يقاتلوا حتى يأذن لهم (٢) ، ثم قال النعان: « إن أصبتُ فعلى الناس جُدَيفة بن اليمان ، وإن أصبَب حديفة ففلان . . . ففلان ، حتى عدّ سبعة آخرهم المغيرة (٢) » . وبعد نهاوند شهد فتح (همذان) (١٠) .

وتولى المغيرة الكوفة سنة أحدى وعشرين الهجرة (٥) وذلك أيام عمر بن الخطاب ، ومنذ ذلك الوقت حتى عزله عثمان بن عفان عنها ، أشرف المغيرة على الفتح الإسلامي الذي تم على يد الكوفيين ، فأرسل البراء بن عازب لفتح قزين ففتحها (٦) ، كما فتح الكوفيون مناطق كثيرة ، كان المغيرة يومها هو المسؤول الأول عن إعداد الجيوش وإمدادها بالرجال والمواد بحكم منصبه والياً على الكوفة ومسؤولاً عن إدارتها وقيادة جيوشها .

#### الانسال :

اغتال المغيرة ثلاثة عشر ثقفياً من رفقاء سفره إلى مصر ، فلم يقرّه النبى صلى الله عليه وسلم على فعلته واعتبر المال الذى جاء به نتيجة من نتأمج الغدر ، وليس فى الغدر خير .

<sup>(</sup>١) الطبرى ( ٢٠٧/٣ ) . ( ٢) ابن الاثير ( ٣/ه ) .

<sup>(</sup>۲) الطبرى (۲/۷) .

 <sup>(</sup>٤) أسد الغابة ( ٤٠٧/٤ ) ، وقد ذكر البلاذرى فى ص ( ٣٠٦ ) : أنه فتح همذان ، وفى ص ( ٣٠٦ ) : أنه فتح المدان ، وقد ذكر نا الفادة الذبن فتحوا هذه المناطق فى محله .

 <sup>(</sup>۵) ابن الأثير ( ۸/۳ ) .
 (٦) البلاذرى س ( ٣١٧ ) .

ولكن الإسلام يَجبُ ما قبله ، فقد نصح المغيرة للنبي صلى الله عليه وسلم وأخلص لعقيدته ، ولعل من أدلة ذلك موقفه الرائع تجاه عمه عروة بن مسعود يوم الحديبية ، وموقفه المشرف يوم حنين ، وموقفه فى حصار الطائف بلده ، وأقدامه على هدم اللآت وحرقها ، مما جعله موضع ثقة النبي صلى الله عليه وسلم وتقديره.

وكان جهاده مشكوراً فى حروب الردة وفى أرض الشام وفى حروب العراق وفارس ، مما جعله موضع ثفة عمر بن الخطاب ؛ فأمّن على البحرين أول الأمن ، فلكرهوه وشكوا منه ؛ فعزله عمر ؛ فخافوا أن يعيده عليهم ، فجمعوا مائة ألف درهم وأحضرها الدهقان إلى عمر قائلاً : « إنّ المغيرة اختان هذه فأودعها عندى » ؛ فسأل عمر المغيرة عنها فقال : «كذب! إنما كانت مائتى ألف » ، فقال عمر : « وما حملك على ذلك ؟ 1 » ، فقال المغيرة : «كثرة العيال! » ؛ فسقط فى يد الدهقان وحلف مؤكداً الأيمان : أنه لم يودع عنده قليلاً ولا كثيراً ، فقال عر للمغيرة : «ما حملك على هذا ؟ » ، فأجاب المغيرة : « المنافرة على النجرية فى الإدارة وذلك فى أيامه الأولى ، لهمذا كرهه أهل البحرين ؛ وسنرى أنه أصبح إداريا من الطراز الأول بعد أن تقدم فى العمر وزادت نجاريه فى الحياة .

وبعد بلائه الممتاز في جهاده ، ولاه عمر بن الخطاب البصرة بعد مؤسسها وبانبها عتبة بن غزوان (٢) ، ولكنه عاد وعزله عن البصرة لاتهامه بتهمة

<sup>(</sup>١) الإسابة (١/٢٢).

<sup>(</sup>۲) البلاذري من ( ۲۳۸ ) وابن الاثير ( ۲۰۹/۲ ) .

أخلاقية لم تثبت عليه (۱) ؛ وكان ناجعاً كل النجاح فى إدارته ؛ إذ لم ينتقض عليه أحد ولم يُحدث شيئاً إلا ما كان بينه وبين أبى بكرة الذى اتهمه بتلك التهمة الأخلاقية (۱) ، وكان المغيرة أول من وضع ديوان البصرة وأول من سلم عليه بالأمرة (۱) .

ثم ولاه عمر الكوفة بعد عزل أبى موسى الأشعرى عنها ، وكان عمر قد عزل قبل أبى موسى عمار بن ياسر ، إذ كان أهل الكوفة لا برضون عن أمير ، فقد أهم عمر أمن الكوفة فوجده المغيرة نائماً فى ناحية المسجد فحرسه المغيرة حتى استيقظ . وسأل المغيرة عمر عن أسباب حزنه ، فقال : « أى شىء المغيرة حتى استيقظ . وسأل المغيرة عمر عن أسباب حزنه ، فقال : « أى شىء أعظ من مائة ألف لا يرضون عن أمير ولا يرضى عنهم أمير ؟! » . واستشار عمر أصحابه فيمن يوليه وقال : « ما تقولون فى تولية رجل ضعيف مسلم أو رجل قوى مسدد ؟ » ، فقال المغيرة : « أما الضعيف المسلم ، فإن إسلامه لنفسه وضمفه عليك ، وأما القوى المسدد ، فإن سداده لنفسه وقو ته للمسلمين » ، فولى المغيرة الكوفة قائلاً له : « يامغيرة ! ليأمنك الأبرار وليخفك الفجار» (\*) فولى المغيرة الكوفة قائلاً له : « يامغيرة الخط العريض لسياسته التى طبقها فى الكوفة فعلاً — والياً عليها وقائداً عاماً لجيوشها — حتى عزله عمان بن عفان بعد استشهاد عر بن الخطاب (\*) .

وبعد عزله سكن الكوفة <sup>(١)</sup> ، ولكنه كان يتنقل بينها وبين الحجاز ؛

<sup>(</sup>١) أنظر تفاصيل محاكة المفيرة عن تلك النهمة أمام عمر بن الخطاب ف الأغانى (٢١) أنظر تفاصيل محاكة المفيرة عن تلك النهمة أمام عمر بن الخطاب ف الأغانى

 <sup>(</sup>۲) أبن الاثبر (۲/۹۲).
 (۳) الاصابة (۲/۹۲).

<sup>(</sup>١) ابن الاثير (١٣/٣) . (٥) أسد الفابة (٢٠٧/٤).

<sup>(</sup>١) طبقات ابن سعد ( ٢٠/٦ ) .

وقد أراد حضور اجتماع جماعة الشورى بعد وفاة عمر ، فجلس هو وعمرو بن العاص على باب الدار التي كان فيها أصحاب الشورى ، ولكن سعد بن وقاص حصبهما وأقامهما قائلاً لهما: « تريدان أن تقولا: حضرنا وكنا من أهل الشورى ا!» (1).

ولما بويع عثمان بالخلافة ، قال المغيرة لعبد الرحمن بن عوف . « يا أبا محمد القد أصبت أن بايعت عثمان » ، وقال لعثمان : « لو بايع عبد الرحمن غيرك ما رضينا ! » ، فقال عبد الرحمن بن عوف : «كذبت يا أعور ! لو بايعت غيره لبايعته ! ! » ، والظاهر أن المغيرة أراد أن يسترضى عثمان فلا يعزله عن الكوفة ، ولكن عثمان عزله وولى مكانه سعد بن أبي وقاص (٢) ، فآلم ذلك المغيرة أشد الألم ، إذ من الواضح أنه كان يحب الأمارة ، مما جعله يتحيّن الفرص للعودة إلى إمارته على الكوفة أو على غيرها من الأمصار .

وبعد قتل عثمان بيومين ، اختلى المغيرة بعلى بن أبي طالب وقال له : 
« أنّ النصح رخيص ، وأنت بقية الناس ؛ إنى لك ناصح ، وإنى أشير عليك 
بردّ عمال عثمان عامك هذا ، فاكتب إليهم بإيثباتهم على أعمالهم ، فإذا بايعوا 
لك واطمأن الأمر لك ، عزلت من أحببت » ، فأجابه على : « والله لا أداهن 
ف ديني ولا أعطى الدنى في أمرى » ، فقال المغيرة : « فإن كنت قد أبيت 
على فأنزع من شئت واترك معاوية ، فان لمعاوية جرأة ، وهو في أهل الشام 
كيسمع منه ، ولك حجّة في إثباته : كان عمر بن الخطاب قد ولاه الشام كلها » ، 
فقال على : « لا والله ، لا أستعمل معاوية أبداً » ، فخرج من عند على نم عاد

 <sup>(</sup>١) ابن الأنبر ( ٣٠/٣ ) .
 (٢) ابن الأثبر ( ٣٠/٣ ) .

فقال: « إنى أشرت عليك بما أشرت فأبيت على ، ثم نظرت فى الأمر فإذا أنت مصيب » ؛ فلما سمع عبد الله بن عامر من على أبي طالب خبر هذا الحديث قال له: « أما أول ما أشار عليك فقد نصحك ، وأما الآخر فغشك » (1) وقال الحسن بن على لأبيه: « ما قال لك هذا الأعور ؟ » ؛ فقال على: « أتانى أمس بكذا ، وأتانى اليوم بكذا » ؛ فقال الحسن: « نصح لك والله أمس ، وخدعك اليوم » ، فقال له على: « إن أقررت معاوية على ما فى يده ، كنت متخذ المضلين عَضُدا » . وقال المغيرة فى ذلك :

نصحت علياً في ابن هِند نصيحة فرد ، فلا يسمع له الدهر ثانية وقلت له : أرسل إليه بعهده على الشام حتى يستقر معاوية ويعلم أهل الشام أن قد ملكته فأم ابن هند عند ذلك هاوية فلم يقبل النصح الذي جئته به وكانت له تلك النصيحة كافية (٢) لقد كان المغيرة برى أن يسترضى علياً بأى ثمن — لعله يعيده إلى الكوفة أو يجر منه مغنماً — فلما رأى صلابة على وتمسكه الشديد بالحق واعتداده برأيه ، آثر العزلة في (الطائف) بلده ؛ إذ هاجر من الكوفة إليها واعتزل الحرب بين على ومعاوية (٢) ؛ إلا أنه كان برقب الحوادث الدائرة عن كثب بانتباه شديد ؛ فلما علم باجماع الحكمين : أبى موسى الأشعرى عن على وعمرو ابن العاص عن معاوية ، قال لجماعة من قريش : «أثرون أحداً يستطيع أن

يأتى برأى يعلم به أيجتمع الحكمان أم لا ؟ 1 » ، فقانوا : « لا » ، فقــال :

« إنى أعلمه منهما » ، فدخل على عمرو بن العاص فقال : «كيف ترانا معشر

<sup>(</sup>١) الطبرى ( ٣٦٢/١٤ ) والأغانى ( ٣٢٣/١٤ ) .

 <sup>(</sup>۲) الاستيماب (۲) ۱٤٤٧) .

<sup>(</sup>٣) الإصاة (٦/٦٦) .

من اعتزل الحرب؟ فإنا قد شككنا في الأمر الذي استبان لكم » ، فقال عمرو: « أراكم خلف الأبرار ، أمام الفحار ١ » . وانصرف المغيرة إلى أبي موسى الأشعرى ، فقال له مثل قوله لعمرو ، فأجاب أبو موسى : « أراكم أثبت الناس رأياً ، فيكم بقية الناس » ، فعاد المغيرة إلى أصحابه وقال لهم : « لا يجتمع هذان على رأى واحد » (١) ، وقد أصاب المغيرة إذ لم يجتمع الحكان على شيء كما هو معروف .

لقد كان المغيرة مع معاوية على الرغم من اعتزاله في ( الطائف ) (٢٠ : كان قلبه معه لأنه يأمل أن توليه إمارة مصر من الأمصار إذا صارت الأمور إليه ، ولا يُطمع أن نوليه على إمارة ما ؛ ولكن سيفه كان في غمده لا يشهره على أحد من المسلمين ؛ والحق أن حب المغيرة الشديد للإمارة لم يبلغ به درجة يبيع بها دينه بدانياه ، وإلا لكان له مجال واسع للالتحاق بمعاوية من أول الأمر ؛ وَلَـكُنه تَريَّتْ وَلَمْ يَرْجَ نَفْسَهُ فِي أُوارِ الفَتَنَةِ الْـكَبَرِي ؛ إلا أَنَّهُ أَظْهُرُ وَلاءُهُ الكامل لمعاوية بعد استشهاد على بن أبي طالب، فاستعمله معاوية على الكوفة؛ فقد كان معاوية يريد أن بولى عبد الله بن عمرو بن العاص عليها ، فأتاه المغيرة ابن شعبة وقال : « استعملت عبد الله بن عمرو على الكوفة وعمراً على مصر ، فَسَكُونَ أَنت بين فكي الأسد 1». وبلغ عمراً ما قال المغيرة ، فدخل على معاوية وقال: « استعملت المغيرة على الـكوفة ؟ ! » ، فقال: « نعم ! » ، فقال: « أُجِعَلَتُه على الخُراجِ ؟ » ، قال : « نعم ! » ، فقال : « تستعمل المغيرة على الخراج فيغتال المال ، فيذهب فلا تستطيع أن تأخذ منه شيئًا ؟ استعمل على الخراج من يخافك ويهابك ويتَّقيك » ، فعزل معاوية المغــيرة عن الخراج واستعمله

<sup>(</sup>١) ابن الاثير ( ١٣٢/٣ ) .

<sup>(</sup>٢) الطبرى (٤/٥٢٤) .

على الصلاة ؛ فلق المغيرة عمراً ، يفقال عمرو: «أنت المشير على أمير المؤمنين على أشير المؤمنين عالى أشير المؤمنين عاراً أشرت به في عبد الله ؟ » ، فقال المغيرة : « نعم » . فقال عمرو : « هذه بتلك » (1) .

وسار المغيرة إلى الكوفة ، فيكانت سيرته في الخوارج من أهل الكوفة كسيرة على بن أبي طالب فيهم ، إذ تركهم أحراراً يلق بعضهم بعضاً ويجتمعون يتداكرون أمرهم ، وأبي أن يعرض لهم إلا أن يحدثوا شراً أو يبادون بعساوة ، ولكنه كان أشد احتياطاً من على ، ف كان له من يعلمه علم الخوارج ، وكان يحاول أن يمنع خروجهم قبل وقوعه ، وربما دفعه ذلك إلى أخذهم أثناء اجهاعهم و إلقائهم في السجن ، فإ ذا خرجت منهم خارجة ونصبت له الحزب أو أفسدت في الأرض ، أرسل إليها من أهل الكوفة من يقاتلها حتى يكفيه شرها .

وكانت سيرته في شيعة على أيسر من ذلك وأسمح: لم يعرض لهم بمكروه ، وربما بادروه بالكلام القاسى الغليظ ، فلم يؤذهم في أنفسهم ولا في أموالهم . كان يُؤتى فيقال له : إن فلاناً برى رأى الشيعة وفلاناً برى رأى الخوارج ، فيقول : « قضى الله ألا برالوا مختلفين ، وسيحكم الله بين عباده » ، فأمنه الله ألا برالوا مختلفين ، وسيحكم الله بين عباده » ، فأمنه

ولكى يثبت إخلاصه لمعاوية ، بذل جهده فى مصالحة زياد بن أبيه مع معاوية ، وكان زياد معتصماً فى ( فارس ) يهدد معاوية وحزبه بشر مستطير (٢٠) ، وقد نجح المغيرة فى إحلال السلام بين الطرفين :

<sup>(</sup>١) الطبري ( ١٢٧/١ ) .

<sup>(</sup>۲) ابن الانبر (۲٫۸/۳) ،

<sup>(</sup>٣) ابن الاثير ( ١٦٨/٣ ) .

كما أنه شجع معاوية على أخذ البيعة لولده يزيد فى حياته ، فقد أراد معاوية عزل المغيرة عن الكوفة واستعال سعيد بن العاص مكانه ، فبلغ ذلك المغيرة ، فقر"ر أن يشخص إلى معاوية و يستعفيه ليظهر للناس كراهيته للولاية .

وسار المغيرة إلى معاوية ، وقال لأصحابه حين وصل إليه: « إن لم أكسبكم الآن ولاية و إمارة لا أفعل ذلك أبداً » ؛ ومضى حتى دخل على نزبد وقال له : « إنه قد ذهب أعيان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وآله وكبراء قريش وذوو أسنانهم ، وإنما بتي أبناؤهم وأنت أفضلهم وأحسنهم رأياً وأعلمهم بالسنة والسياسة ؛ ولا أدرى ما يمنع أمير المؤمنين أن يعقد لك البيعة 1 » ، فقـــال بزید: «أو تری ذلك يتم ۱۶». قال: « نعم!» ؛ فدخل بزید علی أبیــه وأخبره بما قال المغيرة ، فأحضر المغيرة وقال له : « ما يقول بزيد ؟ » ، فقال : « يا أمير المؤمنين 1 قد رأيت ماكان من سفك الدماء والاختلاف بعد عثمان ؛ وفي يزيد منك خلف ، فاعقد له ؛ فإن حدث حادث كان كهفاً للناس وخلفاً منك ، ولا تسفك دماء ولا تكون فتنة » . قال معاوية : « ومن لي بهذا ؟ » ، فقال: ﴿ أَ كُفيكُ أَهُلَ الْكُوفَةُ وَيَكُفيكُ زيادَ أَهُلَ البَصْرَةُ ﴾ وليس بعد هذين المصرين أحد يخالفك ! » . قال معاوية : « فأرجع إلى عملك ، وتحدَّث مع من تنق إليه في ذلك ، وترى ونرى » ؛ فودَّعه المغيرة ورجع إلى أصحابه وقال لهم: « لقد وضعت رجل معاوية في غرز بعيد الغاية على أمة محمد ، وفنقت عليهم فتقاً لا يرتق أبداً » . ولما وصل الـكوفة أوفد عشرة رجال ، وقيل أكثر إلى معاوية وأعطاهم ثلاثين ألف درهم وجعل عليهم ابنه ، فزيَّنوا له بيعة

 <sup>(</sup>۱) ابن الائير ( ۱۹۸/۳ ) ، وانظر ماجاء حول ذلك ق الائمامة والسياسة
 لابن قتية ( ۱۲۰/۱ ) واليمتوبي ( ۱۹۹/۲ ) .

وهكذا كان المغيرة مستعداً للتضحية بأشياء كثيرة فى سبيل بقائه أميراً على الكوفة . . . لقدكان برى أن حياته بدون إمارة لا معنى لها – وهو أول من سُلم عليه بالإمرة (١) ، وكان يحرص على الإمارة حرصه على الحياة ١

وإذا استطاع المغيرة بدهائه أن يبقى على الكوفة وأن يقنع معاوية بإ بِمَائه عليها ، فقد انتزعه الله منها ، إذ مات بالطاعون فيها سنة خمسين الهجرة ( ٩٧٠ م ) ، ودفن بالنو ية (٢٠ ، وهو يومئذ ابن سبعين سنة (٣) ، ومعنى ذلك أنه ولد سنة عشرين قبل الهجرة ( ٩٠٢ م ) .

ولما حضرته الوفاة قال: « اللهم هذه يمينى بايعت بها نبيك، وجاهدت بها في سبيلك » (\*).

وكان بين المغيرة وبين مصقلة بن هبيرة الشيبانى نزاع ، فضرع له المغيرة وتواضع فى كلامه حتى طبع فيه مصقلة واستعلى عليه وشتمه وقذفه ، فقسدمه المغيرة إلى قاضى الكوفة فأقام عليه البينة فضربه الحد ، فآلى مصقلة ألآية يم ببلدة فيها المغيرة ما دام حياً . وخرج مصقلة إلى بنى شيبان فنزل فيهم إلى أن مات المغيرة – ثم دخل الكوفة – فتلقاه قومه وسلموا عليه ، فا فرغ من التسليم حتى سألهم عن مقابر ثفيف ، فأرشدوه إليها ؛ فجعل قوم من مواليه يلتقطون له الحجارة ، فقال : « ما هذا ؟ » ، قالوا : ظننا أنك تريد أن ترجم

<sup>(</sup>١) الإصابة (٢/١٣١).

 <sup>(</sup>۲) الثوية: موضع قريب من السكوفة وقيل بالكوفة . انظر التفاصيل في معجم البلدان ( ۲۸/۳ ) .

<sup>(</sup>٣) طبقات ابن سعد ( ٢٠/٦ ) والاستيماب ( ١٤٤٦/٤ ) والمعسارف ص ( ٢٩٠ ) .

<sup>(</sup>٤) المارف س ( ٢٩٥) .

قبره ؛ فقال : « ألقوا ما في أيديكم » . وانطلق حتى وقف على قبر المغيرة فقال : « والله للله كنت ما علمت كافعاً لصديقك ، صابراً لعدوك ، وما مثلك إلا كما قال مهلهل في أخيه كليب :

إِنَّ مِحْتِ الأحجار حزماً وعزماً (1) وخصيماً ألد ذا مِعْ لاق حية في الوجار أزبد لا ينفع منه السلم نفث الراق (1). مثم قال: «أما والله ، لقد كنت شديد العداوة لمن عاديت ، شديد الأخوة لمن آخيت » (1).

لقد كان المغيرة رجلاً ذا هيبة أعور يخضب شعره بالصفرة (\*) وبالسواد أيضاً ، فقد كان أول من خصب بالسواد : خرج على الناس وكان عهدهم به أبيض الشعر ، فعجب الناس منه (\*) ، أصهب الشعر أقلص الشفتين ضخم الجامة عبل الفراعين عريض ما بين المنكبين (٢)

وكان بحسن القراءة والكتابة ، لذلك جعله النبي صلى الله عليه وسلم أحد كتاب الوحى (٧) ، كما كان بحسن التكلم باللغة الفارسية وقد قام بمهمة المترجم بين عمر بن الحطاب والهرمن ان وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم

<sup>َ \* (</sup>١) في الاستيماب (٢٤/٤) وود هذا إلىشطن من البيت :: إن تحت التراب حزماً وجوداً

<sup>(</sup>٢) الاعْفاني ( ١٤/٣٢٣ — ٢٢٣ ) .

<sup>(</sup>۴) الاستيماب (١٤٤٦/٤).

ر ۱۰۰ (٤) طبقات ابن شعد ( ۲۰/۲ ) وانظر الاستيمان ( ١٤٤٤ ) تر النام الاستيمان ( ١٤٤٤ ) تر

<sup>(</sup>ه) الأغاني (١٤/١١٦ – ٢١٧).

ي:(٦) الإصابة ( ١٣٢/٦ ) بريت . (٧) السير الحلبية ( ١٩٤/٣ ) .

<sup>(</sup>٨) ابن الاثنير ( ٢١٣/٢ ) .

ستة وثلاثين حديثا (١) ، كما عد من أصحاب الفتيا من الصحابة (٢).

وكان مزواجاً مطلاقاً ، فكان إذا اجتمع عنده أربع نسوة قال: « إنّكنّ لطويلات الأعناق ، كريمات الأخلاق ، ولكنى رجل مطلاق ، فاعتددن! » . وقد أصبح لكثرة ما تزوج وطلق خبيراً بالنساء ، فكان يقول: « النساء أربع والرجال أربع : رجل مذكر وامرأة مؤنثة فهو قوام عليها ، ورجل مؤنث وامرأة مذكرة فهى قوامة عليه ، ورجل مذكر وامرأة مذكرة فهما كالوعلين ينتطحان ، ورجل مؤنث وامرأة مؤنثة فهما لا يأتيان بخير ولا يفلحان » (") . وكان يقول: « نكحت تسعاً و نمانين امرأة ، فما أمسكت منهن امرأة على حب: أمسكها لولدها ، ولحسبها ، ولكذا وكذا . . . » . وقد ذكروا النساء عند المغيرة فقال : « أنا أعلمكم بهن ، تزوجت ثلاثاً و تسعين امرأة ، منهن سبعون أمراً ، فوجدت أن اليمانية كثو بك أخذت بجانبه فأتبعك ، ووجدت الربيعية أمرتها فأطاعتك ، ووجدت المضرية قرناً ساورته فغلبته أو غلبك » (").

وكان يحب هذا الفخر ويحب أن يتميز على أقرانه بأى شيء ، وقد علمت كيف ألتى خاتمه فى قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، وكيف أنه جلس على باب الدار التى كان فيها أهل الشورى ليقول : إنه شهد أهل الشورى !

وبلغ من حبه لهذا الفخر ، أنه أراد أن يتزوج من هند بنت النعان بن المنذر وهي يومئذ متنصرة عمياء بنت تسعين سنة ؛ فقد ركب المغيرة إليها . فقالت له: «أنت عامل هذه المدرة ؟ » (\*) وتعنى الكوفة ، فقال: « نعم ! » .

<sup>(</sup>١) أسماء الصحابة الرواة -- ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ص ( ٢٧٨ ) -

<sup>(</sup>٢) أصحاب الغتيا من الصحابة — ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ص ( ٣٣٢ ) .

<sup>(</sup>٣) الأغاني ( ٣١٩/١٤) .

<sup>(</sup>٤) الأغاني ( ١٤/٣٢٠ ) .

<sup>(</sup>ه) المدرة : النرية ، جمعها : مدر بفتحتين .

قالت: « ما حاجتك ؟ » . قال: « جئتك خاطباً إليك نفسك ! » . قالت: « أما والله لو كنت جئت تبغى جمالاً أو دنيا لزوجناك ، ولكنك أردت أن تجلس فى موسم من مواسم العرب، فتقول: تزوجت بنت النعان بن المنذر ! وهذا والصليب مالا يكون أبداً . . . أو ما يكفيك فحراً أن تكون فى ملك النعان و بلاده ، فتدرها كما تريد ؟ ! » (1) .

وكان لحبه هذا الفخر — ومن أجله — أول من رشا فى الإسلام ، فقد كان يقول : «كنت آنى فأجلس على باب عمر أنتظر الأذن على عمر ، فقلت لحاجب عمر : خذ هذه العامة فألبسها فإن عندى أختها ، فكان يأذن لى أن أقعد فى داخل الباب ، فمن رآنى قال : إنه ليدخل على عمر فى ساعة لا يدخل غيره » (٢) .

ولكن أبرز مافى المغيرة دهاؤه . كان يقال له : مغيرة الرأى . قال الشعبى عنه : «كان من دهاة العرب » . وقال قبيصة بن جابر : « صحبت المغيرة فلو أن المدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها إلا بالمكر ، خرج المغيرة من أبواب كاها 1 » . وقال الطبرى عنه : «كان لا يقع في أمر إلا وجد له مخرجاً ، ولا يلتبس عليه أمران إلا ظهر الرأى من أحدها »(٢) .

وقال الشعبي : « دهاة العرب أربعة : معاوية بن أبي سفيان ، وعرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، وزياد . فأما معاوية فللأناة والحلم ، وأما عرو

<sup>(</sup>۱) الانخاني (۱۶/۷۱۳ — ۲۱۸).

<sup>(</sup>٢) الإصابة (٦/١٣٢).

<sup>(</sup>٣) الإصابة (٢/١٢)

فللمعضلات ، وأما المغيرة فللمبادهة ، وأما زياد فللصغير والكبير<sup>(۱)</sup> ، فهو من دواهي العرب<sup>(۲)</sup>».

تلك لمحات من شخصية المغيرة ، تظهر لنا أنه كان داهية من الدهاة ، ذا كفاءات وقابليات ممتازة وذكاء نادر وشخصية متكاملة — فمن حقه أن يكون له فى المجتمع الإسلامى مكان مرموق — ولكن سعيه الحثيث لطلب الأمارة جعله يتساهل فى كثير من أمور دينه ، فاختلط فيه الخير بالشرحى أصبح مشكلة من المشكلات: يعمل للآخرة إلى الحد الذى لا تتعارض مع طلبه للإمارة ، فإذا تعارض ذلك مع طموحه للسيادة والحكم تساهل فى أمر تخرته . . . والحق أن أعماله غريبة عجيبة خلط فيها عملاً حسناً بآخر سيء ، حتى كأن أعماله حصيلة شخصين أحدها من نور وآخر من ظلام .

لقد كان تهازاً للفرص ، طموحاً غاية الطموح ، يعرف كيف ومتى ومن أين تؤكل الكتف .

إنه مثال رائع للدهاء العربي وللذكاء الفطرى فى العصر الأول من عصور الإسلام .

### القائد :

لم نامس فى حياة المغيرة العسكرية موقفاً واحداً يدل على إقدامه لدرجة المجازفة بحياته ، كالتغلغل بميداً فى صفوف العدو ، أو الإقدام على طلب مبارزة أبطال العدو ، ولكنه كان دائماً يبدى آراء سديدة للغاية لرؤسائه حين يكون

<sup>(</sup>۱) أسد الغابة ( ٤٠٧/٤ ) والاستيغاب ( ١٤٤٦/٤ ) والأغانى ( ٣١٤/٤ ) وتاريخ الحلفاء للسيوطى ص ( ١٣٦ ) .

<sup>(</sup>٢) البدء والتاريخ ( ٥/٤/٠ ).

مرؤوساً ولمرؤوسيه حين يكون رئيساًفي إعداد الخطط المناسبة للقضاء على العدو، كماكان دائماً مفاوضاً من الطراز الرفيع عند إرساله لمفاوضة قادة العدو.

لقد كان سلاحه الأول ما يتمتع به من عقلية منزنة وذكاء خارق ونظر بعيد جداً ؛ فإذا برز بعض القادة بشجاعتهم الشخصية ، فقد برز المغيرة بتفكيره السليم ، فأفاد المسلمين بخططه الحكيمة من جهة وبزعزعته معنويات خصومهم في مفاوضاته من جهة أخرى .

وليس معنى ذلك أن المغيرة لم يكن شجاعاً مقداما ، ولكن معنى ذلك أن الناحية العقلية فى قيادته كانت أظهر من شجاعته الشخصية و إقدامه ، فكان يعتمد على الرأى الصائب أكثر مما يعتمد على عضلاته وسيفه ، و بتعبير آخر ، إن المغيرة كان يقاتل بعقله بالدرجة الأولى و يقاتل بسيفه بالدرجة الثانية .

لقد أحسن المغيرة كل الأحسان فى جهاده ، وإذا كان هناك من يأخذ عليه بعض الهفوات فى حياته (المدنية) فليس هناك من يستطيع أن يأخذ عليه مأخذاً واحداً فى حياته (العسكرية) ، إذ أنه بذل جهوداً مشرفة فى كافة ميادين القتال التى أتسح له القتال فيها جندياً وقائداً.

كانت له قابلية فائمة لإعطاء القرارات السريعة الصحيحة ، له إرادة قوية ثابتة وشخصية فذة نادرة ، يتحمل المسؤولية كاملة بلا تردد أو خوف ، بعيد النظر بشكل مدهش حقاً ، يعرف نفسيات مرؤوسيه وقابلياتهم ونفسية رؤسائه وقابلياتهم أيضاً ، يثق برجاله ويثقون به ويثق أمراؤه ثقة كاملة به .

وكانت كل معاركه (تعرضية)، يتوخى فى إعداد خططها مبدأ (المباغتة) ولا يقدم على خوض معركة ما ، ما لم ( يحشد قواته ) ويؤمن لها ( أمورها الإدارية ) ويعمل على ( إدامة معنوياتها ) ، وتلك هى مبادئ الحرب التي كان

يضعها نصب عينيه قبل القتال وأثناءه ، وبها - بالإضافة إلى قابلياته الشخصية في القيادة - انتصر في معارك الفتح .

# المغيرة في الشاريخ :

يذكر التاريخ للمغيرة ، أنه كان إداريًا ناجحًا وقائداً ناجحًا .

لقد كان من دهاة العرب المعدودين فى زمانه ، ولا نزال حتى اليوم ، نعجب حين نقرأ أخباره أشد الإعجاب بذكائه الفطرى الخلاق ، ذلك الذكاء الذي استخدمه المغيرة لمصالحه الشخصية مرة ولمصالح المسلمين مرات.

إن البصرة أنشأها عُتبة بن غَزُوان ، ولكن المغيرة هو الذي وسعها ونظم أمورها وأرسى إدارتها على قواعد مدنية سليمة بعد أن كانت تدار بأسلوب بدأتي أقرب إلى البداوة منها إلى الحضارة ، كاكان له نفس الأثر في السكوفة ، والبصرة والسكوفة هما القاعدتان الأماميتان للفتح الإسلامي في المشرق كله ، تينك القاعدتان اللتان كان لهما أعظم الأثر في العقل الإسلامي والفتح الإسلامي على حد سواء .

إن التاريخ بذكر للمغيرة ، أنه رجل دولة بكل ما فى هذه الكلمة من معانى ، رجل دولة قلما يجود الدهر بأمثاله إلا نادراً .

لقد كان من رجال الدهر حزماً وعزماً ورأياً ودهاء (١).

رضى الله عن الصحابي الجليل ، الألمى الداهية ، الإدارى الحازم ، القائد الفاتح ، المُغِيرَة بن شُعبَة الثقني .

<sup>(</sup>١) شذرات الذمب ( ٦/١ )

هتادة فستح المنطقة انجبلية من شعالي العاق

.

# عت بترب*ن فرنت دالسّالمي* فأنح شمال العراق وأَذْرَبَيْجَان

### إسلامه :

أسلم أبو عبد الله عُنبَة بن قَرَقُدَ السُّلَمَى قبل غزوة (خيبر) ، إذ أنه شهد هذه الغزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقسم له منها ، فكان يعطى نصيبه منها لبنى أعمامه عاماً ولبنى أخواله عاما ، وكانت غزوة (خبير) في سنة سبع الهجرة (") ، مما يدل على أنه أسلم في هذه السنة أو قبلها بقليل . وقد غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم غزو تين (") فقط ، فنال شرف الصحبة (") وشرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد .

## مهاده :

نهض عتبة بعد النبي صلى الله عليه وسلم بقسطه من جهاد المرتدين ؛ فلما عاد أهل الردَّة إلى الإسلام ، نهض عتبة بقسطه من الفتح الإسلام .

ولا نعلم بالضبط متى جاء العراق غازياً ولا المعارك التي شهدها فيه ، وأول

 <sup>(</sup>١) أورد ابن سعد في طبقاته عتبة مع الصحابة الذين أسادوا قبل فتح مكة وبعد غزوة (أحد). انظر اسمه في ثنك الفائعة في طبقات ابن سعد (٣٨٩/٤) وانظر ما جاء عنه في طبقات ابن سعد (٢/٥٧٤).
 (٢) الاصابة.

<sup>(</sup>٣) فتح البارى بشرح البخارى ( ٣٠٦/٧ ) وسيرة ابن هشام ( ٣٧٨/٣ ) .

<sup>(</sup>٤) أُسَدَّ الغابةُ ( ٣/ ٣٦٥ ) والاستيمابِ ( ٣/ ٢٩/٢ ) .

<sup>(</sup>ه) الأصابة ( ٢١٦/٤ ) وأحد الفاية ( ٣/ه٣٦ ) والاستيماب ( ٣٠٩/٣ ) وطبقات ابن سعد ( ٣٨٩/٤ ) .

ماورد ذكره هو تستمه منصب إمارة الموصل على الحرب والخراج سنة سبع عشرة خلفاً لعرفجة بن هرثمة البارق الذي أمد به عمر بن الخطاب عتبة بن غزوان (۱) ، ولا يمكن أن يتولى أحد مثل هذا المنصب الخطير ما لم يكن قد بذل جهوداً مشرِّفة في الجهاد من قبل .

ولما استقر عتبة بالموصل ، شرع فی فتح مناطقها المجاورة وهی : (شهر زور ) (<sup>1)</sup> و ( الصامغان ) (<sup>۳)</sup> و ( داراباذ ) <sup>(۱)</sup> ؛ ففتح ( شهر زور ) بعد قنال علی مثل صلح ( حُلوان ) ( ) و صالح أهل ( الصامغان ) و ( داراباذ ) علی الجزیة والخراج (۲) ، و کان ذلك سنة اثنتین و عشرین للهجرة (۲) ، فلما

<sup>(</sup>١) الطبرى ( ١٤٤/٣ ) وابن الأثبر ( ١٨٨/٢ ) .

 <sup>(</sup>۲) شهر زور: كورة واسعة في الجبال بين أربيل وهمذان . راجع معجم البلدان (۳۱۲/۰) وآثار البلاد وأخبار العباد للتزويني ص (۳۹۲) . أما في المسالك والمهاك للاصخرى ص (۲۱۸) فيذكر : (أنها بلدة صغيرة بهذا الاسم) أقول : وقد مميّّت هذه الكورة الواسعة باسم هذه المدينة الصغيرة .

<sup>(</sup>٣) الصامغان : كورة من كور الجبل في حدود طبرستان . راجع معجم البلدان ( ٣/٤/٥ ) .

<sup>(</sup>٤) داراباذ: قلمة حصينة في حبال طبرستان. راجع معجم البلدان ( ٦/٤ ). وهي ليست ( داراً ) الواقعة في الجزيرة بين نصيبين وماردين ، لاأن الاُولى هي في منطقة فتتح عتبة والثانية خارجة عن منطقته.

<sup>(</sup>٥) حلوان : آخر حدود السواد مما يلى الجبال من بغداد ، وكانت مدينة عامرة . راجع معجم البلدان ( ٣٥٧ ) . وفي آثار البلاد وأخبار العباد ص ( ٣٥٧ ) : أنها مدينة بين همذان وبغداد . وفي المسائك والمهلك ص ( ٣٦ ) : إنها مدينة عامرة ليس في العراق بعد البصرة والكوفة وبغداد وسامراه والحيرة مدينة أكبر منها ! .

و توجد اليوم آثار خرائب هذه المدينة بين خانقين وجلولاء يطلق عليها هذا الاسم . (٦) ابن الا'ثير ( ٣/٩ ١ ) ، وقد أضاف البلاذري في ص ( ٣٢٩ ) مايلي : صالح أهل الصامغان ودارا باذ على الجزية والخراج ، على ألا يقتلوا ولايسبوا ولايمنموا طريقاً يسلكونه .

 <sup>(</sup>۷) ۱ - ذکر البلاذری فی س ( ۳۲۷) : أن عتبة فتح الموصل ،
 وفی س ( ۳۲۸) ذکر : أنه فتح تكريت ، ويضيف إلى ذلك بأنه فتح الموصل سنة =

أُنجرَ ذلك كتب إلى عمر بن الخطاب: «إنّ فتوحى قد بلغ(أذَرْ بَيْجان)» (١) فولاه إيّاها وأعاد عرفجة بن هرثمة البارق إلى الموصل (٢).

وسار عتبة لفتح (آذربیجان) من (شهر زور)<sup>(۱)</sup>، وهی مجاورة لمنطقة (آذربیجان) ، کاسار بُکنیر بن عبد الله (نا لفتحها من (حلوان)<sup>(۰)</sup> ، فتح عتبة من (آذربیجان) الجهة المناخة (لشهر زور) باتجاه تقدمه کا فتح بکیر منها ما یلیه (۱) ، ولکن عر بن الخطاب أصدر أمره إلی بکیر أن یتوجه لفتح (الباب) (۷) وأمره أن یستخلف علی عمله ، فاستخلف بکیر عتبة علی الذی افتتحه من (آذربیجان) ، فأقر عتبة سماك بن خرشة الانصاری

<sup>==</sup> عشرين للهجرة، والصحيح إن الموصل فتحت سنة ست عشرة للهجرة . واجع الطبرى ( ١٠٢/٣ ) . ( ١٤٢/٣ ) .

لقد فتح عتبة (شهر زور) و (دارا باذ) ، وهذه المناطق كانت تعتبر جزءاً من الموصل كما جاء في البلاذري ص ( ٣٢٩) : « ولم تزل شهر زور وأعمالها مضمومة إلى الموصل ، حتى فرّقت في آخر خلافة الرشيد » لذلك فإن عتبة فتح هذه المناطق من أعمال الموصل لا بلدة الموصل نفسها .

٣ - جرى فتح هذه المناطق سنة اثنتين وعشرين . راجع ابن الأثير (٣/١٥) .

<sup>(</sup>۱) أذربيجان : كلة أذربيجان فى الفارسية ممناها أرض النار أو معابد النار ، وقد أطلق عليها هذا الاسم لكثرة معابد النار التي كانت موجودة فيها حينة اك ، وأذربيجان صقع جليل ومملكة عظيمة الغالب عليها الجباله ، أشهر مدنها تبريز وهى قصبتها ، راجع معجم البلدان ( ۱۰۸ ) والمسالك والمالك ، ص ( ۱۰۸ ) .

<sup>(</sup>٢) البلاذري ص ( ٣٢٢) .

 <sup>(</sup>٣) البلاذرى ص ( ٣٢٢ ) : ونس عبارته : أن عمر ولى آذربيجان عتبة
 بن فرقد السلمى ، فأتاها من الموصل ويقال : بل أتاها من شهر زور -

<sup>(</sup>٤) هو بكير بن عبد الله الليثي فاتح موقان وقسم من آذربيجان وسترد ترجمته التفصيلية مع قادة الفتح الإسلامي .

<sup>(</sup>ه) البلاذري س ( ٣٢٢) .

<sup>(</sup>١) الطبرى ( ٢٢٤/٣ ) .

 <sup>(</sup>٧) الباب : وتسمى باب الأبواب ، وهي هديتة كبيرة على بحر الحزر . راجع التفاصيل في معجم البلدان ( ٩/٢ ) .

وليس بأبي دجانة (١) على عمل بكير ، إذ جمع عمر آ ذربيجان كلها لعتبة (٢).

وكان قائد الفرس فى تلك المنطقة يدعى (بهرام) قد حشد جيشا لصد عتبة عن استكال فتح آذربيجان ، لذلك تقديم عتبة بقوائه إلى حيث عسكر جيش (بهرام) فنشبت بين الطرفين معركة حامية خسرها الفرس ، فاستسلمت المناطق الأخرى من آذربيجان سلماً ، وأصبحت مناطقها كلها بيد المسلمين ؛ فكتب عتبة بينه وبين أهل آذربيحان أماناً لسهلها وجبلها وحواشها وشفارها وأهل ملكها على أنفسهم وأموالهم وملكهم وشرائعهم على أن يؤدوا الجزية على قدر طاقتهم (٢) وامتد فتح عتبة حتى وشرائعهم على أن يؤدوا الجزية على قدر طاقتهم (٢)

<sup>(</sup>۱) مماك بن خرشة الأنصارى : صحابى جليل شهد القادسية وتولى لعمر إمارة بعض المسالح في أرض همدان وله جهاد وبلاء في فتح الرى وآذربيجان . راجع الإصابة (١٢٨/٣) والاستيماب ( ١٠٢/٢ ) .

<sup>(</sup>٢) الطبرى ( ٢/٤/٢ ) و ( ٢/٥٣٢ ) .

<sup>(</sup>٣) نص كتاب عتبة لأهل آذربيجان : « بسم الله الرحن الرحيم ، هذا ما أعطى عتبة بن فرقد عامل عمر بن الحطاب أمير المؤمنين أهل آذربيجان سهلها وجبالها وحواشيها وشفارها وأهل مللها كلهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وهلهم وشرائهم على أن يؤدوا الجزية على قدر طاقهم ، وليس على صبى ولا امرأة ولا زمن (أى مريض مرضاً مزمناً) ليس فى يديه من الدنيا شىء ، لهم ذلك ولن ليس فى يديه من الدنيا شىء ، لهم ذلك ولن صكن ممهم ؛ وعليهم قرى المسلم من جنود المسلمين يوماً ولية ودلالته . ومن حشر منهم فى سنة وضع عنه جزاء تلك السنة ، ولمن أقام من ذلك ؛ ومن خرج فله الأمان حتى بلجاً إلى حرزه ى راجع الطبرى (٣/ ٣٥) .

و تلاحظ فى هذه الوثيقة ، أن الجزية فرضت لحاية الملوبين فى أمو الهم وعقائدم وأعراضهم وكرامهم ، وتمكيهم من النمتع بحقوق الرعية مع المسلمين الفاتحين سواء بسواء ، إن هذه الجزية فرضت على الأغنياء والقادرين على الممل فقط ؛ وأن هذه الجزية بدل الحدمة العسكرية لذتك توضع عندما يشترك دافعها فى عمل مع المسلمين عسكريا كان أم غير عسكرى أو قد م خدمة عامة للدولة ، كما أعطت هذه الوثيقة حرية المقيدة وحرية التنقل وحرية الأمان للمغلوبين .

مدًا هو عدل العرب المسانين من واقعهم التاريخي ، فهل وصل العالم اليوم إلى ما وصلوا إليه من عدل وإنصاف قبل ما يزيد على ثلاثة عشر قرناً ؟؟.. همات ! .

مدينة (أَرْمِيَهُ )(1) الواقعة بالقرب من بحيرة (أرمية )(٢).

#### الانساله :

تولى عتبة الموصل كما أسلفنا ، وتولى بعدها آذربيجان حربها وخراجها وبق عليها حتى تولى الوليد بن عقبة بن أبى معيط (٢) الكوفة من قبل عثمان ابن عفان سنة خس وعشرين للهجرة (١) فعزل عتبة عن آذربيجان ، فنقض أهلها الصلح مع المسلمين ، فاضطر الوليد على غزوهم (٥) ، وهذا يدلنا على أن عتبة كان محبوباً من أهل آذربيجان يثقون به ثقة كاملة لاستقامته وعدله في إدارته وحكه .

لقد كان عتبة موضع ثقة أبى بكر وعر ، كاكان موضع ثقة سعد بن أبى وقاص حين كان قائداً عاماً فى العراق ووالياً على السكوفة ، فقد بق عتبة والياً على آذربيجان فى زمن عمر و بق عليها فى عهد عنهان ما بق سعد والياً على السكوفة ، فلما عزله عنهان وولى مكانه الوليد بن عقبة عاد فعزله عن منصبه ، لأن الوليد لم يكن يتقيد بالشروط التى النزم بها الشيخان : أبو بكر وعمر وكبار الصحابة من الولاة وقادة الفتح عند توليتهم الولاة والقادة ، تلك الشروط التى كانت تخضع لكفاءة الماضى المجيد فى خدمة الإسلام وصحبة النبى صلى الله التى كانت تخضع لكفاءة الماضى المجيد فى خدمة الإسلام وصحبة النبى صلى الله

 <sup>(</sup>١) أرمية : أمم مدينة عظيمة قديمة با ذربيجان بينها وبين البحيرة الممهاة باسمها نحو
 ثلاثة أميال أو أربعة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٠٢/١) ويطنق على اسم بحيرة
 أرمية اليوم بحيرة رضائية .

<sup>(</sup>٢) البلاذري ص ( ٣٢٧)٠

 <sup>(</sup>۴) الوليد بن عتبة بن أبى معيط الأموى : أنظر ترجمته في هامش ترجمة سمد
 ابن أبي وقاص الزهرى .

<sup>(</sup>٤) ابن الأثير ( ٣١/٣ ) -

<sup>(</sup>ه) البلاذري ص ( ٣٢٣) .

عليه وسلم ، ولكفاءة الحاضر من بلاء وشجاعة وإقدام وتضحية وقابلية على قيادة الرجال وإدارة الأعمال . . . والظاهر أن السياسة الجديدة لم تعجب عتبة فسكن الكوفة واعتكف بها حتى مات ، وله عقب بها يقال لهم : الفراقدة (1) .

لقد ترك عتبة آثارا في الموصل ، منها الجامع (٢) الواقع في محلة الكوازين والذي يسمى الجامع الأموى (٢) . ولا يزال هذا الجامع موجودا حتى اليوم . ولا بد أنه ترك آثاراً كثيرة في آذربيجان وغيرها من البلاد التي فتحها .

وكان غنياً معدوداً من أغنياء العرب (ن) في الجاهلية وفي عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن حديث الغني ، كوس ماله من الغنائم وغيرها بعد الفتح ، وكان كريماً مضيافاً ، وعندما كان في (آذربيجان) أكل (الخبيص) (ن) فوجده طيباً حلواً ، فأرسل منه سفطين هدية إلى عمر بن الخطاب ، فلما ذاقه عمر قال : « إن هذا لطيب! أكل المهاجرين أكل منه شبعه ؟ 1 » ، فلما علم أنه هدية خاصة به أعاده إلى عتبة وكتب إليه : « إنه ليس من كدك ولا كد أمك ولا كد أبيك ! لا تأكل إلا ما يشبع منه المسلمون في رحالم (۱) » نم استقدمه عمر بالخبيص الذي كان أهداه له ، وذلك المله في رحالم (۱) » نم استقدمه عمر بالخبيص الذي كان أهداه له ، وذلك الظلم ويحجزهم به عنه .

<sup>(</sup>١) أحد الغابة (٣٦٦/٣).

 <sup>(</sup>٢) أحد الغابة (٣٦٦/٣) .

<sup>(</sup>٣) تاريخ الموصل الحدياء — بإسين العمرى — ( ٢٠٩ ) .

<sup>(</sup>٤) الطبرى ( ٣٤/٣ ) .

<sup>(</sup>a) الخبيض : حلوى تعمل من التمر والسمن .

<sup>(</sup>٦) البلاذري (٢٢٤).

وكان شريفاً له صحبة ورواية (١) شهماً غيوراً نبيلاً مأمون النقيبة مؤمناً حقاً يعمل لعقيدته أكثر مما يعمل لنفسه ولولا ذلك لما تجشم مشقات الجهاد وعناء إدارة الناس، وهو غنى وافر المال.

وكان نظيف الملبس منواجا يكثر من الطيب ؛ قالت زوجه أم عاصم: «كناعنده أربع نسوة ، فكنا نجتهد في الطيب، وأنه لأطيب منا ريحا(٢)».

تسّم قيادة عتبة ببعد النظر ، فعندما أصبح والياً على الموصل ، استطاع أن يفتح شمالى العراق كله بالتدريج وبأقل خسائر ممكنة بالأرواح على الرغم من وعورة تلك المناطق ووجود الجبال الشاهقة فيها .

والذين يعرفون درجة وعورة مناطق العراق الشمالية وطبيعة (آذربيجان) الجبلية ، وأن الذين فتحوا هذه المناطق الشاسعة ذات الجبل العالية والذرى الشاهقة هم من العرب أبناء الصحراء حيث لا جبال ولا وديان ، يقدر كفاءة عنبة الممتازة في القيادة .

لقد كان قائداً عقائدياً من الطراز الأول ، يتحلى بضبط متين وعقلية منزنة وقابلية بدنية فائقة ومعنويات عالية ، سريع القرار صحيحه ، له إرادة قوية ثابتة وشخصية رصينة نافذة ونفسية لا تتبدّل في حالتي النصر والاندحار، يتحمل مسؤوليته كاملة ويحب رجاله ويحبونه وينق بهم ويثقون به ويعرف نفسيات مرؤوسيه وقابلياتهم ويعرف مبادىء الحرب ويطبقها ، يتمنع بمزية سبق النظر، وله ماض ناصع مجيد.

<sup>(</sup>١) أسد الغابة ( ٣٦٦/٣ ) .

<sup>(</sup>٢) الإصابة (٢١٦/٤).

# عنبذ في الشاريخ :

تلك هي من ايا عتبة القائد الإنسان ، وذلك هو جهاده في سبيل إعلاء كلة الله ، فلا عجب أن يفتح شرقى دجلة من شمال الموصل حتى الحدود العراقية — النركية — الإيرانية وهي أقضية زاخو والعادية ودهوك وعقرة من لواء الموصل بالإضافة إلى لوائى أربيل والسلمانية ، كما فتح معظم آذربيجان (١) الواقعة في إيران والمناخة للحدود العراقية — التركية — الروسية ، ونشر الإسلام في كل تلك الربوع .

كيف استطاع العرب أبناء الصحراء قهر جمال هذه المنطقة الواسعة وكلهم لم ير فى حياته جبلا شاهقا ولم يمارس فى حياته أساليب الحروب الجبلية ؟؟

ذلك أثر من آثار العقيدة الراسخة والإيمان العظيم ، والشجاعة النادرة والقيادة الحكيمة ممثلة فى رهبان الليل وفرسان النهار من العرب المسلمين جنوداً ، وفى قائد الرجال وقاهر الجبال الصحابى الجليل عنبة بن فرقد السلمى عليه رضوان الله قائداً .

<sup>(</sup>۱) حدود آذربیجان : من برذعة شرقا إلى ارزنجان غرباً وبلاد الدیلم شمالا ، ومن أم مدنها : مراغة — تبریز — خوری — ساماس — أرمیة — أردبیل — مرند وغیر ذلك . وهو صقع جلیل ومملكة عظیمة الغالب علیها الجبال وفیه قلاع كثیرة . راجع معجم البلدان ( ۱۹۰/۱) .

فتادة فتح الجسيزسيسية

# عيّاض برغنم الفحسرى فاتح الجزيرة (1)

### إسلام:

أسلم عِيَاض بن غَنْم الفِهْرى القرشى قديماً قبل الحديبية ، وشهد الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢٠) ، وبذلك نال شرف الصحبة وشرف الجهاد تحت نواء الرسول القائد .

## مهاده:

# ١ — فى العراق :

كتب أبو بكر الصديق إلى خالد بن الوليد رضى الله عنهما بعد معركة الهامة : « إن الله فتح عليك ، فعارق حتى تلقى عياضا » . وكتب إلى عياض

<sup>(</sup>۱) الجزيرة: هي التي بين دجلة والفرات، تشتمل على ديار مضر وديار ربيعة، ميت ( الجزيرة ) لأنها بين دجلة والفرات. وهي صحيحة الهواء جيدة الربيع والنماء واسعة الحيرات، بها مدنجليلة وحصون وقلاع كثيرة. راجع التفاصيل في معجمالبلدان (٣٠/٣) وأنظر حدودها بالتفصيل في المسالك — للاسطخرى — ص (٥٠)

<sup>(</sup>۲) طبقات ابن سعد ( ۳۹۸/۷) والاصابة ( ه/ ۰۰) وأسد الغابة ( ۱۶٤/۶) والاستيماب ( ۳۲۲/۳) وصفة الصفوة ( ۲۷۷/۱) وهناك من يعتقد أن عياض بن غنم وعياض بن زهير الغهرى هما شخصا واحد ، وهناك من يعتقد أنهما شخصان ، وأننى أرجح أنهما شخصان ، لأن عياض ابن زهير هاجر الهجرة الثانية إلى الحبشة وشهد بدراً وأحداً والخندق وتوفى بالمدينة سنة ثلاثين ، بينما عياض بن غنم لم بهاجر إلى الحبشة ولم يشهد بدراً وأحداً والخندق ومات سنة عشرين في الشام ، واجم عن عياض بن زهير طبقات ابن سعد ( ۱۲۷/۳ ) والإصابة ( ه/ ٤٩) وأسد الغابة ( ١٦٣/٢ ) .

وهو بين (النباج) (ا والحجاز: « سِر حتى تأتى (المُصَيِّخ) (ا فأبدأ بها ، ثم ادخل العراق من أعلاها ، وعارق حتى تلقى خالدا » (ا ، أى أن أبا بكر كتب إلى خالد بن الوليد إذ أمره على حرب العراق أن يدخلها من أسفلها ، وإلى عياض إذ أمره على حرب العراق أيضاً أن يدخلها من أعلاها ، ثم يستبقا إلى (الحيرة) ، فأيهما سبق إليها فهو أمير على صاحبه (ا

واستمد عياض أبا بكر ، فأمده برجل واحد هو عبد بن غوث الحميرى (°) وهو من أبطال العرب ، كما أمد خالداً برجل واحد أيضاً هو القعقاع بن عمرو التميمى ، وكتب إليه وإلى خالد: « استنفرا مَن قاتل أهل الردة ومَن ثبت على الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يغزون معكم أحد ارتد حتى أرى رأبي » ، فلم يشهد الآيام مرتد (۱).

وسار عياض إلى ( دُومَة الجندل )(٢) ليخضع أهلها المتمردين ، ثم يسير منها شرقاً إلى هدفه ، ولكنه لم يستطع فتح ( دومة الجندل ) ، فكتب إلى خالد بعد أن عجز عن فتحها يستمده على من بإزائه من العدو ، وكان خالد

 <sup>(</sup>١) النباج: منزل لحجاج البصرة، وهو موضع بين مكة والبصرة، وهو من البصرة على عشرة مراحل. واجع التفاصيل في معجم البلدان ( ٢٤٣/٨ ) .

 <sup>(</sup>۲) المصيخ : مدينة بين حوران والقلت . راجع التفاصيل في معجم البلدان ( ۲۹/۸ ) .

<sup>(</sup>٣) الطبرى ( ٣/٣ه.ه.) وابن الاثمير ( ١٤٧/٢ ) .

<sup>(</sup>٤) الطبري ( ٢/٤٥٥ ) .

 <sup>(</sup>٥) عبد بن غوث الحميرى: بعثه أبو بكر إلى عياض لما استمده من العراق وشكا قلة من معه . راجع الإصابة ( ١٠١/٥ ) .

<sup>(</sup>٦) الطبري ( ٢/٤٥٥ ) وابن الأثير ( ١٤٧/٢ ) .

 <sup>(</sup>٧) دومة الجندل : حصن على سبع مراحل من دمشق ، تقع بين دمشق و المدينة .
 راجع التفاصيل في معجم البلدان ( ١٠٦/٤ ) .

حينذاك قد فرغ من فتح (عين النمر) () ، فسار سيراً حثيثا نحو عياض ، فلما وصل (دومة الجندل) وجد عياضا قد حاصر أهلها وحاصروه، وقد أخذوا عليه بالطريق وأشجوه وشُجوا به ، فجعل خالد (دومة الجندل) بين عسكره وعسكر عياض .

وخرج أهلها لقتال المسلمين ، ولكنهم لم يلبئوا أن انهزموا إلى الحصن ، فلما امتلاً أغلق مَن فيه أبوابه دون أصحابهم وتركوهم عرضة للقتل والأسر .

وأطاف خالد بباب الحصن ، ثم أمر به فاقتُلع . واقتحم المسلمون على من فيه وقتلوا كافة المقاتلة إلاّ أسارى بني كلب الذين أمنهم بنو تميم (٢) .

وعاد خالد ومعه عياض إلى الحيرة ، فاستخلفه عليها عندما خرج للقساء عدوه فى ( المصيخ ) (٢) ، لأن الحيرة أصبحت القاعدة المنقدمة للمسلمين وحمايتها ضرورية لأمن قواتهم المقاتلة فى ساحات القتال .

## ٢ - في الشام:

استصحب خالد عياضا إلى أرض الشام عند نقله من منصب القائد العام في العراق إلى منصب القائد العام في الشام ، فشهد مع خالد كأفة معاركه في طريقه إلى الشام ، وكان على أحد كراديس الميسرة في معركة اليرموك (٥٠).

وفي معركة فتح دمشق كان عياض على الخيل(١) ، كما شهد مع أبي عبيدة

<sup>(</sup>١) عبن النمر : بلدة قريبة من الأنبار غربى الكوفة بقربها موضع يقال له (شفا<sup>ام</sup>ا) راجع معجم البلدان ( ٢٠٣/٦ ) ·

<sup>(</sup>۲) الطبرى ( ۲/۸۷ه — ۸۰ ) وان الأثير ( ۱۰۲/۲ ) .

<sup>(</sup>٣) الطبرى ( ٢/٨٠٠ ) ٠

<sup>(</sup>٤) الطبري ( ٣/٤٥١ ) .

<sup>(</sup>ه) الطبري ( ۲/۲ه ه ) .

<sup>(</sup>٦) الطبرى ( ٦٢٦/٢ ) ٠

كافة معاركه فى أرض الشام ، وكان معه فى فتح (حلب )(١) على المقــدمة ، وكان هو الذى أبرم الصلح مع أهل (حلب ) ، فأنفذ أبو عبيدة صلحه(٣).

وعاد عياض إلى العراق ، وكان على الخيل عند تقدم المسلمين إلى (المدائن )(٢) وشهد فنحها كما شهد معركة جلولاء(١).

# ٣ — الفسائح :

لما قصد الروم أبا عبيدة بن الجراح ومن معه من المسلمين ( بحمص ) (٥) ، كتب أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب بذلك ، فكتب عمر إلى سعد بن أبى وقاص: « اندب الناس مع القعقاع بن عمرو وسرحهم من يومهم ، فإن أبى وقاص: قد أحيط به! وسرح سميل بن عدى إلى ( الرَقَة ) (٢) ، فإن أهل الجزيرة هم الذين استناروا الروم على أهل حمص » . وأمره أن يسرح عبد الله الجزيرة هم الذين استناروا الروم على أهل حمص » . وأمره أن يسرح عبد الله

<sup>(</sup>۱) حلب: مدينة عامرة بالأهل جدا ، على مدرج طريق العراق إلى الثنور وسائر الشامات ، انظر المسائك والمائك للاصطخرى ص (٤٦) وهى مدينة عظيمة واسعة كثيرة الحيرات طيبة الهواء وهى قصبة جند قنسرين . وحلب بلد مسو"ر بحجر أبيض وفيه ستة أبواب وفي جانب السور قلعة . راجع التفاصيل فى معجم البلدان ( ٣١١/٣) .

 <sup>(</sup>۲) البلاذرى س ( ۱۹۲ ) وقى رواية أنه عاد إلى العراق مع أهل العراق بعد معركة فتحد مشق فشهد القادسية تحت لواء سعد بنأبي وقاس ـ راجع الطبرى (۳/«۷) .

<sup>(</sup>٣) المدائن : عاصمة كبرى ، اسمها بالفارسية (توسفون) وعربوه على (الطبيفون)، وإنما سمنها المرب المدائن لأنها سبع مدائن بين كل مدينة وأخرى مسافة قريبة أو بعيدة ، وهى الآن بليدة شبهة بالقرية بينها وبين بغداد ستة فراسخ راجع التفاصيل فى معجم البلدان ( ١٢/٧) واسمها اليوم سلمان باك وفيها ضريح سلمان الفارسي .

<sup>(</sup>٤) الطبرى ( ٨٠/٣ ) .

<sup>(</sup>ه) حمس: بلد مشهور قديم كبير مسوّر ، وهي بين دمشق وحلب في نصف الطريق . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣٩/٣) والمسالك والمالك ص (٤٦) .

 <sup>(</sup>٦) الرقة : مدينة مثهورة على الفرات · انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/٢/٤)
 والمسائك والمائك (٩٠) .

ابن عبدالله بن عِنْمَان إلى ( نَصِيْدِين ) (١) ثم ليقصد (حَرَّان) (٢) و ( الرُّها ) (٢) وأن يسرح الوليد بن عقبة على عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ ، وأن يسرح عياض بن غنم ، فإن كان قتال فأمرهم إلى عياض .

وخرج عياض وأمراء الجزيرة ، فأخذوا طريق الجزيرة ونوجه كل أمير إلى المنطقة التي أمر عليها<sup>(٤)</sup> ، فأرسل سهيل بن عدى إلى (الرقة) فحاصرها، فطلب أهلها الصلح و بعثوا فى ذلك إلى عياض ، فقبل منهم وصالحهم وصاروا ذمة ، كما فتح عبد الله بن عبد الله بن عنبان ( نصيبين ) صلحاً ، إذ كتب أهلها بذلك إلى عياض ، فقبل منهم وعقد لهم .

وتوجه عياض بمد أن ضم إليه سهيلا وعبد الله إلى (حران) فأجابه أهلها إلى الجزية ، فسرح سهيلا وعبد الله إلى (الرها) فأجابوها إلى الجزية أيضاً ، فكانت الجزيرة أسهل البلدان فتحا<sup>(ه)</sup> .

وبعد فتح الجزيرة على يد عياض حتى لم يبق بها موضع قدم إلا فتح على عهد عمر بن الخطاب (٢) ، رجع سهيل وعبد الله إلى الكوفة والتحق عياض بأبى عبيدة الذي كتب إلى عمر يسأله أن يضم إليه عياضا ، فوافق عمر

 <sup>(</sup>١) نصيبين : مدينة كبيرة عامرة فى بلاد الجزيرة . واجع التفاصيل فى معجم البلدان
 (١) والمسالك والمالك ( ٢٠ ) .

 <sup>(</sup>۲) حرال: مدينة عظيمة منهورة في الجزيرة والجع التفاصيل في معجم البلدان
 (۲) حرال: مدينة عظيمة منهورة في الجزيرة والجع التفاصيل في معجم البلدان

 <sup>(</sup>٣) الرها : مدينة في الجزيرة . راجع التفاصيل في معجم البلدان ( ٣٤٠/٤ )
 والمسالك والمالك س ( ٤٥ ) .

<sup>(</sup>٤) الطبرى ( ٣/٤٥١ ) وابن الأثير ( ٢/٥٠٧ ) .

<sup>(</sup>٥) الطبرى ( ٣/١٠١ – ١٠٧ ) وابن الأثير ( ٢/٥٠٠ – ٢٠٦ ) .

<sup>(</sup>٦) البلاذري ص ( ۱۷۹ ) والاستيماب ( ۱۲٤٣/۳ ) .

وصرفه إليه ، واستعمل حبيب بن مسلمة على عجم الجزيرة وحربها والوليـــد ابن عقبة على عربها (١).

ولم يقتصر عياض على فتح الجزيرة ، بل دخل (الدرب) وأجازه إلى (بَدْ لِيس) (٢) وبلغ (خِلاط) فصالحه بَطْرِيقُها وانتهى إلى (العين الحامضة) (٥) من أرمينية ، ثم عاد إلى الرقة ومضى إلى حمص (٦) ، فكان عياض أول من أجاز (الدرب) (٧) عبر الجزيرة إلى بلاد الروم ، وبذلك مهد للفتح الإسلامي في أرمينية .

### الا نسادہ :

كان عياض بمن نزل الشام من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم (<sup>(A)</sup>) فلما مات أبو عبيدة استخلف عياضا على (حمص )<sup>(A)</sup> وفى رواية أنه استخلفه

(۲) الدَّرَب: الطَّرِيق ما بين طرسوس وبلاد الروم لأنه مضيق كالدرب. راجع معجم البلدان ( ٤٨/٤ ) .

(٣) بدلیس : بلدة من واحی أرمینیة قرب خلاط ذات بساتین کثیرة واجع التفاصیل
 ف معجم البلدان ( ۲ / ۲ ) .

(٤) خلاط: بلدة عامرة مشهورة وهي قصبة أرمينية الوسطى. راجع التفاصيل في معجم البلدان ( ٣/٣ ه ٤ ) .

(ه) المين الحامطة : عين في أرمينية .

(٦) ابن الاثیر (۲۰۷/۲) و معجم البلدان (۲۰/۲) و (۳/۳۵).
 (۷) الإصابة (۵/۰۰) و الاستیماب (۲۳۴/۳) و أسد الفایة (۲۱۹/۳)

وابن الأثير ( ٢٠/٢ ) . `

(٨) طبقات ابن سعد ( ٢٩٨/٧ ) .

(٩) الإصابة ( ه/٥٠) .

<sup>()</sup> الطبرى ( ۱۹۷/۳) وابن الأثير ( ۲۰۹/۲) وهناك روايات مختلفة عن فتيح الجزيرة. انظر ابن الاثير ( ۲۰۹/۳ ) والبلاذرى ( ۲۰۹ — ۱۸۹ ) وكلها روايات مرجوحة لوضوح التباين في تسلسلها التاريخي وتسلسها الجفرافي أيضاً ، لذلك اخترنا الرواية التي ذكرناها في أعلام لتربها إلى الفتل والمنطق وإلى الواقع من الناحية المسكرية في تعاقب الفتح الإسلامي وتسلسله .

على جند (حمص)() ، وأرجح هذه الرواية ، لأن عياضا كان دائماً في ساحات القتال بعد موت أبي عبيدة مما يؤيد أنه كان غازياً لا والياً .

وسأل عمر بن الخطاب: « من استخلف أبو عبيدة ؟ » . فقالوا : عياض ابن غنم ، فأقره قائلا : « لا أبدل أميراً أمره أبو عبيدة » (٢) وكتب إليه : « إنى قد وليتك ماكان أبو عبيدة يليه ، فأعمل بالذى يحق الله عليك » (٦) ، ورزقه حين ولاه حمص كل يوم دينارا وشاة ومدا ، وبقى بمنصبه هذا حتى توفاه الله بالشام سنة عشرين للهجرة (٦٤٠ م) وهو ابن ستين سنة ، أى أنه ولد سنة أربعين قبل الهجرة (٥٨٣ م) ودفن بحمص (١) .

مات عياض ولم يترك مالا ولم يكن عليه دين (٥) ، إذ أنفق أمواله بسخاء في سبيل الله ، فقد كان كريما جداً ، وكان يقال له : زاد الراكب ، لأنه كان يطعم رفقته ماكان عنده ، وإذا كان مسافرا آثرهم بزاده ، فان نفذ نحر لهم حمله (٢) .

وكان سمحاً يعظى ما يملك ، فكلّم فيه عمر ، فقيل: « يبذّر المال 1 » ، فغال: « إن سماحه في ذات يده ، فاذا بلغ مال الله عز وجل لم يعط منه شيئاً ، ولا أعزل من ولاه أبو عبيدة » (٧٠) .

<sup>(</sup>١) طبقات ابن سعد ( ٣٩٨/٧ ) .

 <sup>(</sup>۲) طبقات ابن سعد ( ۳۹۸/۷ ) والإصابة ( ۵۰/۰ ) وأسد الغابة ( ۱٦٤/٤ )
 والاستيماب ( ۱۲۳۲/۳ ) وصغة الصغوة ( ۲۷۷/۱ ) .

<sup>(</sup>٣) طبقات ان سعد ( ٣٩٨/٧ ) .

<sup>(</sup>٤) طبقات ابن سعد ( ٣٩٨/٧ ) والأرصابة ( ٠/٠٠ ) وأسد الفاية ( ١٦٦/٤ ) والاستيماب ( ١٢٣٤/٣ ) وابن الاثير ( ٢٢٠/٢ وانظر معجم البلدان ( ٩٩/٣ ) حول دفته بحمس .

<sup>(</sup>ه) طبقات ان سمد ( ۳۹۸/۷ ) .

<sup>(</sup>٦) الإصابة ( ه/١٥ ) وأسد الغابة ( ١٦٠/٤ ) ٠

<sup>(</sup>٧) صغة الصغوة ( ٢٧٧/١ ) .

وفى أحد الأيام من أيام إمارته على أرض الشام ، قدم عليه نفر من أهل بيته يطلبون صلته ، فلقيهم بالبشر وأنزلهم وأكرمهم ؛ فأقاموا أياماً ثم كلوه فى الصلة ؛ وأخبروه بما لقوا من المشقة في السفر رجاء صلته ؛ فأعطى كل رجل منهم عشرة دنانير (وكانوا خسة) ، فردّوها وتسخّطوا ونالوا منه ، فقال : « أَى بني عم ! والله ما أنكر قرابتكم ولا حقكم ولا بُمُد شقنكم ، ولكن والله ما إلى ما وصلتكم به إلا ببيع خادمي وبيع مالا غني بي عنه ، فاعدروني ! ٣ . قالوا: «والله ماعذرك الله، فإنك والى نصف الشام وتعطى الرجل منا ماجهده أن يبلغه إلى أهله ١٩ » ، قال : « فتأمرونني أسرق مال الله ، فوالله لأن أشق بالمنشار أحب إلى من أن أخون فلساً أو أتعدى ! ١ » ، قالوا : « قد عدرناك في ذات يدك، فولَّمَا أعمالاً من أعمالك نؤدى ما يؤدى الناس إليك و نصيب من المنفعة ما يصيبون ، وأنت تعرف حالنا ، وأنَّا لسنا نعدو ما جعلت لنا ، ؛ قال : « والله إنى لاعرفكم بالفضل والخير ، ولكن يبلغ عمر أنى وليت نفراً من قومى فيلومني » ، قالوا : « فقد ولآك أبو عبيدة وأنت منــه في القرابة بحيث أنت ، فأنفذ ذلك عمر ، فلو وليتنا لأنفذه » ، قال : « إنى لست عند عمر كأبي عبيدة » ؛ فمضوا لأمين له (<sup>()</sup>

إنه كان يحرص على أموال الأمة أكثر مما يحرص على ماله الخاص، فسماحة فى ذات يده لا فى أموال المسلمين كما قال عنه عمر بن الخطاب، وقد كان يفضل أن يشق بالمنشار على أن يسرق أو يتعدى!!

وكان شاعراً من شعراء الفرسان. قال في فتح الجزيرة (٢٠):

<sup>(</sup>١) صفة الصفوة ( ٢٧٧/١ -- ٢٧٨ ).

<sup>(</sup>٢) الطبرى ( ٧/٣ ) ) وهمجم البلدان ( ٩٨/٣ ) .

مَن مُبلغُ الأقوام أن جموعنا حوت الجزيرة غير ذات زِحام جمعوا الجزيرة والغياث فنفسوا عمن بحمص غَيابة القُدّام إنّ الأعزّة والأكارم معشر فضوا الجزيرة عن فراخ الهام غلبوا الملوك على الجزيرة فانتهوا عن غزو مَن يأوى بلاد الشام

وكان فاضلا سمحا<sup>(۱)</sup> ، ذكره ابن الرقيــات فيمن ذكره من أشراف قريش ، فقال<sup>(۲)</sup> :

وعياض وما عياض بن غنم كان من خير من أجن النساء (٢) للهذه المزايا و ثق به أبو عبيدة فاستخلفه ، ولم يستخلفه لأنه كان ابن عمه أو ابن غشه أو ابن زوجه (١) ، ولهذه المزايا أيضاً أقره عمر بن الخطاب ، ومن لا يستخلف مثله ومن لا يقر أمثاله ؟؟.

### القائر :

كان حازما يحرص غاية الحرص على غرس روح الضبط والطاعة فى نفوس رجاله ، فقد ذكروا أنه جلد<sup>(٥)</sup> صاحب (دارا )(٢) حين فتحت ، فأغلظ له

<sup>(</sup>١) الأيصانة ( ٥/٠٥ ) وأسد القاية (٤/١٩٠ ) .

<sup>(</sup>٢) الاستيعاب ( ١٢٣٤/٣ ) .

 <sup>(</sup>٣) أجن الشيء في صدره: أكنه ، وأجنّت المرأة ولداً ، أي أكنته في بطنها .
 بريد خير من حملت النساء في بطونها :

<sup>(</sup>٤) الارِصابة ( ٥٠/٠ه ) وأسد الغابة ( ١٦٤/٤ ) والاستيماب ( ١٢٣٤/٢ ) .

<sup>(</sup>٥)كان الفاتحون يقضون قضاءاً مبرماً على حياة أعدائهم عند فتتح بلادم ، فإذا اكتنى عياض بالجلد فإن ذلك يعتبر رحمة منه بالنسبة لأعمال غيره من الفاتحين ، ومع ذلك فلم يسكت بعض رجله عن عمله هذا واعترضوا له .

<sup>(</sup>٦) داراً : بالد في لحف الجبل بين تعبيبين وماردين ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/٥) .

هشام بن حكيم (۱) القول حتى غضب عياض. ثم مكث ليالى فأتاه هشام واعتذر إليه ، ثم قال: ألم تسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « إنّ من أشد الناس عذاباً أشدهم للناس عذاباً في الدنيا؟». فقال عياض: « قد سممنا ما سمعت ورأينا ما رأيت. أو لم تسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « من أراد أن ينصح للى سلطان عامة فلا يبد له علانية ولكن ليخل به ، فإن قبل منه فذاك ، وإلا كان قد أدى الذي عليه! » (٢) وعلى الرغم من إعجابنا الشديد بالروح الإنسانية التي دفعت هشام بن حكيم للدفاع عن إنسان يعذبه الأمير ولو كان هذا الإنسان في ساحة قتال وعلى غير دينه ، إلا أن ذلك من جهة نانية بدل على حسن تصرف عياض في عدم إفساح المجال لتغلغل روح الاعتراض بين رجاله على تصرفاته مما يكون له أسوأ الأثر على الضبط والطاعة في ميدان القتال.

لقد كان قائداً عَقَائدياً من الطراز الأول ، ولكنه لم يكن يتحلى بروح

<sup>(</sup>۱) هشام بن حكيم الأسدى القرشى : أسلم يوم الفتح ومات قبل أبيه وقيل إنه استشهد فى معركة أجنادين . وكان من فضلاء الصحابة وخياره ممن يأسر بالمعروف وينهى عن المنكر . ذكر مالك أن عمر بن الحطاب كان يتول إذا بلغه أسر يشكره : «أما ما بقيت أنا وهشام بن حكيم فلا يكون ذلك » وكان هشام فى نفر من أهل الشام يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ليس لأحد عليهم إمارة ، فكانوا بمشون فى الأرض بالمعروف والنصيحة بمحتسبون .

وكان هشام رضى الله عنه كالسائح لم يتخذ أهلا ولا ولداً . راجع الإصابة (١/٥٢٥) والاستيماب ( ١٥٣٩/٤ ) .

<sup>(</sup>٢) أسد الغاية (٤/١٦٠) . هذا إذا كان يستطيع أن يخلو بالسلطان ليبدى له نصحه ، وإذا كان السلطان من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ذوى المثل السليا ، أما إذا لم يستطع الناصح أن بخلو بالسلطان وكان هذا السلطان بعيداً عن المثل العليا وعن العقيدة الراسعة ، أما على الناصح إلا أن يفضى بمكنون فؤاده الناس علائية بأى وسيلة من وسائل المثر والإذاعة والإعلان .

(المباغتة) و (التعرض) ، فبق فى حصار مستكِنّ حول دومة الجندل مدة طويلة ، حتى أنقذه خالد من ورطته بالقضاء على مقاومة أهلها وفتحها بعد ذلك.

لقد كان عياض يثق برجاله ويثقون به وكان موضع ثقة مرجعه الأعلى ، فقد وثق به عمر وسعد بن أبى وقاص وأبو عبيدة بن الجراح ، كما كان بحب رجاله ويحبونه بل كان يحب كل الناس ويؤثرهم بزاده على نفسه فى أحرج الأوقات ، وكان له ماض ناصع مجيد .

# عياض في الثاريخ :

لا تزال رايات الإسلام ترفرف فى ربوع الجزيرة ، ولا يزال العــرب يسكنون هذه المناطق حتى اليوم .

كل ذلك يذكر سكان هذه المنطقة الشاسعة الغنية بالرجل الذي فتحها ، بالصحابي الجليل ، القائد الإنسان ، عياض بن غنم رضي الله عنه وأرضاه .

# *سحتیل بن عتدی انخرزجی* فاتح الرقة و الرها و ولایة کر مان

#### إسلامه :

أسلم سهيل بن عدى الخزرجي (١) مبكرا ، فقد شهد (بدرا) و (أحدا) (٢) وقاتل نحت لواء النبي صلى الله عليه وسلم في غزواته الأخرى ، فهو من الأنصار الأولين الذين نصروا الله ورسوله بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة المسكرمة إلى المدينة المنورة .

### مهاده :

كان أحد رجال جيش أسامة بن زيد إلى أرض الشام ، فلما عاد أسامة إلى المدينة ، جاهد المرتدين حتى عادوا إلى الإسلام ؛ فسار مع الفاتحين إلى أرض العراق ، وفى معركة الجسر استشهد أخوه الحارث (٣) . وكان إلى جانب سعد

<sup>(</sup>۱) ورد اسمه فی الإصابة (۱٤١/۳) وأسد الغابة ( ۳۹۸/۲ ): (سهل بن عدي) أما فی الطبری ( ۱۸۹/۳ ) و ابن الأثیر (۲۱٤/۲) عند ذکر فتیح الجزیرة وفی الطبری ( ۲۰۷/۳ ) و ابن الآثیر ( ۱۷/۴ ) عند ذکر فتیح کرمان ، فقد ورد اسمه ( سهیل ابن عدی ) ، وقد أخذنا باسمه الذی ذکره الطبری و ابن الآثیر نظراً لشهرته فی فتو ماته به الاسم .

 <sup>(</sup>۲) أسد الغابة ( ۲۹۸/۲ ) والإصابة ( ۱٤۱/۳ )، ولم يرد ذكره بين من شهد بدرا فى طبقات ابن سعد وفى سيرة ابن هشام وفى جوامع السيرة لابن حزم ... إلخ .
 (۳) الحارث بن عدى الحزرجى الأنصارى : شهد أحداً وقتل يوم جسر أبى عبيد شهيداً . راجع الاصابة ( ۲۹۷/۱ ) وأسد الغابة ( ۲۹۹/۱ ) والاستيماب (۲۹۷/۱).

ابن أبي وقاص في معارك فتح العراق ؛ وقد بذل قصارى جهده في المعارك التي خاضها مما رشحه لنولى قيادة أحد جيوش المسلمين ، إذ كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص رضى الله عنهما : « سرح سهيل بن عدى إلى الجزيرة في الجند ، وليأت الرقة (۱) ، فإن أهل الجزيرة هم الذين استثاروا الروم على أهل (حص) (۲) » ، وكانت الجيوش الرومانية وحلفائها على قوات أبى عبيدة ابن الجراح في حمص وفي شمالي أرض الشام .

وخرج عياض بن غنم ومن معه من القادة ، فأرسل سهيلا إلى ( الرقة ) ، فسلك طريق ( الفراض ) ( عن ( حمص ) فسلك طريق ( الفراض ) ( عن الفراض ) أو كان قد ارفض أهل الجزيرة عن ( حمص ) إلى مناطقهم للدفاع عنها ، وذلك حين سمعوا بمقدم أهل الكوفة إلى أرضهم ، فحاصر سهيل الرقة حتى صالحه أهلها ( ) .

ولما فتح سهيل (الرقة) انضم بقواته إلى قوات عياض ، فساروا جميعا إلى (حران) (٥٠) ، فأجابه أهلها إلى الجزية (٢٠) ؛ فسر حسميلا وعبد الله بن عِبْمَان إلى (الرُها) (٧٠) ، فأجاب أهلها إلى الجزية أيضا ، فكانت الجزيرة أسهل البلدان فتحا(٨٠) .

 <sup>(</sup>١) الرقة : مدينة مشهورة على الفرات . انظر التفاصيل في معجم البلدان.
 (٢٧٢/٤).

<sup>(</sup>۲) الطيري ( ۴/٤٥١ ) .

 <sup>(</sup>٣) الفراض: موضع على تخوم الشام والعراق والجزيرة في شرق الفرات . راجع التفاصيل في معجم البلدان ( ٣٥٠/٦ ) .

<sup>(</sup>٤) الطبرى ( ٣/٣٥١ ) وابن الأثير ( ٢٠٥/٢ ) .

 <sup>(</sup>٥) حران : مدينة عظيمة مشهورة في الجزيرة . راجع التفاصيل في معجم البلدان
 (٢٤١/٣) .

<sup>(</sup>٦) الطبرى ( ٢/٧٠١ )٠

<sup>(</sup>٧) الرها : مدينة في الجزيرة . انظر التفاصيل في معجم البلدان ( ٣٤٠/٤ ) .

<sup>(</sup>۵) الطبری ( ۲۰۹/۴۰ ) وابن الأثیر ( ۲۰۹/۲ ) .

وعاد سهيل إلى الكوفة بعد ذلك، ومن هناك تحرك إلى البصرة، وفيها استلم لواء (كرمان) () ، فسار بحيشه لفتحها، ولكنه قبل أن يتوجّه لفتحها كان له نصيب كبير في مشاغلة القوات الفارسية وقطع إمداداتها () وتهديد خط رجعتها حتى بحول دون مساعدتها لأهل (نَهاوَند) () ؛ ولما انتصر المسلمون في معركة (نهاوند) الحاسمة وأكل سهيل متطلبات جيشه وأنجز نحشده قصد (كرمان) ولحقه عبد الله بن عبد الله بن عتبان مددا له ، فالتق الطرفان في تخوم (كرمان) فانهزم الفرس ، ولكن المسلمين أخذوا علمهم الطرق () ، فقنلوا منهم خلقاً كثيراً وغنموا غنائم لا تعد ولا تحصى ()

ولماكان القتال دائرا في ولاية (مكران)(٢) مكان سهيل على رأس

<sup>(</sup>۱) كرمان : ولاية مشهورة و ناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقري واسعة . واجم التفاصيل في معجم البلدان ( ۲٤١/۷ ) ، وانظر حدود كرمان وتفاصيل عنها في المسالك والماليك للاصطخري ( ۷۷ – ۱۰۰ ) .

<sup>(</sup>۲) ان ال<sup>9</sup>نير ( ۲/۲ ) .

<sup>(</sup>٣) نهاوند : مدينة عظيمة فى قبلة (جنوب) همدان بيهما ثلاثة أيام . انظر التفاصيل فى معجم البلدان (٣٠٩/٨) وهى على جبل بناؤها من طين ، ولها أنهاو وبساتين وفواكه كثيرة . راجع المسالك والمالك (١١٨).

<sup>(</sup>٤) الطبرى (٣/٥٥٠) والإماية ( ١٤١/٣ ) .

<sup>(°)</sup> ابن الأثير ( ۱۷/۳ ) والطبرى ( ۲۰۰/۳ ) وفى البلاذرى س ( ۲۰۹۴ ) أن الذى فتحها هو عبد الله بن بديل بن ورقاء الحزاعى وهذا غير صحيح لأن عبد الله الحزاعى كان صبياً فى أيام عمر بن الخطاب إذ قتل فى صغين وله من العمر أربع وعشرون سنة .

 <sup>(</sup>٦) مسكران: راجع النفاصيل في معجم البلدان ( ١٣٠/٨ ) وفي المسائك والمائك
 ص ( ١٠٢ ) .

جيشه مددا المسلمين ، وبذلك رجحت كفة المسلمين على الفرس ، ففتح المسلمين (مكران) أيضا<sup>(١)</sup>.

### الإنساد :

كان سهيل شاعراً رقيقاً يصف معاركه وصفاً دقيقا، قال فى فنح الرقة (٢٠): وصادمن الفرات غداة سرنا إلى أهل الجزيرة بالعـــوالى أخذنا الرقة البيضــاء لما رأين الشهر لوح بالهـــلال وأزعجت الجزيرة بعـد خفض وقد كانت نخـــوف بالزوال

وكان مؤمنا قوى الإيمان ، حريصا على الدفاع عن عقيدته ، كرس حياته كلها لرفع مكانة الإسلام فى الجزيرة العربية وخارجها ، وبذل فى سبيل ذلك جهوداً جبارة دون أن يقتنى من جهاده مالا ولا عقاراً ، تما يدل على أنه كان يعمل لعقيدته لا لجيبه ، وأنه استغل نفسه لخدمة الناس ولم يستغل أحداً لخدمة نفسه .

وكان وفياكريما مضيافا سمحاً شهماً غيوراً صادقاً في قوله وعمله .

أما أعماله بعد الفتح، فلا نعلم عنها شيئاً ، كما لا نعلم أبن استقرّ ولا متى وأبن ذهب ، ولكن ما قيمة كل ذلك بالنسبة إلى ما تركه من فضائل وما خلّفه من آثار فى الفتح! ؟

#### الفائد:

يمتاز سهيل بالقدرة الفائقة في قتال المشاغلة، فقد نجح بمشاغلة عدوه

<sup>(</sup>١ر٣) معجم البلدال (٢٧٢/٤) .

بقوة عليلة فحال بينه وبين معاونة قواته الأصيلة في المناطق الجيوية من مناطق العيوية من مناطق القتال.

وليست مشاغلة العدو فى أهداف تعبوية لإجباره على توزيع قواته وصرفها عن أهدافها السوقية بالأمر الهين اليسير ، إذ هى تحتاج إلى قائد ممتاز يتميز بسرعة الحركة ويعرف متى وكيف وأين يشاغل قوات عدود لإجباره على الانقياد ارغبات ذلك القائد ، فيقضى عليه فى الزمان والمكان المناسبين .

وكما نجح سهيل في قنال المشاغلة ، فقد نجح في هجومه المدبّر على القوات الفارسية في ولاية (كرِمان) ، فاستطاع بقواته القيلة بالنسبة لسعة تلك المنطقة أن ينتصر بسرعة ويسر على أعدائه ، وهذا يدلّ على أنه كان قديراً في إعداد الخطط الدقيقة وفي إعطاء القرارات السريعة السديدة ، كما يدل على تمتعه بشخصية قوية نافذة وعلى تحمله المسؤولية وعلى ثقته برجاله وحبه لهم وعلى ثقتهم به وحبهم له ، وكان ماضيه الناصع المشرف من العوامل التي ضاعفت ثفة قواته به وحبهم له و تقديرهم لقابلياته العالية في القيادة .

# سريدل في الشاريخ:

كان لنجاح سهيل فى مشاغلة أهل الجزيرة ، أثر حاسم فى انتصار أبى عبيدة فى (حمص) على الروم ، وفى فتح الجزيرة التى تعتبر المنطقة الدفاعية القصوى للدفاع عن عاصمة الروم : القسطنطينية .

وكان لنجاحه فى مشاغلة الفرس أثر حاسم فى انتصار المسلمين على القوات الفارسية فى معركة ( نهاوند ) الحاسمة .

إن نجاحه هذا كفيل بتخليده فى التاريخ ، ولكنه أضاف إلى هذا النجاح نصراً آخر لا يقل أهمية عن نجاحه الأول ، وهو فتحه بعض بلدان الجزيرة وفتحه ولاية (كرمان) الغنية بثروتها الزراعية والصناعية .

ولكنه لم يقف عند هذا الحد من النجاح والنصر ، بل ساند قائد ولاية (مكران) في مهمة فتحها . .

رضى الله عن الصحابي الجليل ، القوى الأمين ، القائد الفاتح ، سهيل ابن عدى الأنصاري.

# عراب بن عالب بن عتبان لانصاری (۱) فاتح نَصِیْبَیْن والر ٔها وأصبهان

#### إسبزمه :

كان عبد الله بن عبد الله بن عِتْمِان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) ، ولكننا لا نعرف متى أسلم ولا الغزوات التى شهدها تجت لواء الرسول القائد ؛ والظاهر أنه كان صغيراً أيام النبي صلى الله عليه وسلم ، فحرم من شرف الصحبة .

#### عرباده :

شهد عبدالله حرب أهل الردة (٢٠) ، فلما عاد المرتدون إلى الإسلام وشملت الوحدة شبه الجريرة العربية ثانية ، سار عبد الله مع الفاتحين إلى العراق (١) ،

<sup>(</sup>۱) أورد الطبرى في ( ۲۰۹/۳) ومعجم البلدان في ( ۲۹۲/۸) اسمه: عبد الله ابن عبد الله بن عتبال ، وهذا يتفق مع ما ورد في الإصابة ( ۲۹۲/۶) وأسد الفابة ( ۱۱۹/۳) من أن عبد الله بن عتبان هو فانح نصيبين . أما ابن الأثير في ( ۲۱۹/۳) من أن عبد الله بن عتبان فنقل ذلك عنه اللكتور محد حسين هيكل في ( ۲۲۰۱۲) من كتابه: الفاروق عمر ، والصحيح ما ذكرناه أعلاه . لأن عبد الله بن عتبان هو والد عبد الله بن عبد الله بن عتبان ، والولد لا الوالد هو الذي فتح نصيبين ، انظر ترجمة عبد الله بن عتبان الوالد في الإصابة ( ۱۰۰/۶) وقد استنامه رضي الله عنه في مركة المحامة .

<sup>(</sup>٢) الارصابة (٤/٧٤) وأسد الغابة ( ٣/٩١٩).

<sup>(</sup>٣) الارصابة ( ٩٧/١ ) .

<sup>(</sup>٤) ابن الأثير ( ٢/ه ٢٠ ) .

فجاهد هناك جهاد الأبطال فاستحق لجهاده المشرف تولى قيادة جيش من جيوش المسلمين ، إذ كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبى وقاص : سرّح سهيل بن عدى إلى (الرَقَّة) ، فإن أهل الجزيرة هم الذين استثاروا الروم على أهل (حمص) ، وأمره أن يسرح عبدالله بن عبدالله بن عنبان إلى ( نَصِيبُين ) (١) مم ليقصد (حَرَّان) (٢) و (الرُها) (١) ؛ فسلك عبد الله الطريق المحاذية إلى مدينة (الموصل) ، وعبر من هناك حتى وصل (نصيبين) ، فصالحه أهلها وعقد لم عبد الله (.)

ولما أعطى أهل (الرقة) الصلح لسهيل بن عدى وأهل (نصيبين) الصلح لعبدالله ، وسار بالناس إلى الصلح لعبدالله ، وسار بالناس إلى (حَرَّان) وأخد ما دونها ، وعندما انهمى إليها أجابه أهلها إلى الجزية ؛ فسرّح سهيلاً وعبدالله إلى (الرُها) فأجابهما أهلها إلى الجزية أيضاً ، فكانت الجزيرة أسهل البلدان فنحاً .

وعاد عبدالله إلى الكوفة بعد انتهاء واجبه فى الجزيرة ، فكان يعاون سعد بن أبى وقاص فى إنجاز مهامه الجسيمة . ولما استدعى عمر بن الخطاب سعداً إلى المدينة ، استخلف سعد على الكوفة عبدالله ، فأفراً ، عمر واستعمله (٢)،

 <sup>(</sup>١) نصيبين : مدينة كبيرة عامرة في بلاد الجزيرة . راجع التفاصيل في معجم البلدان
 (٢٩٢/٨) .

 <sup>(</sup>۲) حران : مدينة عظيمة مشهورة في الجزيرة . راحع التفاصيل في معجم البلدان
 (۲٤١/٣) .

 <sup>(</sup>٣) الرها: مدينة في الجزيرة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٤٠/٤) .

<sup>(؛)</sup> ابن الأثير ( ٢/ه ٢٠ ) -

<sup>(</sup>ه) انظر الطبرى ( ٣/٣ ه ١ – ٧ ه ١ ) وابن الأثير ( ٢/ ٢٠٠ – ٢٠٠ ) .

<sup>(</sup>١) الطبرى ( ٣/٣ ) وابن الأثير ( ٣/٣ ) .

وكنب إليه ليستنفر أهل الكوفة إلى النعان بن مُقرَّن المُزَنِى ، فأرسل عبدالله من الكوفة إلى النعان لهذا الجيش من الكوفة إلى النعان لهذا الجيش أثر كبير في انتصار المسلمين على الفرس في معركة ( نهاوند ) الحاسمة .

ولكن ، هل يبقى عبدالله أميراً على الكوفة ؟ إنّ مكانه فى ساحات القتال غازياً لا فى عرصات القصور والياً ، لذلك وجّهة عمر بن الخطاب قائداً لفتح منطقة (أصبهان) (٢٠ وأمده بأبى موسى الأشعرى من البصرة ؛ فخرج عبدالله من (نهاوند) فيمن كان معه ومَن تابعه من جند النعان بن مُقرَّن المُزَ نى نحو هدفه ، فلقيه جيش عظيم من الفرس فى ظاهر (أصبهان) ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وكان على مقدمة الفرس شيخ طاعن فى السن هو (شهر براز) (٣٠ ابن جاذويه ، وكان من أبطال الفرس المعدودين ، فدعا هذا الشيخ المسلمين ابن جاذويه ، وكان من أبطال الفرس المعدودين ، فدعا هذا الشيخ المسلمين المنز ، فبرز له عبدالله ابن ورقاء الرياحي (١٠ فقتله ، فلما رأى الفرس المتقتال المسلمين فروا من ساحة المعركة ، ففتح المسلمون أول رستاق من منطقة (أصبهان) وأطلقوا عليه رستاق الشيخ فرى للفارس الشيخ منطقة (أصبهان) وأطلقوا عليه رستاق الشيخ فرى للفارس الشيخ الذي خرّ صريماً في ابتداء المعركة .

<sup>(</sup>١) الطبري (٢١٣/٢).

<sup>(</sup>٢) أصبهان: أو أصفهان: مدينه عظيمة كانت عاصمة إقليم من أقاليم العراق العجمى يطلق عليه اهمها ، وكانت تتألف من مدينتين متجاورتين : حي والبهودية . وحيى مى القصبة وهي من أصح المواضع تربة وأطبها هواء وأعذبها ماء ، ولهذا اختارها الملوك سكناً لهم . انظر التفاصيل في معجم البلدان ( ٢٦٩/١ ) .

 <sup>(</sup>٣) شهر براز كا جاء اسمه فى الطبرى ( ٢٠٤/٣ ) ، أما اسمه فى الفارسية فهو
 شهريار . انظر الفاروق عمر ( ٣٨/٣ ) للدكتور محمد حسين هيكل .

 <sup>(</sup>٤) عبد الله بن ورقاء الرياحي كان على المقدمة في معركة فتح أصبهان ، انظر الإصابة ( ٩٦/٥ ) .

<sup>(</sup>ه) ابن الأثير ( ٧/٣ ) . والرستاق جموعة من القرى .

وتراجعالفرس إلى (جى)<sup>(۱)</sup> يحتمون بأسوار (أصبهان) المنيعة ويتحصنون بقلاعها الشامخة ، فحاصرهم المسلمون وطال الحصار كثيراً ، فحرج الفرس واصطف الجيشان للقتال ، ولكن قائد الفرس<sup>(۲)</sup> بمث إلى عبد الله يقول :

« لا تقنل أصحابي ولا أقتل أصحابك ، ولكن ابرز لى فإن قتلتك رجع أصحابك ، وإن قتلتنى سالمك أصحابي — وإن كان أصحابي لا تقع لهم نشابة » . فبرز له عبد الله وقال لقائد الفرس : « إمّا أن تحمل على وإما أن أحمل عليك ! » ، فقال الفارسي : « أخمِلُ عليك » ، فوقف له وحمل عليه قائد الفرس وطعنه طعنة أصابت سرج فرسه فكسرته ، فوقع عبد الله ثم استوى على الفرس عرياً من دون سرج وقال لخصمه : « اثبت ! » ، ولكن خصمه استكان بعد أن عرف أنه الموت الزؤام ، وقال لعبد الله : « ما أحب أن أقاتلك فإني قد رأيتك رجلاً كا الله ، ولكن أرجع معك إلى عسكرك فأصالحك وأدفع المدينة إليك على أنَّ من شاء أقام ودفع الجزية وأقام على ماله وعلى أن تجرى من أخذتم أرضه مجراهم ويرجمون ، ومن أبي أن يدخل فها دخلنا فيه ذهب حيث شاء ولكم أرضه » ، فأقر عبد الله هذا الصلح على دخلنا فيه ذهب حيث شاء ولكم أرضه » ، فأقر عبد الله هذا الصلح على هذه الشروط (٣) . وبذلك أنجز المسلمون فتح كافة منطقة (أصهان) (١) .

<sup>(</sup>١) جي : قصبة أصبهان والسمى الآن عند العجم : شهرستان . انظر النفاصيل في معجم البلدان ( ١٩٦/٣ ) .

 <sup>(</sup>۲)كان يطلق على هذا القائد لفب (الفاذوستان) وهو لقب يطلق على أربعة أشخاص فقط من الفرس م حكام الدولة الفارسية . انظر كتاب الفاروق عمر ( ٣٨/٣) للدكتور هيكل .

<sup>(</sup>٣) الطبرى ( ٣/٣ ) ، ومن أراد الاطلاع على نس وثيقة الصلح بين الطرفين فليراجع الطبرى ( ٣٠٨ ) ، أما البلاذرى فى ص ( ٣٠٨ ) فيذكر أن فاتح أصبان هو عبد الله بن بديل بن ورقاء الحزاءى ، وهذا غير صحيح ، لأن عبد الله الحزاءى كان له أربع وعشرونسنة من الممر يوم قتل فى (صغين) فكان فى أيام عمر بن الخطاب سبيا . انظر الطبرى ( ٣٠٣ ) ، وبذكر البلاذرى أبضاً أن فاتحها هو أبو موسى الأشعرى ، والصحيح أنه شهد فتحها هدداً لعبد الله بن عبد الله بن عنبان ، انظر الطبرى (٣/٥٢٣) .

<sup>(</sup>٤) الإصابة ( ٩٧/٤ ).

فهل آن لهذا القائد أن يستريج ؟ كلا، فقد قرس عمر بن الخطاب أن يرسله مدداً إلى سميل بن عدى لفتح منطقة (كرمان) (١) ، فكتب إليه: «سرحتى تَقَدْم على سميل بن عدى فتجامعه على قتال مَن بكرمان » (٢) ، فأسرع عبد الله برجاله حتى لحق بسميل ، ففتحا (كرمان) بعد قتال (٣) .

### الإنسال :

كان عبد الله شاعراً يعبّر شعره عن نفسيته أصدق تعبير: حب للسلام والعدل بدون قيد أو شرط لمن يريد ذلك ، أما لدعاة الحرب فليس لهم إلاّ السيف. قال فى فتح ( نصيبين )(1).

ألا مَنْ مبلغُ عنى بجيراً قا بينى وبينك من تعادى فإن تقبل تلاق العدل فينا فأنسى ما لقيتُ من الجهاد وإن تدبر فمالك من نصيب نصيبين فتحلق بالعباد وقد ألقت نصيبين إلينا سواد البطن بالخرج الشداد لقد لقيت نصيبين الدواهى بدهم الخيل والجرد الوراد

وشعره هذا من السهل الممتنع ، قوى المعنى متين المبنى ، يدل على شاعرية أصلة .

لقد كان شجاءاً بطلاً من أشراف الصحابة ومن وجوه الأنصار (٥) ،

<sup>(</sup>۱)كرمان : ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ، ذات بلاد وقرى واسعة ، راجع التفاصيل في معجم البلدان ( ٢٤١/٧ ) . وانظر حدردكرمان وتفاصيل وافية عنها في المسالك والمانك للاصطخرى ( ٧٧ — ١٠٠ ) .

<sup>(</sup>٢) الطبرى ( ٢٢٤/٣) :

<sup>(</sup>٣) الطبرى (٣/٥٢٢).

<sup>(</sup>٤) معجم البلدان ( ٢٩٣/٨ ).

<sup>(</sup>٥) الطبرى ( ۲۲۲/۳ ) والاصابة ( ۹۷/٤ ).

وكان كريماً مضيافاً معطاء لم يبق له كرمه الأصيل مالاً ولا ملكا ، وكان قد أصاب من غنائم الفتح مالاً عظيما<sup>(١)</sup> .

وكان شهماً غيوراً صادقا وفياً ميمون النقيبة ورعاً غاية الورع ، همّه من من الدنيا نشر عقيدته بين الناس ، وقد وفق لنشر الإسلام فى منطقة الجزيرة وفى مناطق واسعة من أرض فارس ، وكان ذلك أكبر إنجازاته فى حياته .

وكان قارئا كاتبا ، وهو الذى تولى كنابة وثيفة الصلح بين المسلمين وبن أهل مدينة (جَنَّى) (٢٠) .

ولسنا نعلم عن أيامه الأخيرة شيئاً ، فقد سكت المؤرخون عن ذكرها ، وكان بودنا لو أفاضوا بالحديث عنها ، لنكون أعماله قدوة حسنة للذين يريدون أن يسلكوا (حقاً) سواء السبيل .

#### القائر:

كان عبد الله جندياً ممتازاً وقائداً ممتازاً ، فقد كان شجاعاً غاية الشجاعة مدرباً تدريباً رائعاً على استعال سلاحه وعلى الفروسية ، لهذا كان مثالاً حياً لرجاله فى الشجاعة والإقدام .

وإذا كان بعض القادة يكتفون بتنظيم الخطط العسكرية والإشراف على تنفيذها ، فإن عبد الله يضيف إلى ذلك مباشرته القنال بنفسه فى أخطر المواقف ، فيقدم على مبارزة قادة أعدائه وشجعانهم ، فيكون انتصاره عليهم عاملاً نهائياً لاستسلام أعدائه للمسلمين .

لقد اجتمعت في عبدالله مزايا الشجاعة الشخصية ، والتدريب الراق ،

<sup>(</sup>١) الطبرى ( ٣/٥٢١).

<sup>(</sup>٢) أسد الغابة ( ٢/٢٩٠ ) .

والنجربة الطويلة للحروب، والذكاء اللماح، والماضى الناصع المجيد، والشخصية القوية، والإرادة النافذة، وحبه للمسؤولية، فلا عجب أن تكون قراراته صحيحة تؤدى دائما إلى النصر المبين.

وعند تطبیق أعماله الحربیة علی مبادی، الحرب ، نجد أنه كان قائداً تعرضیاً كل معاركه (تعرضیة) یعمل علی إنجاز (تحشید قواته) ویبذل قصاری جیده لكی (یدیم معنویاتها) حتی ولو كان ذلك علی حساب تعرض حیاته للخطر المباشر كا فعل عند مبارزته لقائد الفرس فی معركة فتح حیاته للخطر المباشر كا فعل عند مبارزته لقائد الفرس فی معركة فتح (أصبهان).

# ابن عنبانه في التاريخ :

برز عبدالله فى قتال المشاغلة وفى الحصار الطويل وفى الهجوم، و كلها أدلة قاطعة على أصالة قيادته .

إن التاريخ يذكر له فتوحاته فى الجزيرة وفى بلاد فارس ، ويذكر له جهوده لنشر الإسلام فى تلك الربوع .

رضى الله عن القائد الفائح ، الفارس البطل ، الصحابي الجليل عبد الله ابن عبد الله بن عتبان الأنصاري .

# الوليدين عقبة بن أبي معيط الأموى

فَاتَح منطقة عرب الجزيرة (١) وفاتح أَذْرَ بَيْجَانُ (٢) وفاتح أَذْرَ بَيْجَانُ (٢) وواتح أَذْرَ بَيْجَانُ

« أرى لابن أروى خلتين اصطفاهما قتـــال إذا يلقى العـــدو ونائله » (المطيئة)

### نسيہ وأهد:

هو الوليد بن عُقْبَة بن أبى مُعَيْط بن أبى عمرو بن أُمية بن عبد شمس ابن عبد مناف القرشي الأموى ، ويكنى : أبا وَهب ، وهو أخو عثمان

 <sup>(</sup>١) الجريرة: هي التي بين دجلة والفرات ، تشتمل على ديار مضر وديار ربيعة .
 سيت : الجزيرة ، لأنها بين دجلة والفراث ، راجع التفاصيل في معجم البلدان (٩٦/٣) ،
 وانظر حدودها التفصيلية في نلسائك والمالك ص ( ٥٠ ) .

<sup>(</sup>۲) أذربيجان: كلمة: أذربيجان في الفارسية معناها: أرض النار أو معابد النار، وقد أطلق عليها هذا الاسم اكثرة معابد النار التي كانت وجودة فيها حينة اك وأذربيجان: صقع جليل ومملكة عظيمة ، الغالب عليها الجبال . أشهر مدنها: تبريز، وهي قصيتها . انظر التفاصيل في معجم البلدان ( ١٠٩/١) والمسالك والماك ص

<sup>(</sup>٣) أرمينية : بلاد واسعة بين أذربيجان والروم ، ذات مدن وقلاع وقرى كثيرة، وهي أربع أرمينيات : الأولى والتانية والثالثة والرابعة . انظر التغاصيل في آثار البلاد وأخبار العباد ص ( ١٠٤/ ) ومعجم البلدان ( ٢٠٤/١ ) .

ابن عفان لأمه ، أمهما: أروى بنت كُر يُز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ابن عبد مناف (١).

أبوه عُقْبَة بن أبي مُعَيْط كان من أشد الناس أذى للنبي صلى الله عليه وسلم (٢)، شهد (بدراً) مع المشركين فوقع أسيرا بيد المسلمين ، فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بقته له (٢) ، على اعتبار أنه مجرم حرب ، فقتل لجرائمه النكراء التي اقترفها ضد الإسلام والمسلمين .

واسم أبى مُعْيِط : أبان بن أبى عرو . واسم أبى عرو : ذكوان بن أمية ابن عبد شمس () ، وكان أبو عرو هذا عبداً استلحقه أمية وكناه : أبا عرو ، فقد خرج أمية إلى الشام فأقام بها عشر سنين ، فوقع على أمة لبنى غلم يهودية من أهل (صَفُورية) () يقال لها : ( تُرْنا ) ، فولدت له ذكوان ، فادعاه أمية واستلحقه ، ثم قدم به مكة ، فلذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لعقبة بن أبى معيط يوم أمر بقتله : « إنما أنت يهودى من أهل (صَفُورية) () ».

وأخوه : عُمارة بن مُعقبة أسلم يوم فنح مكة (٧) . وأخوه : خالد بن عقبة

<sup>(</sup>۱) طبقات ابن سعد ( ۷۶/۷ ) والايصابة ( ۳۲۱/۳ ) وأسد الفاية ( ه/۹۰) والاستيماب ( ۲/۶ه ه ۱) والمعارف ص ( ۳۱۸ ــ ۳۱۹ ) .

ر سبيعاب ( ١٩٧٤ - ١١٥) والمفارف ص ( ٢١٨ ــ ٢١٨ ) . (٢) انظر سيرة ابن هشام ( ١/٥٨٥ ) و ( ٢/٥٢ ) والاصابة ( ٣٢١/٦ ) .

<sup>(</sup>٣) الإصابة (٦/١٦ وسيرة ابن هشام (٢٨٦/٢) و (٢٨٦/٢ و طبقات

ابن سعد ( ۱۸/۲ ) · | (٤) الاستيماب ( ٤/٢هه ١ ) وأسد الغابة ( ه / ٩ ٠ ) .

 <sup>(</sup>٥) صفورية: كوارة وبلدة من نواحى الأردن بالشام، وهى قرب طبرية: انظر معجم البلدان ( ٣٦٩/٥).

<sup>(</sup>٦) المعارف ص ( ١٩١٨ – ٣١٩ ) .

<sup>(</sup>٧) الارِماية ( ٦/ ٣٢ ) والمعارف من ( ٣٢٠ ) .

كان من مَرَوَاتهم ، أسلم يوم فتح مكة أيضاً وشهد جنازة الحسن بن على من بين بني أمية .

لقد كان الوليد من بيت رفيع العاد من قريش.

### مع النبي :

أسلم الوليد يوم الفتح (١) ، فقد قال: « لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، جمل أهل مكة يأتونه بصبياتهم ، فيمسح على رؤوسهم ويدعو لهم بالبركة . فأتى بي إليه وأنا مضمخ بالخلوق (٢) ، فلم يمسح على رأسى ، ولم يمنعه من ذلك إلا أن أمى خَلقتنى ، فلم يمسحنى من أجل الخلوق » . وهذا الحديث منكر مضطرب لا يصح ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم بعث الوليد مصدقا (٦) ، منكر مضطرب لا يصح ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم صبياً يوم ولا يمكن أن يكون من بعث مصدقاً فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم صبياً يوم الفتح . كما أن الوليد وعمارة ابنى عقبة خرجا ليردا أختهما أم كلثوم من المحرة ، وكانت هجرتها فى المدنة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين أهل مكة ، المحرة ، وكانت هجرتها فى المدنة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين أهل مكة ، ومن كان غلاماً مخلقاً يوم الفتح لا يجيء منه مثل هذا ، ولا يقدر أن يرد أخته قبل الفتح قدومه فى فداء ابن عم ومن كان غلارث بن أبي وجزة بن أبي عمرو بن أمية ، وكان أسر يوم ( بدر ) فافتداه بأربعة آلاف (٥) .

<sup>(</sup>۱) الممارف ص ( ۲۲۱) ، وانظر أسد الغابة ( ۹۰/۵) حول إسلامه يوم فتح مكة .

 <sup>(</sup>٢) الخلوق : ضرب من الطيب . وخلفه تخليقاً : طلاه به فتخلق .

 <sup>(</sup>٣) المصدق : عامل الركاة الذي يستوفيها من أربابها ٠

 <sup>(</sup>٤) الاستيماب ( ٤/٢٥٥١ – ٥٥٠٢) وأسد الغابة ( ٥/٠٩ – ٥١) .

<sup>(</sup>ه) الأيصابة (٢/٦٦) .

لقد كان رجلاً حين أسلم يوم الفتح ، وقد بعثه الذي صلى الله عليه وسلم إلى بنى (المُصطَلِق) مصدقاً فى أوائل السنة التاسعة للهجرة ، أى بعد إسلامهم بعامين (۱) ، فلما رأوه أقبلوا نحوه فهابهم ، فرجع إلى الذي صلى الله عليه وسلم فأخبره أنهم قد ارتدوا عن الإسلام ، وأبوا من أداء الزكاة ، فبعث الذي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد وأمره أن يثبت فيهم ، فأخبروه أنهم يتمسكون بالإسلام ، فنزلت الآية الكريمة بحق الوليد : (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنباً فنبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة ) (٢) ، وكان سبب رجوع الوليد قبل أن يتبين أمرهم ، هو خروجهم الاستقباله ، فظن أنهم يريدون قتاله ، وكان بينه و بينهم إحنة ، فرجع من حيث أنى (٢) .

وجرى مرة بين الوليد وعلى بن أبى طالب تنازع وكلام فى شيء ، فقال الوليد لعلى : « أسكت فإنك صبى ، وأنا والله أنشط منك لساناً وأحد منك سنانا وأشجع منك جنانا وأملاً منك حشوا فى الكتيبة » ، فقال له على : « اسكت فإنك فاسق» ، فنزل قوله تعالى : ( أفهن كان مؤمناً كمن كان فاسقا ، لا يستوون 1 )(1)

<sup>(</sup>١) السيرة الحلبية (٢/٤/٢).

<sup>(</sup>۲) المعارف ص (۳۱۹) والاستيعاب (۴۰۵، ۱۰) والإصابة (۳۲۱/۱) وأسد الفابة ( ۹۱/۱) . وانظر تفسير هميذه الآية الكريمة في تفسير ابن كثير ( ۱۱/۸ – ۱۲) و بهامشه تفسير ابن البغوى ( ۱۰/۸ وتفسير الزمخمري ( ۱۲۱/۳) وتفسير البيضاوى ( ۸۷/۵) وفي ظلال القرآن (۱۳۳/۳۳) . وانظر سيرة ابن هشام ( ۳۲۰/۳۳ – ۳۲۱) .

<sup>(</sup>٣) تفسير البيضاوي (٥/٨٨).

 <sup>(</sup>٤) انظر تفسير ابن كثير ( ٤٩١/٦ ) والبغوى على هـامش ابن كثير
 ( ٤٩٠/٦ ) - وانظر ما جاء حول ذلك من الاستيماب ( ٤/٤ه ه ١ ) والأغانى
 ( ٤٩٠/١ ) والسيرة الحلبية ( ٨٢/٢ ) .

لقد شهد الوليد بعد إسلامه غزوات النبي صلى الله عليه وسلم التي كانت بعد فتح مكة ، وبذلك نال الوليد شرف الصحبة وشرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد .

### مهاده :

### ١ — في الجزيرة :

كان العراق ميداناً لجهاد الوليد ، فقد كان مع خالد بن الوليد هناك فأرسله إلى أبى بكر الصديق قبيل معركة ( المذار ) ببقية الحنس وبالفتح ('' ، فلما قدم الوليد من عند خالد على أبى بكر وجّهه إلى عياض بن غنم وأمدّه به ، فقدم الوليد وعياض فحاصرهم فى ( دُومة الجندل ) وهم محاصروه . وقد أخذوا عليه بالطريق ، فقال له : « الرأى فى بعض الحالات خير من جند كثيف . أبعث إلى خالد فاستمدّه » ، ففعل عياض ('') .

ولما استسلمت ( دُومة الجندل ) للمسلمين ، ولى أبو بكر الوليد صدقات قضاعة ، ثم خيره بين أن يبقى ( جابياً ) وبين أن يكون ( غازياً ) فأجابه با إيثار الجهاد وندب الناس للجهاد (٢٠) .

وكان الوليد فى العراق حين قصد الرومُ أبا عبيدة بن الجراح ومن معه من المسلمين بحمص ، كتب أبو عبيدة بن الجراح إلى عمر بن الخطاب بذلك ، فكتب عمر إلى سعد بن أبى وقاص: « أن يسرح سُهيل بن عَدِى وعبد الله ابن عبد الله بن عِتبان ، وأن يسرح الوليد بن عقبة على عرب الجزيرة من

<sup>(</sup>۱) الطبري ( ۲/۷ه ه ) . (۲) الطبري ( ۲/۸۷ ه ) .

<sup>(</sup>٣) الطبرى (٢/٨٨٥) .

ربيعة وتنوخ ، وأن يسرح عياض بن غَنْم ؛ فإن كان قتال فأمرهم إلى عياض ، فإن أهل الجزيرة هم الذين استثاروا الروم على أهل حمص » .

وخرج عياض وأمراء الجزيرة فأخذوا طريق الجزيرة ، وتوجه كل أمير إلى المنطقة التي أُمِّس عليها (١) .

وقدم الوليد على عرب الجزيرة فنهض معه مسلمهم وكافرهم إلا بنى إياد ابن نزار ، فإنهم ارتحلوا إلى أرض الروم . وكتب الوليد إلى عر بن الخطاب بالمدينة يخبره بما صنعوا وأقام ينتظر جوابه فى أمرهم . وكتب عر إلى (هرقل) ملك الروم يقول : « بلغنى أن حياً من أحياء العرب ترك دارنا وأتى دارك ! فوالله لتخرجنه إلينا أو لنخرجن النصارى إليك » ، فلم يجد هرقل بداً من النزول على ما أراد عمر ، فأخرج إياداً من بلاده ؛ فعاد أربعة آلاف منهم إلى منازلهم التى فتحها المسلمون ، وتفرق بقيتهم فيما يلى الشام والجزيرة من بلاد الروم ، فكل إيادى فى أرض العرب من أولئك الأربعة آلاف " ، وإنما الروم ، فكل إيادى فى أرض العرب من أولئك الأربعة آلاف " ، وإنما أرض عدوهم ملحاً يتحصنون به ليوم ثأر ، وحتى يجمع العرب كالهم فى صعيد واحد تحت سلطان واحد "

وأبى الوليد أن يقبل من تغلب إلا الإسلام ، وكتب بذلك إلى عر ، فكتب إليه عمر : « إنما ذلك لجزيرة العرب ، لا يُقبَل منهم إلا الإسلام ، فكتب إليه عمر : « إنما ذلك لجزيرة العرب ، لا يُقبَل منهم إلا الإسلام » فلما بلغهم فدعهم على ألا يُنتَصروا وليداً ولا يمنعوا أحداً منهم من الإسلام » فلما بلغهم حكم عمر رضى بعضهم أن يدخل في دين الله وأصر بعضهم على نصرانيته ،

<sup>(</sup>١) الطبرى ( ٣/٤٥١ ) وابن الأثير ( ٢/هـ٢٠ ) .

<sup>(</sup>۲) الطبرى ( ۲/۲۵۲ ) وابن الأثير ( ۲۰۰۲ ) .

<sup>(</sup>٣) الفاروق عمر للدكتور هيكل ( ٢٦٩/١ ) .

ثم لم يقبل هؤلاء أن يكونوا أهل ذمة يؤدون الجزية(١) .

وذهب وفد من تغلب إلى المدينة ، وكان بينهم بعض من أسلم منهم ، فقال مسلموهم لعمر : « لا تنفروهم بالخراج فيذهبوا ، ولكن ضعّفوا عليهم الصدقة التي تأخذونها من أموالهم فيكون جزاء ، فإنهم يغضبون من ذكر الجزية ، على ألا ينصّروا مولوداً إذا أسلم آباؤهم » . وأصر "عمر على أن يؤدوا الجزَّاء . فقــالوا : « والله لئن وضعت علينا الجزاء لندخلن أرض الروم ا والله لنفضحنا من بين العرب » ، فقال لهم : « أنتم فضحتم أنفسكم وخالفتم أمتكم فيمن خالف وافتضح من عرب الضاحية . وتالله لتؤدنه وأنتم صغرة قماة ، ولئن هربتم إلى الروم لأكتبن فيكم ولأسبيّنكم » ، قالوا : « فحذ منا شيئاً ولا تسمُّه جزاء ! ! » . فقــال : « أما نحن فنسميه جزاء ، وسموه أنتم ما شئتم 1 » ، فقال على بن أبي طالب لعمر : « يا أمير المؤمنين ! ألم يضعف عليهم سعد بن مالك (٢٠) الصدقة ؟ » ، فقال عمر : « بلي ! » ورضى منهم الصدقة بدل الجزاء ، فرجعوا على ذلك . وكان في بني تغلب عز وامتناع ، ولا يزالون ينازعون الوليد ، فهمَّ بهم فخاف عمر أن يُحرِّجوه فيضعف صبره فيسطو عليهم، فعزله عن الجزيرة (٢٦) ، كما يطمئن إلى استتباب الأمن واستقرار الطمأنينة في ربوعهم .

## ٢ - فى أذر بيجان وأرمينية :

تولى الوليــد الـكوفة أيام عنمان بن عفان بعد سعد بن أبي وقاص<sup>(١)</sup> ،

<sup>(</sup>۱) الطبرى ( ۲۰۹/۳ ) وابن الأثير ( ۲۰۶/۲ ) .

<sup>(</sup>٢) هو سعد بن أبي وقاص .

<sup>(</sup>٣) الطبري ( ١٨٥٣ ) وانظر البلاذري ص ( ١٨٥ – ١٨٦ ) .

<sup>(</sup>٤) الطبرى ( ٣١١/٣ ) وابن الأثير ( ٣١/٣ ) وأبو الفدا ( ١٦٦/١ ) واليمتوبي ( ١٤٢/٢ ) .

فعزل الوليد عُتبة بن فَرَ قَد السُّلَى (١) عن أَذْرَ بَيْجَان فنقضوا فغزاهم الوليد (٢)، وذلك لأن أهلها منعوا ما كانوا صالحوا عليه المسلمين أيام عمر بن الخطاب (٣).

وتوجه الوليد بجيشه إلى (أذربيجان) وعلى مقدمته عبد الله بن شُبيل الأَحسى (أن مواية أن سلمان بن ربيعة الباهلي كان على مقدمته (أن مفى الوليد فى الناس حتى دخل (أذربيجان)، فبعث عبد الله بن شُبيل الأَحسى في أربعة آلاف فأغار على أهل (مُوقان) (أن و (بيز) ((الطَيلَسَان) ((أن المال من أموالهم وغنم، نم عاد إلى الوليد، فصاَل الوليد أهل (أذربيجان) على نما عالى ألف درهم وانقادوا للمسلمين ((أن))

وبعد انتصار الوليد على (أذربيجان) بعث سلمان بن ربيعة الباهلي إلى (إرْمِيْدِيَة) في اثني عشر ألفاً ، فسار سلمان في أرض إرمينية وقتسل وسبى وغنم ثم انصرف حتى أتى الوليد (١٠٠).

<sup>(</sup>١) انظر ترجمة عتبة بن فرقد السلمي .

<sup>(</sup>٢) أبن الأثير ( ٣٠٧/٣ ) . (٣) الطبرى ( ٣٠٧/٣ ) .

<sup>(</sup>٤) عبد الله بن شبيل الأحمى : في صحبته نظر . قدم أذربيجان غازياً في خلافة عثمان بن عفان فأعطوه الصلح الذي كان صالحهم عليه حديفة بن اليمان ، وكان عبد الله على مقدمة الوليد بن عقبة فأغار على مدن كثيرة وانتصر ، فطلب أهل أذربيجان الصلح ، فصالحهم . أنظر التفاصيل في أحمد الفابة ( ١٨٣/٣ ) والإرصابة ( ٨٤/٤)

<sup>(</sup>ه) الطيري ( ۲۰۷/۳ ) :

<sup>(</sup>٦) موقان : ولاية فيها قرى ومروج كشيرة يحتلها التركمان.لارعى ، وهى بأذربيجان أنظر التفاصيل في معجم البلدان ( ١٩٩/٨ ) .

 <sup>(</sup>۷) بیر : بنیر تعریف ، بلد حصین من نواحی شهرزور . انظر معجم البلدان
 ( ۳۲۸/۲ ) .

 <sup>(</sup>٨) الطيلسان : إقليم واسع كثير البلدان والسكان من نواحى الديلم والخزر أنظر
 معجم البلدان ( ٢٠/٦ ) .

<sup>(</sup>٩) الطبرى ( ٣٠٨/٣ ) وابن الأثير ( ٣٢/٣ ) .

<sup>(</sup>١٠) الطبرى ( ٣٠٨/٣ ) وابن الأنبر ( ٣٢/٣ ) .

وعاد الوليد إلى الكوفة بعد أن أعاد إلى منطقتي أذربيجان وأرمينية الأمن والاستقرار والسلام.

### ٣ — العسودة :

وفي طريق عودة الوليد من أذر بيجان وإرمينية إلى الكوفة ، أناه كتاب عُمَانَ بِنَ عَفِيانَ ، وَكَانَ الوليد حينذاك قد وصل مدينة (الموصل) ونزل (الحديثة )(١) في طريق إيابه ، فكان في كتاب عثمان: « أما بعد. فإن معاوية ابن أبي سفيان قد كتب إلى : أن الروم قد أجلبت على المسلمين بمجموع عظيمة ؛ وقد رأيت أن يمدهم إخوانهم من أهل الكوفة ، فإذا أناك كتابي هذا ، فأبمث رجلا ممن ترضى نجدته و بأسه وشجاعته وإسلامه في ثمانية آلاف أو تسعة آلاف أو عشرة آلاف إليهم من المكان الذي يأتيك فيه رسولي ، والسلام» ، فقام الوليد في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد . أيها الناس ! فإن الله قد أبلي المسلمين في هذا الوجه بلاء حسنا: ردّ عليهم بلادهم التي كفرت ، وفتح بلاداً لم تـكن افتتحت ، وردّهم سالمين غانمين مأجورين ، فالحمد لله رب العالمين . وقد كتب إلىَّ أمير المؤمنين يأمرنى أن أندب منكم ما بين العشرة الآلاف إلى الثمانية الآلاف تمدون إخوانكم من أهل الشام ، فإنهم قد جاشت عليهم الروم ، وفى ذلك الأجر العظيم والفضل المبين، فانتدبوا رحمكم الله مع سلمان بن ربيعة الباهلي ، ، فانتدب ثمانية آلاف نحركوا في اليوم الثالث من وصول كتاب عثمان إلى الوليد، فمضوا حتى دخلوا أرض الروم مع أهل الشام<sup>(۲)</sup> .

 <sup>(</sup>۱) الحديثة: وهى حديثة الموصل . وهى بليدة كانت على دحلة بالجانب الشرق قرب الزاب الأعلى . انظر التفاصيل فى معجم البلدان ( ٣٢٤/٣ ) .
 (٢) الطبرى ( ٣٠٨/٣ — ٣٠٨) و إن الأثير ( ٣٢/٣ ) .

وعاد الوليد بما بقى من رجاله إلى مقره فى الكوفة ترفرف فوق رأسه رايات النصر .

### الإنسال :

بعث النبي صلى الله عليه وسلم الوليد مصدقاً إلى بنى المُصْطَلِق كما أسلفناه واستعمله أبو بكر الصديق والياً وغازياً ، واستعمله عمر بن الخطاب على عرب الجزيرة ثم عزله وأعاده ثانية إليها فكان عامله على عرب الجزيرة وعامل عثمان ابن عفان من بعده حتى ولاه عثمان السكوفة بعد سعد بن أبى وقاص (1).

وقدم الوليد الكوفة ، فقال له سعد : « والله ما أدرى ! أكينت (") بعدنا أم حمقنا بعدك » ، فقال الوليد : لا تجزعن أبا إسحاق ، فإنما هو الملك يتغداه قوم ويتعشاه آخرون » فقال سعد : « أراكم ستجعلونها ملكا » ("" ، فبق في الكوفة خمس سنين وهو أحب الناس في الناس وأرفقهم بهم وليس على داره باب (١) .

والحق أن الوليد سار فى أثناء ولايته على الكوفة سيرة ممتازة ، فهو لم يقصر فى سد الثغور والإمعان فى الفتح ، وإنما بلغ من ذلك غاية عرفت له وتحديث بها الناس فى حياته وبعد موته . وقد ساس أهل الكوفة سياسة حزم وعزم ومضاء ، فأقر الأمن وضرب على أيدى المفسدين من الأحداث والذين

<sup>- (1)</sup> الطبرى ( ٣١١/٣ ) وابن الأثير ( ٣١/٣ ) .

 <sup>(</sup>٧) الكيس: بوزن الكيل، صد الحق، ورجل كيِّس: أي ظريف ومنزن
 وطائل... إلخ...

<sup>(</sup>٣) أسدَ القابة ( ٩١/٥ ) والأغاني ( ٣٤٤/٤ ) وابن الأثير ( ٣٢/٣ – ٣٣ )

 <sup>(</sup>٤) الطبرى ( ٣١٢/٣) و ابن الأثير ( ٣١/٣) ، وقد بقى على الكوفة من سنة خس وعشر ن الهجرة إلى سنة تسع وعشر بن المجهرة .

لا يرعون النظام حرمة ولا يرجون الدين وقاراً ؛ فقد عدا نفر من الشباب على فقى من أهل الكوفة فقتلوه ، فأخذهم انوليد وأقام عليهم الحد ، فقتلهم على باب قصر الإمارة في الرحبة (۱) ، فأحفظ ذلك آباء هؤلاء على انوليد ، فأخذوا يتلمسون أغلاطه ويتكلفون انهامه ويشككون فيه الناس (۱) ، فقالوا : إن انوليد يعتكف على الحر وأذاعوا ذلك حتى طرح على ألسنة الناس ، فقال لهم عبدالله بن مسمود : «من استتر عنا بشيء لم نتبع عورته ، ولم نهتك ستره» ، فلما سمع الوليد قول ابن مسمود هذا أرسل إليه وعاتبه في ذلك ، وقال : هما أيرضي من مثلك بأن يجيب قوماً موتورين بما أجبت ؟ اعلى أى شيء استتر به ؟ ا إنما يقال هذا للمريب » ، فتلاحيا نم افترقا على تغاضب ، ولم يكن بينهما أكثر من ذلك (۱).

ودخل عليه رجلان من الموتورين وكان نائماً ، فأكب عليه أحدها وأخذ خاتمه وذهب مع صاحبه بالخاتم إلى عثمان ، فشهدا عنده على أن الوليد يشرب الخر(\*) . والتكلف في هذه القصة واضح ، فما من أمير ينام وعنده سماره ، ثم يمن في النوم حتى يُستل خاتمه من إصبعه دون أن يحس ذلك أو يحسه أحد من خدامه وحجابه وشرطنه (\*)!

وربماكان من النكاف ما روى من أن الوليد أتى بساحر فنظر إلى لعبه ، فغضب لذلك بعض أهل الكوفة وقتلوا الساحر بين يدى الوليد ، ثم ذهبوا يشكون الوليد إلى عنمان فردهم وتقدم إلى الناس : ألا يعملوا بالظنون وألا يقيموا الحدود دون السلطان (٢) .

<sup>(</sup>١) الطبرى ( ٣/٢٦/٣ ) . (٢) الطبرى ( ٣٢٧/٣ ) .

 <sup>(</sup>٣) الطبرى (٣/٧٣).
 (٤) الطبرى (٣/٣٣).

<sup>(</sup>ه) أنظر كتاب : عثمان ، للدكتور طه حسين ( ٩٥ ) .

<sup>(</sup>٦) الطرى ( ٣٢٨/٣ ) .

وأصدق ما قاله خصومه عنه ، هو أنه كان يعاقر الخر مع صديقه وشاعره أبي زبيد الطألى الذي عرفة في تغلب حين كان عليهم بالجزيرة ، فأنصفه من أخواله بني تغلب وآثره بمودته . وكان أبو زبيد طألى الأب تغلبي الأم ، وكان نصرانيا ، فلما ولى الوليد أمر الكوفة وقد عليه ، وكان يقيم عنده ، ويأخذ جوائزه ، فما زال به الوليد حتى أسلم فقرب ما بينهما(1). والذي يؤيد صدق ادعاء خصوم الوليد من أنه عاقر الحرة ، هو أن عثمان أقام عليه الحد – والحدود تدرأ بالشبهات ، فلو قد رأى عثمان في شهادة الشاهدين على الوليد بشربه الحر شبهة قوية أو ضعيفة ، لتحرج من إقامة الحد عليه .

لقد تولى جلد الوليد أربعين جلدة عبدالله بن جعفر بإشراف على بن أبى طالب (٢) ، وعلى أعلم بالدين وأحفظ للسنن وأشد إيثاراً لرضا الله وإنفاذ أمره من أن يقيم الحد والشبهة قائمة .وفي رواية أخرى: أن الذي ضرب الوليد الحد هو سعيد بن أبي وقاص الأموى (٣) ، وسعيد هذا قريب القرابة من عثمان ومن الوليد ، فلو قد رأى شبهة لكان خليقاً أن يراجع عثمان في قضائه ، ولكان خليقاً إذ لم يفلح أن يعتذر من ضرب الوليد ، ولكنه ضربه فأورث هذا الضرب عداوة متصلة في أعقاب الرجلين (١)

وقد زعم خصوم الوليد ، أنه أصبح ذات يوم سكران ، فصلى الصبح بالناس أربعاً ثم النفت إليهم وقال : « إن شئتم زدناكم » فقال له ابن مسعود : « مازلنا معك فى الزيادة منذ اليوم » ، فقال الحطيئة :

<sup>(</sup>١) ابن الأثير (٣/٤).

<sup>(</sup>٢) أسد الغابة ( ه/٩١) . والاستيماب (٦/٣ه ه ١ ) .

<sup>(</sup>٣) ابن الأثير ( ٢/ ٤٠) .

<sup>(</sup>٤) الطبرى ( ٣٣٠/٣ ) .

أن الوليــد أحق بالعذر أأزيدكم إسكراً وما يدرى لقرنت بين الشفع والوتر تركوا عنانك لم تزل تجرى ا

شهد الحطيئة بوم يلقي ربه نادى وقد تمت صلامهم فأنوا أبا وهب ، ولو أذنوا كفوا عنانك إذجريت ولو وقال أيضاً :

تكلم فى الصلاة وزاد فيها علانيـة وجاهر بالنفاق ومج الحر في سنن المصلى ونادى والجميع إلى افتراق أزيدكم على أن تحمدوني في الكم ومالي من خَلاَق (١)

والظاهر أن هذه القصة مخترعة من أصلها ، فلو قد زاد الوليد في الصلاة لما تبعته جماعة من المسلمين من أهل الكوفة ، وفهم نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيهم القراء والصالحون ، ولما رضى المسلمون من عنمان بمــا أقام عليه من حد الحمر ، فإن الزيادة فى الصلاة والعبث بها أعظم خطراً عند الله وعند المسلمين من شرب الخر (٢٠). وهذا الشعر لم يقله الحطيئة ، إنما قال شعراً آخر يمدح به الوليد مدح محب له حريص على رضاه فقال :

خلعوا عنانك إذ جريت ولو تركوا عنانك لم تزل تجرى ورأوا شمائل ماجد أنف يعطى على الميسور والعُسْر َ فَنُرِعْتُ مَكَدُوباً عَلَيْكُ وَلَمْ لَنَزَعَ إِلَى طَمِعَ وَلَا فَقُرَ<sup>(٢)</sup>

<sup>(</sup>١) الاستيماب ( ٤٠/٤ هـ ١ - ٥٠٠١ ) وانظر ابن الاثنير ( ٣/ ٤٠ ) والأغاني (٤/٠٧) .

<sup>(</sup>٢)كتاب عثمان للدكتور طه حسين ص ( ٩٦ ) .

<sup>(</sup>٣) الأغاني ( ٤/٧٤) .

وجلة القول ، أن الوليد قد تعصب عليه قوم من أهل الكوفة بغياً وحسداً (۱) فتزيدوا عليه ، وقد أجرى إصلاحات كثيرة في الكوفة : أنشأ داراً للأضياف (۲) وفرض لكل مملوك بالكوفة ثلاثة دراهم في كل شهر ، دون أن ينقص ذلك من أعطيات سادتهم ومواليهم ، وإنما كان يؤدى إليهم ذلك من فضول الأموال (۱) ، وكان يغزو فينتهى إلى بلاد بعيدة نائية ماقصر ولا انتقض عليه أحد حتى عزل من ولايته (۱) . وقد أدى إنشاء دار للضيافة وأخذ بعض الغي ليوسع به على العبيد والإماء إلى تذمر المتمولين من أهل الكوفة من هذه الإصلاحات ، فكان الناس في الوليد فرقتين : العامة ممه والخاصة عليه (۱) ؛ لذلك تفجع عليه الأحرار والماليك عند نقله ، وكان يسمع الولائد وعلمن الحداد يقلن :

يا ويلنا قد عُزل الوليدُ وجاءنا مجوِّعاً سعيدُ ينقص فى الصاع ولا يزيد فَجُوِّعَ الإماه والعبيدُ (٢) ولعل خير ما يمثــل شعور أكثرية أهل الكوفة تجاه عزل الوليد قول أبى زبيد:

من يرى العير لابن أروى على ظهر المَرَوْرَى حُدامُهُنّ عجال مصعدات والبيت بيت أبى وه برخلاء تحن فيه الشمال يعرف الجاهل المضلّل أن الله هر فيه النكراء والزلزال . . . الح ، وهي قصيدة طويلة (٢) .

<sup>(</sup>١) الاستيماب ( ٤/ه ه ) وأسد الغابة ( ٩١/٥ ) .

 <sup>(</sup>۲) الطبرى (۳/۹/۳) .
 (۲) الطبرى (۳/۹/۳) .

<sup>(</sup>١) الطبرى (٣٢٨/٣) . (٥) الطبرى (٣/ ٣٣).

<sup>(</sup>١) الطبرى ( ٣٠/٣ -- ٣٢١ ) .

<sup>(</sup>v) أنظر الأعاني ( ١/٤ هـ ٣٠٠ — ٣٠٣ ) .

ولما قتل عثمان بن عفان اعتزل الوليد الفتنة ، فحرج من السكوفة وأقام (بالرقة) (۱) إلى أن توفى بها (۱) وقبره على (البليخ) (۱) وولده بالرقة وبالكوفة (۱۰) لقد كان الوليد من أكثر رجال قريش ظرفاً وحلماً وشجاعة وأدباً (۱۰) وكان له خلق ومروءة (۱) ، وكان شريب خر (۷) ولكنه يتستر على نفسه فى شربه.

وكان من الشعراء المطبوعين ، وكان شاعراً كريماً (<sup>(A)</sup> ، ومن شعره يرثى عثمان بن عفان :

ألا من لليل لا تغور كواكبه إذا لاح نجم لاح نجم براقبه لمحرك لا أنسى ابن أروى وقتله وهل ينسين الماء ما عاش شاربه هم قتلوه كى يكونوا مكانه كا غدرت يوماً بكسرى مرازبه (١) ولم يكن يجلس مع عثمان على سريره إلا العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن حرب والحكم بن أبى العاص والوليد بن عقبة ، فأقبل ، الوليد يوماً فجلس ، ثم أقبل الحكم ، فلما رآه عثمان زحل له عن مجلسه ، فلما قام

<sup>(</sup>١) الرقة : مدينة مشهورة على الفرات . أنظر التفاصيال في معجم البلدان (٢٧٢/٤).

 <sup>(</sup>٣) البليخ: امم نهر بالرقة يجتمع فيه الماء من عيون .. انظر التفاصيل في معجم البلدان ( ٢٨٢/٢ ) وانظر المعارف ص ( ٣٢٠ ) . وقد وردت : البليخ في أسد الغابة ( ٩٣/٥ ) بلفظ : التليح وهو خطأ مطبعي .

<sup>(</sup>٤) العارف ص ( ٣٢٠ ) .

<sup>(</sup>٠) أسد الغابة ( ٥/١٩ ) والاستيماب ( ٤/٤ ه ه ١ ) .

<sup>(</sup>٦) الاستيماب (٤/٤مه١).

<sup>(</sup>٧) أسد الغاية ( ٩١/٥ ) والايصاية ( ٣٢٢/٦ ) .

<sup>(</sup>٨) أسد الفاية ( ٥١/٥ ) والاستيعاب ( ٤/٤هـ٥١ ) .

<sup>(</sup>٩) أنظر القصيدة بكاملها فى الأغانى (٤/٤ — ٣٤٢) وانظر الاستيماب (١٥٥٧/٤) .

الحسكم قال الوليد: « والله يا أمير المؤمنين ، لقد تلجلج في صدرى بيتان قلتهما حين رأيتك آثرت عمك على ابن أملك » ، فقال له عثمان : إنه شبيخ قريش ، في البيتان اللذان قلتهما ؟ » ، فقال : قلت :

رأیت لعم المرء زلنی قرابهٔ دُوین أخیه حادثاً لم یکن قدما فاملت عَمْرًا أن یشب وخالداً لکی یدعوانی یوم من حمة عَمّا یعنی عَمْرًا وخالداً ابنی عَمَان (۱)

لقد كان من الشعراء المطبوعين حقا.

وتوفى الوليد فى خلافة معاوية بن أبى سفيان (٢٦) ، وقد روى حديثين عن النبى صلى الله عليه وسلم (٢٦) .

وجملة القول أن الوليد كان شاباً من شباب قريش، أسلم إسلاماً لم يتغلغل في نفسه تغلغلا يجعله في مصاف المؤمنين الصادقين، فشرب الحر وتحمل الحد حزاء عمله.

ولكنى لا أشك أنه ثاب إلى رشده من الناحية الدينية في أيامه الأخيرة ، لذلك اعتزل على بن أبى طالب ومعاوية ، وكان من المؤمل أن يكون إلى جانب معاوية ، لأنهما أمويان أولا ، ولأن المطالبة بدم عثمان تجمعهما ثانياً . ولكنه آثر الاعتزال عن العتن حرصاً على ألا يلطخ يديه بدم المسلمين ، ولست أصدق أنه كان يحرض معاوية بكتبه وشعره (1) ، إذ لو كان الأمم كذلك

<sup>(</sup>١) الأغاني ( ٣٤٣/٤ ) .

 <sup>(</sup>۲) الإصابة ( ۳۲۲/٦) ، وفي الأعلام الزركلي ( ۱٤٣/٩) : أنه توفي سنة أحدى وستبن الهجرة ( ۲۸۰ م) بينها توفي معاوية سنة ستبن ، والوابيد قد توفي ف خلافة معاوية .

<sup>(</sup>٣) أسماء الصحابة الرواة — ملعق بجوامع السيرة لابن حزم — ص (٢٩٤).

<sup>(</sup>٤) أسد الغابة ( ٩٢/٥ ) .

لانضم إلى جانب معاوية ولكان له شأن مرموق فى الحرب الدائرة بين على ومعاوية ، ولتولى المناصب الرفيعة فى أيام معاوية ، ورضى عنه معاوية الذى كان لا يرضاه (١).

إن الوليد كان ضحية كثير من التزوير في أخباره والمبالغة بقدحه من خصومه ومدحه من أنصاره على حد سواء ؛ ودراسة حيانه بحياد تام ، تظهر أنه كان خفيف الدين في ريعان شبابه ولكنه عاد إلى الطريق السوى بعد ذلك ؛ أما مزاياه الإنسانية وكفاءاته الإدارية فليست موضع شك وريبة عند الذين يدرسون سيرته بصورة مجردة ، وربحا يؤخذ عليه مبالغنه في الرأفة والرحمة بالذين يسيئون إلى سممته الشخصية ، وكان عليه أن يصون كرامة وسمعة السلطان ولا يتساهل مع الذين يريدون بسمعة الأمراء — دون مبرر — سوءا(٢).

#### القائر :

إذا كان هناك من يطعن في سيرة الوليد إنسانا ، فليس هناك من يطعن في سيرته قائدا.

لقد رد الوليد بجهاده المشرف إلى المسلمين بلادا كفرت وفتح بلادا لم تكن افتتحت (٢) ؛ فأصبح بلاؤه الممتاز حديث الناس فى أيامه و بمد موته ؛ إذ لم يقصر فى سد الثفور والإممان فى الفتح ، حتى قال الإمام الشعبى عنه : «كيف لو أدركتم الوليد : غزوه وامارته ١ إن كان ليغزو فينتهى إلى كذا

<sup>(</sup>١) الاستيماب (١/٧٥٥١).

<sup>(</sup>٢) أنظر في الطبري (٣٢٧/٣) كيف أن الوليد ستر على الذين تعمدوا الاساءة إلى صمته الشخصية وكيف طوى أمرم عن عثمان بن عفان .

<sup>(</sup>٣) الطبرى ( ٣٠٩/٣ ) وابن الأنير ( ٣٢/٣ ) .

وكذا ماقصر ولا انتقض عليه أحد حتى عزل عن عمله (۱) » ، وكنى بشهادة الإمام الشعبى تنمينا لقيادته .

وفي قيادة الوليد — بالإضافة إلى مزاياه الأخرى ، يقول الحطيئة :

أرى لابن أروْى خَلَتين اصطفاها قت ال إذا يلق العدو ونائله فتى يملأ الشِيزى (٢) ويرُوى بكفه سنات الرُدَيْق الأصم وعامله يوم العدو حيث كان بجحفل يصم السميع جرسه وصواهله إذا حان منه منزل الليل أوقدت لأخراه في أعلى اليَفَاع (٦) أوائله نفيت الجعاد البيض عن حُرّ دارهم فلم يبق إلا حيّة أنت فاتلة (١٠)

لقدكان من أكثررجال قريش شجاعة (٥) ، وكان على جانب عظيم من الذكاء والألمية ، لذلك كانت قراراته صحيحة سريعة .

وكان من شخصيات قريش البارزة ، لذلك كان مسيطراً على رجاله سيطرة تامة ، فلا يمسكن أن يسمح لأحد أن يخالف أوامر. خاصة في ساحات القتال.

وكان من أكثر رجال قريش ظرفاً وحلماً وأدباً وكرماً ، لذلك كان محبوباً من رجاله — خاصة الذين لا ينافسونه على الإمارة .

وكان يتحمل المسؤولية كاملة ، فهو بالإضافة إلى أنه أخو عثمان لأمه وهذا يجعله ذا مكانة خاصة في نفس الخليفة تدعم حبه للمسؤولية وإقدامه

<sup>(</sup>١) الطبرى ( ٣٢٨/٣ ) .

<sup>(</sup>٢) الشيزى : خشب أسود تتخذ منه قصاع .

<sup>(</sup>٣) اليفاغ : مَا ارتَّهُم مِن الأرض ، وأيفم الفلام ، أي ارتَّهُم فهوى ( ياهم ) .

<sup>(</sup>٤) الأغاني (٢/٤) :

<sup>(</sup>٥) أسد الغابة ( ٩١/٥ ) والاستيماب ( ١٠٥٤/٤ ) .

على تحملها ، فقد كان من عائلة معروفة فى الجاهلية والإسلام بتحمل المسؤولية الضخمة دون تردد .

وكانت له قابلية على التنظيم الدقيق ، هذا الننظيم الذي نعجب به حتى اليوم كل الإعباب . فقد كانت مغازي أهل الكوفة في أيامه الري وأذر بيجان ، وكان مهذين الثغرين عشرة آلاف مقاتل من أهل الكوفة وذلك لاستخدامها في الدفاع الفوري ضد المعتدين على بلاد المسلمين حتى تردهم النجدات من قواعد المسلمين الأمامية في الكوفة والبصرة - وكان بالكوفة حينذاك أربعون ألف مقاتل ، وكان يغزو هذين الثغرين منهم عشرة آلاف في كل سنة ، فكان الرجل يصيبه في كل أربع سنين غزوة (١) الكوفة عندوة قراها المناها الرجل يصيبه في كل أربع سنين غزوة (١) المناها الرجل يصيبه في كل أربع سنين غزوة (١) المناها الرجل يصيبه في كل أربع سنين غزوة (١) المناها الرجل يصيبه في كل أربع سنين غزوة (١) المناها المناها المناها الرجل يصيبه في كل أربع سنين غزوة (١) المناها الرجل يصيبه في كل أربع سنين غزوة (١) المناها الرجل يصيبه في كل أربع سنين غزوة (١) المناها المناها الرجل يصيبه في كل أربع سنين غزوة (١) المناها المن

تنظيم ما أروعه من تنظيم: قوات فى الثغور للدفاع الفورى ، وقوات احتياطية من القاعدة الأمامية للهجوم المقابل أو للفتح ، وتقسيم دقيق للواجبات ، بحيث يعرف كل شخص ماله وما عليه ومتى وكيف وأين يغزو العدو ا

تلك مى تنظمات لوليد النعبوية والسوقية للقضاء عل محرشات العدو الداخلى والخارجي ، فلا عجب إذا لم ينتقض عليه بلد من البلدان حتى عزل عن عمله .

لقد كان الوليد يطبق مبدأ (التعرض) في حروبه ، وقد كانت كل معاركه تعرضية ، وكان يمتاز بتطبيق مبدأ (تحشيد القوى) بشكل ممتاز للغاية : يتخذ له مقراً مناسباً ، ثم يبث قوة مناسبة إلى هدف مناسب ، فإذا انتهى من ذلك الهدف ، أرسل قوة مناسبة أخرى إلى هدف مناسب آخر ، وبذلك انتصر بيسر وسهولة على أعدائه الكثيرين في بلادهم الوعرة الشاسعة ولو أنه

<sup>(</sup>۱) الطبرى ( ۳۰۷/۳ ) .

قسم قواته ووزعها إلى أكثر من هدف واحد، لأصبح ضعيفاً بكل مكان، فلا يقدر على القضاء المبرم بسرعة ويسر على أعدائه.

إنه قائد ممتاز حقا .

## الوليد في الشاربخ :

كان الوليد ولايزال من الشخصيات التي تعانى من إفراط الصديق في المدح وتفريط العدو في القدح.

إن التاريخ يذكر أن الوليد كان شريب خر وأنه عزل عن الكوفة لذلك ، ولست أشك أنه تاب عن الحر وحسن إسلامه بعد أيام شبابه ، لذلك كان من القلائل جدا من بنى أمية الذين اعتزلوا معاوية في حربه مع على بن أبى طالب ، إذ آثر دينه على دنياه .

ويذكر له أنه كان من أوائل من عالج مشكلة الإماء والعبيد بصورة عملية ، فمنحهم المخصصات المالية المناسبة شهريا من بيت الممال.

ويذكر له ، أنه فتح منطقة عرب الجزيرة واستعاد فنح أذربيجان وأرمينية ثانية إلى بلاد المسلمين.

لقد أساء الوليد إلى نفسه ، ولكنه أحسن إلى المسلمين ، وقد انقضى أمر إساءته الشخصية إلى نفسه ، وبقيت آثار إحسانه إلى المسلمين حتى اليوم .

غفر الله للقائد الفاتح ، الإدارى الإلمى ، الشاعر الأريحى ، الوليد بن عقبة ابن أبي مُعَيِّظ الأموى .

# عمير بن سعد الأنصت الى الأوسى فا تع مدينة رأس عين (١) في أرض الجزيرة

« عمير بن سعد نسيسج وحده » عمر بن الخطاب

### إسلامه :

صحب عير بن سعد الأنصارى الأوسى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان من فضلاء الصحابة وزهادهم (٢) ، سمع جلاس بن سويد الصامت (٣) الذى تخلف عن غزوة تبوك يقول : « لئن كان هذا الرجل صادقاً لنحن شر من الحر » ، فرفع ذلك عير من قول جلاس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان فى كنف جلاس الذى تزوج أم عير بعد أبيه ، فقال له عير : « والله يا جلاس ! إنك لأحب الناس إلى وأحسنه عندى يداً ، وأعزه على أن يصيبه يا جلاس ! إنك لأحب الناس إلى وأحسنه عندى يداً ، وأعزه على أن يصيبه

<sup>(</sup>۱) رأس عين: ويقال رأس الدين ، والأصح رأس عين ، وهي مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين ، بينها وبين نصيبين خمسة عشر فرسخا وقريب من ذلك بينها وبين حران . وفي رأس عين عيون كثيرة عجيبة تجتمع كلها في موضع فتصير نهر الحابور . واجع التفاصيل في معجم البلدان ( ٢٠٦/٤ ) .

<sup>(</sup>٢) أسد العابة (١٤٤/٤).

<sup>(</sup>٣) جلاس بن سويد بن الصامت الأنصارى كان من المنافقين : أنظر أسماء المنافقين في سيرة ابن هشام ( ١٤١/٢ — ١٥٣ ) ثم ثاب وحسنت توبته ، وقد تخلف عن غزوة تبوك ، فنزل قول الله تمالى فيه ( وإن يتوبوا خيراً لهم ) فتاب ، وذلك بعد غزوة تبوك . أنظر الإيصابة ( ٢٦٤/١ ) وأسد العابة ( ٢٩٢/١ ) والاستيماب ( ٢٦٤/١ ) .

شيء يكرهه ، ولقد قلت مقالة ائن رفعتها عليك لأفضحنك ، ولئن صمت عليها ليهلكن ديني ، ولإحداها أيسر على من الآخرى » ثم مشي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر له ما قال جلاس ، فحلف جلاس بالله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقد كذب على عمير وما قلت ما قال عمير بن سعد ، فأنزل الله عز وجل فيه : ( يحلفون بالله ما قالوا ، ولقد قالوا كلة الكفر و كفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا ، وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله ، فإن يتولوا يعذبهم الله عذابا ألبا في الدنيا والآخرة ، ومالهم في الأرض من ولي ولا نصير ) (١) ، فتاب الجلاس وحسنت توبته حتى عرف منه الخير والإسلام (٢) فما زال عمير في علياء حتى مات ؛ ولم يسمع عمير من الجلاس شيئاً يكرهه بعدها ، وقال رسول الله صلى الله عليه : « وفت أذنك يا غلام وصدقك ربك » (٢) وهذا يدل على أنه كان غلاماً حينذاك ، لذلك نال عمير شرف الصحبة ولم ينل شرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد .

## مهاده:

شهد عمير فتوح الشام (؟) ، فكتب عمر بن الخطاب إلى عياض بن غنم يأمره أن يوجه عمير بن سعد إلى (عين الوردة) (ه) ، فوجهه إليها وقدم الطلائع

<sup>(</sup>١) الآية الكرعة من سورة التوبة ( ٩ — ٧٤ ) .

<sup>(</sup>۲) سِیرة ابن هشام ( ۱٤۱/۲ — ۱۶۲ ) والاِصابة ( ۳۲/۵ ) وأسد الفابة ( ۱۶۶/۵ ) وأسد الفابة ( ۱۶۶/۵ ) والاستیعاب ( ۱۲۱۳ ) .

٠ (٣) الاستيعاب ( ١٢١٦/٣ ) وأسد الغابة ( ١٤٤/٤ ) .

<sup>(</sup>٤)الأِصَابَة ( ٥/٢٢ ) .

<sup>(</sup>ه) عين الوردة : هي رأس عين ، الدينة المشهورة بالجزيرة . راجع التفاصيل في معجم البلدان ( ٢٠٨/٦ ) .

أمامه ، فأصابوا قوما من الفلاحين وغنموا مواشى من مواشى العدو ، ولكن أهل المدينة أغلقوا أبوابها ونصبوا المنجنيقات ، فقتل من المسلمين بالحجارة والسهام كثيرون .

وكانت (رأس عين) قد امتنعت على عياض بن غنم من قبل ، ففتحها عمير وهو والى عمر بن الخطاب على الجزيرة بعد أن قاتل أهلها المسلمين قتالا شديدا ، ولكن المسلمين دخلوها عنوة ، ثم صالحوهم بعد ذلك ، فدفعت الأرض إلى أهلها الأصليين ووضعت الجزية على كل فرد أربعة دنانير ، ولم تسب نساءهم ولا أولاده (١) .

ولما فتح عمير (رأس عين) سلك الخابور ومايليه حتى أتى (قَرَّقيساه) (٢) وقد نقض أهلها، فصالحهم على مثل صلحهم الأول. ثم أتى حصون الفرات حصناً حصناً ففتحها على ما فتحت عليه قرقيسياه، ففتح ثانية (عانات) (٣) و (النّاوُوسة) و (آلُوسة) (٥) ؛ وفي (هِيت) (٢) وجد عمار بن ياسر وهو يومئذ عامل عمر بن الخطاب على الكوفة ، وقد هفث جيشاً يستغزى المنطقة

<sup>(</sup>۱) البلاذري ( ۱۸۱ ) وابن الأثير ( ۲۰۸/۲ ) .

 <sup>(</sup>۲) قرقیسیاء : بلد عند ملتق نهر الحابور بنهر الفرات . راجع معجم البلدان
 (۲/۷) .

<sup>(</sup>٣) عانات: قرى عانات سميت بثلاثة أخوة من قوم عاد، خرجوا هراباً فنزلوا ثلك الجزائر، فسميت بأسمائهم ، وم : ألوس وسالوس وناووس، فلما نظرت العرب إليها ، قالت : كأنها عانات، أى قطع من الضباء . انطر معجم البلدان ( ١٠١/٦ ) . وهى مدينة عانة على الضفة الغربية من الفرات مقابل مدينة : راوه بينهما نهر الفرات .

 <sup>(</sup>٤) الناووسة : من قرى هيت . انظر معجم البلدان ( ٢٤٢/٨ ) .

 <sup>(</sup>٥) آلوسه: وهي : ألوس ، اسم رجل سميت به بلدة على الفرات قرب عاامات .
 انظر معجم البلدان ( ٣٢٦/١ ) .

 <sup>(</sup>٦) هيت : بلدة على الضفة الغربية من الغرات شمالى الأنبار . انظر معجم البلدان
 ( ٨٦/٨ ) وعى مدينة بين الرمادى وعانة غربى الغرات عتاز بالقير والسكبريت .

الكائنة شمالي (الأنبار) وعليه سعد بن عمرو بن حرام الأنصاري ، فانصرف عبر إلى (الرقة) () .

و كتب عير إلى عربن الخطاب ، يعلمه أنه أبى شق الفرات الشامى ففتح (عانات) وسائر حصون الفرات ، وأنه أراد من هناك من بنى تغلب على الإسلام فأبوه وهموا باللحاق بأرض الروم ، وسأله رأيه فيهم ، فكتب إليه عمر يأمره أن يضعف عليهم الصدقة التي تؤخذ من المسلمين في كل سائمة وأرض ، فقبلوا أن يؤخذ منهم ضعف الصدقة وقانوا : «أما إذا لم تكن جزية كجزية الأعلاج ، فإنا نرضى وتحفظ ديننا » (1) .

### الإنسال :

كان عمير زاهدا نقيا ورعا وكان بالإضافة إلى ذلك إداريا حازما وقائدا مقداما ، لذلك كان عمر بن الخطاب معجبا بعمير أشد الاعجاب .

كان عمر يسميه: (نسيج وحده) ، لإعجابه به ، وكان يقول عن عمير: « وددت أن لى رجالا مثل عمير بن سعد أستعين بهم على أعمال المسلمين » ، وقال عمر يوما لعبد الرحمن بن عمير: « ماكان بالشام أفضل من أبيك: » (٣) .

ولاه عمر الجزيرة (٤) فبني المساجد في ديار مضر وديار ربيعة (٥) ، ثم ولاه حص (٦) بعد سعيدبن عام بن حديم (٧) ، وكان عمر بن الخطاب يشتدا غتباطه حين

<sup>(</sup>۱) البلاذري ص ( ۱۸۳ ) · (۲) البلاذري ص ( ۱۸٦ ) ·

<sup>(</sup>٣) الإصابة ( ٥/٣٣) . (٤) . البلاذري (١٨١ ) .

<sup>(</sup>٥) البلادري ص ( ١٨٢).

<sup>(</sup>٦) . طَيْقَاتَ ابْنُ سَعِدُ ( ٧/٧ه ٤ ) وَابْنُ الْأَثْيَرِ ( ٧/٧ ) .

 <sup>(</sup>٧). سعيد بن عامر بن حديم القرشى الجمعى : من كبار الصحابة وفضلائهم ، أسلم قبل خيبر فهاجر فشهدها وما بعدها . ولاء عمر حمس وكان مشهوراً بالحير والزهد .
 مات سنة عشر نن للهجرة بحمص .

انظر طبقات ابن سعد (٢٦٩/٤ ) والاستيماب ( ٦٢٤/٣ ) وأسد الفابة (٣١١/٢) والاسابة ( ٩٩/٣ ) .

يرى عماله يتجردون خلير الرعية ويشى عليهم لذلك أعظم الثناء ، فقد كتب إلى عمير وهو على حمص: «أقبل بما جبيت من فى المسلمين » ، فلما أقبل عمير سأله عماصنع ، فقال: «بعثتنى حتى أتيت البلد ، فجمعت صلحاء أهلها فوليتهم جباية فيتهم ، حتى إذا جعوه وضعته مواضعه ، ولو نالك منه شىء لاتيتك به! » قال عر: « فا جئتنا بشىء! ؟ » ، فلما أكد له أنه انفق كل شىء على أهل حمص قال: « جددوا لعمير عهدا »(١).

وعمير هذا هو الذي قال على منبر حمص: « لا يزال الإسلام منيعاً ما اشتد السلطان. وليست شدة السلطان قتلا بالسيف أو ضربا بالسوط، ولكن قضاء بالحق وأخذ بالعدل » (٢) ، فليس عجيبا وهذا شعاره وتلك مزاياه — أن يتمنى عمر رجالا أمثاله ليستعين مهم على أعمال المسلمين.

وكان على جانب عظيم من النزاهة ، فقد كتب عمر بن الخطاب إلى أهل حمص: « اكتبوا لى فقراء كم » ، فكتبوا إليه أسماء الفقراء وذكروا فيهم عير بن سعد — وكان أميراً عليهم . فلما قرأ عمر اسمه قال: « من عمير بن سعد ١ ؟ » ، فقالوا: أميرنا! فقال: « أو فقير هو ؟ » ، فقالوا: « ليس أهل بيت أفقر منه!! » ، فقال عمر : « فأين عطاؤه ؟ » فقالوا: « يخرجه كله لا يمسك منه شيئا » فوجه إليه عمر بمائة دينار ، فأخرجها كلها إلى الفقراء ، فقالت له امرأته: « لو كنت حبست لنامنها دينارا واحدا! » ، فقال لها: « لو ذكر تني فعلت » (٣) .

 <sup>(</sup>۱) بق عمیر والیا علی حمص وقلسرین طیلة آیام همر بن الحطاب. انظر ابن الأثیر
 (۸/۳) و (۳۰/۳) و (٤٤/٣) والطبری (۲۲۷/۳) و (۳۰٤/۳) و (۳۰۹/۳).

<sup>(</sup>٢) انظر الفاروق عمر للدكتور هيكل (٢٢٤/٢) .

 <sup>(</sup>۳) انظر أخبار عمر للطنطاويين ص ( ۱۹۷ – ۱۹۸ ) منتولة عن ألف باء
 (٤٤٣/١) للبلوى طبعة مصر .

ومات عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعير على حمص وقنسر بن ، ثم مرض في إمارة عثمان بن عفان فاستعفاه واستأذنه في الرجوع إلى أهله ، فأذن عثمان وضم عمله إلى معاوية بن أبي سفيان (١) فمات عمر في أيام عثمان (٣) حوالي سنة إحدى وثلاثين هجرية ، لأنه استقال من منصبه بجمص خلال هذا العام لإصابته بمرض طال به (١) أي أن وفاته كانت سنة (١٥٦ م) ، وقد سكن الشام ومات بها (١٠٠ م) .

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم (°) وكان من أصحاب الفتيا من الصحابة (۱) ، وكان على جانب عظيم من الورع والنقوى والزهد والكفاءة العسكرية والإدارية ، وكان ذكيا نابها رزينا صادقا وفيا كريما مضيافا .

لقد كان نسيج وحده حقا، كما كان يصفه عمر بن الخطاب.

### القائد :

كان عير شجاعا مقداما ومقاتلا رهيبا ، إذ لم تصده مناعة المنطقة التي يقاتل فيها ومناعة المدينة التي يحاصرها . والأسلحة الفتاكة المتفوقة التي كانت متيسرة لدى عدوه ، كالم تصده استاتة هذا العدو وعناده في الدفاع عن مدينتهم المحصنة المنيعة — لم يصده كل ذلك عن فتح تلك المدينة التي استعصى فتحها على القادة من قبله .

<sup>(</sup>١) الطبرى (٣/٩/٣) وابن الأثير ( ٤٤/٣ ) .

<sup>(</sup>٢) الارصابة (٣٢/٥) كما ورد انه توفى أيام عمر ، وهذا لم يثبت كما ذكرنا .

<sup>(</sup>٣) الطبرى (٢/٩٣٩).

<sup>(1)</sup> الاسليعاب ( ٣/٢١٧ )

<sup>(</sup>٥) طبقات ابن سعد (٢/٧) ) والارصابة

<sup>(</sup>٦) وأسد الغابة (١٤٤/٤)

 <sup>(</sup>٧) . أصحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدم على مراتبهم ــ لابن حرم ــ ملحق بجوامع السيرة ص (٣٣٣)

لقد كان صحيح القرار ، يتحمل المسؤولية الكاملة ، وكان يثق برجاله ويحبهم ويثقون به ويحبو نه ، وكان ذا شخصية قوية محبوبة وإرادة صلبة نافذة وحزم لا يعرف المداورة واللبن ، وكان ذا نفسية رصينة لا تتبدل في حالتي النصر والاندحار ، وكان يتحلى بمزية سبق النظر وله ماض مشرف مجيد.

وكان (يختار مقصده ويديمه) ، تسيطر عليه روح (التعرض)و (المباغنة) ويعمل على (تحشيد قوته)و (يقتصد بالمجهود) ، وذلك باتخاذ تدا بير (الأمن) لسلامة قواته وتأمين (التعاون) بينها وبين قوات المسلمين الأخرى وداخل صفوفها بالذات ، لهذا كان يعمل على (إدامة المعنويات) وتهيئة كافة (الأمور الإدارية) لقواته . . وتلك هي أهم مبادئ الحرب الخالدة التي طبقها عمير في حركاته العسكرية .

لقد كان نسيج وحده في القيادة أيضا .

# عمير في الناريخ :

يذكر التاريخ لعمير جهاده الطويل المشرف في سبيل عقيدته منذ استطاع حمل السلاح حتى توفاه الله . ويذكر إخلاصه الشديد لعقيدته – لا يسكت عمن يريدها بضرر أو شرحتى لو كان أقرب المقربين إليه وأكثر الناس فضلا عليه .

ويذكر له تفرغه للمصلحة العامة حقا ، فنرك المـــال والقصور والحشم والخدم لـــكل من هانت عليه نفسه فباعها بالمـــال والقصور والحشم والخدم.

رضى الله عن الصحابي الجليل ، الإدارى الحازم . والقائد الفاّع ، الأمير الفقير ، عير بن سعد الأنصاري .

# تعاليم لهنستح فى الإسسلام الإسلام – أو الجزية – أو القتال

- \ -

زل خالد بن الوليد (الحيرة) ، فخرج إليه أشرافها مع إياس بن قبيصة الطائى () وكان أمّره عليها كسرى بعد النّمان بن المنفذ ، فقال له خالد ولأصحابه: «أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام، فإن أجبتم إليه فأنتم من المسلمين لكم ما لهم وعليكم ما علمهم ، فإن أبيتم فالجزية ، فإن أبيتم الجزية فقد أتيتكم بأقوام هم أحرص على الموت منكم على الحياة ، جاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم » ، فقال إياس بن قبيصة : «ما لنا بحربك من حاجة ، بل نقيم على ديننا و نعطيك الجزية » ().

ولما دخل وفد سعد بن أبى وقاص على كسرى قبيل معركة القادسية ، سألهم كسرى: « ما جاء بكم وما دعاكم إلى غرونا والولوع ببلادنا ؟! أمن أجل أنبا أجمناكم وتشاغلنا عنكم اجترأتم علينا ؟! » ، فقال النعان بن مُقرِّن المُزنى وكان على الوفد: « إن الله رحمنا فأرسل إلينا رسولاً يدلّنا على الخير ويأمرنا به ، ويعرّفنا الشر وينهانا عنه ، ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة ، . . . ثم أمرنا أن نبدأ بمن يلينا من الأمم فندعوهم إلى الإنصاف ،

 <sup>(</sup>۱) ق الحراج لأبى يوسف ص ( ۱۷) اسمه: إياس بن قبيصة الطائى وكذلك
 ق ابن الأثير ( ۱٤٧/۲ ) . وفي الطبرى ( ۱/۲هه ) ورد اسمه : قبيصة ابن إياس .
 (۲) الطبرى ( ۱/۲هه ـ ۲۰۰۲) .

فنحن ندعوكم إلى ديننا ، وهو دين حسن الحسن وقبّح القبيح كله ، فأن أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه : الجزاء ، فإن أبيتم فالمناجزة ، فإن أجبتم إلى ديننا خلّفنا فيكم كتاب الله وأقمنا على أن تحكموا بأحكامه وترجع عنكم وشأنكم وبلادكم ، وإن اتقيتمونا بالجزاء قبلنا ومنعناكم ، وإلا قاتلناكم » (1) .

وإذا استقصينا روح كلام كافة قادة الفتح فى مفاوضاتهم أهل البلاد الذين يريدون فتحها قبل الإقدام على القتال ، لوجدناه يتلخّص فى ثلاث كلمات : الإسلام أو الجزية أو القتال .

وليس عجيباً أن يتفق كل القادة الفاتحين في كل البلاد على هذه الكلائة ، لأن هذه الكلائة ، لأن هذه الكلائة ، لأن هذه الكلائة ، لأن هذه الكلائة ، وحب عليهم – أولاً – أن يدعوا التعالم ، بأنه إذا أراد المسلمون غزو بلد وجب عليهم – أولاً – أن يدعوا أهله إلى الدخول في الإسلام ، فإن أسلموا كانوا هم وسائر المسلمين سواء ، وإن لم يسلموا دعوهم إلى أن يسلموا بلادهم للمسلمين يحكمونها ، ويبقوا على دينهم – إن شاءوا – ويدفعوا الجزية ، فإن قبلوا ذلك كان لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، وكانوا في ذمة المسلمين يحمونهم ويدافعون عنهم ، وإن لم يقبلوا الإسلام ولا الدخول نحت حكمه ودفع الجزية ، أعلنت عليهم الحرب وقوتلوا (٢) .

تلك هي المبادىء التي تسيطر على تعاليم الإسلام في الفتح: الإسلام --- المجزية -- القتال ا

<sup>(</sup>۱) الطبرى ( ۱۷/۳ ) وابن الاثير ( ۱۷۲۲ ) وانظر نصكلام النعان وجواب كسرى فى هذين المصدرين .

<sup>(</sup>٢) إنظر فجر الإسلام ص (١٠٦) للاستاذ أحمد أمين ــ الطبعة الثالثة .

ولسنا بصدد الحديث عن المبدأ الأول من هذه المبادىء الثلاثة ، وهو الإسلام ، إذ أن تعالميه السمحة الغراء أكبر من أن يتسم لها مثل هذا المكان. وسأقتصر على إعطاء صورة مختصرة عن المبدأين الآخرين : الجزية والقنال .

الجزية في اللغة: جاء في القاموس ('): « والجزية بالكسر خراج الأرض وما يؤخذ من الذمي ، جمعها : حِزى ، وجزى ، وجزاء » .

وجاء في لسان العرب<sup>(٣)</sup> : « الجزاء : المكافأة على الشيء . . . والجزاء : القضاء ، جَزَى هذا الأمِين : قضى . ومنه قوله تعالى : ( لا تجزى نفْس عن نفس شيئاً ﴾ . والجزية : خراج الأرض ، والجمع : حِزى ، وجزَّى ، وجزية \_ الذمي منه .

وقال المـــاوردي<sup>(٢)</sup>: « فأما الجزية فهـي موضوعة على الرؤوس واسمها : مشنق من الجزاء ، والأصل فيها قوله تعالى : (حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون )<sup>(۱)</sup> .

والجزية لا تجب إلا على الرجال ( يعني منها النساء والصبيان ) الأحرار العقلاء من أهل الذمة: اليهود والنصارى والمجوس والصابئة والسامرة (٥) ،

<sup>(</sup>١) القاموس المحيط للفيروز آبادي مادة ( الجزاء ) .

<sup>(</sup>۲) لمان المرب لـ لابن منظور لـ مادة ( جزى ) .

<sup>(</sup>٣) الأحكام السلطانية للماوردي ص (١٣٦) .

<sup>(</sup>٤) سورة التوية ( ٩ : ٢٩ ) وانظر نفسيرها في ان كثير ( ١٩٤/٤ – ١٤٠ ) والبعوى ( ۱٤٤/٤ ـ ۱٤٧ ) والكشاف للزمختري (۲/۳) والبيضاوي (۹۰/۳).

<sup>(</sup>٥) الأحكام السلطانية الماوردي ص (١٣٧) وألحراج لأبي يوسف ص (١٤٥) •

ولا تؤخذ من المسكين الذي يتصدق عليه ولا من مقعد ولا من أعمى لا حرفة له ؛ ولا من المترهبين وأهل الصوامع إن لم يكونوا ذوى يسار (١).

ولعل من المفيد ذكر نص ما جاء عن الجزبة في وثيقة خالد بن الولين التي صالح بموجبها أهل الحيرة: « بسم الله الرحن الرحيم . هذا كتاب من خالد بن الوليد لأهل الحيرة . إن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، أمرتى أن أسير بعد منصرفي من أهل البمامة إلى أهل العراق من العرب والعجم بأن أدعوهم إلى الله جل ثناؤه وإلى رسوله عليه السلام ، وأبشرهم بالجنة وأنذرهم من النار ، فإن أجابوا فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين . وإنى انتهيت إلى الحيرة ، فحرَّج إلى إياس بن قبيصة الطائى في أناس من أهل الحيرة من رؤسائهم ، وإنى دعوتهم إلى الله فأبوا أن يجيبوا ، فعرضت عليهم الجزية أو الحرب ، فقانوا : لا حاجة لنا بحربك ، ولكن صالحنا على ما صالحت عليه غيرنا من أهل الكتاب في إعطاء الجزية ، وإنى نظرت في عدَّتهم ، فوجدت عدَّتهم سبعة آلاف رجل ؛ ثم ميزتهم ، فوجدت من كانت به زمانة ألف رجل ، فأخرجتهم من العدّة ، فصار من وقعت عليه الجزية سنة آلاف ، فصالحوني على سنين ألفاً (٣) ؛ وشرطت عليهم ، أن عليهم عهد الله وميثاقه الذي أخذ على أهل التوراة والإنجيل: أن لا يخالفوا ولا يعينوا كافراً على مسلم من العرب ولا من العجم ، ولا يدلوهم على عورات المسلمين ، عليهم بذلك عهد الله وميثاقه الذي أخذه أشد ما أخذه

<sup>(</sup>١) الخراج لابي يوسف ص (١٤٦) والأم للإمام الشافعي ( ٩٧/٤ – ٩٨ ) .

 <sup>(</sup>۲) فى الطبري ( ۲/۲ه ه ) أن خالد بن الوليد صالح أهل الحيرة على تسمين ألفاً
 وقى الطبرى ( ۳/۲ه ه ) أنه صالحهم على تسمين ومائة ألف درم وكذلك فى الطبرى
 ( ۲/۲۰ ) .

على نبى من عهد أو ميثاق أو ذمة ، فإن هم خالفوا فلا ذمة لهم ولا أمان ، وإن هم حفظوا ذلك ورعوه وأدّوه إلى المسلمين ، فلهم ما للمعاهد وعلينا المنعة لهم . فإن فتح الله علينا فهم على ذمتهم ، لهم بذلك عهد الله وميثاقه أشد ما أخذ على نبى من عهد أو ميثاق ، وعليهم مثل ذلك لا يخالفوا . وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنياً فافتقر وصار أهل دينه يتصدّقون عليه — طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين — وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام ، فإن خرجوا إلى غير دار الهجرة ودار الإسلام ، فايس على المسلمين النفقة على عيالهم . وأيما عبد من عبيدهم أسلم أقيم في أسواق المسلمين فبيع بأغلى ما يقدر عليهم في الوكس ولا تعجيل ودفع النمن لصاحبه . . .

« وشرطت عليهم جباية ما صالحتهم عليسه حتى يؤدوه إلى بيت مال المسلمين ، عمالهم منهم ، فإن طلبوا عوناً من المسلمين أُعينوا به ومثونة الدون من بيت مال المسلمين » (١) .

لقد أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم الجزية من (أُكيدر) صاحب (دُوْمَة الجندل) (٢) كما أخذها من مجوس (هجر) (٢) ومن بعض أهل اليمن (١) كا أخذها من مجوس (هجر) الجزية (١) على الجزية (١) بما يدل على أن تشريع أخذ الجزية بدأ من عهد الرسول القائد وأن الخلفاء الراشدين اقتدوا

 <sup>(</sup>۱) انظر نص الوايئة في الحراج لأبي يوسف ص ( ۱۷۱ – ۱۷۳ ) وانظر نص
 وايئة أخرى في الطبري ( ۲۷/۳ ه ) لصلح خالد أهل الحيرة .

<sup>(</sup>٢) طبقات ابن سعد ( ١٦٦/٢ ) وسيرة ابن هشام ( ١٨٢/٤ ) .

 <sup>(</sup>۳) تفسير أن كثير والبدوى ( ۱٤١٤ – ۱٤٦ ) .

<sup>(</sup>٤) تفسير البغوى (٤/٤) .

<sup>(</sup>٥) الطيرى ( ٣٧٣/٣ ) وابن الأابير ( ١٠٧/٣ ) .

بسنّته ، ولا صحة لادعاء بعض المستشرقين أن لفظ الجزية اتخذ معناه الخاص حوالى منتصف القرن الثانى (١) ، إذ قد اتخذ معناه ومبناه من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .

لقد كانت الجزية قبل الإسلام تفرض على المغلوبين للإذلال والامتهان (٢٠) فهى لذلك تحمل معنى بغيضاً من معانى الثأر والانتقام ؛ ولكن الإسلام فرضها لحماية المغلوبين فى أموالهم وعقائدهم وأعراضهم وكرامتهم ، وتحكينهم من التمتع بحقوق الرعوية مع المسلمين الفاتحين سواء بسواء .

وكانت الجزية عند الأمم الماضية تحمل معنى استغلال المغلوبين وابتزاز أموالهم ، فكانت تفرض عليهم بقدر يرهقهم ويكلفهم من أمرهم عسرا ؛ ولكنها فى الإسلام أبعد ما تكون عن الاستغلال والطمع بأموال المغلوبين ،

<sup>(</sup>۱) انظر ماجاء فى كتاب الجزية فى الإسلام ــ دانيل دينيت ــ ترجمة الدكتور فوزى فهيم جاد الله ص ( ۲۹ ــ ٤٢ ) . وفيه ادعاءات فلهاوزن وبيكر وجروعان وكانياني. ومن الادعاءات : ﴿ إِنْ جَلَاتَ المُسَلِّينِ لَا تَرْيَدُ عَنْ كُونَهَا إِغَارَةَ ، وأَنْ جَيْشُ خَالَدُ كَانْ صَغِيراً وكانْ هَدْفَهُ الْفَنَامُ وَالْأَسْلابِ ﴾ كما جاء فى كتاب : الجزية والإسلام ــ لها نيل دينيت . ومن العجيب أن يذكر هذه الادعاءات فى الفرن العشرين بعد أن المكشفة حقائق الفرن العشرين بعد أن المكشفة حقائق الفرح الإسلام .

إن هذه الأدعاءات صحيحة إذا كان ما أورده نفس المستشرق في نفس الصفحة (٤٩): ﴿ . . . استطاع المثنى أن يثبت في وجه الفرس خلال صيف ١٣ هـ ، والكن موقفه كان شديد الحرج ، حتى إنه اضطر أن يبعث في طلب العون ، وكل العمل الأخير الذي قام به أبو بكر قبل وفاته هو إرساله مجندين جددا تحت قيادة أبي عبيد التقنى . . إلخ » ! !

والصحیح أن الذی أرسل أبا عبید النتق هو غمر بن الحطاب . انظر كافة مصادر التاریخ وعلی سبیل المثال انظر الطبری ( ۱۳۱/۲ ) وابن الأثیر ( ۱۹۹/۲ ) وتاریخ عمر بن الحطاب لابن الجوزی ص (۹۲) .

ثلك مي درجة علم المستشرقين حتى بأبسط حوادث التاريخ ا!

 <sup>(</sup>٣) انظر الباب الأول من كتاب: الحراج في الدولة الإسلامية للأستاذ عمد ضياء الدن الريس ص ( ٣٤ ـ ٨٢ ) فغيه تفاصيل وافية مفيدة عن الأحوال الاقتصادية في الأقاليم الرومية والأقاليم الفارسية .

إذ كانت تفرض بمقادير قليلة على المحاربين والقدادبين على العمل فحسب ، وكانت على ثلاثة أقسام: الأغنياء والأوساط والعال بهانية وأربعين وأربعة وعشرين واثنى عشر درهماً على الترتيب (١) ، وقد جعل الشافعي الجزية ديناراً أما مالك فلم يقدر أقلها ولا أكثرها بل أوكل ذلك إلى اجتهاد الولاة (١) ، وكل أربعة وعشرين درهما يعادل ديناراً عراقياً (١) ، وهذا مبلغ لا يكاد يذكر بجانب ما يدفعه المسلم من زكاة ماله فحسب .

ثم إن الجزية عند الأم السابقة لم تكن تمنع دافعيها من تجنيدهم في جيش الغالبين وإراقة دمائهم في سبيل مجد الفاتحين ، فكانوا يدفعون الجزية ويساقون إلى الحرب مرغمين ا ولكن الإسلام أعفاهم من الخدمة في الجيش ، فإذا رضى الذمى أن يتطوع في الجيش الإسلامي قبيل ذلك منه وسقطت عنه الجزية (نه في الجزية إذاً معنى (بدل الخدمة العسكرية) في عصر نا الحاضر ، لذلك فالجزية بمناها الحديث هي : ضريبة الدفاع ليس إلا .

ولم تكن الأم الغالبة تلتزم نحو الأمم المغلوبة بأى حق نحو الفقراء

<sup>(</sup>١) الخراج لأبي يوسف ص (١٤٨) .

<sup>(</sup>٢) الحراج في الدولة الإسلامية ـ للاستاذ عمد ضياء الدين الريس ـ ص(١٢١).

 <sup>(</sup>٣) نظام السلم والحرب في الأسلام للدكتور مصطنى السباعي ، والديناز المراقى
 حوالى عشرة ليرات سورية أو لبنانية تقريباً .

<sup>(</sup>٤) في قصة فتيح (الباب) ، أن ملكها أتى عبد الرحمن بن ربيعة الباهلى ، وطلب هنه الجزية ، فتال له عبد الرحمن : « فوق رجل قد أظلك فسر إليه »فسارالملك إلى سراقة بابن عمرو ، فقال له سراقة : « قد قبلت ذلك فيمن كان ممك على هذا مادام عليه ، ولا بد من الجزاء بمن يقيم ولا ينهض » فقبل ذلك وصار سنة فيمن كان يحارب العدو من المشركين ، وفيمن لم يكن عنده الجزاء إلا أن يستنفروافتوضع عنهم جزاء تلك السنة وكتب سراقة إلى عمر بن الخطاب بذلك ، فأجازه وحسنه ، انظر التفاصيل في الطبرى وكتب سراقة إلى عمر بن الخطاب بذلك ، فأجازه وحسنه ، انظر التفاصيل في الطبرى (٣٠٠) وانظر أيضاً كتاب الدولة العربية وسقوطها \_ يوليوس ولهاوزن \_ ترجمة الدكتور يوسف الهن ص (٣٠٠) .

والعاجزين وذوى العاهات ، بل كانوا يرهقونهم بالجزية والضرائب ، نم يتركون ذوى الحاجات منهم فريسة للحاجة والجوع والمرض . أما الإسلام فقد أعلن تأمينه الاجتماعى للذميين سواء منهم من دفع الجزية ومن لم يدفع ؛ إذ يعتبرهم رعايا الدولة كالمسلمين يجب عليها أن تضمن لهم حياة كريمة لا يحتاجون فيها إلى ذل السؤال ومرارة البؤس .

إن نصوص القرآن الكريم التي تحتم إعالة البائسين والمحتاجين هي عامة شاملة لم تقيّد بالمسلمين فحسب: (وآني ذا القربي حقّه والمسكين وابن السبيل) () و (في أموالهم حق للسائل والمحروم) () و جاء في عهد خالد بن الوليد لأهل الحيرة: «أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنياً فافتقر وصار أهل دينه يتصدّقون عليه ، طرحت جزيته وأعيل من بيت مال المسلمين وعياله » ، وقد طبّق عر بن الخطاب رضي الله عنه هذا المبدأ الإسلامي العظيم حين من بشيخ كبير يسأل الناس الصدقة ، فلما علم أنه من أهل الجزية أخذه بيده إلى بينه وأعطاه ما وجده من الطعام والملبس ، ثم أرسل إلى خازن بيت المال ، فقال : « انظر هذا وضرباءه ، فوالله ما أنصفناه إن أكنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم : (إنما الصدقات للفقراء والمساكين ) والفقراء هم المسلمون ، وهذا من المساكين من أهل الكتاب » ووضع عنه الجزية و عن ضربائه () وأعطاه ما يكفيهم من بيت المال .

<sup>(</sup>١) سورة الإسراء ( ٢٦: ٢٧ ).

<sup>(</sup>٢) سورة الذَّاريات ( ١٥: ١٩).

<sup>(</sup>٣) الحراج - لابي يوسف - ص(١٥١) والجديد في هذا النوع من الفهان الاجتماعي، أن الدول الحديثة تمتح الفهان لأهلها . أما الإسلام فإنه ممتح ضهانا اجتماعياً اغيرالمسلمين، من العاجزين عن الكسب لآفة كاهمي الزمن ، أو بسبب جائحة مالية تصيب الرجل في فتح بعد غني ، وعلى الحاكم المسلم أن ينظر في أصر المحتاج ، فأما أن يكنني بإعفائه من ضريبة الدفاع وهي الحزية . وإما أن يجرى بعد ذلك عليه وزقاً يكفيه وعياله من بيت من النظر مقال الدكتور عبد الفتاح حسن عن : ميثاق الأمم والشعوب في الإسلام المنشور في مجلة مجلس الدولة للجمهورية العربية المتحدة الصادرة سنة ١٩٦٠ ص (٣٨٧)

وكانت الجزية قبل الإسلام تفرض على من لم يكن من الفاتحين عرقاً أو بلداً أو ديناً سواء حارب أم لم يحارب، أما فى الإسلام فلا تفرض إلا على المحاربين من أعداء الأمة . أما المواطنون من غير المسلمين ممن لم يحاربوا الدولة فلا تفرض عليهم الجزية كما فعل عمر بن الخطاب مع نصارى تغلب .

بقى أن نمرض لما قد يرد فى الخواطر ، فى أن الجزية لا تحمل معنى الامتهان والإذلال: (حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون).

إن تفسير الآية الكريمة: (حتى يعطوا الجرية عن يدوهم صاغرون ) يجب أن يتَّمق مع مبادىء الإسلام العامة ومع فعل النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين في أخذ الجزية من أهل الكتاب. وإذا رجعنا إلى التاريخ لم نجد في معاملة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الـكتاب ولا في معاملة الخلفاء الراشدين لهم أى معنى من معانى الاحتقار والإذلال ، ولم تكن تؤخذ منهم الجزية على أى وضع يشعر بالإساءة والمهانة . وتَّى النبي صلى الله عليه وسلم. عبدالله بن أرقم على جزية أهل الذمة وقال له : «ألا من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته أو انتقصه أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفسه ، فأنا حجيجه يوم القيامة». وقال عمر بن الخطاب : « أوصى الخليفة من بعدى بأهل الذمة خيراً : أن يوفى لهم عهدهم ، وأن يقاتل من ورائهم ، وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم » <sup>(١)</sup> . لذلك وجب أن تُفهم الآية الـكريمة على غير ما فهمها بعض الناس ، وذلك أن تفسير ( اليد ) في قوله تعالى : (عن يد ) بالقدرة ؛ وفي نصوص القرآن واللغة مايؤكد هذا المعنى ، وقد جاء في عهد خالد بن الوليد لصاحب قس الناطف قوله : « على كل ذي يد » (٢) أي قدرة ، وهذا هو ماقررناه من أن الجزية لا تفرض الا على القادرين على دفعها .

<sup>(</sup>١) الخراج لأبي يوسف ص (١٥٠) . (٢) الطبرى (٢/٢٠) .

وأما قوله تعالى: (وهم صاغرون) ، فيتحتم تفسير الصغار هنا بالخضوع لا بالذّلة والمهانة ، فمن معانى الصغار فى اللغة : الخضوع ، ومنه أطلق (الصغير) على الطفل لأنه يخضع لأبويه ولمن هو أكبر منه . والمراد بالخضوع حينئذ الخضوع لسلطان الدولة ، بحيث يكون فى دفع الجزية معنى الالتزام من قبل أهل الذمة بالولاء للدولة ، كما تلتزم الدولة لقاء ذلك بحايتهم ورعايتهم واحترام عقائدهم (').

# – ۳ – والمبدأ الثالث هو القتال

إن السلم هو العلاقة الأصلية بين الناس فى نظر الإسلام ، وهو بهذا الأصل لا يطلب من غير المسلمين إلا أن يكفوا شرهم عن دعوته وأهله ، وألا يثيروا عليه الفتن والمشاكل ، ويأبى الإباء كله أن يتخذ الإكراه طريقاً للدعوة إليهو نشر تعاليمه: (أَفَأَنْتَ تُسكُرُهُ ٱلنَّاسَ حَتَّى يَسكُونُوا مُوْمِنِينَ) (٢).

وإذا احتفظ غير المسلمين بحالة السلم ، فهم والمسلمون فى نظر الإسلام سواء فى الإنسانية ، يتعاونون على خيرها العام ، ولكل دينه يدعو إليه بالحكمة والموعظة الحسنة ، دون إضرار بأحد .

والإسلام لا يخرج عن هذا الوضع الطبيعى ، إلا إذا امتدّت إليه يد العدوان ووُضعت أمامه العراقيل وأخلت فى فتنة الناس عنه بالإيذاء والتنكيل؛ وهنا فقط يؤذن لأهله أن يردوا العدوان بالعدوان إقراراً للسلم وإقامة للقسط،

 <sup>(</sup>۱) انظر ما جاء عن الجزية ف كتاب: نظام السلم والحرب في الاسلام للدكتور مصطنى السباعي س ( ۲۹ ــ ۳۸ ) ، وقد أفدنا منه فيما كتبناه أعلاه ، وانظر كتاب اختلاف الفتهاء لأبي جعفر محمد بن جرير الطبرى ص ( ۱۹۹ ــ ۲٤٠ ) .

<sup>(</sup>٢) سورة المائدة ( ه : ٨ ) .

وهو بذلك يحرّم عليهم حرب الاعتداء والعسف واستنزاف الموارد والتضييق على عباد الله ، وفي ذلك يقول الله تعالى: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَا تَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلْمُوا وَإِنَّ اللهِ عَلَى نَصْرِهِمْ لِقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بِغَيْرِ حَقِّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبْغَا اللهُ ) ( ) . ( وَقَا تِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الذِينَ يَقَا تِلُونَ كُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ الله لاَ يُحبُ المُعْتَدِينَ ) ( ) .

إن الحرب ليست إلا علاجاً لشذوذ لم تنفع فيه الحكمة ولا الموعظة الحسنة ، وإن غير المحاربين وغير المدبرين للحروب لا ينالون فيها بسوء ويعامل أسرى الحرب بالبر والإحسان إلى أن يطلق سراحهم بالمن أو الفداء (٣).

### **-** { -

تلك هي تعاليم الفتح في الإسلام ، فأين منها تعاليم الفتح في القرن العشرين ؟ وأين منها قانون الحرب والحياد من القانون الدولي في عصر الذرة والصواريخ ومحاولة التعليل في الفضاء الخارجي ؟ : ( قُلُ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِيدُ ، فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلاً ) (\*)

والله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً ، وسبحان الله بكرة وأصيلا ؛ وصلى الله على الرسول القائد، وآله وصحبه، وقادته وجنده ،وسلم تسلما كثيراً.

<sup>(</sup>١) سورة الحج ( ٢٩/٢٤) .

<sup>(</sup>۲) سورة البقرة (۲٪ : ۱۹۰). (۳) انظر كتاب الأسلام عقيدة و قريعة ــ للأستاذ كحود شلتوت س(١٩٦٥ـ٤٦٦).

<sup>(</sup>٢) الطن الماب المسلوم علميده وسريعه في الاسلام ـ من ( ١٩ ـ ٣٣ ) الطبعة الثانية . وانظر كتاب الرسول القائد ــ القتال في الاسلام ـ من ( ١٩ ـ ٣٣ ) الطبعة الثانية . (٤) الآية السكريمة من سورة الاسراء ( ١٧ : ٨٤ ) .

# المراجع

١٣ -- خالد بن الوليد ١ — الفتوحات الإسلامية أحمد بن زيني دحلان مفتى مكة المسكرمة. محل صبيح . ١٤ - خَالَد سَ الْولىد ٧ - -- أيام المرب في الجاهلية -جمال الدين الرمادي . عجل أحمد جاد المولى وأصحابه . • ١ - عمقرية خالد ٣ ــــ أيام المرب في الإسلام عباس محود العقاد . عُمَّلُ أَبُو النَّصُلُ إِيرَاهِيمُ وعَلَى عُمَّلُ ١٦ — أعلام الصحابة البحاوي . عمل خالد . ع ــ الحلفاء الراشدون ١٧ --- تاريخ الموصل عد الوهاب النجار . ياسين بن خير الدين الخطيب العمرى . ه ــ حماة عمل ١٨ -- شباب قريش في بدء الإسلام على حسين هيكل . عبد المتعال الصعيدي . ٦ — الصديق أبو بكر ١٩ — خريجو مدرسة عجل مل حسين هيسكل . إبراهيم الواعظ . ٧ — الفاروق عمر ۲۰ ــ زعماء الإسلام على حسين هسكل . حسن إراهيم حسن . ٨ - بحوءة الوثائق السياسية للمهد ۲۱ - عنمان النبوي طه حدين . محل حمد الله الحمدر آبادي . ۲۲ — على وينوه ٩ – في منزل الوحبي طه حسين . مل حسين هيڪل . ٢٢ - شهداء الإسلام في عهد النبوة ١٠ — سيف الله خالد بن الوليد على سامى النشار . أبو زيد شلبي ٢٤ — الإمبراطورية الإسلامية ١١ - القائد الحالد خالد بن الوليد على حسين هيسكل المرحوم المقدم عبد الحميد السامرائي . ه ٢ - في الأسلام ١٢ — خالد بن الوليد

أحد أمن .

المرحوم العميد طه الهاشمي.

٣٧ — حياة نابليون حسن جلال ٣٨٠ - السياسة الشرعية ان تيمية . ٣٩ ــ منهاج الإسلام في الحسكم علا أسد . ٤٠ — الرسول القائد محمود شیت خطاب . ٤٦ — نظامات الحدمة السفرية . ٤٧ - إدارة الحرب. ٤٤ — فوج مشاة في المعركة . ££ - الفرقة في المركة . ه ؛ - محاضر أن كلمة الأركان ودورة الأقدمين في إنكلترا . ٤٦ -- الدولة العربية وسقوطها يوليوس ولهاوزن — ترجمة يوسف العش . ٤٧ — الأسلام عقيدة وشريعة محمود شلتوت . ٨٤ — دائرة المعارف الإسلامية . ٩٤ -- بلدان الحلافة الشرقية -استرنج - نقله إلى العربية : بشير

فرنسيس وكوركيس مواد.

٢٦ — سعد بن أبي وقاس سالم سعيد الصحيدعي . ٧٧ --- سعد بن أبي وقاص عبد السلام العشري . ٣٨ — الجندية في الدولة الساسية . المرحوم الرئيس الركن نعان ثابت . ٧٩ - قانون الحرب والحياد سامی جنینه . ٣٠ — نظام السلم والحرب في الإسلام مصطني السباعي . ٣١ - الحضارة العربية ى . هل . ترجة إبراهيم العدوى . ٣٣ -- اشتراكية الإسلام مصطنى السباعي . ٣٣ — التشريع الجنائي الإسلامي عبد القادر عوده . ٣٤ — الجزية والإسلام دانیے دینیت — ترجمة فرزی فہیم جاد الله . ه ٣ — الحراج في الدولة الاسلامية على ضباء الدين الريس . ٣٦ — قصة الـكفاح بين روماوقر طاجنة توفيق الطويل .

# المراجع الأجنبية

- 1. The spirit of Jslam By Sayed Amir Ali
- 2. Life of Mahomet By Sir William Muire
- 3. Mohammad By Margaliouth
- 4. Quran and war By Maulvi · Sadr ud Din.
- 5. War and religion By Muhammad Marmaduke pickthall
- 6. Emcyclopedia Britannica

### المسادر

١ — القرآن الكريم

۲ — تفسیر ابن کثیر

الحافظ ابن كتبر . مطبعة المنار بمصر بـ . ١٣٤٧ هـ .

٣ — تفسير البغوى

الإمام البنوى . مطبعة المنار بمصر ب ۱۳٤۷ هـ ب مطبوعة في القسم الأدني من صحائف تفسير ابن كثير .

٤ - تفسير الكشاف

الا مام الرمخشري \_ مطبعة بولاق عصر \_

تفسير البيضاري

القاضی البیضاوی . مطبعة دار الکتب العربیة الکبری بمصر بـ ۱۳۳۰ ه . ۲ ـــ تفسیر المنار

السد رشيد رضا . مطبعة المنار بمصر ــ ١٣٢٠ هـ .

٧ ـــ تفسير الجلالين

جلال المحلى وجلال السيوطى . مطبعة حجازى بالقاهرة ــ مطبوع على هامش القرآن الكريم .

٨ - فضائل الفرآن

٩. - تفصيل آيات القرآن الـكريم
 وضعه بالفرنسية جول لابوم وترجمه على

فؤاد عبد الباق . مطبعة عيسى البابي الحلبي بعصر . الطبعة الأولى سـ ١٣٤٣ ه .

۱۰ - فتح البارى بشرح البخاري
 الإمام ابن حجر المستلائى . مطبعة بو لاق
 عصر - ۱۳۰۱ ه -

۱۱ — شرح النووى على مسلم
 الإمام النووى . المطبعة الكتلة بمصرب
 ۱۲۸۳ ه.

١٢ -- مسئد الإمام أحمد بن حنبل
 الإمام أحمد بن حنبل . المطابعة الميمنية
 عصر - ١٣١٣ ه .

٣٠ - سان ابن ماجة .

الإمام ابن ماجة. المطبعةالعلمية بمصر . ١٣١٣ هـ.

١٤ -- مفتاح كنور السئة
 وضعه بالا نكليزية الدكتور فنسئك وترجمه
 محمد فؤاد عبد الباق -- مطبعة مصر - ١٣٥٧ هـ .

ه إ - سيرة ان هشام

أبو عجلا عبد الملك بن هشام . مطبعة حجازى بالقاهرة ــ ١٣٥٦ ه .

١٦ — عيون الأثر

ابن سيد الناس . مطبعة القدسى ومطبعة السعادة عصر – ١٣٥٦ ه .

١٧ — جوامع السيرة

ابن حزم . مُطبِعة دار العارف بمصر

١٨ -- البيرة الحلبية ا

على الحابي الشافعي . مطبعة مصطفى عمر .

١٩ - طبقات ابن سعد

ابن سمد . مطبعة دار بيروت وصادر بيروت ــ ۱۳۷۱ ه .

٢٠ - الاصابة في تمييز الصحابة الإيمام الصقلاني . مطبعة دار السمادة عصر - ١٣٢٣ هـ .

٢١ ــ أسد الفابة فى معرفة الصحابة
 ابن الأثير . المطبعة الإسلامية بطهران ...
 ١٣٧٧ ه .

۲۲ — الاستيماب في معرفة الأصحاب
 ابن عبد البر . مطبعة نهضة مصر بمصر .
 ۳۳ — أصحاب الفتيا من الصحابة ومن
 بعدم على مراتهم فى كثرة الفتيا .

ابن حزم . ملحق بجوامع السيرة . مطبقة دار المارف عصر .

٢٤ — أسماء الصحابة الرواة وما لكل
 واحد منهم من العدد

ابن حزم . ملحق بجوا مع السيرة . مطبعة دار المارف بمصر .

۲۰ — المعارف

ابن قتيبة . مطبعة دار الكتبالمصرية .. ١٩٦٠ م .

۲۶ - تهذیب ابن عساکر

المطبعة المربية بالشام ــ ١٣٥١ هـ .

٢٧ --- تهذيب النهذيب

الا مام ابن حجر العسقلاني . مطبعة حيدر آباد لدكن ــ ١٣٢٦ هـ .

٣٨ — صفة الصفوة ..

الإمام ابن الجوزى . مطبقة حيدر آباد الدكن ــ ٥ ٨ ٨ ٨ ٨ ٨

۲۹ — خلاصة تذهيب الكمال في أسماء الرجال

صنى الدين أحمد الحزرجي . المطبعة الحيرية عصر – ١٣٢٢ ه .

٣٠ -- الرياض النضرة في مناقب العشرة المحب الطرى. مطبعة دارالتأليف عصر -- ١٩٣١ الطبعة الثانية .

٣١ — حلية الأولياء وطبقات الأصفياء
 المحافظ الأصبهاني مطبعة السعادة عصر سالة ١٣٥١

۲۲ -- تاریخ الطبری

الإمامالطيري. مطبعة الاستقامة بمصرب. ١٣٤٧ ه.

٣٣ — تاريخ ابن الأثير

ابن الأثير . مطبعة ذاتالتحرير بمصر بـ . ٣٠٣ هـ .

٣٤ – مروج الذهب

المسمودى . طبيع على هامش تاريخ ابن الأثير . مطبعة ذات التحرير بمصر ــ . ١٣٠٣ ه .

ه ۳ - البلاذري

فتوح البلدان . أبو الحسن البلاذري . مطبعة السعادة بمصر ــ ١٩٥٩ م .

٣٦ — فتوح الشام

عمد الواقدى . مطبعة دار العهد الجديد عصر ـــ ١٣٧٣ ه .

٣٧ — المحتصر من أخبار البشر
 تاريخ أبى الغدا . الطبعة الحسينية بمصر ١٣٢٥ م.

۳۸ — تاریخ الیمتوبی آحمدبنیمتوب . مطبعةالغری بالنجف ــ ۱۳۸۵ هـ .

٣٩ -- تاريخ ابن خلدون

. ٤ — مقدمة ابن خلدون

ابن خلدون مطبعة محمد مصطنى بمصر .

٤١ — الإمامة والسياسة

ابن قتيبة الدينورى مطيعة البابى الحلبى عصر – ١٣٧٧ هـ الطبعة الثانية .

٤٧ — تاريخ عمر ابن الحطاب

ابن الجوزى . مطبعة محمد على صبيح .

\* غ - البداية والنباية

عماد الدبن أبوالفدا . مطبعةالسمادة بمصر

٤٤ —شذرات الذهب

ابن العاد الحنبلي . مطبعة القدسي عصر ۱۳۵۰ هـ

٤٠ — ثاريخ الا سلام

عمس الدن الدهي ، مطبعة السمادة عصر . ١٣٦٨ه :

23 - دول الإسلام

الا مام الذهبي . مطبعة حيدرآ باد الدكن

٧٤ — البدء والتاريخ

المنسوب لابن البخلى . طبع باريس

٤٨ — تاريخ الحنيس

حسين بن عمد بن الحسن الديار بكرى م مطبعة عـــثمان عبد الرزاق عصــر الطبعة الأولى ــ ١٣٠٧ .

٤٩ — المسالك و المالك

الأصطخرى . مطابع دار الثلم بالقاهرة ٢٣٨١ ه.

ه - معجم البلدان

ياتوت الحموى . مطبعة دار السعادة بمصر ۱۲۲۳ هـ .

١٥ — آثار البلاد وأخبار العباد

زكريا القزويني . مطبعة دار صادر ودار بيروت ــ ۱۳۸۰ ه .

۲ه — رحلة ابن جبير

محمد بن أحمد بن جبير . مطبعة حنق عصر ١٣٥٦ هـ .

٣ ه — أطنس العالم الإسلامي

هادی هازار ترجمهٔ إبراهیمزک خورشید مطبعهٔ مصر .

٤٥ — الحراج

الإمام أبو يوسف . الطبعة السلفية . ١٣٤٦ه. .

ه ه ـــ الأم

للإمام الشافعي . مطبعة بولاق الطبعة الأولى - ١٣٢٢ هـ .

۲ ه - کتاب الجهادو کتاب الجزیة و آحکام الحاربین من کتاب اختلاف الفتهاء
 محد بن جریر الطبری . مطبعة ایدن
 ۱۹۳۳ م .

٧٥ - أنساب الأشراف

البلاذري . مطيعة دار للعارف عصر .

۸ه – نسب قریش

المصب الزبیری . دار الطباعة عمسىر ۱۹۰۷ م

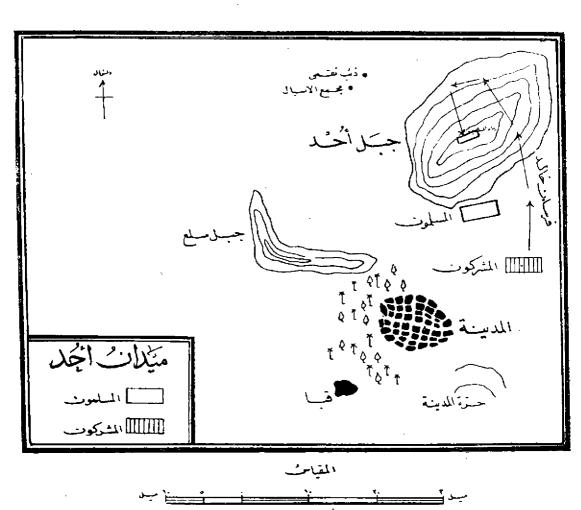
٥٩ - ذكر أخبارأصبان
 مطبعة ليدن - ١٩٣١م .

المبرد . مطبعة محمد على صبيح بمصر ١٣٤٧ م. و ٣٠ الأعلام و ٣٠ الأعلام خير الدين الزركاي . الطبعة الثانية ابن حزم . مطبعة دار الممارف بمصر . و الأصنام الموب المندر هشام بن محمد المكاي المطبعة الأميرية بالقاهرة - ١٣٣٧ م. و المطبعة الأميرية بالقاهرة - ١٣٣٧ م. و المحليل المعيان في نكت العميان خليل الصفدي . المطبعة الجالية عصر خليل الصفدي . المطبعة الجالية عصر

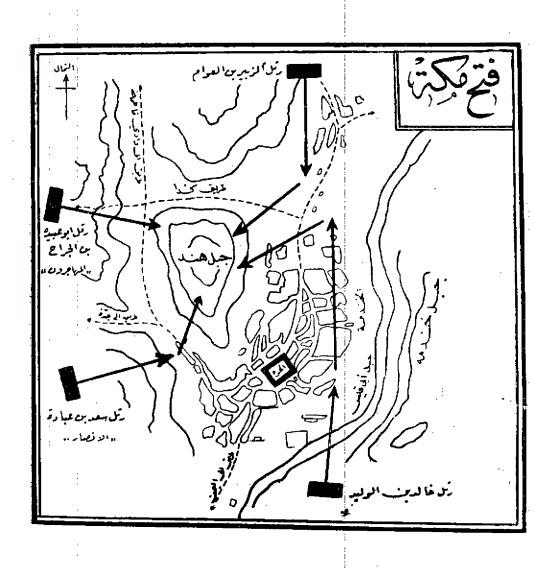
. 4 1479

١٠ – ألف باء
 يوسف محمد البلوى . المطبعة الوهبية
 ١٢٨٧ ه.
 ١٦ – الأغانى
 ١٧ صبهانى . طبع دار الفكر بيروت
 ٢٢ – العقد الفريد
 ابن عبد ربه . المطبعة الأزهرية عمر
 الطبعة الثانية – ١٤٤٦ ه.
 ١٣٠ – عيون الأخبار
 ابن قتيبة . مطبعة دار الكتب المصرية
 ١٣٤٣ ه.
 ١٣٤٣ ه.

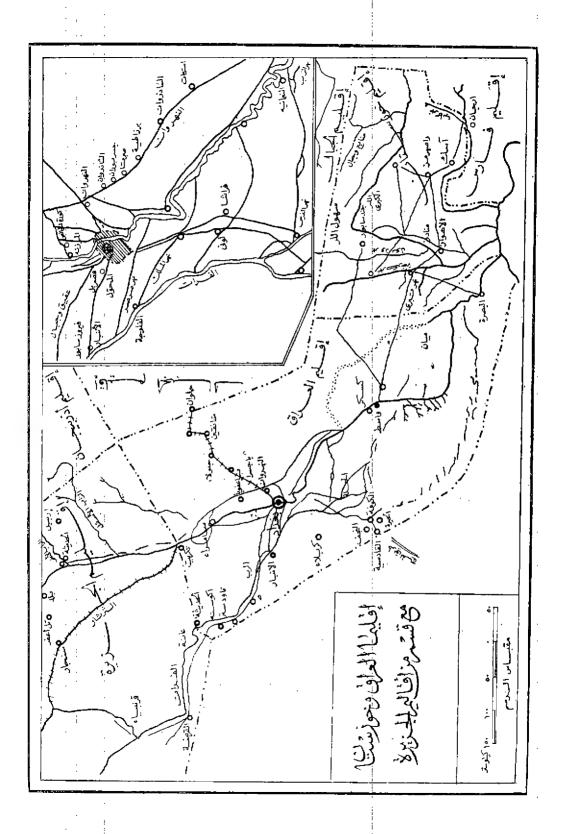


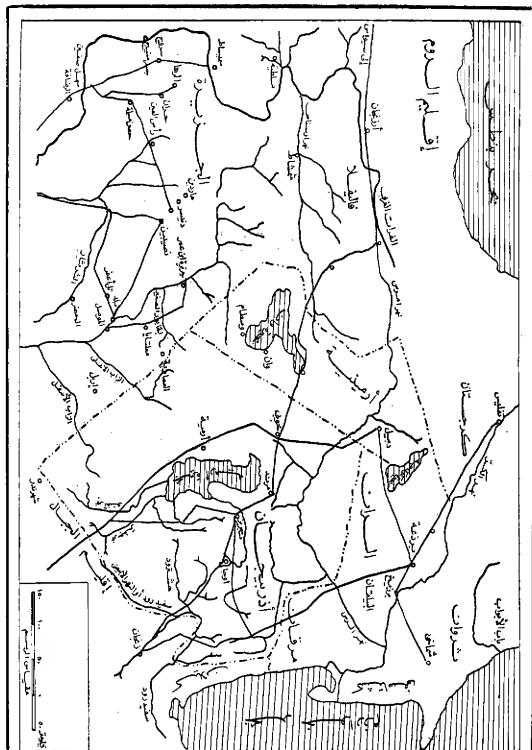


144.10 /1

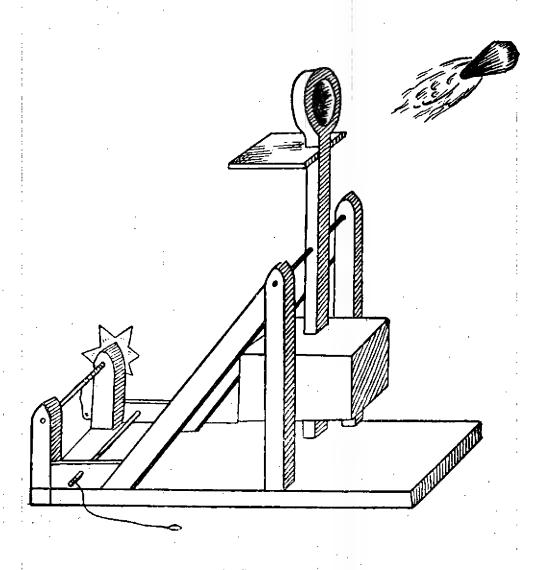


بلىد فغ

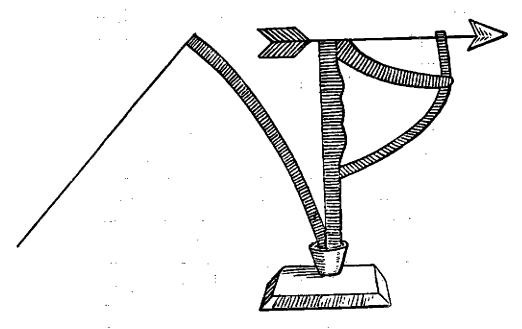




قادة فتح النطقة الجبلية



منجنيق لرمى النفط



منحنيق لرمى السهام النقيسلة

31-

•	الإهداء
Y	مقدمة
44	القادة العامون
<b>£</b> 0	المثنى بن حارثة الشيباني – القائد الذي جرأ العرب على مهاجمة الإمبراطورية
	الفارسية ومهد لفتُح المراق ــ بنو شيبان ــ الصحابي ــ جهاده ـــ
	١ — في حروب الردة — ٢ — في الفتح : التعرض التمهيدي — مع خالد
	التائد المام مع أبي عبيدة الثنق التائد المام ثانية
1-	٣ - الشهيد - شعره - الشمائل - الغائد - المثنى في التاريخ
£0	خالد بن الوليد المحزومي ، لميف الله — مستهل — أسرته — في الجاهلية : عمله —
T	في أحد ــــ في غزُّوة الحندق ــــ في غزوة الحديبية ــــ في عمرة النضاء .
	إسلامه — جهادممع الرسول القائد : فيمؤنة — فيغزوة فتتح مكة —
1	هدم المزى ـــ في بني جذيمة ــــ في يوم حنين ـــ في غزوة الطائف ــــ في
	بني المصطلق — أهدم ود حـ في دومة الجندل — أنجران — في العين
1	<ul> <li>سيف الله</li></ul>
	مالك بن نوبرة 🕂 في البمامة 😀 هازم الفرس في العراق : إلى العراق
٠,	ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ
12	الحيرة – فالأنبار – فءين التمر– فدومة الجندل – فالصيخ –
	فى الثنى والزميل — فىالفراض — هازم الروم فى أرض الشام : أسباب
1.	نقله — منصبه — في الطريق — عدد قوائه — في البرموك —
4	لى دمشق · في لحل في مرج الروم في حمي في قنسرين
	في مرعش . عزله — الإنسان — الفائد — أثر قيادته : في الجاهلية .
	— مع النبي — في حروب الردة — في العراق — في أرض الشام .
	مزاباء العسكرية — : عسكرى ممتاز — جندى ممتاز — مزايا
*	الجندى الميتاز 🕂 : عقيدة راسخة — ضبط مثين — عقلية منزنة —
	شجاعة شخصية 🚽 تدريب جيد — قابليته البدنية — معنويات عالية .
	قائد ممتاز حــمن أيا القائد الممتاز حــ تفصيل المزايا : قرار سريع صحيح –
	ال ادمة قدية ثابتة ب تجمل السؤولية ب نفسية لا تقدل ب سق

- النظر معرفة النفسيات والقابليات الثقة المتبادلة المحبة المتبادلة بالمنفسية القوية النافذة الماضي المجبد معرفة وتطبيق مبادىء الحرب: اختيار المقصد وإدامته التعرض المباغتة تحشيد القوة الاقتصاد بالمجهود الأمن المرونة التعاون إدامة المعنويات الأمور الإدارية قائد عبقرى الحاتمة جدول توقيت الأعمال البارزة في حياة خالد ... ... ... ...

- قادة فتح محور العراق الأوسط ... ... ... ... تا ٢٦٩ ...
- خالد بن عرفطة العدرى حد نائب سعد فى القادسية وفاتح مدينة ساباط -- أيامه ٧٧١ الأولى وإسلامه -- جهاده -- شمائل الإنسان -- القائد -- خالد نى التاريخ ... ... ... ... ... ... ... ... ...
- قادة فتح مجور ديالي من المدائن إلى حلوان ... ... ... س. ... ٢٨٩ ...
- القمقاع بن عمرو النميمي فاتح خانقين وحلوان وهمذان الصحابي جهاده: ٣٠١ في الردة — مع خالد بن الوليد: في العراق — في الشام — في العراق ثانية — في القادسية — المدائن — في جلولاء — إلى الشام ثانية —

فى بلاد فارس — أيامه بعد الفتح — الشاعر — الإنسان — الفائد — الغمناع في التاريخ ... ... جرير بن عبد الله البجلي — فانح خانقين وحلوان وقرميسين وهمذان — PYŁ نسبه - إسلامه - جهاده - نهاية المطاف - الإنسان الغائد -جرير في التاريخ ... ... قادة فتح محور دَجَلة من المدائن حتى الموصل ... ... ... ... ٣٤١ عبد الله بن المعتم العبسي — فاتح محور دجلة من المدائن جنوبا حتى الموصل ٣٤٣ شمالاً – إسلامُه – جهاده : مع سعد بن أبي وقاص – الفائح الإنسان — القائد — ان المعتم في التاريخ ... ... ... ربعي بن الأفكل العنزلي – فاتح الموصل – الصحابي – جهاده – ٣٥٠ الإنسان – القائد – ربعي فالتاريخ ... ... ... القائد ب عرفجة بن هرثمة البارق 🗕 أول قائد عربي ركب البحر وأول من اختط ٣٥٥ -الموصل وأسكنها العرب ومصرها ــ إسلامه ــ جهاده : جهاده أهل الردة — في البحرين — في العراق : مع المثني بن حارثة الشيباني — مع سعد بن أبي وقاص — الفاتح — في البحرين ثانية ﴿ في فتح فأرس — الإنسان — القائد — عرفجة في التاريخ ... ... قادة فتح محور الفرات من الرمادي حتى ملتقي الحابور بالفرات ... ٣٦٣ ... همر بن مالك الزهري 🕂 فائخ محور الفرات من الرمادي حتى ملتق الحابور 🔫 🔫 بالغرات — إسلامه — جهاده — الشاعر — الإنسان القاعد — الحارث بن يزيدالمامري - فاتح هيت -الصحابي - المجاهد ـــ الا نسان ـــ ٢٧٧٧ القائد ـــ الحارث قالتاريخ ... ... ... ... ... قادة فتح جنو بي العر اق ... عتبة بن غزوان المازني — فانح جنوب العراق والأهواز وأول من مصر ١٣٧٧ البصرة — إسلامه — جهاده : مع النبي — في الفتح : الفازي — الغانح – الارنسان –الغائد – عتبة في التاريخ ... ... ... المهيرة بن شعبة الثتني -- فانح ميسان ودستميسان وأبزقباذ - نسبه وأيامه ٣٨٧ الأولى — مع النبي —جهاده — الإنسانالقائد ـــ المغيرة فالتاريخ .. قادة فتح المنطقة الجبلية من شمالي العراق ... ... ... ... والمنطقة الجبلية من شمالي العراق عتبة بن فرقد السلمي 🕂 فاتح شمال العراق وأذربيجان — إسلامه ــــ 810 جهاده - الاينهان - الغائد ....

	,	
صلحة	₹	-
٤٢٣	قادة فتح الجزيرة الجزيرة المستحد المجازيرة المستحد المجازيرة المستحد المجازيرة المستحد	,
٤٢٥	عیاض بن غنم الفهری – فاتح الجزیرة – إسلامه – جهاده : فی العراق –	
	ق الشَّام - الفاتح - ألا نسان - القائد - عياض في التاريخ	
247	مهيل بن عدى الخزرجي ـــ فاتح الرقة والرها وولاية كرمان ــــ إسلامه ــــ	
	جهاده — الأينسان — الغالد – سهيل ف التاريخ	
224	عبد الله بن عبد الله بن عتبال الأنصارى فاتح نصيبين والرها وأصبهال	
	إسلامه - جهاده - الأينسان - القائد - ابن عتبان في التاريخ	
284	الوليد بن عقبة بن أبي معيط الأموى — فاتح منطقة عرب الجزيرة وفاتح أذربيجال وبعض أرمينية ثانية — نسبه وأهله — مع النبي — جهاده :	
	ادرييجان وبلطن ارمينيا نايد السبد والمان المودة – الانسان – ق الجررة – ق أذربيجان وأرمينية – العودة – الانسان –	
	العائد ـــ الوليد في التاريخ	
213	عمير بن سعد الأنصاري الأوسى ـــ فاتح مدينة راس عين في أرض الجزيرة	
	إسلامه — جهاده — الارنسان — الغائد — عمير في التاريخ	
£ Y \	تماليم الفتح في الإسلام : الإسلام — أو الجزية — أو القتال	
ሂሊያ	1**	
243	المراجع الأجنبية المراجع الأجنبية الله الله الله الله الله الله الله الل	
٤٩٠	المصادر المصادر	
	الحرائط	
१९०	ميدان أحساد من الله الله الله الله الله الله الله الل	
	فتُنح مكة الله الله الله الله	
	حروُب خالف بن الوليد	
٤٩٧		
	فتح العراق وخوزستان مع قسم من أقاليم الجزيرة	
१९५	قادة قتبح المنطقة الجبلية قادة قتبح المنطقة الجبلية	
	الصور	
	منجنیق لرمی النفط منجنیق لرمی النفط	
0 • 1	منجنیق لرمی السهام الثقیلة	